بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

تأليف

العالم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

حققه وصحح أسانيده

الحجة الشيخ أحمد القيوم الماحوزي

المجلسي

بحار الأنوار

حققه أحمد الماحوزي

التوحيد

٣

مركز أهل الذكر
لنشر تراث أهل البيت عليهم السلام

بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة
المولى الشيخ محمد باقر المجلسي
قدس سره

حققه وصحح أسانيده
الحجة الشيخ أحمد القيدوم الماحوزي

الجزء الثالث

ملاحظة

نعبر في الأعم الأغلب عن الموثق بالصحيح

لأسباب ذكرناها في ملحق رقم : ١

كتاب التوحيد

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ ، والصلاة على سيّد الموحّدين ، وفخر العارفين ، محمّد وأهل بيته الطاهرين ، الغرّ الميامين .

كتاب التوحيد

وهو المجلّد الثاني من كتاب بحار الأنوار ، تأليف المذنب الخاطئ الخاسر محمّد ، المدعوّ بباقر ، ابن مروّج أخبار الأئمّة الطاهرين ، ومحيي آثار أهل بيت سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه وآله أجمعين ، محمّد الملقّب بالتقيّ حشره اللّه تعالى مع مواليه شفعاء يوم الدين .

أبواب التوحيد [1]

باب ١: ثواب الموحّدين والعارفين، وبيان وجوب المعرفة وعلّته وبيان ما هو حقّ معرفته تعالى [2]

(١٤٧١) ١ ـ التوحيد والأمالي للصدوق: حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَلَوِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ النَّهَاوَنْدِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَسْبَاطِ بْنِ نَصْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيراً، لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ بِالنَّارِ مُوَحِّداً أَبَداً، وَإِنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ لَيَشْفَعُونَ فَيُشَفَّعُونَ.

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِقَوْمٍ سَاءَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! كَيْفَ تُدْخِلُنَا النَّارَ وَقَدْ كُنَّا نُوَحِّدُكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا؟ وَكَيْفَ تُحْرِقُ بِالنَّارِ أَلْسِنَتَنَا وَقَدْ نَطَقَتْ بِتَوْحِيدِكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا؟ وَكَيْفَ تُحْرِقُ قُلُوبَنَا وَقَدْ عَقَدَتْ عَلَىٰ أَنْ لَا إِلٰـهَ إِلَّا أَنْتَ؟ أَمْ كَيْفَ تُحْرِقُ وُجُوهَنَا وَقَدْ عَفَّرْنَاهَا لَكَ فِي التُّرَابِ [3]؟ أَمْ كَيْفَ تُحْرِقُ أَيْدِيَنَا وَقَدْ رَفَعْنَاهَا بِالدُّعَاءِ إِلَيْكَ؟

فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: عِبَادِي! سَاءَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا

---

(١) وفيه ٣١ باباً.

(٢) وفي الباب ٣٩ حديثاً.

(٣) عفّر وجهه بالتراب أي مرّغه ودسّه فيه.

فَجزاؤُكُمْ نارُ جهنَّمَ ، فيَقولُونَ: يا ربَّنا ! عفوُكَ أعظمُ أمْ خطيئَتُنا؟ فيَقولُ تبارَكَ وتَعالىٰ: بَلْ عفوِي؟ فيَقولُونَ: رحمَتُكَ أوْسعُ أمْ ذُنوبُنا؟ فيَقولُ عزَّ وجَلَّ: بَلْ رَحْمَتِي ، فيَقولُونَ: إقرارُنا بتَوْحِيدِكَ أعْظَمُ أمْ ذُنوبُنا؟ فيَقولُ تَعالىٰ: بَلْ إقرارُكُمْ بتَوْحِيدِي أعْظَمُ؟ فيَقولُونَ: يا ربَّنا ! فلْيَسَعْنا عفْوُكَ ورَحْمَتُكَ الَّتي وسِعَتْ كُلَّ شيْءٍ.

فيَقولُ اللَّهُ جلَّ جلالُهُ: ملائِكتِي ! وعِزَّتِي وجَلالِي ، ما خلَقْتُ خلْقاً أحَبَّ إلَيَّ منَ الْمُقرِّينَ بتَوْحِيدِي ، وأنْ لا إلٰهَ غيْرِي ، وحقٌّ علَيَّ أنْ لا أُصْلِيَ أهْلَ تَوْحِيدِي ، أدْخِلُوا عِبادِيَ الْجَنَّةَ (١) .

بيان: قوله: «وَحقٌّ علَيَّ» الظاهر أنّه اسم ، أي واجب ولازم علَيَّ ، ويمكن أن يقرأ على صيغة الماضي المعلوم والمجهول ، قال الجوهريّ: قال الكسائيّ: يقال: حقّ لك أن تفعل هذا ، وحقّقت أنْ تفعل هذا بمعنى وحقّ له أن يفعل كذا ، وهو حقيق به ومحقوق به: أي خليق له ، وحقّ الشيء يحقّ ـ بالكسر ـ: أي وجب ، وقال: يقال صليت الرجل ناراً: إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها ، فإن ألقيته فيها إلقاء كأنّك تريد الإحراق قلت: أصليته بالألف وصليته تصلية ، وقال: صلي فلان النار يصلى صليّاً: احترق.

(١٤٧٢) ٢ـ التوحيد والأمالي للصدوق : الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ،

(١) أمالي الصدوق : ٣٧٢ ، حديث : ٤٦٩ * التوحيد : ٢٩ ، عمرو بن طلحة ، هو عمرو بن حماد بن طلحة القناد ينسب إلى جده ، ذكره العامة فقال أبو داود : كان من الرافضة ذكر عثمان بشيء فطلبه السلطان ، وقال أبو حاتم وابن معين : صدوق ، ووثقه الحضرمي وابن سعد وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن حجر : صدوق رمي بالرفض ، مات سنة ٢٢٢ .

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ الْقُشَيْرِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى الْكِلَابِيِّ، عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ ﴾ (١) ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: مَا جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ (٢).

الأمالي للشيخ الطوسيّ: شيخ الطائفة، عن الحسين بن عبيد اللّه الغضائريّ، عن الصدوق بالإسناد ... مثله (٣).

الأمالي للشيخ الطوسيّ: جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن إسحاق بن عبّاس بن إسحاق بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عن أبيه موسى بن جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلامُ ... مثله.

(١٤٧٣) ٣ـ الأمالي للشيخ الطوسيّ: جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَلَوِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الرِّضَا، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ

---

(١) سورة الرحمن: ٦٠.

(٢) التوحيد: ٢٨ بنفس السند، ٢٢ بسند آخر عن صحيفة الرضا * أمالي الصدوق: ٤٧٠، حديث: ٦٢٨ * شعب الإيمان للبيهقي: ٣٧٢/١، بسنده عن مجاهد عن ابن عمر * تفسير الثعلبي: ١٩٢/٩، بسنده عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك، وعن ميمون بن مهران عن ابن عمر وابن عباس، وعن ابن المنكدر.

(٣) أمالي الطوسي: ٤٢٩، حديث: ٩٦٠.

عَلَيْهِ وَآلِهِ: التَّوْحِيدُ ثَمَنُ الْجَنَّةِ ... الْخَبَرَ (١) .

(١٤٧٤) ٤ ـ **علل الشرائع والخصال**: فِي خَبَرِ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ وَأَوْصَافِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَجَعَلَ اسْمِي فِي التَّوْرَاةِ أُحَيْدَ، فَبِالتَّوْحِيدِ حَرَّمَ أَجْسَادَ أُمَّتِي عَلَى النَّارِ (٢) .

(١٤٧٥) ٥ ـ **ثواب الأعمال والتوحيد**: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَحْمَدَ ابْنِ هِلَالٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَعْظَمَ ثَوَاباً مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَشْرَكُهُ فِي الْأَمْرِ أَحَدٌ (٣) .

بيان: لعلّ التعليل مبنيّ على أنّه إذا لم يعدله تعالى شيء لا يعدل ما يتعلق بألوهيّته وكماله ووحدانيّته شيء؛ إذ هذه الكلمة الطيّبة أدلّ الأذكار

---

(١) أمالي الطوسي : ٥٦٩، حديث : ١١٧٦ .
وسنده كالحسن، أبو المفضل الشيباني من كبار الحفاظ والأجلاء، راجع ملحق : ١٤، ومحمد ابن علي بن الحسين ذكره النجاشي فقال : « له نسخة يرويها عن الرضا عليه السلام » وساق سنده إليه عن طريق جعفر بن محمد العلوي .
(٢) علل الشرائع : * الخصال : ٤٢٥ * معاني الأخبار : ٥٠ .
(٣) ثواب الأعمال : ٣ * التوحيد : ١٩ * الكافي الشريف : ٥١٦/٢ بسند صحيح عن الثقة محمد بن فضيل عن أبي حمزة .
وسنده حسن كالصحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام، سوى أحمد بن هلال، قال عنه النجاشي : « صالح الرواية، يعرف منها وينكر، وقد رُوي فيه ذموم من سيدنا العسكري عليه السلام »، وقال السيد الخوئي قدس سره : « الظاهر أن أحمد بن هلال ثقة، غاية الأمر أنه كان فاسد العقيدة، وفساد العقيدة لا يضر بصحة رواياته، على ما نراه من حجية خبر الثقة مطلقاً »، قلت : وقد حج قبل انحرافه ٥٤ حجة، عشرون منها على قدميه، والقول الجزل ما قاله شيخ الطائفة قدس سره بقبول رواياته حال استقامته وديانته، وبما أن الراوي عنه سعد بن عبد الله رضي الله عنه فالرواية عنه كانت قبل انحرافه لمقاطعة الأصحاب الكبار له .

على وجوده ، ووحدانيّته ، واتّصافه بالكمالات ، وتنزّهه عن النقائص ، ويحتمل أن يكون المراد أنّها لمّا كانت أصدق الأقوال فكانت أعظمها ثواباً .

(١٤٧٦) ٦ ـ **التوحيد** : ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنِ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ضَمِنَ لِلْمُؤْمِنِ ضَمَاناً .

قَالَ : قُلْتُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : ضَمِنَ لَهُ إِنْ هُوَ أَقَرَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَلِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنُّبُوَّةِ ، وَلِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالْإِمَامَةِ ، وَأَدّىٰ مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِ ، أَنْ يُسْكِنَهُ فِي جِوَارِهِ .

قَالَ : قُلْتُ : فَهَذِهِ وَاللَّهِ هِيَ الْكَرَامَةُ الَّتِي لَا يُشْبِهُهَا كَرَامَةُ الْآدَمِيِّينَ .

قَالَ : ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : اعْمَلُوا قَلِيلاً تَتَنَعَّمُوا كَثِيراً (١) .

(١٤٧٧) ٧ ـ **التوحيد** : الْهَمَدَانِيُّ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زِيَادٍ الْكَرْخِيِّ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ مَاتَ وَلَا

---

(١) التوحيد : ١٩ ، وسنده حسن كالصحيح ، موسى بن عمران النخعي هو راوي الزيارة الجامعة الكبيرة الشاملة لكمالات المعصومين عليهم السلام ، ولم تتعرض له كتب الرجال ، إلا أن تشريفه بهذه الزيارة من قبل الإمام عليه السلام ، وتلقي الأصحاب لها ـ سيما الأعاظم من أهل قم المقدسة الذين كانت لديهم حساسية فيمن يروي كمالات المعصومين عليهم السلام آنذاك ـ واعتماد الصدوق عليه في كتبه سيما في من لا يحضره الفقيه ، شاهد على علو شأنه وجلالة قدره ، وعلى أنه أهلٌ للتحمل والأداء ، ومحمد بن سنان من الكبار ، راجع ملحق : ٨ .

يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً ، أَحْسَنَ أَوْ أَسَاءَ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ (١) .

التوحيد: القطّان ، عن السكريّ ، عن الجوهريّ ، عن جعفر بن محمّد ابن عمارة ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ... مثله (٢) .

(١٤٧٨) ٨ـ**التوحيد**: ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنِ الصَّفَّارِ ، عَنِ ابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ ، عَنِ ابْنِ أَسْبَاطٍ ، عَنِ الْبَطَائِنِيِّ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ (٣) ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقىٰ وَلَا يُشْرِكَ بِي عَبْدِي شَيْئاً ، وَأَنَا أَهْلٌ إِنْ لَمْ يُشْرِكْ بِي عَبْدِي شَيْئاً أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أَقْسَمَ بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ أَهْلَ تَوْحِيدِهِ بِالنَّارِ أَبَداً (٤) .

(١٤٧٩) ٩ ـ**التوحيد**: السِّنَانِيُّ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ حَرَّمَ أَجْسَادَ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى النَّارِ (٥) .

---

(١) التوحيد : ١٩ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) التوحيد : ٣٠.

(٣) سورة المدّثر: ٥٦.

(٤) التوحيد : ٢٠ ، وسنده معتبر صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى ابن أبي حمزة وهو منحرف الاعتقاد معتمد الرواية ـ سيما ما كان عن أبي بصير ـ، وقد قاطعه الأصحاب بعد وقفه ، وكتب أبي بصير مشهورة معتمدة .

(٥) التوحيد : ٢٠ ، وسنده معتبر صحيح ، موسى بن عمران تقدم في الحديث السادس

(١٤٨٠) ١٠ ـ **ثواب الأعمال والتوحيد** : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنِ ابْـنِ عِيسىٰ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَيْفٍ ، عَنْ أَخِيهِ عَـلِيٍّ ، عَـنْ أَبِـيهِ سَـيْفِ بْـنِ عَمِيرَةَ ، عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَنَّهُ قَالَ : الْمُوجِبَتَانِ : مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً يَدْخُلُ النَّارَ (١) .

(١٤٨١) ١١ ـ **ثواب الأعمال والأمالي للصدوق والتوحيد** : بِالْإِسْنَادِ الْمُتَقَدِّمِ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ ، عَنْ أَنَسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَ : كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مَنْ أَبىٰ أَنْ يَقُولَ : لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ (٢) .

بيان : إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (٣) .

هٰهنا ، وعلي بن سالم هو البطائني المتقدم .

(١) ثواب الأعمال : ٢ * التوحيد : ٢٠ * مسند أحمد بن حنبل : ٣/٣٤٥ ، بسنده عن المزني عن جابر * صحيح مسلم : ١/٦٥ ، بسنده عن أبي سفيان عن جابر .
ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، الحسين بن سيف من فقهاء الأصحاب ، والحجاج بن أرطاة وأبو الزبير من ثقات العامة .

(٢) ثواب الأعمال : ٦ * التوحيد : ٢٠ * أمالي الصدوق : ٢٢٦ ، حديث : ٢٨٦ .
وسنده إلى سيف حسن كالصحيح ، الحسين بن سيف ذكره النجاشي والشيخ في أصحابنا المصنفين ، وذكره ابن حجر في لسان الميزان فقال : « ذكره الطوسي في رجال الشيعة وقال : وهو أخو علي بن سيف وكان أبصر من أخيه وأكثر مشايخ ، رحل إلى البصرة والكوفة وكان يعرف الفقه والحديث ، يروى عنه علي بن الحكم وغيره » ، قلت : وأخوه علي قد نُصّ على وثقاته ، وقد روى عن الحسين عدة من الأجلة والكبار ، ورواياته في الكتب المعتبرة كثيرة ، والحسن بن الصباح هو الحسين بن الصباح النخعي ، ذكر ابن داود نقلاً عن الكشي أنه ممدوح ، وليس هو الحسن بن الصباح البزار ، لاختلاف الطبقة .

(٣) سورة إبراهيم : ١٥ .

(١٤٨٢) ١٢ ـ **التوحيد**: أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْخُوزِيُّ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ الْخُوزِيِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُوَيْبَارِيِّ ـ وَيُقَالُ لَهُ : الْهَرَوِيُّ ، وَالنَّهْرَوَانِيُّ ، وَالشَّيْبَانِيُّ ـ عَنِ الرِّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسَىٰ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ آبَائِهِ ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ (١) .

(١٤٨٣) ١٣ ـ **التوحيد**: وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ ، كَرِيمَةٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مَنْ قَالَهَا مُخْلِصاً اسْتَوْجَبَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِباً عَصَمَتْ مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَكَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ (٢) .

بيان: قوله عليه السلام : « وَمَنْ قَالَهَا كَاذِباً » أي في الإخبار عن الإذعان لها والتصديق بها .

(١٤٨٤) ١٤ ـ **عيون أخبار الرضا عليه السلام والتوحيد**: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ الشَّاهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبَّاسٍ الطَّائِيُّ ـ بِالْبَصْرَةِ ـ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي فِي سَنَةِ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي جَعْفَرُ

---

(١) التوحيد : ٢٢ ، وقد تقدّم مثله في الحديث الثاني هٰهنا فراجع .

(٢) التوحيد : ٢٣ * ذيل تاريخ بغداد : ١٦٢/٢ ، بسنده عن أنس * مجمع الزوائد : ٢٦/١ ، بسنده عن عياض الأنصاري قريب منه ، قال : رواه البزار ورجاله موثقون .

ابْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي ، فَمَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ مِنْ عَذَابِي [(١)] .

(١٤٨٥) ١٥ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام والتوحيد : مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ النَّيْسَابُورِيُّ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَزْرَجِيِّ ، عَنْ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ رَحَلَ مِنْ نَيْسَابُورَ ، وَهُوَ رَاكِبٌ بَغْلَةً شَهْبَاءَ ، فَإِذَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ وَيَحْيَى بْنُ يَحْيىٰ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ ، وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، قَدْ تَعَلَّقُوا بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ فِي الْمُرَبَّعَةِ ، فَقَالُوا: بِحَقِّ آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ حَدِّثْنَا بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ أَبِيكَ ، فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ الْعَمَّارِيَّةِ ـ وَعَلَيْهِ مِطْرَفُ خَزٍّ ذُو وَجْهَيْنِ ـ وَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الْعَبْدُ الصَّالِحُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بَاقِرُ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحُسَيْنُ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: قَالَ

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٤٣/١ * التوحيد : ٢٤ * أمالي الطوسي : حديث : ٥٣٤ ، عن الفحام عن عمه عن عبد الله بن أحمد بن عامر .
والحديث مستفيض عن الرضا عليه السلام مروي عنه بعدة طرق نظيفة وسليمة .

اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي، وَمَنْ جَاءَ مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلـهَ إِلَّا اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ دَخَلَ فِي حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ فِي حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي (١).

بيان: قال الجوهريّ: الشهبة في الألوان: البياض الذي غلب على السواد، وقال: المربّع: موضع القوم في الربيع خاصّة.

أقول: يحتمل أن يكون المراد بالمربّعة الموضع المتّسع الذي كانوا يخرجون إليه في الربيع للتنزّه، أو الموضع الذي كانوا يجتمعون فيه للعب، من قولهم: ربع الحجر: إذا أشاله ورفعه لإظهار القوّة.

وسمعت جماعة من أفاضل نيسابور أنّ المربّعة اسم للموضع الذي عليه الآن نيسابور؛ إذ كانت البلدة في زمانه عليه السلام في مكان آخر قريب من هذا الموضع، وآثارها الآن معلومة، وكان هذا الموضع من أعمالها وقراها، وإنّما كان يسمّى بالمربّعة لأنّهم كانوا يقسّمونه بالرباع الأربعة، فكانوا يقولون: ربع كذا، وربع كذا، وقالوا: هذا الاصطلاح الآن أيضاً دائر بيننا معروف في دفاتر السلطان وغيرها.

وقال الجوهريّ: المطرف: والمطرف واحد المطارف، وهي أردية من خزّ مربّعة لها أعلام.

قال الفرّاء: وأصله الضمّ؛ لأنه في المعنى مأخوذ من أطرف، أي جعل

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٤٣ * التوحيد: ٢٤ * أمالي الطوسي: ٥٨٩، حديث: ١٢٢٠ بسنده عن الليث بن محمد بن الليث العنبري عن أحمد بن عبد الصمد بن مزاحم الهروي عن خاله أبي الصلت * مسند الشهاب لابن سلامة: ٢/٣٢٤ بسنده عن أحمد ابن علي عن الرضا عليه السلام * تاريخ مدينة دمشق: ٤٨/٣٦٦، بسندين.

في طرفيه العلمان ، ولكنّهم استثقلوا الضمّة فكسروه .

(١٤٨٦) ١٦ ـ ثواب الأعمال ومعاني الأخبار وعيون أخبار الرضا عليه السلام والتوحيد : ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الصُّوفِيِّ ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَقِيلٍ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ ، قَالَ : لَمَّا وَافَى أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ نَيْسَابُورَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا إِلَى الْمَأْمُونِ ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَقَالُوا لَهُ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ! تَرْحَلُ عَنَّا وَلَا تُحَدِّثُنَا بِحَدِيثٍ فَنَسْتَفِيدَهُ مِنْكَ ـ وَكَانَ قَدْ قَعَدَ فِي الْعَمَّارِيَّةِ ـ فَأَطْلَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : سَمِعْتُ أَبِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ جَبْرَئِيلَ يَقُولُ : سَمِعْتُ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي ، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي .

قَالَ : فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَانَا : بِشُرُوطِهَا ، وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا (١) .

---

(١) ثواب الأعمال : ٦ * التوحيد : ٢٥ * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢/١٤٤ * معاني الأخبار : ٣٧٠ * أمالي الصدوق : ٣٠٥ ، حديث : ٣٤٩ * أمالي الطوسي : ٥٨٨ ، حديث : ١٢٢٠ ، بسند آخر عن أبي الصلت الهروي .

وسند الصدوق في الأمالي إلى ابن راهويه صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وابن راهويه من أئمة العامة .

قال الصدوق رحمه الله: من شروطها: الإقرار للرضا عليه السلام بأنّه إمام من قِبل اللّه عزّ وجلّ على العباد مفترض الطاعة عليهم (١).

(١٤٨٧) ١٧ ـ **التوحيد**: أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ تَمِيمٍ السَّرَخْسِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّامِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْرَائِيلَ، عَنْ جرِيرٍ (٢)، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَمْشِي وَحْدَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ، جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ! تَعَالَ، فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ: إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْراً فَنَفَخَ فِيهِ بِيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْراً.

قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ: اجْلِسْ هَاهُنَا، وَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةٌ، فَقَالَ لِي: اجْلِسْ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَيْكَ، قَالَ: وَانْطَلَقَ فِي الْحَرَّةِ حَتَّىٰ لَمْ أَرَهُ وَتَوَارىٰ عَنِّي فَأَطَالَ اللَّبْثَ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ مُقْبِلٌ وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ زَنىٰ؟ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّىٰ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ، مَنْ تُكَلِّمُهُ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، فَإِنِّي مَا سَمِعْتُ أَحَداً يَرُدُّ عَلَيْكَ شَيْئاً؟ قَالَ: ذَاكَ جِبْرَئِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ

---

(١) التوحيد: ٢٥.

(٢) وفي نسخة: عن حريز.

فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا جَبْرَئِيلُ! وَإِنْ زَنىٰ؟ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ (١).

قال الصدوق رحمه اللّه: يعني بذلك أنّه يوفّق للتوبة حتّى يدخل الجنّة (٢).

بيان: قال الجزريّ: فيه المكثرون هم المقلّون، إلّا من نفخ فيه يمينه وشماله، أي ضرب يديه فيه بالعطاء، النفخ: الضرب والرمي.

أقول: يظهر من الأخبار أنّ الإخلال بكلّ ما يجب الاعتقاد به وإنكاره يوجب الخروج عن الإسلام داخل في الشرك، والتوحيد الموجب لدخول الجنّة مشروط بعدمه (٣)، فلا يلزم من ذلك دخول المخالفين الجنّة (٤).

وأمّا أصحاب الكبائر من الشيعة فلا استبعاد في عدم دخولهم النار وإن عذّبوا في البرزخ وفي القيامة، مع أنّه ليس في الخبر أنّهم لا يدخلون النار، وقد ورد في بعض الأخبار أنّ ارتكاب بعض الكبائر وترك بعض الفرائض أيضاً داخلان في الشرك، فلا ينبغي الاغترار بتلك الأخبار

---

(١) التوحيد: ٢٥ * مسند أحمد بن حنبل: ١٥٢/٥ * صحيح البخاري: ٦٩/٢.
(٢) التوحيد: ٢٥.
(٣) وفي نسخة: والتوحيد مشروط بعدمه.
(٤) سيأتي في أخبار البرزخ ما يدلّ على دخول المخالفين الجنّة إذا لم يكونوا ناصبيّين، كرواية زيد الكناسيّ عن الصادق عليه السلام، وغيرها (الطباطبائي)، قلت: دخول الجنة مشروط بعدم الإنكار، والإنكار فرع العلم والبيان، فمن أنكر وإن لم يكن ناصبياً فلا سبيل له للجنان.

والاجتراء بها على المعاصي ، وعلى ما عرفت لا حاجة إلى ما تكلّفه الصدوق قدّس سرّه (١) .

(١٤٨٨) ١٨ ـ **الأمالي للشيخ الطوسيّ** : مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَاذَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَىٰ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ بِلَالٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ الدَّهَّانِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ ، قَالَ : سَأَلَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : تَوْحِيدُكَ لِرَبِّكَ ، قَالَ : فَمَا أَعْظَمُ الذُّنُوبِ ؟ قَالَ : تَشْبِيهُكَ لِخَالِقِكَ (٢) .

(١٤٨٩) ١٩ ـ **التوحيد** : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ غَالِبٍ الْأَنْمَاطِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ غَزْوَانَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مُسْتَلْقٍ عَلَىٰ ظَهْرِهِ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَى النُّجُومِ وَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنَّ لَكَ لَرَبّاً هُوَ خَالِقُكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، قَالَ : فَنَظَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ فَغَفَرَ لَهُ (٣) .

قال الصدوق رحمه اللّه : وقد قال اللّه عزّ وجلّ : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي

---

(١) قلت : ما قاله الصدوق قدس سره أحد الوجوه المستحسنة ، ولا تكلّف فيها .

(٢) أمالي الطوسي : ٦٨٧ ، حديث : ١٤٥٨ ، ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى محمد ابن بشير الدهان ، وأبوه بشير الدهان مشهور معروف .

(٣) التوحيد : ٢٧ * تفسير الثعلبي : ٢٢٢/٣ * الفتح السماوي للمناوي : ٤٤٤/١ ، قال : أخرجه أبو الشيخ وابن حبان والثعلبي .

مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [(١)] ، يعني بذلك أولم يتفكّروا في ملكوت السماوات والأرض ، وفي عجائب صنعها ، ولم ينظروا في ذلك نظر مستدلّ معتبر ، فيعرفوا بما يرون ما أقامه اللّه عزّ وجلّ من السماوات والأرض [(٢)] مع عظم أجسامها وثقلها ، على غير عمد ، وتسكينه إيّاها بغير آلة ، فيستدلّوا بذلك على خالقها ومالكها ومقيمها أنّه لا يشبه الأجسام ، ولا ما يتّخذه الكافرون إلهاً من دون اللّه عزّ وجلّ ؛ إذ كانت الأجسام لا تقدر على إقامة الصغير من الأجسام في الهواء بغير عمد وبغير آلة ، فيعرفوا بذلك خالق السماوات والأرض وسائر الأجسام ، ويعرفوا أنّه لا يشبهها ولا تشبهه في قدرة اللّه وملكه .

وأمّا ملكوت السماوات والأرض فهو ملك اللّه لها ، واقتداره عليها ، وأراد بذلك ألم ينظروا ويتفكّروا في السماوات [(٣)] والأرض في خلق اللّه عزّ وجلّ إيّاهما على ما يشاهدونهما عليه ، فيعلموا أنّ اللّه عزّ وجلّ هو مالكها والمقتدر عليها ؛ لأنّهما مملوكة مخلوقة وهي في قدرته وسلطانه وملكه ، فجعل نظرهم في السماوات والأرض وفي خلق اللّه لها نظراً في ملكوتها وفي ملك اللّه لها ؛ لأن اللّه عزّ وجلّ لا يخلق إلّا ما يملكه ويقدر عليه ، وعنى بقوله : ﴿ وَما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ يعني من أصناف خلقه فيستدلّوا به على أنّ اللّه خالقها ، وأنّه أوْلى بالإلهيّة من الأجسام المحدثة المخلوقة [(٤)] .

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٥ .

(٢) وفي نسخة : والأرضين .

(٣) وفي نسخة : في ملكوت السماوات .

(٤) التوحيد : ٢٧ .

(١٤٩٠) ٢٠ ـ **التوحيد**: عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي يَزِيدَ بْنِ مَحْبُوبٍ الْمُزَنِيِّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عِيسَى الْبِسْطَامِيِّ، عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْعَنْبَرِيِّ، عَنْ حُمْرَانَ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ دَخَلَ الْجَنَّةَ (١).

(١٤٩١) ٢١ ـ **التوحيد**: الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارُ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ مَحْمُودٍ، عَنْ حُمْرَانَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ (٢)، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ رَدِفَ (٣) النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ: يَا مُعَاذُ! هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ؟ ـ يَقُولُهَا ثَلَاثاً ـ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حَقُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً.

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ ـ أَوْ قَالَ: أَنْ لَا يُدْخِلَهُمُ النَّارَ ـ (٤).

(١٤٩٢) ٢٢ ـ **عيون أخبار الرضا عليه السلام**: أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ

---

(١) التوحيد: ٢٩ * صحيح مسلم: ٤١/١، رواه بسندين * تاريخ دمشق: ١٣٠/٥٤، بسنده عن عبد الصمد عن شعبة.
(٢) وفي نسخة: عن الأسود بن بلال.
(٣) الردف ـ بالكسر ـ: الراكب خلف الراكب، كالرديف والمرتدف.
(٤) التوحيد: ٢٨ * صحيح مسلم: ٤٣/١، ومصادر عدة.

الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّقِيِّ ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، عَنْ جَبْرَئِيلَ سَيِّدِ الْمَلَائِكَةِ ، قَالَ : قَالَ اللَّهُ سَيِّدُ السَّادَاتِ جَلَّ وَعَزَّ : إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا ، مَنْ أَقَرَّ لِي بِالتَّوْحِيدِ دَخَلَ حِصْنِي ، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي (١) .

(١٤٩٣) ٢٣ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام وعلل الشرائع : فِي عِلَلِ الْفَضْلِ ، عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ : فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لِمَ أَمَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ وَحُجَجِهِ ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قِيلَ : لِعِلَلٍ كَثِيرَةٍ ،

مِنْهَا : أَنَّ مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْتَنِبْ مَعَاصِيَهُ ، وَلَمْ يَنْتَهِ عَنِ ارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ ، وَلَمْ يُرَاقِبْ أَحَداً فِيمَا يَشْتَهِي ، وَيَسْتَلِذُّ مِنَ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ ، فَإِذَا فَعَلَ النَّاسُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَارْتَكَبَ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا يَشْتَهِي

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢/١٤٤ ، وأحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم هو البلاذري ، قال السمعاني : « الحافظ الواعظ من أهل طوس ، كان حافظاً فاضلاً فهماً عارفاً بالحديث ، وقال الحافظ أبو عبد الله : كان واحد عصره في الحفظ والوعظ ومن أحسن الناس عشرة وأكثرهم فائدة ، وكان أبو علي الحافظ ومشايخنا يحضرون مجالسه ويفرحون بما يذكره على رؤوس الملا من الأسانيد ، ولم أرهم قط غمزوه في إسناد أو اسم أو حديث ، وكتب بمكة عن إمام أهل البيت أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا » .

وَيَهْوَاهُ، مِنْ غَيْرِ مُرَاقَبَةٍ لِأَحَدٍ، كَانَ فِي ذَلِكَ فَسَادُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَوُثُوبُ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَغَصَبُوا الْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ، وَأَبَاحُوا الدِّمَاءَ وَالنِّسَاءَ، وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مِنْ غَيْرِ حَقٍّ، وَلَا جُرْمٍ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ خَرَابُ الدُّنْيَا، وَهَلَاكُ الْخَلْقِ، وَفَسَادُ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ، وَلَا يَكُونُ الْحَكِيمُ وَلَا يُوصَفُ بِالْحِكْمَةِ إِلَّا الَّذِي يَحْظُرُ الْفَسَادَ، وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاحِ، وَيَزْجُرُ عَنِ الظُّلْمِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَلَا يَكُونُ حَظْرُ الْفَسَادِ، وَالْأَمْرُ بِالصَّلَاحِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْفَوَاحِشِ، إِلَّا بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْرِفَةِ الْآمِرِ وَالنَّاهِي، فَلَوْ تُرِكَ النَّاسُ بِغَيْرِ إِقْرَارٍ بِاللَّهِ وَلَا مَعْرِفَتِهِ لَمْ يَثْبُتْ أَمْرٌ بِصَلَاحٍ وَلَا نَهْيٌ عَنْ فَسَادٍ؛ إِذْ لَا آمِرَ وَلَا نَاهِيَ.

وَمِنْهَا: أَنَّا وَجَدْنَا الْخَلْقَ قَدْ يُفْسِدُونَ بِأُمُورٍ بَاطِنِيَّةٍ[(١)] مَسْتُورَةٍ عَنِ الْخَلْقِ، فَلَوْلَا الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَشْيَتُهُ بِالْغَيْبِ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ إِذَا خَلَا بِشَهْوَتِهِ وَإِرَادَتِهِ يُرَاقِبُ أَحَداً فِي تَرْكِ مَعْصِيَةٍ، وَانْتِهَاكِ حُرْمَةٍ، وَارْتِكَابِ كَبِيرَةٍ، إِذَا كَانَ فِعْلُهُ ذَلِكَ مَسْتُوراً عَنِ الْخَلْقِ، غَيْرَ مُرَاقِبٍ لِأَحَدٍ، وَكَانَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ هَلَاكُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، فَلَمْ يَكُنْ قِوَامُ الْخَلْقِ وَصَلَاحُهُمْ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ مِنْهُمْ بِعَلِيمٍ خَبِيرٍ، ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴾[(٢)]،

---

(١) وفي نسخة: قد يفسدون بأُمور باطنة.

(٢) سورة طه: ٧.

آمِرٍ بِالصَّلَاحِ، نَاهٍ عَنِ الْفَسَادِ، وَلَا تَخْفىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ (١) لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ انْزِجَارٌ لَهُمْ عَمَّا يَخْلُونَ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالىٰ وَاحِدٌ أَحَدٌ؟

قِيلَ: لِعِلَلٍ: مِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ لَجَازَ أَنْ يَتَوَهَّمُوا مُدَبِّرَيْنِ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَإِذَا جَازَ ذَلِكَ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الصَّانِعِ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ كَانَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ إِنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَيُطِيعُ غَيْرَ الَّذِي أَمَرَهُ، فَلَا يَكُونُونَ عَلىٰ حَقِيقَةٍ مِنْ صَانِعِهِمْ وَخَالِقِهِمْ، وَلَا يَثْبُتُ عِنْدَهُمْ أَمْرُ آمِرٍ وَلَا نَهْيُ نَاهٍ؛ إِذْ لَا يَعْرِفُ الْآمِرَ بِعَيْنِهِ وَلَا النَّاهِيَ مِنْ غَيْرِهِ.

وَمِنْهَا: أَنْ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ اثْنَيْنِ لَمْ يَكُنْ أَحَدُ الشَّرِيكَيْنِ أَوْلىٰ بِأَنْ يُعْبَدَ وَيُطَاعَ مِنَ الْآخَرِ، وَفِي إِجَازَةِ أَنْ يُطَاعَ ذَلِكَ الشَّرِيكُ إِجَازَةُ أَنْ لَا يُطَاعَ اللَّهُ، وَفِي أَنْ لَا يُطَاعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكُفْرُ بِاللَّهِ وَبِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَإِثْبَاتُ كُلِّ بَاطِلٍ، وَتَرْكُ كُلِّ حَقٍّ، وَتَحْلِيلُ كُلِّ حَرَامٍ، وَتَحْرِيمُ كُلِّ حَلَالٍ، وَالدُّخُولُ فِي كُلِّ مَعْصِيَةٍ، وَالْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ طَاعَةٍ، وَإِبَاحَةُ كُلِّ فَسَادٍ، وَإِبْطَالُ كُلِّ حَقٍّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ لَجَازَ لِإِبْلِيسَ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سورة الحاقّة: ١٨.

ذَلِكَ الْآخَرُ حَتَّىٰ يُضَادَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ فِي جَمِيعِ حُكْمِهِ، وَيَصْرِفَ الْعِبَادَ إِلَى نَفْسِهِ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الْكُفْرِ، وَأَشَدُّ النِّفَاقِ.

فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؟

قِيلَ: لِعِلَلٍ: مِنْهَا: أَنْ يَكُونُوا قَاصِدِينَ نَحْوَهُ بِالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ دُونَ غَيْرِهِ، غَيْرَ مُشْتَبِهٍ عَلَيْهِمْ أَمْرُ رَبِّهِمْ وَصَانِعِهِمْ وَرَازِقِهِمْ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَمْ يَدْرُوا لَعَلَّ رَبَّهُمْ وَصَانِعَهُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي نَصَبَتْهَا لَهُمْ آبَاؤُهُمْ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنِّيرَانُ، إِذَا كَانَ جَائِزاً أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ مُشْتَبِهَةٌ(١)، وَكَانَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْفَسَادُ، وَتَرْكُ طَاعَاتِهِ كُلِّهَا، وَارْتِكَابُ مَعَاصِيهِ كُلِّهَا، عَلَىٰ قَدْرِ مَا يَتَنَاهَىٰ إِلَيْهِمْ مِنْ أَخْبَارِ هَذِهِ الْأَرْبَابِ، وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا أَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَجَازَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَى الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْجَهْلِ وَالتَّغَيُّرِ وَالزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ وَالْكَذِبِ وَالاعْتِدَاءِ، وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَمْ يُؤْمَنْ فَنَاؤُهُ، وَلَمْ يُوثَقْ بِعَدْلِهِ، وَلَمْ يُحَقَّقْ قَوْلُهُ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ، وَثَوَابُهُ وَعِقَابُهُ، وَفِي ذَلِكَ فَسَادُ الْخَلْقِ، وَإِبْطَالُ الرُّبُوبِيَّةِ(٢).

---

(١) في نسخة: مشبّهاً.

(٢) علل الشرائع: ٢٥٢/١ * عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٠٦/٢، بسندين، وسنده بكلا طريقيه حسن كالصحيح.

(١٤٩٤) ٢٤ ـ **ثواب الأعمال** : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ وَابْنِ هَاشِمٍ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ ، جَمِيعاً عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَيْفٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْمَدِينِيِّ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا ﴾ (١) ، قَالَ : كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِأَلْفَيْ عَامٍ فِي وَرَقِ آسٍ ، ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى الْعَرْشِ ، ثُمَّ نَادىٰ : يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ! إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي ، أَعْطَيْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي ، وَغَفَرْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُونِي ، فَمَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدِي وَرَسُولِي ، أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي (٢) .

(١٤٩٥) ٢٥ ـ **المحاسن** : الْوَشَّاءُ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ السَّوَّاقِ ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : يَا أَبَانُ ! إِذَا قَدِمْتَ الْكُوفَةَ فَارْوِ هٰذَا الْحَدِيثَ : مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ .

قَالَ : قُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ يَأْتِينِي كُلُّ صِنْفٍ مِنَ الْأَصْنَافِ فَأَرْوِي لَهُمْ هٰذَا الْحَدِيثَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَبَانُ ! إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، وَجَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ

---

(١) سورة القصص : ٤٦.

(٢) ثواب الأعمال : ١٠ ، وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء وممدوحون ، الحسين ابن سيف من فقهاء الأصحاب ، وروى عنه الكبار والأعاظم ، وأبو حازم هو سلمة بن دينار المدني ، من رواة وثقات العامة ، وسهل بن سعد الساعدي الأنصاري ، ممن شهد لعلي عليه السلام بحديث الغدير .

وَالْآخِرِينَ ، فَيُسْلَبُ مِنْهُمْ لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِلَّا مَنْ كَانَ عَلىٰ هَذَا الْأَمْرِ (١) .

المحاسن: ابن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبان بن تغلب ... مثله (٢) .

(١٤٩٦) ٢٦ ـ **المحاسن**: صَالِحُ بْنُ السِّنْدِيِّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ ، عَنِ الصَّبَّاحِ الْحَذَّاءِ ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قال: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادىٰ مُنَادٍ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ .

قَالَ: قُلْتُ: فَعَلَامَ تَخَاصُمُ النَّاسِ إِذَا كَانَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَسُوهَا (٣) .

(١٤٩٧) ٢٧ ـ **صحيفة الرضا عليه السلام**: عَنِ الرِّضَا ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي ، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي (٤) .

(١٤٩٨) ٢٨ ـ **صحيفة الرضا عليه السلام**: نَرْوِي أَنَّ رَجُلاً أَتىٰ أَبَا جَعْفَرٍ

---

(١) المحاسن : ١/٣٢ * الكافي الشريف : ٢/٥٢٠ .
وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وأبو الحسن هو علي بن محمد بن علي بن رباح ، ثقة صحيح الرواية ثبت معتمد على ما يرويه .
(٢) المحاسن : ١/١٨١ ، وسنده صحيح .
(٣) المحاسن : ١/١٨١ .
وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، صالح بن السندي روى عنه عدة من الأجلاء كابراهيم بن مهزيار وأحمد بن محمد والحجال وعلي بن إبراهيم وقد أكثر عنه ، وقد اعتمد عليه الأصحاب في روايته لكتب يونس .
(٤) صحيفة الرضا عليه السلام : ٧٩ ، وهي مشهورة لدى الخاصة والعامة .

عَلَيْهِ السَّلامُ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: الْخَبَرُ حَقٌّ ، فَوَلَّى الرَّجُلُ مُدْبِراً ، فَلَمَّا خَرَجَ أَمَرَ بِرَدِّهِ ثُمَّ قَالَ: يَا هَذَا إِنَّ لِـ « لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ » شُرُوطاً ، أَلَا وَإِنِّي مِنْ شُرُوطِهَا (١) .

(١٤٩٩) **٢٩ ـ غوالي اللآلي** : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ زَنىٰ ، وَإِنْ سَرَقَ (٢) .

(١٥٠٠) **٣٠ ـ الأمالي للشيخ الطوسيّ** : جَمَاعَةٌ ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، عَنْ مُعَتِّبٍ مَوْلىٰ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، عَنْهُ ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلامُ (٣) ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلْ لِلْجَنَّةِ مِنْ ثَمَنٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: مَا ثَمَنُهَا ؟ قَالَ: لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّهُ يَقُولُهَا الْعَبْدُ مُخْلِصاً بِهَا ، قَالَ: وَمَا إِخْلَاصُهَا ؟ قَالَ: الْعَمَلُ بِمَا بُعِثْتُ بِهِ فِي حَقِّهِ ، وَحُبُّ أَهْلِ بَيْتِي ، قَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، وَإِنَّ حُبَّ أَهْلِ الْبَيْتِ لَمِنْ حَقِّهَا ؟ قَالَ: إِنَّ حُبَّهُمْ لَأَعْظَمُ حَقِّهَا (٤) .

(١٥٠١) **٣١ ـ كَنْزُ الْكَرَاجُكِيِّ** : رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ

---

(١) فقه الرضا عليه السلام : ٣٩٠ .
(٢) غوالي اللآلي : ٤١/١ ، وقد تقدّم الحديث مسنداً عن التوحيد تحت الرقم ١٧ هٰهنا .
(٣) في الأمالي المطبوع : عن معتب مولى عبد الله بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن جابر الأنصاري .
(٤) أمالي الطوسي : ٥٨٣ ، حديث : ١٢٠٧ .

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ دَرَجَةَ اللِّسَانِ فَأَنْطَقَهُ بِتَوْحِيدِهِ مِنْ بَيْنِ الْجَوَارِحِ (١).

(١٥٠٢) ٣٢ ـ **صحيفة الرضا عليه السلام**: إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَأَوْجَبَ عَلَىٰ خَلْقِهِ، مَعْرِفَةُ الْوَحْدَانِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٢)، يَقُولُ: مَا عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ (٣).

(١٥٠٣) ٣٣ ـ وَنَرْوِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ ﴾ (٤): مَا جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرِفَةِ إِلَّا الْجَنَّةُ (٥).

(١٥٠٤) ٣٤ ـ وَأَرْوِي: أَنَّ الْمَعْرِفَةَ: التَّصْدِيقُ وَالتَّسْلِيمُ وَالْإِخْلَاصُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ (٦).

وَأَرْوِي: أَنَّ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ أَنْ تُطِيعَ وَلَا تَعْصِيَ، وَتَشْكُرَ وَلَا تَكْفُرَ (٧).

(١٥٠٥) ٣٥ ـ **مصباح الشريعة**: قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَارِفُ شَخْصُهُ مَعَ الْخَلْقِ، وَقَلْبُهُ مَعَ اللَّهِ، لَوْ سَهَا قَلْبُهُ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لَمَاتَ شَوْقاً إِلَيْهِ، وَالْعَارِفُ أَمِينُ وَدَائِعِ اللَّهِ، وَكَنْزُ أَسْرَارِهِ، وَمَعْدِنُ نُورِهِ، وَدَلِيلُ

---

(١) كنز الفوائد: ١٨٤.
(٢) سورة الأنعام: ٩١. سورة الزمر: ٦٧.
(٣) فقه الرضا عليه السلام: ٦٥.
(٤) سورة الرحمن: ٦٠.
(٥) فقه الرضا عليه السلام: ٦٥، وتقدّم مسنداً عن التوحيد والأمالي تحت الرقم ٢ هٰهنا.
(٦) فقه الرضا عليه السلام: ٦٥.
(٧) فقه الرضا عليه السلام: ٦٥.

رَحْمَتِهِ عَلىٰ خَلْقِهِ ، وَمَطِيَّةُ عُلُومِهِ ، وَمِيزَانُ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ ، قَدْ غَنِيَ عَنِ الْخَلْقِ وَالْمُرَادِ وَالدُّنْيَا ، فَلَا مُونِسَ لَهُ سِوَى اللَّهِ ، وَلَا نُطْقَ وَلَا إِشَارَةَ وَلَا نَفَسَ إِلّا بِاللَّهِ ، وَلِلَّهِ ، وَمِنَ اللَّهِ ، وَمَعَ اللَّهِ ، فَهُوَ فِي رِيَاضِ قُدْسِهِ مُتَرَدِّدٌ ، وَمِنْ لَطَائِفِ فَضْلِهِ إِلَيْهِ مُتَزَوِّدٌ ، وَالْمَعْرِفَةُ أَصْلٌ فَرْعُهُ الْإِيمَانُ (١) .

(١٥٠٦) ٣٦ـ **جامع الأخبار** : جَاءَ رَجُلٌ إِلىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَ : مَا رَأْسُ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، قَالَ : وَمَا حَقُّ مَعْرِفَتِهِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْرِفَهُ بِلَا مِثَالٍ وَلَا شَبَهٍ ، وَتَعْرِفَهُ إِلَهاً وَاحِداً خَالِقاً قَادِراً أَوَّلاً وَآخِراً ، وَظَاهِراً وَبَاطِناً ، لَا كُفْوَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ ، فَذَاكَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ (٢) .

(١٥٠٧) ٣٧ـ **جامع الأخبار** : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَفْضَلُكُمْ إِيمَاناً أَفْضَلُكُمْ مَعْرِفَةً (٣) .

(١٥٠٨) ٣٨ـ أَقُولُ : رَوَى الصَّدُوقُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ صِفَاتِ الشِّيعَةِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، رَفَعَهُ إِلىٰ أَحَدِهِمْ عَلَيْهِم السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : بَعْضُكُمْ أَكْثَرُ صَلَاةً مِنْ بَعْضٍ ، وَبَعْضُكُمْ أَكْثَرُ حَجّاً مِنْ بَعْضٍ ، وَبَعْضُكُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةً مِنْ بَعْضٍ ،

---

(١) مصباح الشريعة : ١٩١ ، باب : ٩١.
(٢) جامع الأخبار : * التوحيد : ٢٨٤ * مشكاة الأنوار : ٤٠.
(٣) جامع الأخبار : ٣٦ * كتاب الإيمان لمحمد العدني : ١٣٣ ، بسند متصل عن ابن سابط قال : أفضلكم .... .

وَبَعْضُكُمْ أَكْثَرُ صِيَاماً مِنْ بَعْضٍ ، وَأَفْضَلُكُمْ أَفْضَلُكُمْ مَعْرِفَةً(١) .

(١٥٠٩) **٣٩ـالأمالي للشيخ الطوسيّ** : جَمَاعَةٌ ، عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَنْبَرِيِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ، عَنْ خَالِهِ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا دَخَلَ نَيْسَابُورَ وَهُوَ رَاكِبٌ بَغْلَةً شَهْبَاءَ ، وَقَدْ خَرَجَ عُلَمَاءُ نَيْسَابُورَ فِي اسْتِقْبَالِهِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمُرَبَّعَةِ تَعَلَّقُوا بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ وَقَالُوا : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، حَدِّثْنَا بِحَقِّ آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ حَدِيثاً عَنْ آبَائِكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ الْهَوْدَجِ وَعَلَيْهِ مِطْرَفُ خَزٍّ فَقَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي جَبْرَئِيلُ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَنِ اللَّهِ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، وَجَلَّ وَجْهُهُ ، قَالَ : إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي ، عِبَادِي فَاعْبُدُونِي ، وَلْيَعْلَمْ مَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً بِهَا أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ حِصْنِي ، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي .

قَالُوا : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ! وَمَا إِخْلَاصُ الشَّهَادَةِ لِلَّهِ؟ قَالَ : طَاعَةُ اللَّهِ ، وَرَسُولِهِ ، وَوَلَايَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ(٢) .

---

(١) صفات الشيعة : ١٥ ، وسنده مرفوع صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .
(٢) أمالي الطوسي : ٥٨٨ ، ح : ١٢٢٠ ، والقصة مشهورة * أعلام الدين : ٢١٤ .

باب ٢: علّة احتجاب اللّه عزّ وجلّ عن خلقه [١]

(١٥١٠) ١ ـ علل الشرائع : الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بُنْدَارَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ ـ خَادِمِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَالَ : قَالَ بَعْضُ الزَّنَادِقَةِ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ : لِمَ احْتَجَبَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ الْحِجَابَ عَنِ الْخَلْقِ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ [٢] ، فَأَمَّا هُوَ فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

قَالَ : فَلِمَ لَا تُدْرِكُهُ حَاسَّةُ الْبَصَرِ ؟ قَالَ : لِلْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمْ حَاسَّةُ الْأَبْصَارِ ، ثُمَّ هُوَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ ، أَوْ يُحِيطَ بِهِ وَهْمٌ ، أَوْ يَضْبِطَهُ عَقْلٌ .

قَالَ : فَحُدَّهُ لِي ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يُحَدُّ .

قَالَ : لِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ كُلَّ مَحْدُودٍ مُتَنَاهٍ إِلَىٰ حَدٍّ ، فَإِذَا احْتَمَلَ التَّحْدِيدُ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ ، وَإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ احْتَمَلَ النُّقْصَانَ ، فَهُوَ غَيْرُ مَحْدُودٍ ، وَلَا مُتَزَايِدٍ ، وَلَا مُتَجَزٍّ ، وَلَا مُتَوَهَّمٍ [٣] .

---

(١) وفي الباب حديثان .

(٢) لعلّ السؤال كان عن احتجابه تعالى عن القلوب ، أو حمل عليه السلام السؤال على ذلك ، وربّما يؤيّد الأوّل سؤاله ثانياً بقوله : فلِمَ لا تدركه حاسة البصر ؟

(٣) علل الشرائع : ١/١١٩ * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/١٢١ ، بسند آخر عن خادم الرضا عليه السلام .

وسنده إلى محمد بن عبد الله الخراساني حسن كالصحيح ، رجاله ثقات ، والخراساني لعله أبو عبد الله اعتمد عليه الصدوق في الفقيه ، وكان مخالفاً فاستبصر .

(١٥١١) ٢ ـ علل الشرائع : عَلِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ حَمْدَانَ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْوَلِيدِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ : لِأَيِّ عِلَّةٍ حَجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ بَنَاهُمْ بُنْيَةً عَلَى الْجَهْلِ ، فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمَا كَانُوا بِالَّذِينَ يَهَابُونَهُ ، وَلَا يُعَظِّمُونَهُ ، نَظِيرُ ذٰلِكَ أَحَدُكُمْ إِذَا نَظَرَ إِلىٰ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَظَّمَهُ ، فَإِذَا أَتَتْ عَلَيْهِ أَيَّامٌ وَهُوَ يَرَاهُ لَا يَكَادُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ إِذَا مَرَّ بِهِ ، وَلَا يُعَظِّمُهُ ذٰلِكَ التَّعْظِيمَ (١) .

بيان : لعلّ المراد بالنظر الألطاف الخاصة التي تستلزم غاية العرفان والوصول ، أي لو كانت مبذولة لعامّة الناس لكانت لعدم استحقاقهم ذلك مورثاً لتهاونهم بربّهم ، أو النظر إلى آثار عظمته التي لا تظهر إلّا للأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، كنزول الملائكة ، وعروجهم ، ومواقفهم ، ومنازلهم ، والعرش ، والكرسيّ واللوح ، والقلم ، وغيرها ، على أنّه يحتمل أن يكون دليلاً آخر مع التنزّل عن استحالة إدراكه بالبصر على وفق الأفهام العاميّة .

---

(١) علل الشرائع : ١١٩/١ .

وسنده كالحسن ـ إن لم يكن حسنا ـ ، القاسم بن محمد هو ابن علي بن إبراهيم الهمداني أبو أحمد روى عنه الثقة علي بن حاتم كما في أسانيد النجاشي ، وهو وكيل الناحية المقدسة ، حمدان بن الحسين اعتمد عليه المصنف في الفقيه وروى عنه كثيراً ، والحسين بن الوليد وقع في أسانيد الفقيه ، وكرر الصدوق قدس سره الرواية عنه ، وهو لا يكرر الرواية عمّن لا يرتضيه ، وحمدان والحسين طريق المصنف لكتاب عبد الله بن سنان ، وهو من الكتب المشهورة .

باب ٣: إثبات الصانع، والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده وعلمه وقدرته، وسائر صفاته (١)

الآيات:

البقرة:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بِناءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

يونس:

﴿ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ .

وقال: ﴿ قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) وفي الباب ٢٩ حديثاً.

(٢) سورة البقرة: ٢٢، ١٦٤.

(٣) سورة يونس: ٦، ١٠١.

الرعد:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَأَنْهاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

إبراهيم:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ * وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٢).

الحجر:

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاها لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْناها مِنْ

---

(١) سورة الرعد: ٢ ـ ٤.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤.

كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ * إِلّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ * وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوارِثُونَ ﴾ (١).

النحل:

﴿ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً

---

(١) سورة الحجر: ١٦ ـ ٢٣.

(٢) سورة النحل: ٤ ـ ٨.

لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النحل: ١٠ ـ ١٦.
(٢) سورة النحل: ٦٥ ـ ٧٠.
(٣) سورة النحل ٧٢.

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها وَأَشْعارِها أَثاثاً وَمَتاعاً إِلى حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (١).

الإسراء:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً ﴾.

وقال تعالى: ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً ﴾ (٢).

طه:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ

---

(١) سورة النحل: ٧٨ ـ ٨١.

(٢) سورة الاسراء: ١٢، ٦٦ و ٦٧.

السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى * مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى ﴾ (١).

الأنبياء:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٢).

المؤمنون:

﴿ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ * فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ

---

(١) سورة طه: ٥٣ ـ ٥٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٠ ـ ٣٣.

(٣) سورة المؤمنون: ١٨ ـ ٢٢.

الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (١) .

النور:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ * وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

الفرقان:

﴿ أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا

---

(١) سورة المؤمنون: ٧٩ ـ ٨٠، ٨٤ ـ ٨٧.

(٢) سورة النور: ٤١ ـ ٤٥.

الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً * ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَالنَّوْمَ سُباتاً وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَأَناسِيَّ كَثِيراً ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيها سِراجاً وَقَمَراً مُنِيراً * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً ﴾ (٣).

الشعراء:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤).

القصص:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ

---

(١) سورة الفرقان: ٤٥ ـ ٤٩.
(٢) سورة الفرقان: ٥٣ و٥٤.
(٣) سورة الفرقان: ٦١ و٦٢.
(٤) سورة الشعراء: ٧ و ٨.

غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

العنكبوت:

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (٤).

الروم:

﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ

---

(١) سورة القصص: ٧١ - ٧٣.
(٢) سورة العنكبوت ٤٤.
(٣) سورة العنكبوت: ٦٣.
(٤) سورة العنكبوت: ٦٥.

وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ * وَمِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ ﴾ .

وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ * فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الروم: ٤٦.
(٢) سورة الروم: ٢٠ ـ ٢٦، ٤٨ ـ ٥٠.
(٣) سورة الروم: ٥٤.

لقمان:

﴿ خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ * لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (١).

التنزيل:

﴿ أَ وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَ فَلا يُبْصِرُونَ ﴾ (٢).

فاطر:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي

---

(١) سورة لقمان: ١٠ - ١١، ٢٩ - ٣٢.

(٢) سورة التنزيل: ٢٧.

أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ﴾ (٢) .

يس:

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وَأَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنا فِيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ وَفَجَّرْنا فِيها مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ * سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ *

---

(١) سورة فاطر: ١، ٢، ١١.

(٢) سورة فاطر: ٢٧ و٢٨.

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ * إِلّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتاعاً إِلى حِينٍ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ * وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَمِنْها يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَمَشارِبُ أَ فَلا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (٣).

الصافّات:

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ ﴾ (٤).

الزمر:

﴿ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ

---

(١) سورة يس: ٣٣ ـ ٤٤.
(٢) سورة يس: ٧١ ـ ٧٣.
(٣) سورة يس: ٧٧.
(٤) سورة الصافّات: ١١.

الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ فَأَنّى تُصْرَفُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ ﴾ (٢).

المؤمن:

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَما يَتَذَكَّرُ إِلّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ * ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلّا هُوَ فَأَنّى تُؤْفَكُونَ * كَذلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لا إِلهَ إِلّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

---

(١) سورة الزمر: ٥ و٦.
(٢) سورة الزمر: ٢١.
(٣) سورة غافر: ١٣.

الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ * قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جاءَنِي الْبَيِّناتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١).

وقال عزّ وجلّ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَأَيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ (٢).

فصّلت:

﴿ قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ * فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَحِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٣).

---

(١) سورة غافر: ٦١ ـ ٦٨.

(٢) سورة غافر: ٧٩ ـ ٨١.

(٣) سورة فصّلت: ٩ ـ ١٢.

وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ (١).

حمعسق:

﴿ فاطِرُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَمِنَ الْأَنْعامِ أَزْواجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ وَهُوَ عَلى جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ آياتِهِ الْجَوارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِما كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٤).

الزخرف:

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً لَعَلَّكُمْ

---

(١) سورة فصّلت: ٥٣ و٥٤.
(٢) سورة الشورى: ١١.
(٣) سورة الشورى: ٢٩.
(٤) سورة الشورى: ٣٢ ـ ٣٥.

تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعامِ ما تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ (١).

الجاثية:

﴿ إِنَّ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ وَقالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ وَما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٢).

الذاريات:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ ﴾.

---

(١) سورة الزخرف: ٩ - ١٤.

(٢) سورة الجاثية: ٣ - ٥، ١٢ - ١٣، ٢٤.

وقال جلّ وعلا: ﴿ وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ * وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [1] .

الطور:

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ ﴾ [2] .

الرحمن:

﴿ الرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسانَ ... ﴾ [3] ، إلى آخر الآيات .

الواقعة:

﴿ نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ * أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ * أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ * أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ * أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ * لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ

---

(١) سورة الذاريات: ٢٠ ـ ٢١، ٤٧ ـ ٤٩.

(٢) سورة الطور: ٣٥ و٣٦.

(٣) سورة الرحمن: ١ ـ ٣.

نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ * أَ فَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ * نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (١).

الطلاق:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ (٢).

الملك:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلّا الرَّحْمنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (٤).

وقال سبحانه: ﴿ أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي

---

(١) سورة الواقعة: ٥٧ ـ ٧٤.

(٢) سورة الطلاق: ١٢.

(٣) سورة الملك: ٣ ـ ٥.

(٤) سورة الملك: ١٩.

عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ ﴾ (١).

المرسلات:

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ * إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً * أَحْياءً وَأَمْواتاً * وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٢).

النبأ:

﴿ أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً * وَالْجِبالَ أَوْتاداً * وَخَلَقْناكُمْ أَزْواجاً * وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً * وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً * وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً * وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً * وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً

---

(١) سورة الملك: ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٩، ٣٠.
(٢) سورة المرسلات: ٢٠ - ٢٨.

ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَباتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً ﴾ (١) .

النازعات:

﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها * رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها * وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها * أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها * وَالْجِبالَ أَرْساها * مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ ﴾ (٢) .

عبس:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنا فِيها حَبّاً وَعِنَباً * وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدائِقَ غُلْباً * وَفاكِهَةً وَأَبّاً * مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ ﴾ (٣) .

الغاشية:

﴿ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٤) .

****

(١٥١٢) ١ ـ **الاحتجاج**: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ: وَلَوْ فَكَّرُوا

---

(١) سورة النبأ: ٦ ـ ١٦.
(٢) سورة النازعات: ٢٧ ـ ٣٣.
(٣) سورة عبس: ٢٤ ـ ٣٢.
(٤) سورة الغاشية: ١٧ ـ ٢٠.

فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَلَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ ، وَالْأَبْصَارُ مَدْخُولَةٌ (١) ، أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلىٰ صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَسَوّىٰ لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ ؟

انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا ، وَلِطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلىٰ أَرْضِهَا ، وَضَنَّتْ عَلىٰ رِزْقِهَا (٢) ، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلىٰ جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا ، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ، وَفِي وُرُودِهَا لِصُدُورِهَا (٣) ، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا ، لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ ، لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا ، وَفِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا ، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا ، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً ، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً ، فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلىٰ قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلىٰ دَعَائِمِهَا ، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلىٰ خَلْقِهَا قَادِرٌ ، وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلّا عَلىٰ أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ ، هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ ، وَالثَّقِيلُ

---

(١) وفي نسخة: والبصائر مدخولة.

(٢) وفي نسخة من الكتاب والاحتجاج المطبوع: كيف صبت على رزقها.

(٣) وفي نسخة: لصدرها.

وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، فِي خَلْقِهِ إِلّا سَوَاءٌ، كَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيحُ وَالْمَاءُ.

فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ، وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ، وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، لَمْ يَلْجَؤُوا إِلَىٰ حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا وَعَوْا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ؟ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ: إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ، تَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّىٰ تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا، وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً، فَتَبَارَكَ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً (١)، وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً، وَيُلْقِي بِالطَّاعَةِ إِلَيْهِ سِلْماً وَضَعْفاً، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً.

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ سورة الرعد: ١٥.

فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصىٰ عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسِ، وَأَرْسىٰ قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدىٰ وَالْيَبَسِ، قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصىٰ أَجْنَاسَهَا، فَهَذَا غُرَابٌ، وَهَذَا عُقَابٌ، وَهَذَا حَمَامٌ، وَهَذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ.

وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ، فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا، فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا (١).

إيضاح: «مَدْخُولَةٌ» أي معيوبة من الدخل ـ بالتحريك ـ وهو العيب والغشّ والفساد.

«وَفَلَقَ» أي شقّ.

«وَالْبَشَرَ» ظاهر جلد الإنسان.

«وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ» إمّا مصدر ميميّ، أي بإدراك الفكر، أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف (٢)، أي بإدراك الفكر الذي يدركه الإنسان بغاية سعيه، أو اسم مكان، والباء بمعنى (في)، أي في محلّ إدراكه، والغرض المبالغة في صغرها بحيث لا يمكن إدراك تفاصيل أعضائه، لا بالنظر ولا بالفكر.

«دَبَّتْ عَلىٰ» أي مَشت.

«وَضَنَّتْ» ـ بالضاد المعجمة والنون ـ أي بخلت. وفي بعض النسخ:

---

(١) الاحتجاج: ١/٣٠٥ * نهج البلاغة: ٢/١١٦.

(٢) في بعض النسخ: إلى الموصوف الخاصّ، والمراد بالفكر الذي يدركه الإنسان بغاية سعيه.

صبت بالصاد المهملة والباء الموحدة على بناء المجهول، إمّا على القلب، أي صبّ عليها الرزق، أو كناية عن هجومها واجتماعها على رزقها بإلهامه تعالى، فكأنّها صبت على الرزق، ويمكن أن يقرأ على بناء المعلوم من الصبابة، وهي حرارة الشوق.

«لصدرها»: الصدر ـ بالتحريك ـ: رجوع المسافر من مقصده، والشاربة من الورد، أي تجمع في أيّام التمكّن من الحركة لأيّام العجز عنها، فإنّها تخفي في شدّة الشتاء لعجزها عن البرد.

«الْمَنَّانُ» هو كثير المنّ والعطاء.

و«الدَّيَّانُ» القهّار، والقاضي، والحاكم، والسائس، والمجازي.

و«الصَّفَا» مقصوراً: جمع الصفاة، وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت.

«والْجَامِسِ»: اليابس الجامد، قال الخليل في كتاب العين: جمس الماء: جمد، وصخرة جامسة: لزمت مكاناً، انتهى.

والضمير في «عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا» إمّا راجع إلى المجاري، أو إلى النملة، أي ارتفاع أجزاء بدنها وانخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة.

وقال الجوهريّ: الشراسيف: مقاط الأضلاع، وهي أطرافها التي تشرف على البطن، ويقال: الشرسوف: غضروف معلّق بكلّ ضلع مثل غضروف الكتف.

«لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً» القضاء بمعنى الأداء، أي لأديت عجباً، ويحتمل أن يكون بمعنى الموت، أي لقضيت نحبك من شدّة تعجّبك، ويكون عجباً مفعولاً لأجله.

«وَلَوْ ضَرَبْتَ» أي سرت، كما قال تعالى: ﴿إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (١).

«غَايَاتِهِ» أي غايات فكرك.

«إِلّا سَوَاءٌ» أي في دقّة الصنعة، وغموض الخلقة، أو في الدلالة على الفاطر، وكمال قدرته وعلمه.

والقلال ـ بالكسر ـ جمع قلّة ـ بالضمّ ـ: وهي أعلى الجبل.

«زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ» أي كما زعموا في النبات، أو كنبات لا زارع له، حيث لا ينسب إلى الزارع وإن نسب إلى ربّه تعالى.

«لِمَا وَعَوْا» أي جمعوا، وحفظوا.

«وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ» أي جعلهما مضيئتين كالسراج، ويقال: حدقة قمراء أي منيرة، كما يقال ليلة قمراء أي نيّرة بضوء القمر.

«بِهِمَا تَقْرِضُ» ـ بكسر الراء ـ: أي تقطع. والمنجل ـ كمنبر ـ: حديدة يقضب بها الزرع، شبّهت بها يداها، والذبّ: الدفع والمنع.

«فِي نَزَوَاتِهَا» أي وثباتها.

«وَخَلْقُهَا كُلُّهُ» الواو حاليّة.

«سِلْماً» ـ بالكسر وبالتحريك ـ: أي استسلاماً وانقياداً.

«وَأَرْسىٰ» أي أثبت أي جعل لها رجلين يمكنها الاستقرار بهما على الأراضي اليابسة والندية.

والهطل: تتابع المطر، والديم ـ بكسر الدال وفتح الياء ـ: جمع الديمة

(١) سورة النساء: ١٠١.

ـ بالكسر ـ: وهي المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق.

والجذوب: قلّة النبات والزرع.

(١٥١٣) ٢ ـ **الاحتجاج**: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِم، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ كانَ فِي هٰذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى ﴾، قَالَ: فَمَنْ لَمْ يَدُلَّهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَدَوَرَانُ الْفَلَكِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالْآيَاتُ الْعَجِيبَاتُ عَلَىٰ أَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ أَمْراً هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمىٰ. قَالَ: فَهُوَ عَمَّا لَمْ يُعَايِنْ أَعْمىٰ ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (١).

بيان: لعلّ المراد على هذا التفسير فهو في أمر الآخرة التي لم يرَ آثارها أشد عمى وضلالة.

(١٥١٤) ٣ ـ **الاحتجاج**: رُوِيَ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ مِنْ سُؤَالِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي أَتىٰ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ صَانِعِ الْعَالَمِ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: وُجُودُ الْأَفَاعِيلِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَىٰ أَنَّ صَانِعَهَا صَنَعَهَا، أَلَا تَرىٰ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلىٰ بِنَاءٍ مُشَيَّدٍ مَبْنِيٍّ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ بَانِياً وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَ الْبَانِيَ وَلَمْ تُشَاهِدْهُ.

قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: هُوَ شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ، ارْجِعْ بِقَوْلِي شَيْءٌ إِلىٰ إِثْبَاتِهِ، وَأَنَّهُ شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ، وَلَا يُحَسُّ

---

(١) سورة الإسراء: ٧٢ * الاحتجاج: ٢/٥٤ * التوحيد: ٤٥٥، وسنده من أصح الأسانيد.

وَلَا يُجَسُّ وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ ، وَلَا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الزَّمَانُ.

قَالَ السَّائِلُ: فَإِنَّا لَمْ نَجِدْ مَوْهُوماً إِلَّا مَخْلُوقاً؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَمَا تَقُولُ لَكَانَ التَّوْحِيدُ مِنَّا مُرْتَفِعاً (١) ، فَإِنَّا لَمْ نُكَلَّفْ أَنْ نَعْتَقِدَ غَيْرَ مَوْهُومٍ ، لَكِنَّا نَقُولُ: كُلُّ مَوْهُومٍ بِالْحَوَاسِّ مُدْرَكٌ بِهَا ، تَحُدُّهُ الْحَوَاسُّ مُمَثَّلاً فَهُوَ مَخْلُوقٌ ، وَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ صَانِعِ الْأَشْيَاءِ خَارِجاً مِنَ الْجِهَتَيْنِ الْمَذْمُومَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا النَّفْيُ إِذْ كَانَ النَّفْيُ هُوَ الْإِبْطَالَ وَالْعَدَمَ ، وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ التَّشْبِيهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ ، الظَّاهِرِ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ ، فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ لِوُجُودِ الْمَصْنُوعِينَ ، وَالاضْطِرَارِ مِنْهُمْ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ مَصْنُوعُونَ ، وَأَنَّ صَانِعَهُمْ غَيْرُهُمْ وَلَيْسَ مِثْلَهُمْ؛ إِذْ كَانَ مِثْلُهُمْ شَبِيهاً بِهِمْ(٢) فِي ظَاهِرِ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ ، وَفِيمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ حُدُوثِهِمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا ، وَتَنَقُّلِهِمْ مِنْ صِغَرٍ إِلَىٰ كِبَرٍ ، وَسَوَادٍ إِلَىٰ بَيَاضٍ ، وَقُوَّةٍ إِلَىٰ ضَعْفٍ ، وَأَحْوَالٍ مَوْجُودَةٍ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَىٰ تَفْسِيرِهَا لِثَبَاتِهَا وَوُجُودِهَا.

قَالَ السَّائِلُ: فَأَنْتَ قَدْ حَدَدْتَهُ إِذْ أَثْبَتَّ وُجُودَهُ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمْ أَحْدُدْهُ وَلَكِنْ أَثْبَتُّهُ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ مَنْزِلَةٌ.

---

(١) وفي نسخة: لكان التوحيد عنّا مرتفعاً.

(٢) وفي نسخة: إذ كان مثلهم شبيهاً لهم.

قَالَ السَّائِلُ: فَقَوْلُهُ: ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ (١) ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: بِذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ، وَكَذَلِكَ هُوَ، مُسْتَوْلٍ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ حَامِلاً لَهُ، وَلَا أَنَّ الْعَرْشَ مَحَلٌّ لَهُ، لَكِنَّا نَقُولُ: هُوَ حَامِلٌ لِلْعَرْشِ، وَمُمْسِكٌ لِلْعَرْشِ، وَنَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (٢)، فَثَبَّتْنَا مِنَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ مَا ثَبَّتَهُ، وَنَفَيْنَا أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَاوِياً لَهُ، وَأَنْ يَكُونَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْتَاجاً إِلىٰ مَكَانٍ، أَوْ إِلىٰ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ، بَلْ خَلْقُهُ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.

قَالَ السَّائِلُ: فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْ تَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَبَيْنَ أَنْ تَخْفِضُوهَا نَحْوَ الْأَرْضِ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ وَقُدْرَتِهِ سَوَاءٌ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ أَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ بِرَفْعِ أَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ مَعْدِنَ الرِّزْقِ، فَثَبَّتْنَا مَا ثَبَّتَهُ الْقُرْآنُ وَالْأَخْبَارُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ قَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا تُجْمِعُ عَلَيْهِ فِرَقُ الْأُمَّةِ كُلُّهَا (٣).

التوحيد: الدقّاق، عن أبي القاسم العلويّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن إبراهيم بن هاشم القمّيّ، عن العبّاس بن عمرو

---

(١) سورة طه: ٥.
(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٣) الاحتجاج: ٢/٦٩.

الفقيميّ، عن هشام بن الحكم ... مثله مع زيادة أثبتناها في باب احتجاج الصادق عليه السلام على الزنادقة (١).

بيان: قوله عليه السلام: «وَأَنَّهُ شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ» المراد بالشيئيّة إمّا الوجود، أو معنى مساوق له، وعلى التقديرين فالمراد إمّا بيان عينيّة الوجود، أو قطع طمع السائل عن تعقّل كنهه تعالى، بل بأنّه شيء، وأنّه بخلاف الأشياء. والجسّ -بالجيم-: المس.

قوله: «فَإِنَّا لَمْ نَجِدْ مَوْهُوماً إِلّا مَخْلُوقاً» أي يلزم ممّا ذكرت أنّه لا تدركه الأوهام أنّ كلّ ما يحصل في الوهم يكون مخلوقاً، فأجاب عليه السلام بما حاصله: أنّ مرادنا أنّه تعالى لا يدرك كنه حقيقته العقول والأوهام، ولا يتمثّل أيضاً في الحواسّ؛ إذ هو مستلزم للتشبيه بالمخلوقين، ولو كان كما توهّمت من أنّه لا يمكن تصوّره تعالى بوجه من الوجوه لكان تكليفنا بالتصديق بوجوده وتوحيده وسائر صفاته تكليفاً بالمحال؛ إذ لا يمكن التصديق بثبوت شيء لشيء بدون تصوّر ذلك الشيء، فهذا القول مستلزم لنفي وجوده وسائر صفاته عنه تعالى، بل لا بدّ في التوحيد من إخراجه عن حدّ النفي والتعطيل، وعن حدّ التشبيه بالمخلوقين، ثمّ استدلّ عليه السلام بتركيبهم، وحدوثهم، وتغيّر أحوالهم، وتبدّل أوضاعهم على احتياجهم إلى صانع منزّه عن جميع ذلك، غير مشابه لهم في الصفات الإمكانيّة، وإلّا لكان هو أيضاً مفتقراً إلى صانع لاشتراك علّة الافتقار.

---

(١) التوحيد: ٢٤٣ * الكافي الشريف: ١/٨٣، ورجال السند ثقات أجلاء عيون، سوى العباس بن عمرو الفقيمي لم أجد من ذكره.

قوله: «قَدْ حَدَدْتَهُ إِذْ أَثْبَتَّ وُجُودَهُ؟» أي إثبات الوجود له يوجب التحديد، إمّا بناء على توهّم أنّ كلّ موجود لا بدّ أن يكون محدوداً بحدود جسمانيّة، أو بحدود عقلانيّة، أو باعتبار التحدّد بصفة هو الوجود، أو باعتبار كونه محكوماً عليه، فيكون موجوداً في الذهن محاطاً به، فأجاب عليه السلام بأنّه لا يلزم أن يكون كلّ موجود جسماً أو جسمانيّاً حتّى يكون محدوداً بحدود جسمانيّة، ولا أن يكون مركّباً حتى يكون محدوداً بحدود عقلانيّة، أو لا يلزم كون حقيقته حاصلة في الذهن أو محدودة بصفة، فإنّ الحكم لا يستدعي حصول الحقيقة في الذهن، والوجود ليس من الصفات الموجودة المغايرة التي تحدّ بها الأشياء.

(١٥١٥) ٤ ـ **الاحتجاج**: عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: دَخَلَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ عَلَى الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَهُ الصَّادِقُ: يَا ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ، أَمَصْنُوعٌ أَنْتَ أَمْ غَيْرُ مَصْنُوعٍ؟ قَالَ: لَسْتُ بِمَصْنُوعٍ، فَقَالَ لَهُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلامُ: فَلَوْ كُنْتَ مَصْنُوعاً كَيْفَ كُنْتَ تَكُونُ؟ فَلَمْ يُحِرِ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ جَوَاباً وَقَامَ وَخَرَجَ (١).

التوحيد: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن العبّاس بن عمرو الفقيميّ، عن هشام ... مثله (٢).

بيان: لمّا كان التصديق بوجود الصانع تعالى ضروريّاً نبّهه عليه السلام بأنّ العقل يحكم بديهة بالفرق بين المصنوع وغيره، وفيك جميع صفات

(١) الاحتجاج: ٢/٧١.
(٢) التوحيد: ٢٩٣.

المصنوعين ، فكيف لم تكن مصنوعا [1] ؟

(١٥١٦) ٥ ـ الاحتجاج : دَخَلَ أَبُو شَاكِرٍ الدَّيَصَانِيُّ ـ وَهُوَ زِنْدِيقٌ [2] ـ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : يَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ! دُلَّنِي عَلَىٰ مَعْبُودِي ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : اجْلِسْ ، فَإِذَا غُلَامٌ صَغِيرٌ فِي كَفِّهِ بَيْضَةٌ يَلْعَبُ بِهَا ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَاوِلْنِي ـ يَا غُلَامُ ـ الْبَيْضَةَ ، فَنَاوَلَهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا دَيَصَانِيُّ ! هَذَا حِصْنٌ مَكْنُونٌ لَهُ جِلْدٌ غَلِيظٌ ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الْغَلِيظِ جِلْدٌ رَقِيقٌ ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الرَّقِيقِ ذَهَبَةٌ مَائِعَةٌ ، وَفِضَّةٌ ذَائِبَةٌ ، فَلَا الذَّهَبَةُ الْمَائِعَةُ تَخْتَلِطُ بِالْفِضَّةِ الذَّائِبَةِ ، وَلَا الْفِضَّةُ الذَّائِبَةُ تَخْتَلِطُ بِالذَّهَبَةِ الْمَائِعَةِ ، فَهِيَ عَلَىٰ حَالِهَا لَمْ يَخْرُجْ [3] مِنْهَا خَارِجٌ مُصْلِحٌ فَيُخْبِرَ عَنْ إِصْلَاحِهَا ، وَلَمْ يَدْخُلْ [4] فِيهَا دَاخِلٌ مُفْسِدٌ فَيُخْبِرَ عَنْ

---

(١) لا يخفى أنّ الرواية غير مسوقة للتنبيه على ما ذكره ، بل إلزام له بالترجيح بلا مرجّح ، فإنّ اختياره عدم المصنوعيّة مع جواز مصنوعيّته قول بلا دليل (الطباطبائي) ، قلت : بل الرواية مسوقة للتنبيه على ما قاله المولى المجلسي أظهر ، فلاحظ ما في الحديث : ١٥٣١ .

(٢) الزنديق : من الثنويّة ، أو القائل بالنور والظلمة ، أو من لا يؤمن بالآخرة والربوبيّة ، أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان ، أو هو معرّب زن دين أي دين المرأة . قاله في القاموس.
وفي المصباح : المشهور على ألسنة النّاس أنّ الزنديق هو الذي لا يتمسّك بشريعة ، ويقول بدوام الدهر ، والعرب تعبّر عن هذا بقولهم : ملحد ، أي طاعن في الأديان ، انتهى .
ونقل عن مفاتيح العلوم : أنّ الزنادقة هم المانويّة ، وكانت المزدكيّة يسمّون بذلك .
أقول : والظاهر أنّ الزنديق معرّب لزندين ، والزند اسم لكتاب المجوس الذي جاء زردشت الذي يزعم المجوس أنّه نبيّ ، أو معرّب زنديّ أي المنسوب إلى زند ، فأخذ كلمة واحدة وزيد عليه القاف ، وله نظائر .

(٣) في الاحتجاج المطبوع : لا يخرج .

(٤) في الاحتجاج المطبوع : ولا تدخل .

إِفْسَادِهَا، لَا يُدْرىٰ لِلذَّكَرِ خُلِقَتْ أَمْ لِلْأُنْثىٰ، تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ أَلْوَانِ الطَّوَاوِيسِ، أَتَرىٰ لَهَا مُدَبِّراً؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ إِمَامٌ وَحُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلىٰ خَلْقِهِ، وَأَنَا تَائِبٌ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ (١).

(١٥١٧) ٦ـ **التوحيد**: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ الْخَفَّافِ، عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ الدَّيَصَانِيَّ أَتىٰ بَابَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا قَعَدَ قَالَ لَهُ: يَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ! دُلَّنِي عَلىٰ مَعْبُودِي؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَا اسْمُكَ؟ فَخَرَجَ عَنْهُ وَلَمْ يُخْبِرْهُ بِاسْمِهِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: كَيْفَ لَمْ تُخْبِرْهُ بِاسْمِكَ؟ قَالَ: لَوْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ مَنْ هَذَا الَّذِي أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ؟ فَقَالُوا لَهُ: عُدْ إِلَيْهِ فَقُلْ يَدُلُّكَ عَلىٰ مَعْبُودِكَ، وَلَا يَسْأَلْكَ عَنِ اسْمِكَ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا جَعْفَرُ، دُلَّنِي عَلىٰ مَعْبُودِي وَلَا تَسْأَلْنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: اجْلِسْ، وَإِذَا غُلَامٌ صَغِيرٌ ... إِلىٰ آخِرِ الْخَبَرِ (٢).

بيان: قد أوردنا الخبر بتمامه في باب القدرة، وتقرير استدلاله عليه السلام أنّ ما في البيضة من الإحكام والإتقان والاشتمال على ما به

---

(١) الاحتجاج: ٧٢/٢ * الكافي الشريف: ٧٩/١.

(٢) التوحيد: ١٢٢، وسنده حسن، رجاله ثقات أجلاء عيون، ومحمد بن أبي إسحاق هو القمي، ذكره النجاشي فقال: «متكلم ذكره ابن بطة وذكر أن له مصنفات عدة»

صلاحها ، وعدم اختلاط ما فيها من الجسمين السيالين ، والحال أنّه ليس فيها حافظ لها من الأجسام فيخرج مخبراً عن صلاحها ، ولا يدخلها جسمانيّ من خارج فيفسدها ، وهي « تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ أَلْوَانِ الطَّوَاوِيسِ » يدلّ على أنّ له مبدأ غير جسم ولا جسمانيّ ، ولا يخفى لطف نسبة الإصلاح إلى ما يخرج منها ، والإفساد إلى ما يدخل فيها؛ لأنّ هذا شأن أهل الحصن الحافظين له ، وحال الداخل فيه بالقهر والغلبة .

(١٥١٨) ٧ ـ **الاحتجاج:** عَنْ عِيسَى بْنِ يُونُس ، قَالَ: كَانَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ (١) مِنْ تَلَامِذَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَانْحَرَفَ عَنِ التَّوْحِيدِ ، فَقِيلَ لَهُ: تَرَكْتَ مَذْهَبَ صَاحِبِكَ وَدَخَلْتَ فِيمَا لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا حَقِيقَةَ؟ قَالَ: إِنَّ صَاحِبِي كَانَ مِخْلَطاً ، يَقُولُ طَوْراً بِالْقَدَرِ ، وَطَوْراً بِالْجَبْرِ ، فَمَا أَعْلَمُهُ اعْتَقَدَ مَذْهَباً دَامَ عَلَيْهِ ، فَقَدِمَ مَكَّةَ تَمَرُّداً وَإِنْكَاراً عَلَىٰ مَنْ يَحُجُّ ، وَكَانَ يَكْرَهُ الْعُلَمَاءُ مُجَالَسَتَهُ وَمُسَاءَلَتَهُ لِخُبْثِ لِسَانِهِ ، وَفَسَادِ ضَمِيرِهِ ، فَأَتَىٰ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ نُظَرَائِهِ ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! إِنَّ الْمَجَالِسَ بِالْأَمَانَاتِ ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ مَنْ بِهِ سُعَالٌ أَنْ يَسْعُلَ ، أَفَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ فَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلامُ: تَكَلَّمْ بِمَا شِئْتَ .

---

(١) عدّه السيّد المرتضى رحمه اللّه في كتابه الأمالي ممّن كان يتستّر بإظهار الإسلام ، ويحقن ـ بإظهار شعائره والدخول في جملة أهله ـ دمه وماله ، وكان في الباطن زنديقاً ملحداً ، وكافراً مشركاً ، وقال: حكي أنّ عبد الكريم بن أبي العوجاء قال: لمّا قبض عليه محمّد بن سليمان ـ وهو والي الكوفة من قِبل المنصور ـ وأحضره للقتل ، وأيقن بمفارقة الحياة: لأنّ قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة .

فَقَالَ: إِلىٰ كَمْ تَدُوسُونَ هَذَا الْبَيْدَرَ[١]، وَتَلُوذُونَ بِهَذَا الْحَجَرِ، وَتَعْبُدُونَ هَذَا الْبَيْتَ الْمَرْفُوعَ بِالطُّوبِ وَالْمَدَرِ، وَتُهَرْوِلُونَ حَوْلَهُ كَهَرْوَلَةِ الْبَعِيرِ إِذَا نَفَرَ؟ إِنَّ مَنْ فَكَّرَ فِي هَذَا وَقَدَّرَ عَلِمَ أَنَّ هَذَا فِعْلٌ أَسَّسَهُ غَيْرُ حَكِيمٍ، وَلَا ذِي نَظَرٍ، فَقُلْ فَإِنَّكَ رَأْسُ هَذَا الْأَمْرِ وَسَنَامُهُ، وَأَبُوكَ أُسُّهُ وَنِظَامُهُ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَأَعْمىٰ قَلْبَهُ اسْتَوْخَمَ الْحَقَّ وَلَمْ يَسْتَعْذِبْهُ، وَصَارَ الشَّيْطَانُ وَلِيَّهُ يُورِدُهُ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ ثُمَّ لَا يُصْدِرُهُ، وَهَذَا بَيْتٌ اسْتَعْبَدَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَهُمْ فِي إِتْيَانِهِ، فَحَثَّهُمْ عَلىٰ تَعْظِيمِهِ وَزِيَارَتِهِ، وَجَعَلَهُ مَحَلَّ أَنْبِيَائِهِ، وَقِبْلَةً لِلْمُصَلِّينَ لَهُ، فَهُوَ شُعْبَةٌ مِنْ رِضْوَانِهِ، وَطَرِيقٌ يُؤَدِّي إِلىٰ غُفْرَانِهِ، مَنْصُوبٌ عَلَى اسْتِوَاءِ الْكَمَالِ، وَمُجْتَمَعِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ، خَلَقَهُ اللَّهُ قَبْلَ دَحْوِ الْأَرْضِ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَأَحَقُّ مَنْ أُطِيعَ فِيمَا أَمَرَ، وَانْتُهِيَ عَمَّا نَهىٰ عَنْهُ، وَزَجَرَ اللَّهُ الْمُنْشِئُ لِلْأَرْوَاحِ وَالصُّوَرِ.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: ذَكَرْتَ اللَّهَ[٢] فَأَحَلْتَ عَلىٰ غَائِبٍ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيْلَكَ كَيْفَ يَكُونُ غَائِباً مَنْ هُوَ مَعَ خَلْقِهِ شَاهِدٌ، وَإِلَيْهِمْ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، وَيَرىٰ أَشْخَاصَهُمْ، وَيَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ.

---

(١) البيدر: الموضع الذي يجمع فيه الحصيد ويداس ويدقّ.
(٢) في الأمالي: ذكرت يا أبا عبد الله.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: فَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، أَلَيْسَ إِذَا كَانَ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَكُونُ فِي الْأَرْضِ؟ وَإِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَكُونُ فِي السَّمَاءِ؟

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّمَا وَصَفْتَ الْمَخْلُوقَ الَّذِي إِذَا انْتَقَلَ مِنْ مَكَانٍ اشْتَغَلَ بِهِ مَكَانٌ وَخَلَا مِنْهُ مَكَانٌ، فَلَا يَدْرِي فِي الْمَكَانِ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ مَا حَدَثَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ، فَأَمَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ، الْمَلِكُ الدَّيَّانُ، فَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَكُونُ إِلَىٰ مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَىٰ مَكَانٍ (١).

الأمالي للصدوق: ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمّه، عن أبي أحمد محمّد بن زياد الأزديّ، عن الفضل بن يونس ... مثله (٢).

علل الشرائع: الهمدانيّ والمكتّب والورّاق جميعاً، عن عليّ، عن أبيه، عن الفضل ... مثله (٣).

(١٥١٩) ٨ - **التوحيد**: الدَّقَّاقُ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الْقَاسِمِ الْعَلَوِيِّ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ يُونُسَ ... مِثْلَهُ، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْآيَاتِ الْمُحْكَمَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ، وَأَيَّدَهُ بِنَصْرِهِ، وَاخْتَارَهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، صَدَّقْنَا قَوْلَهُ بِأَنَّ رَبَّهُ بَعَثَهُ وَكَلَّمَهُ، فَقَامَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ أَلْقَانِي فِي بَحْرِ هٰذَا.

---

(١) الاحتجاج: * الكافي الشريف: ١/١٢٥، مختصراً.
(٢) أمالي الصدوق: ٧١٤، حديث: ٩٨٥، وسنده صحيح.
(٣) علل الشرائع: ٢/٤٠٣، وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون..

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْوَلِيدِ: مَنْ أَلْقَانِي فِي بَحْرِ هذَا، سَأَلْتُكُمْ أَنْ تَلْتَمِسُوا لِي خُمْرَةً، فَأَلْقَيْتُمُونِي عَلىٰ جَمْرَةٍ. قَالُوا: مَا كُنْتَ فِي مَجْلِسِهِ إِلّا حَقِيراً. قَالَ: إِنَّهُ ابْنُ مَنْ حَلَقَ رُؤُوسَ مَنْ تَرَوْنَ (١).

بيان: الطوب ـ بالضمّ ـ: الآجر، وطعام وخيم: غير موافق، واستوخمه أي لم يستمرئه ولم يستعذبه، أي لم يدرك عذوبته.

وحاصل ما ذكره عليه السلام أنّه تعالى إنّما استعبدهم بذلك ليختبرهم في إطاعتهم له، والاختبار فيما خفي وجه الحكمة فيه على أكثر العقول، مع أنّ لخصوص هذا المكان الشريف مزايا وشرائف لكونه محلّ الأنبياء، وقبلة المصلّين، وسابقاً في الخلق على جميع الأرض، وقد أشار عليه السلام بقوله: «فَهُوَ شُعْبَةٌ» مع الفقرات التي بعدها إلى ما جعل اللّه فيه من الكمالات المعنويّة، والأسرار الخفيّة حيث جعله محلّاً لقربه ورضوانه، ومهبطاً لرحماته وغفرانه، وما أفاض عليه من أنوار جبروته، وأخفى فيه من أسرار ملكوته، والاستواء: الاعتدال.

و«الْوَرِيدِ» هو العرق الذي في صفحة العنق، وبقطعه تزول الحياة، ففي التشبيه به دون سائر الأعضاء إشعار بكيفيّة قربه بأنّ قربه قرب بالعلّيّة والتأثير، وفيما بعدها من الفقر إشارة إلى جهة أُخرى من قربه، وهي الإحاطة العلميّة والخمرة ـ بالضمّ ـ: حصيرة صغيرة من السعف، أي طلبت منكم أن تطلبوا لي خصماً ألعب به كالخمرة.

«فَأَلْقَيْتُمُونِي عَلىٰ جَمْرَةٍ» ملتهبة.

(١٥٢٠) ٩ ـ **الاحتجاج**: وَرُوِيَ أَنَّ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ لابْنِ أَبِي

---

(١) التوحيد: ٢٥٣.

الْعَوْجَاءِ: إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ ـ وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُ ـ نَجَوْنَا وَنَجَوْتَ ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا نَقُولُ نَجَوْنَا وَهَلَكْتَ (١) .

(١٥٢١) ١٠ـ **عيون أخبار الرضا عليه السلام وتفسير الإمام عليه السلام والاحتجاج**: وَبِالْإِسْنَادِ ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً ﴾ الْآيَةَ (٢) : جَعَلَهَا مُلَائِمَةً لِطَبَائِعِكُمْ ، مُوَافِقَةً لِأَجْسَادِكُمْ ، لَمْ يَجْعَلْهَا شَدِيدَةَ الْحَمْيِ وَالْحَرَارَةِ فَتُحْرِقَكُمْ ، وَلَا شَدِيدَةَ الْبُرُودَةِ فَتُجْمِدَكُمْ ، وَلَا شَدِيدَةَ طِيبِ الرِّيحِ فَتَصَدَّعَ هَامَاتُكُمْ (٣) ، وَلَا شَدِيدَةَ النَّتْنِ فَتَعْطِبَكُمْ (٤) ، وَلَا شَدِيدَةَ اللِّينِ كَالْمَاءِ فَتُغْرِقَكُمْ ، وَلَا شَدِيدَةَ الصَّلَابَةِ فَتَمْتَنِعَ عَلَيْكُمْ فِي حَرْثِكُمْ (٥) وَأَبْنِيَتِكُمْ ، وَدَفْنِ مَوْتَاكُمْ ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْمَتَانَةِ مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَتَتَمَاسَكُونَ وَتَتَمَاسَكُ عَلَيْهَا أَبْدَانُكُمْ (٦) ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ اللِّينِ مَا تَنْقَادُ بِهِ لِحَرْثِكُمْ (٧) وَقُبُورِكُمْ ، وَكَثِيرٍ مِنْ مَنَافِعِكُمْ ، فَلِذَلِكَ جَعَلَ الْأَرْضَ فِرَاشاً لَكُمْ .

ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَالسَّماءَ بِناءً ﴾ يَعْنِي سَقْفاً مِنْ فَوْقِكُمْ مَحْفُوظاً ، يُدَبِّرُ فِيهَا

---

(١) الاحتجاج: ٢/٧٥ * الكافي الشريف: ١/٧٨ * التوحيد: ٢٩٨ .
(٢) سورة البقرة: ٢٢ .
(٣) جمع الهامة ، وهي الرأس .
(٤) أي فتهلككم .
(٥) في العيون: دوركم .
(٦) في العيون: وبنيانكم .
(٧) في العيون: لدوركم .

شَمْسَهَا وَقَمَرَهَا وَنُجُومَهَا لِمَنَافِعِكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ﴾ يَعْنِي الْمَطَرَ يُنْزِلُهُ مِنْ عَلاً لِيَبْلُغَ قُلَلَ جِبالِكُمْ وَتِلَالَكُمْ وَهِضَابَكُمْ وَأَوْهَادَكُمْ(١)، ثُمَّ فَرَّقَهُ رَذَاذاً، وَوَابِلاً، وَهَطْلاً، وَطَلّاً لِتَنْشَفَهُ أَرْضُكُمْ(٢)، وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ الْمَطَرَ نَازِلاً عَلَيْكُمْ قِطْعَةً وَاحِدَةً فَتَفْسُدَ أَرْضُكُمْ وَأَشْجَارُكُمْ وَزُرُوعُكُمْ وَثِمَارُكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ ﴾ يَعْنِي مِمَّا يُخْرِجُهُ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقاً لَكُمْ ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً ﴾ أَيْ أَشْبَاهاً وَأَمْثَالاً مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَقْدِرُ عَلىٰ شَيْءٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلىٰ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ(٣).

بيان: الهضاب: جمع الهضبة، وهي الجبل المنبسط على الأرض، أو جبل خلق من صخرة واحدة. والرذاذ ـ كسحاب ـ: المطر الضعيف، أو الساكن، الدائم، الصغار القطر، والوابل: المطر الشديد، الضخم القطر، والهطل: المطر الضعيف، الدائم، وتتابع المطر المتفرّق العظيم القطر، والطلّ: المطر الضعيف، أو أخف المطر وأضعفه، أو الندى، أو فوقه

(١) جمع الوهدة، وهي: الأرض المنخفضة. والهوّة في الأرض.
(٢) نشف الماء في الأرض: ذهب وجرى وسال.
(٣) عيون أخبارالرضا عليه السلام: ١٢٥/٢ * تفسير الامام العسكري عليه السلام: ١٤٢ * التوحيد: ٤٠٣ * الاحتجاج: ٢٦١/٢.
وتفسير الإمام العسكري عليه السلام من الكتب المعتبرة التي اعتمد عليها صدوق الأمة قدس سره وغيره، راجع ملحق: ١٦.

ودون المطر ، كلّ ذلك ذكرها الفيروزآباديّ .

(١٥٢٢) ١١ ـ التوحيد و الأمالي للصدوق وعيون أخبار الرضا عليه السلام : الْعَطَّارُ ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ! مَا الدَّلِيلُ عَلىٰ حُدُوثِ الْعَالَمِ ؟ فَقَالَ : أَنْتَ لَمْ تَكُنْ ثُمَّ كُنْتَ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تُكَوِّنْ نَفْسَكَ ، وَلَا كَوَّنَكَ مَنْ هُوَ مِثْلُكَ (١) .

الاحتجاج : مرسلاً ... مثله (٢) .

(١٥٢٣) ١٢ ـ التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام : مَاجِيلَوَيْهِ ، عَنْ عَمِّهِ ، عَنْ أَبِي سَمِينَةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ الصَّيْرَفِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ خَادِمِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ عَلَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ ـ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ

---

(١) التوحيد : ٢٩٣ * أمالي الصدوق : ٤٣٣ ، حديث : ٥٧٢ * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/١٢٢ .

وسنده حسن ـ بل كالصحيح ـ ، علي بن معبد له روايات كثيرة في الكافي الشريف ، وذكره النجاشي والشيخ في أصحابنا المصنفين ولم يقدحا فيه ، ولم يستثنه القميون من نوادر الحكمة ، وصحح الخزاز القمي رواياته ، والحسين بن خالد هو الصيرفي ، يروي عنه البزنطي وابن أبي عمير وعمرو بن عثمان والهيثم بن أبي مسروق وسيف بن عميرة وعلي بن يقطين ومحمد بن عيسى الأشعري ويونس بن عبد الرحمٰن ، ويظهر من رواياته أنه من المقربين من الرضا عليه السلام ، وقد اعتمد عليه الصدوق .

(٢) الاحتجاج : ٢/١٧٠ .

السَّلامُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَكُمْ ـ وَلَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُونَ ـ أَلَسْنَا وَإِيَّاكُمْ شَرَعاً سَوَاءً، وَلَا يَضُرُّنَا مَا صَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَزَكَّيْنَا وَأَقْرَرْنَا؟ فَسَكَتَ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنْ يَكُنِ الْقَوْلُ قَوْلَنَا ـ وَهُوَ كَمَا نَقُولُ[١] ـ أَلَسْتُمْ قَدْ هَلَكْتُمْ وَنَجَوْنَا؟ قَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، فَأَوْجِدْنِي كَيْفَ هُوَ؟ وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: وَيْلَكَ! إِنَّ الَّذِي ذَهَبْتَ إِلَيْهِ غَلَطٌ، هُوَ أَيَّنَ الْأَيْنَ، وَكَانَ وَلَا أَيْنَ، وَهُوَ كَيَّفَ الْكَيْفَ، وَكَانَ وَلَا كَيْفَ، فَلَا يُعْرَفُ بِكَيْفُوفِيَّةٍ، وَلَا بِأَيْنُونِيَّةٍ، وَلَا بِحَاسَّةٍ، وَلَا يُقَاسُ بِشَيْءٍ.

قَالَ الرَّجُلُ: فَإِذَنْ إِنَّهُ لَا شَيْءَ إِذَا لَمْ يُدْرَكْ بِحَاسَّةٍ مِنَ الْحَوَاسِّ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: وَيْلَكَ لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسُّكَ عَنْ إِدْرَاكِهِ أَنْكَرْتَ رُبُوبِيَّتَهُ، وَنَحْنُ إِذَا عَجَزَتْ حَوَاسُّنَا عَنْ إِدْرَاكِهِ أَيْقَنَّا أَنَّهُ رَبُّنَا، وَأَنَّهُ شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ.

قَالَ الرَّجُلُ: فَأَخْبِرْنِي مَتَىٰ كَانَ؟ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَخْبِرْنِي مَتَىٰ لَمْ يَكُنْ فَأُخْبِرَكَ مَتَىٰ كَانَ.

قَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ إِلَىٰ جَسَدِي فَلَمْ يُمْكِنِّي فِيهِ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ فِي الْعَرْضِ وَالطُّولِ، وَدَفْعُ الْمَكَارِهِ عَنْهُ، وَجَرُّ الْمَنْفَعَةِ إِلَيْهِ، عَلِمْتُ أَنَّ لِهَذَا الْبُنْيَانِ بَانِياً، فَأَقْرَرْتُ بِهِ، مَعَ مَا أَرَىٰ مِنْ دَوَرَانِ الْفَلَكِ بِقُدْرَتِهِ، وَإِنْشَاءِ السَّحَابِ،

(١) وفي نسخة: وهو قولنا وكما نقول.

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ، وَمَجْرَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَجِيبَاتِ الْمُتْقَنَاتِ ، عَلِمْتُ أَنَّ لِهَذَا مُقَدِّراً وَمُنْشِئاً .

قَالَ الرَّجُلُ : فَلِمَ احْتَجَبَ ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ الْحِجَابَ عَلَى الْخَلْقِ (١) لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ ، فَأَمَّا هُوَ فَلَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

قَالَ : فَلِمَ لَا تُدْرِكُهُ حَاسَّةُ الْبَصَرِ ؟ قَالَ : لِلْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمْ حَاسَّةُ الْأَبْصَارِ ، مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ ، ثُمَّ هُوَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُدْرِكَهُ بَصَرٌ ، أَوْ يُحِيطَ بِهِ وَهْمٌ ، أَوْ يَضْبِطَهُ عَقْلٌ .

قَالَ : فَحُدَّهُ لِي ؟ فَقَالَ : لَا حَدَّ لَهُ .

قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ كُلَّ مَحْدُودٍ مُتَنَاهٍ إِلَىٰ حَدٍّ ، وَإِذَا احْتَمَلَ التَّحْدِيدَ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ ، وَإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ احْتَمَلَ النُّقْصَانَ ، فَهُوَ غَيْرُ مَحْدُودٍ ، وَلَا مُتَزَايِدٍ ، وَلَا مُتَنَاقِصٍ ، وَلَا مُتَجَزِّئٍ ، وَلَا مُتَوَهَّمٍ .

قَالَ الرَّجُلُ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكُمْ : إِنَّهُ لَطِيفٌ وَسَمِيعٌ وَبَصِيرٌ وَعَلِيمٌ وَحَكِيمٌ (٢) ، أَيَكُونُ السَّمِيعُ إِلَّا بِالْأُذُنِ ، وَالْبَصِيرُ إِلَّا بِالْعَيْنِ ، وَاللَّطِيفُ إِلَّا بِعَمَلِ الْيَدَيْنِ ، وَالْحَكِيمُ إِلَّا بِالصَّنْعَةِ ؟

فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ اللَّطِيفَ مِنَّا عَلَىٰ حَدِّ اتِّخَاذِ الصَّنْعَةِ ،

---

(١) في نسخة من التوحيد : إنّ الاحتجاب عن الخلق .

(٢) في التوحيد : لطيف سميع ... ، بترك العاطف في الجميع .

أَوَمَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَّخِذُ شَيْئاً فَيَلْطُفُ فِي اتِّخَاذِهِ، فَيُقَالُ: مَا أَلْطَفَ فُلَاناً؟ فَكَيْفَ لَا يُقَالُ لِلْخَالِقِ الْجَلِيلِ لَطِيفٌ؟ إِذْ خَلَقَ خَلْقاً لَطِيفاً وَجَلِيلاً، وَرَكَّبَ فِي الْحَيَوَانِ مِنْهُ أَرْوَاحَهَا، وَخَلَقَ كُلَّ جِنْسٍ مُتَبَايِناً مِنْ جِنْسِهِ فِي الصُّورَةِ، وَلَا يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً، فَكُلٌّ لَهُ لُطْفٌ مِنَ الْخَالِقِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ فِي تَرْكِيبِ صُورَتِهِ، ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَى الْأَشْجَارِ وَحَمْلِهَا أَطَايِبَهَا الْمَأْكُولَةَ مِنْهَا وَغَيْرَ الْمَأْكُولَةِ، فَقُلْنَا عِنْدَ ذَلِكَ: إِنَّ خَالِقَنَا لَطِيفٌ لَا كَلُطْفِ خَلْقِهِ فِي صَنْعَتِهِمْ، وَقُلْنَا إِنَّهُ سَمِيعٌ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَصْوَاتُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرىٰ مِنَ الذَّرَّةِ إِلىٰ أَكْبَرَ مِنْهَا فِي بَرِّهَا وَبَحْرِهَا، وَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ لُغَاتُهَا فَقُلْنَا عِنْدَ ذَلِكَ: إِنَّهُ سَمِيعٌ لَا بِأُذُنٍ، وَقُلْنَا إِنَّهُ بَصِيرٌ لَا بِبَصَرٍ؛ لِأَنَّهُ يَرىٰ أَثَرَ الذَّرَّةِ السَّحْمَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ السَّوْدَاءِ، وَيَرىٰ دَبِيبَ النَّمْلِ فِي اللَّيْلَةِ الدُّجُنَّةِ، وَيَرىٰ مَضَارَّهَا وَمَنَافِعَهَا، وَأَثَرَ سِفَادِهَا (١)، وَفِرَاخَهَا وَنَسْلَهَا فَقُلْنَا عِنْدَ ذَلِكَ: إِنَّهُ بَصِيرٌ لَا كَبَصَرِ خَلْقِهِ.

قَالَ: فَمَا بَرِحَ حَتَّىٰ أَسْلَمَ، وَفِيهِ كَلَامٌ غَيْرُ هَذَا (٢).

الاحتجاج: رواه مرسلاً عن محمّد بن عبد الله الخراسانيّ، إلى آخر الخبر (٣).

---

(١) السفاد: الجماع.

(٢) التوحيد: ٢٥٠ * عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٢٠ * الكافي الشريف: ١/٧٨. وسنده قوي، محمد بن علي هو أبو سمينة من الأجلاء، راجع ملحق: ١١، والخراساني خادم الرضا لم أجد من قدح فيه، وتوصيفه مشعر بالمدح في الجملة.

(٣) الاحتجاج: ٢/١٧١.

بيان: «فَأَوْجِدْنِي» أي أفدني كيفيّته ومكانه، وأظفرني بمطلبي الذي هو العلم بهما.

«هُوَ أَيَّنَ الْأَيْنَ» أي جعل الأين أيناً بناء على مجعوليّة الماهيّات، أو أوجد حقيقة الأين، وكذا الكيف والكيفوفيّة، والأينونيّة، الاتّصاف بالكيف والأين.

قوله: «فَإِذَنْ إِنَّهُ لَا شَيْءَ» هذا السائل لمّا كان وهمه غالباً على عقله زعم أنّ الموجود ما يمكن إحساسه، فنفى الوجود عنه تعالى بناء على أنّه عليه السلام نفى عنه أن يحسّ، فأجاب عليه السلام بأنّك جعلت تعاليه عن أن يدرك بالحواسّ دليلاً على عدمه، ونحن إذا عرفناه بتعاليه عن أن يدرك بالحواسّ أيقنّا أنّه ربّنا بخلاف شيء من الأشياء؛ إذ المحسوسيّة تستلزم أُموراً كلّ منها منافٍ للربوبيّة على ما برهن عليه في محلّه.

قوله: «فَأَخْبِرْنِي مَتىٰ كَانَ؟» الظاهر أنّه سأل عن ابتداء كونه ووجوده، ويحتمل أن يكون السؤال عن أصل زمان وجوده تعالى، فعلى الأوّل حاصل جوابه عَلَيْهِ السَّلامُ: أن ابتداء الزمان إنّما يكون لحادث كان معدوماً ثمّ صار موجوداً، وهو تعالى يستحيل عليه العدم، وعلى الثاني فالمراد أنّ الكائن في الزمان إنّما يكون فيه بتغيّر وتبدّل في ذاته وصفاته؛ لأنّ الزمان نسبة المتغيّر إلى المتغيّر، فيكون بحال في زمان لا يكون كذلك في زمان آخر، وهو متعال عن التغيّر في الذات والصفات.

قوله: «فَلِمَ احْتَجَبَ؟» توهّم السائل أنّ احتجابه تعالى عبارة عن كونه وراء حجاب، فأجاب عليه السلام بأنّا غير محجوبين عنه لإحاطة علمه

بنا، وكنه ذاته وصفاته محجوبة عنّا لعجزنا وقصورنا عن إدراكه، بأن يكون المراد بالذنوب الحجب الظلمانيّة الإمكانيّة.

ويحتمل أن يكون المراد أنّ عدم ظهوره تعالى على عامّة الخلق كظهوره على أوليائه لغاية المعرفة، إنّما هو لذنوبهم التي حالت بينهم وبين تلك المعرفة، وإلّا فهو تعالى قد تجلّى لأوليائه، فظهر لهم ظهوراً فوق الإحساس، والجواب عن الإحساس ظاهر؛ إذ الفرق بينه وبين خلقه هو كونه غير جسم ولا جسمانيّ ولا حاصلاً في جهة ومكان هو الذي صار سبباً لعدم إمكان رؤيته.

قوله: «فَحُدَّهُ» يحتمل أن يكون المراد التحديد بالحدود الجسمانيّة، فحاصل جوابه عليه السلام: أنّ الحدّ نهاية لشيء ذي مقدار يمكن أن ينتهي إلى نهاية أُخرى بعد تلك النهاية فيزيد مقداره، ومثل هذا يمكن نقصانه لكون المقادير قابلة للانقسام، فيكون ذا أجزاء، فيكون محتاجاً إلى أجزائه، فيكون ممكناً، فلا يكون صانعاً بل يكون مصنوعاً، أو احتمال النقص ينافي الكمال الذي يحكم الوجدان باتّصاف الصانع به.

و«السَّحْمَاءِ» السوداء.

و«الدُّجُنَّةِ» ـ بكسر الجيم ـ أي المتغيّمة المظلمة، وسيأتي تفسير آخر الخبر في باب معاني الأسماء.

قوله: «وَفِيهِ كَلَامٌ غَيْرُ هَذَا» أي قيل: إنّه لم يسلم، أو في الخبر تتمّة تركناها.

(١٥٢٤) ١٣ ـ الأمالي للصدوق: أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ،

عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو شَاكِرٍ الدَّيَصَانِيُّ عَلىٰ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ أَحَدُ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ، وَكَانَ آبَاؤُكَ بُدُوراً بَوَاهِرَ، وَأُمَّهَاتُكَ عَقِيلَاتٍ عَبَاهِرَ، وَعُنْصُرُكَ مِنْ أَكْرَمِ الْعَنَاصِرِ، وَإِذَا ذُكِرَ الْعُلَمَاءُ فَبِكَ تُثْنَى الْخَنَاصِرُ، فَخَبِّرْنِي أَيُّهَا الْبَحْرُ الْخِضَمُّ الزَّاخِرُ، مَا الدَّلِيلُ عَلىٰ حُدُوثِ الْعَالَمِ؟

فَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلامُ: يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِأَقْرَبِ الْأَشْيَاءِ.

قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: فَدَعَا الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِبَيْضَةٍ فَوَضَعَهَا عَلىٰ رَاحَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا حِصْنٌ مَلْمُومٌ دَاخِلُهُ، غِرْقِئٌ رَقِيقٌ، تُطِيفُ بِهِ فِضَّةٌ سَائِلَةٌ، وَذَهَبَةٌ مَائِعَةٌ، ثُمَّ تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ الطَّاوُوسِ، أَدَخَلَهَا شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَذَا الدَّلِيلُ عَلىٰ حُدُوثِ الْعَالَمِ.

قَالَ: أَخْبَرْتَ فَأَوْجَزْتَ، وَقُلْتَ فَأَحْسَنْتَ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَقْبَلُ إِلَّا مَا أَدْرَكْنَاهُ بِأَبْصَارِنَا، أَوْ سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا، أَوْ لَمَسْنَاهُ بِأَكُفِّنَا، أَوْ شَمِمْنَاهُ بِمَنَاخِرِنَا، أَوْ ذُقْنَاهُ بِأَفْوَاهِنَا، أَوْ تُصُوِّرَ فِي الْقُلُوبِ بَيَاناً، وَاسْتَنْبَطَتْهُ الرِّوَايَاتُ إِيقَاناً.

فَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلامُ: ذَكَرْتَ الْحَوَاسَّ الْخَمْسَ وَهِيَ لَا تَنْفَعُ شَيْئاً بِغَيْرِ دَلِيلٍ، كَمَا لَا تُقْطَعُ الظُّلْمَةُ بِغَيْرِ مِصْبَاحٍ (١).

التوحيد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الحسين بن

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٣٣، حديث: ٥٧١، وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.

سعيد، عن عليّ بن منصور، عن هشام بن الحكم ... مثله (١).

بيان: قال الجوهريّ: العقيلة: كريمة الحيّ، والدرّة: عقيلة البحر، وقال الفيروزآباديّ: العبهر: الممتلي، الجسيم، والعظيم: الناعم الطويل من كلّ شيء، كالعباهر فيهما، وبهاء الجامعة للحسن والجسم والخلق، انتهى، والعنصر الأصل.

قوله: «فَبِكَ تُثْنَى الْخَنَاصِرُ» أي أنت تعدّ أوّلاً قبلهم لكونك أفضل وأشهر منهم، وإنّما يبدأ في العدّ بالخنصر، والثني: العطف، والخضم -بكسر الخاء وفتح الضاد المشدّدة (٢) -: الكثير العطاء، وقال الجوهريّ: زخر الوادي: إذا امتدّ جدّاً وارتفع، يقال: بحر زاخر، وقال: كتيبة ملمومة: مضمومة بعضها إلى بعض، وقال الغرقئ: قشر البيض التي تحت القيض، والقيض: ما تفلّق من قشور البيض.

قوله عليه السلام: «وَهِيَ لَا تَنْفَعُ شَيْئاً بِغَيْرِ دَلِيلٍ» أي هي عاجزة تتوقّف إدراكها على شرائط فكيف تنفي ما لم تدركه بحسّك (٣)، كما أنّ البصر لا يبصر الأشياء بغير مصباح.

ويحتمل أن يكون المراد بالدليل العقل، أي لا تنفع الحواسّ بدون دلالة العقل، فهو كالسراج لإحساس الحواسّ، وأنت قد عزلت العقل وحكمه، واقتصرت على حكم الحواسّ.

---

(١) التوحيد: ٢٩٢.

(٢) في الصحاح: الخضم بوزن الهجف.

(٣) بل المراد أنّ الحواسّ إنّما لها الإدراك التصوّريّ، وأمّا التصديق والحكم فللعقل (الطباطبائي)، قلت: قد أشار المصنف قدس سره إلى ذلك في عبارته الآتية، على أن التصور أول مراتب التصديق، فحكمها من هذه الحيثية واحد.

(١٥٢٥) ١٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام وعيون أخبار الرضا عليه السلام: مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمُفَسِّرُ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ وَعَلِيِّ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيَّارٍ، عَنْ أَبَوَيْهِمَا، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ الرِّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسىٰ، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، قَالَ: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً لِتَعْتَبِرُوا بِهِ وَتَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلىٰ رِضْوَانِهِ، وَتَتَوَقَّوْا بِهِ مِنْ عَذَابِ نِيرَانِهِ، ﴿ ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ ﴾ أَخَذَ فِي خَلْقِهَا وَإِتْقَانِهَا، فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وَلِعِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِمَ الْمَصَالِحَ، فَخَلَقَ لَكُمْ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ لِمَصَالِحِكُمْ يَا بَنِي آدَمَ (١).

---

(١) تفسير الإمام العسكري: ٢١٥ * عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٦.
وسنده كالحسن، بل حسن، الاسترابادي من مشايخ الصدوق الذين روى عنهم كثيراً مع الترضي والترحم، ويوسف وعلي وأبواهما ممن أكثر الصدوق الرواية عنهما بالواسطة في معظم كتبه المعتبرة ومنها من لا يحضره الفقيه، وليس من دأب الصدوق الرواية عمّن لا يرتضيه، ولذا امتنع عن الرواية عن محمد بن موسى الهمداني في كل كتبه لأن أستاذه ابن الوليد سيىء الرأي فيه، مع أن قدح ابن الوليد في الهمداني ليس بسديد، وهذا الحديث مقطع من التفسير المروي عن العسكري عليه السلام، ويظهر من الشيخ الصدوق قدس سره ارتضاؤه وصحة نسبته للإمام عليه السلام ولذا أكثر الرواية عنه بواسطة محمد بن القاسم الاسترابادي، راجع ملحق: ١٦..

(١٥٢٦) ١٥ ـ **عيون أخبار الرضا عليه السلام**: الطَّالَقَانِيُّ، عَنِ ابْنِ عُقْدَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لِمَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ عَلىٰ أَنْوَاعٍ شَتّىٰ وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ نَوْعاً وَاحِداً؟ فَقَالَ: لِئَلّا يَقَعَ فِي الْأَوْهَامِ أَنَّهُ عَاجِزٌ فَلَا تَقَعُ صُورَةٌ فِي وَهْمِ مُلْحِدٍ إِلّا وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا خَلْقاً، وَلَا يَقُولَ قَائِلٌ: هَلْ يَقْدِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ عَلىٰ صُورَةِ كَذَا وَكَذَا إِلّا وَجَدَ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، فَيَعْلَمُ بِالنَّظَرِ إِلىٰ أَنْوَاعِ خَلْقِهِ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١).

(١٥٢٧) ١٦ ـ **تفسير الإمام عليه السلام ومعاني الأخبار**: مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمُفَسِّرُ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيَّارٍ ـ وَكَانَا مِنَ الشِّيعَةِ الْإِمَامِيَّةِ ـ عَنْ أَبَوَيْهِمَا، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، فَقَالَ: اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُتَأَلَّهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَائِجِ وَالشَّدَائِدِ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ دُونَهُ، وَتَقَطُّعِ الْأَسْبَابِ مِنْ جَمِيعِ مَنْ سِوَاهُ، تَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ أَيْ أَسْتَعِينُ عَلىٰ أُمُورِي كُلِّهَا بِاللَّهِ الَّذِي لَا تَحِقُّ الْعِبَادَةُ إِلّا لَهُ، الْمُغِيثُ إِذَا اسْتُغِيثَ، وَالْمُجِيبُ إِذَا دُعِيَ، وَهُوَ مَا قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى اللَّهِ مَا هُوَ، فَقَدْ أَكْثَرَ عَلَيَّ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٨١/٢ * علل الشرائع: ١٤/١.
وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.

الْمُجَادِلُونَ ، وَحَيَّرُونِي ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ! هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ كُسِرَ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةَ تُنْجِيكَ ، وَلَا سِبَاحَةَ تُغْنِيكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَالِكَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرْطَتِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلامُ : فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْجَاءِ حَيْثُ لَا مُنْجِيَ ، وَعَلَى الْإِغَاثَةِ حَيْثُ لَا مُغِيثَ (١) .

بيان : قال الفيروزآباديّ : أله إليه ـ كفرح ـ : فزع ولاذ ، وألهه : أجاره وآمنه .

(١٥٢٨) ١٧ ـ **الخصال** : الْفَامِيُّ وَابْنُ مَسْرُورٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ بُطَّةَ ، عَنِ الْبَرْقِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَنَّ رَجُلاً قَامَ إِلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ : بِفَسْخِ الْعَزْمِ (٢) ، وَنَقْضِ الْهِمَمِ ، لَمَّا أَنْ هَمَمْتُ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَمِّي ، وَعَزَمْتُ فَخَالَفَ الْقَضَاءُ عَزْمِي ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُدَبِّرَ غَيْرِي .

قَالَ : فَبِمَاذَا شَكَرْتَ نَعْمَاءَهُ ؟ قَالَ : نَظَرْتُ إِلَىٰ بَلَاءٍ قَدْ صَرَفَهُ عَنِّي ،

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٢١ * التوحيد : ٢٢١ * معاني الأخبار : ٤ .
وتفسير الإمام العسكري عليه السلام من الكتب المعتبرة التي اعتمد عليها صدوق الأمة قدس سره وغيره ، راجع ملحق : ١٦ .
(٢) وفي نسخة : بفسخ العزائم .

وَأَبْلىٰ بِهِ غَيْرِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ فَشَكَرْتُهُ.

قَالَ: فَبِمَاذَا أَحْبَبْتَ لِقَاءَهُ؟ قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُهُ قَدِ اخْتَارَ لِي دِينَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِهَذَا لَيْسَ يَنْسَانِي، فَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ(١).

التوحيد: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام ... مثله(٢).

(١٥٢٩) ١٨ـ **التوحيد**: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَمِّهِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ أَحْمَدَ ابْنِ مُحَسِّنٍ الْمِيثَمِيِّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي مَنْصُورٍ الْمُتَطَبِّبِ فَقَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ(٣) فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: تَرَوْنَ هَذَا الْخَلْقَ ـ وَأَوْمىٰ بِيَدِهِ إِلىٰ مَوْضِعِ الطَّوَافِ ـ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أُوجِبُ لَهُ اسْمَ

---

(١) الخصال: ٢٢.
وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وابن بطة من كبار الأجلاء والأعيان.

(٢) التوحيد: ٢٨٨، وسنده حسن كالصحيح.

(٣) قيل: إنّ اسمه (روزبه) قبل الإسلام، وعبد اللّه بعد الإسلام، ولقّب بالمقفّع لأنّ الحجّاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقفّعت يده، ورجل متقفّع اليدين أي متشنّجهما، وقيل: هو المقفّع ـ بكسر العين ـ لعمله القفعة ـ بفتح القاف وسكون الفاء ـ والقفعة: شيء يشبه الزنبيل بلا عروة، وتعمل من خوص ليست بالكبيرة، ذكر السيّد المرتضى في ٨٩/١ من أماليه ابن المقفّع من جملة الزنادقة والملاحدة الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام.

الْإِنْسَانِيَّةِ(١) إِلّا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْجَالِسُ -يَعْنِي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ- فَأَمَّا الْبَاقُونَ فَرَعَاعٌ وَبَهَائِمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَكَيْفَ أَوْجَبْتَ هَذَا الاسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَ عِنْدَهُمْ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: مَا بُدٌّ مِنِ اخْتِبَارِ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنْهُ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ، فَقَالَ: لَيْسَ ذَا رَأْيَكَ، وَلَكِنَّكَ تَخَافُ أَنْ يَضْعُفَ رَأْيُكَ عِنْدِي فِي إِحْلَالِكَ إِيَّاهُ الْمَحَلَّ الَّذِي وَصَفْتَ، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: أَمَّا إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ هَذَا فَقُمْ إِلَيْهِ، وَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الزَّلَلِ، وَلَا تَثْنِ عِنَانَكَ إِلَى اسْتِرْسَالٍ يُسَلِّمْكَ إِلىٰ عِقَالٍ، وَسِمْهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ.

قَالَ: فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ، وَبَقِيتُ وَابْنُ الْمُقَفَّعِ، فَرَجَعَ إِلَيْنَا وَقَالَ: يَا ابْنَ الْمُقَفَّعِ! مَا هَذَا بِبَشَرٍ، وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِيٌّ يَتَجَسَّدُ إِذَا شَاءَ ظَاهِراً، وَيَتَرَوَّحُ إِذَا شَاءَ بَاطِناً، فَهُوَ هَذَا، فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي ابْتَدَأَنِي فَقَالَ: إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلىٰ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ -وَهُوَ عَلىٰ مَا يَقُولُونَ-، يَعْنِي أَهْلَ الطَّوَافِ- فَقَدْ سَلِمُوا وَعَطِبْتُمْ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ -وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ- فَقَدِ اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَيَّ شَيْءٍ نَقُولُ؟ وَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُونَ؟ مَا قَوْلِي وَقَوْلُهُمْ إِلّا وَاحِدٌ؟ فَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ

(١) في نسخة: وجب له اسم الإنسانيّة.

يَقُولُونَ: إِنَّ لَهُمْ مَعَاداً وَثَوَاباً وَعِقَاباً، وَيَدِينُونَ بِأَنَّ لِلسَّمَاءِ إِلَهاً، وَأَنَّهَا عُمْرَانٌ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ؟

قَالَ: فَاغْتَنَمْتُهَا مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: مَا مَنَعَهُ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ أَنْ يَظْهَرَ لِخَلْقِهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ حَتَّىٰ لَا يَخْتَلِفَ مِنْهُمُ اثْنَانِ؟ وَلِمَ احْتَجَبَ عَنْهُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ؟ وَلَوْ بَاشَرَهُمْ بِنَفْسِهِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ؟

فَقَالَ لِي: وَيْلَكَ وَكَيْفَ احْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَرَاكَ قُدْرَتَهُ فِي نَفْسِكَ نُشُوءَكَ وَلَمْ تَكُنْ؟ وَكِبَرَكَ بَعْدَ صِغَرِكَ، وَقُوَّتَكَ بَعْدَ ضَعْفِكَ، وَضَعْفَكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ، وَسُقْمَكَ بَعْدَ صِحَّتِكَ، وَصِحَّتَكَ بَعْدَ سُقْمِكَ، وَرِضَاكَ بَعْدَ غَضَبِكَ، وَغَضَبَكَ بَعْدَ رِضَاكَ، وَحُزْنَكَ بَعْدَ فَرَحِكَ، وَفَرَحَكَ بَعْدَ حُزْنِكَ، وَحُبَّكَ بَعْدَ بُغْضِكَ، وَبُغْضَكَ بَعْدَ حُبِّكَ، وَعَزْمَكَ بَعْدَ إِبَائِكَ، وَإِبَاءَكَ بَعْدَ عَزْمِكَ، وَشَهْوَتَكَ بَعْدَ كَرَاهَتِكَ، وَكَرَاهَتَكَ بَعْدَ شَهْوَتِكَ، وَرَغْبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ، وَرَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ، وَرَجَاءَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ، وَيَأْسَكَ بَعْدَ رَجَائِكَ، وَخَاطِرَكَ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَهْمِكَ، وَعُزُوبَ مَا أَنْتَ مُعْتَقِدُهُ مِنْ ذِهْنِكَ، وَمَا زَالَ يَعُدُّ عَلَيَّ قُدْرَتَهُ الَّتِي فِي نَفْسِي الَّتِي لَا أَدْفَعُهَا حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ (١).

---

(١) التوحيد: ١٢٥ * الكافي الشريف: ٧٤/١، عن عدة عن البرقي.
وسنده إلى المتطبب صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وابن أبي هشام البجلي ثقة ثقة من كبار الأجلاء والعيون.

بيان: قال الجزريّ: رعاع الناس أي غوغاؤهم وسقاطهم وأخلاطهم، الواحد: رعاعة.

قوله: «وَلَا تَثْنِ» من الثني، وهو العطف والميل، أي لا ترخ عنانك إليه بأن تميل إلى الرفق. والاسترسال والتساهل، فتقبل منه بعض ما يلقي إليك، فيسلّمك من التسليم، أو الإسلام.

«إِلىٰ عِقَالٍ» أي يعقلك بتلك المقدّمات التي تسلّمت منه بحيث لا يبقى لك مفرّ، كالبعير المعقول.

قوله: «وَسِمْهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» نقل عن الشيخ البهائيّ قدّس اللّه روحه أنّه من السوم، مَن سام البائع السلعة يسوم سوماً: إذا عرضها على المشتري، وسامها المشتري بمعنى استامها، والضمير راجع إلى الشيخ على طريق الحذف، والإيصال والموصول مفعوله.

ويروى عن الفاضل التستريّ نوّر ضريحه أنّه كان يقرأ سمه ـ بضمّ السين وفتح الميم المشدّدة ـ أمراً من سمّ الأمر يسمّه: إذا سبره ونظر إلى غوره، والضمير راجع إلى ما يجري بينهما، والموصول بدل عنه، وقيل: هو مَن سممت سمّك أي قصدت قصدك، والهاء للسكت، أي أقصد ما لك وما عليك.

والأظهر أنّه من وسم يسم سمة بمعنى الكيّ، والضمير راجع إلى ما يريد أن يتكلّم به، أي اجعل على ما تريد أن تتكلّم به علامة لتعلم أي شيء لك وأي شيء عليك، فالموصول بدل من الضمير.

قوله عليه السلام: «وهو على ما يقولون» اعترض عليه السلام الجملة الحاليّة بين الشرط والجزاء للإشارة إلى ما هو الحقّ، ولئلّا يتوهّم أنّه عليه

السلام في شكّ من ذلك والعطب الهلاك.

قوله عليه السلام: «لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ» أي لها، أو عليها، أو بالظرفيّة المجازيّة لجريان حكمه، وحصول تقديره تعالى فيها، وحاصل استدلاله عليه السلام أنّك لمّا وجدت في نفسك آثار القدرة التي ليست من مقدوراتك ضرورة علمت أنّ لها بارئاً قادراً، وكيف يكون غائباً عن الشخص من لا يخلو الشخص ساعة عن آثار كثيرة يصل منه إليه؟

(١٥٣٠) ١٩ ـ **التوحيد**: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَنَاحٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقاً أَصْغَرَ مِنَ الْبَعُوضِ، وَالْجِرْجِسُ أَصْغَرُ مِنَ الْبَعُوضِ، وَالَّذِي يُسَمُّونَهُ الْوَلَغَ أَصْغَرَ مِنَ الْجِرْجِسِ، وَمَا فِي الْفِيلِ شَيْءٌ إِلّا وَفِيهِ مِثْلُهُ، وَفُضِّلَ عَلَى الْفِيلِ بِالْجَنَاحَيْنِ (١).

---

(١) التوحيد: ٢٨٣ * الكافي الشريف: ٢٤٨/٨، وسنده مرسل صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.

وخرطومه البعوض مجوّف نافذ للجوف، فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه، فهو كالبلعوم والحلقوم، ولذلك اشتدّ عضّها، وقويت على خرق الجلود الغلاظ، وممّا ألهمه اللّه تعالى أنّه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان لا يزال يتوخى بخرطومه المسام التي يخرج منها العرق، لأنها أرقّ بشرة من جلد الإنسان، فإذا وجدها وضع خرطومه فيها، وفيه من الشره أن يمصّ الدم إلى أن ينشقّ ويموت، أو إلى أن يعجز عن الطيران، فيكون ذلك سبب هلاكه، ومن عجيب أمره أنّه ربّما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع، فيبقى طريحاً في الصحراء فتجتمع السباع حوله، والطير التي تأكل الجيف، فمن أكل منها شيئاً مات لوقته.

قال وهب بن منبه: لمّا أرسل اللّه تعالى البعوض على النمرود اجتمع منه في عسكره ما لا يحصى عدداً، فلما عاين النمرود ذلك انفرد عن جيشه، ودخل بيته وأغلق الأبواب، وأرخى الستور، ونام على قفاه مفكّراً، فدخلت بعوضة في أنفه، وصعدت إلى دماغه،

بيان: قال الفيروزآباديّ: «الْجِرْجِس» ـ بالكسر ـ: البعوض الصغار، انتهى، فالمراد أنّ الجرجس أصغر من سائر أصناف البعوض ليوافق أوّل الكلام وكلام أهل اللغة، على أنّه يحتمل أن يكون الحصر في الأوّل إضافيّاً، كما أنّ الظاهر أنّه لا بدّ من تخصيصه بالطيور؛ إذ قد يحسّ من الحيوانات ما هو أصغر من البعوض، إلّا أن يقال يمكن أن يكون للبعوض أنواع صغار لا يكون شيء من الحيوانات أصغر منها.

و«الْوَلَغَ» هنا بالغين المعجمة، وفي الكافي بالمهملة، وهما غير مذكورين فيما عندنا من كتب اللغة، والظاهر أنّه أيضاً صنف من البعوض، والغرض بيان كمال قدرته تعالى، فإنّ القدرة في خلق الأشياء الصغار أكثر وأظهر منها في الكبار، كما هو المعروف بين الصنّاع من المخلوقين (١)، ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢).

(١٥٣١) ٢٠ ـ التوحيد: الدَّقَّاقُ، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ بِإِسْنَادِهِ رَفَعَ الْحَدِيثَ: أَنَّ ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ حِينَ كَلَّمَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ عَادَ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ

فعذّب بها أربعين يوماً، حتّى أنّه كان يضرب برأسه الأرض، وكان أعزّ الناس عنده من يضرب رأسه، ثمّ سقطت منه كالفرخ، وهي تقول: كذلك يسلّط اللّه رسله على من يشاء من عباده، ثمّ هلك حينئذٍ، وقد أودع اللّه في مقدّم دماغها قوّة الحفظ، وفي وسطه قوّة الفكر، وفي مؤخّره قوّة الذكر، وخلق لها حاسّة البصر، وحاسّة اللمس، وحاسّة الشمّ، وخلق لها منفذاً للغذاء، ومخرجاً للفضلة، وخلق لها جوفاً وأمعاء وعظاماً، فسبحان من قدر فهدى، ولم يخلق شيئاً من المخلوقات سدى. قاله الدميريّ في كتابه حياة الحيوان.

(١) هذا بحسب الدقّة واللطف وكأنّه عليه السلام في هذا المقام، وأمّا بحسب القدرة فالأمر بالعكس من جهة توفيق الذرّات، وتوديع القوى العظيمة الهائلة، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة المؤمن: ٥٧ (الطباطبائي).

(٢) سورة المؤمنون: ١٤.

الثَّانِي ، فَجَلَسَ وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَنْطِقُ ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: كَأَنَّكَ جِئْتَ تُعِيدُ بَعْضَ مَا كُنَّا فِيهِ؟ فَقَالَ: أَرَدْتُ ذَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَا أَعْجَبَ هَذَا! تُنْكِرُ اللَّهَ وَتَشْهَدُ أَنِّي ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: الْعَادَةُ تَحْمِلُنِي عَلىٰ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلامُ: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْكَلَامِ؟ قَالَ: إِجْلَالاً لَكَ [١] ، وَمَهَابَةً مَا يَنْطِقُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنِّي شَاهَدْتُ الْعُلَمَاءَ ، وَنَاظَرْتُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، فَمَا تَدَاخَلَنِي هَيْبَةٌ قَطُّ مِثْلُ مَا تَدَاخَلَنِي مِنْ هَيْبَتِكَ.

قَالَ: يَكُونُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَفْتَحُ عَلَيْكَ بِسُؤَالٍ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ: أَمَصْنُوعٌ أَنْتَ أَوْ غَيْرُ مَصْنُوعٍ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: بَلْ أَنَا غَيْرُ مَصْنُوعٍ ، فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلامُ: فَصِفْ لِي لَوْ كُنْتَ مَصْنُوعاً كَيْفَ كُنْتَ تَكُونُ؟

فَبَقِيَ عَبْدُ الْكَرِيمِ مَلِيّاً لَا يُحِيرُ جَوَاباً ، وَوَلِعَ بِخَشَبَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: طَوِيلٌ ، عَرِيضٌ ، عَمِيقٌ ، قَصِيرٌ ، مُتَحَرِّكٌ ، سَاكِنٌ ، كُلُّ ذَلِكَ صِفَةُ خَلْقِهِ [٢] .

فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلامُ: فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْلَمْ صِفَةَ الصَّنْعَةِ غَيْرَهَا فَاجْعَلْ نَفْسَكَ مَصْنُوعاً لِمَا تَجِدُ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يَحْدُثُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ: سَأَلْتَنِي عَنْ مَسْأَلَةٍ لَمْ يَسْأَلْنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ ،

---

(١) في نسخة: إجلال لك.
(٢) وفي نسخة: كلّ ذلك صنعة خلقه.

وَلَا يَسْأَلَنِي أَحَدٌ بَعْدَكَ عَنْ مِثْلِهَا .

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: هَبْكَ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تُسْأَلْ فِيمَا مَضىٰ فَمَا عِلْمُكَ أَنَّكَ لَا تُسْأَلُ فِيمَا بَعْدُ عَلىٰ أَنَّكَ -يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ- نَقَضْتَ قَوْلَكَ؛ لِأَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ مِنَ الأوّل سَوَاءٌ ، فَكَيْفَ قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ؟

ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ! أَزِيدُكَ وُضُوحاً ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ مَعَكَ كِيسٌ فِيهِ جَوَاهِرُ ، فَقَالَ لَكَ قَائِلٌ: هَلْ فِي الْكِيسِ دِينَارٌ ، فَنَفَيْتَ كَوْنَ الدِّينَارِ فِي الْكِيسِ ، فَقَالَ لَكَ قَائِلٌ: صِفْ لِيَ الدِّينَارَ ، وَكُنْتَ غَيْرَ عَالِمٍ بِصِفَتِهِ ، هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَنْفِيَ كَوْنَ الدِّينَارِ عَنِ الْكِيسِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ؟ قَالَ: لَا ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: فَالْعَالَمُ أَكْبَرُ ، وَأَطْوَلُ ، وَأَعْرَضُ مِنَ الْكِيسِ ، فَلَعَلَّ فِي الْعَالَمِ صَنْعَةً مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ صِفَةَ الصَّنْعَةِ مِنْ غَيْرِ الصَّنْعَةِ .

فَانْقَطَعَ عَبْدُ الْكَرِيمِ وَأَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، وَبَقِيَ مَعَهُ بَعْضٌ فَعَادَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ: أَقْلِبُ السُّؤَالَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: اسْأَلْ عَمَّا شِئْتَ ، فَقَالَ: مَا الدَّلِيلُ عَلىٰ حُدُوثِ الْأَجْسَامِ؟

فَقَالَ: إِنِّي مَا وَجَدْتُ شَيْئاً صَغِيراً وَلَا كَبِيراً إِلَّا وَإِذَا ضُمَّ إِلَيْهِ مِثْلُهُ صَارَ أَكْبَرَ ، وَفِي ذَلِكَ زَوَالٌ وَانْتِقَالٌ عَنِ الْحَالَةِ الْأُولىٰ ، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً مَا زَالَ وَلَا حَالَ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَزُولُ وَيَحُولُ يَجُوزُ أَنْ يُوجَدَ وَيُبْطَلَ فَيَكُونُ بِوُجُودِهِ بَعْدَ عَدَمِهِ دُخُولٌ فِي الْحُدُوثِ ، وَفِي كَوْنِهِ فِي الْأَزَلِ دُخُولُهُ فِي الْقِدَمِ ،

وَلَنْ تَجْتَمِعَ صِفَةُ الْأَزَلِ وَالْحُدُوثِ وَالْقِدَمِ وَالْعَدَمِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ (١) .

فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ: هَبْكَ عَلِمْتَ فِي جَرْيِ الْحَالَتَيْنِ وَالزَّمَانَيْنِ عَلىٰ مَا ذَكَرْتَ ، وَاسْتَدْلَلْتَ عَلىٰ حُدُوثِها ، فَلَوْ بَقِيَتِ الْأَشْيَاءُ عَلىٰ صِغَرِهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ لَكَ أَنْ تَسْتَدِلَّ عَلىٰ حُدُوثِها ؟

فَقَالَ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ عَلىٰ هَذَا الْعَالَمِ الْمَوْضُوعِ ، فَلَوْ رَفَعْنَاهُ وَوَضَعْنَا عَالَماً آخَرَ كَانَ لَا شَيْءَ أَدَلَّ عَلَى الْحُدُوثِ مِنْ رَفْعِنَا إِيَّاهُ وَوَضْعِنَا غَيْرَهُ ، وَلَكِنْ أَجَبْتُكَ (٢) مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ أَنْ تُلْزِمَنَا وَنَقُولَ (٣) : إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَوْ دَامَتْ عَلىٰ صِغَرِهَا لَكَانَ فِي الْوَهْمِ أَنَّهُ مَتىٰ مَا ضُمَّ شَيْءٌ (٤) إِلىٰ مِثْلِهِ كَانَ أَكْبَرَ ، وَفِي جَوَازِ التَّغْيِيرِ عَلَيْهِ خُرُوجُهُ مِنَ الْقِدَمِ ، كَمَا بَانَ فِي تَغْيِيرِهِ دُخُولُهُ فِي الْحَدَثِ (٥) ، لَيْسَ لَكَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ - يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ - فَانْقَطَعَ وَخَزِيَ.

فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ الْتَقىٰ مَعَهُ فِي الْحَرَمِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ شِيعَتِهِ: إِنَّ ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَدْ أَسْلَمَ ، فَقَالَ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلامُ: هُوَ أَعْمىٰ مِنْ ذَلِكَ لَا يُسْلِمُ ، فَلَمَّا بَصُرَ بِالْعَالِمِ قَالَ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ ، فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَا جَاءَ بِكَ عَلىٰ هَذَا الْمَوْضِعِ ؟ فَقَالَ: عَادَةُ الْجَسَدِ ، وَسُنَّةُ

---

(١) في التوحيد المطبوع: ولن يجتمع صفة الأزل والعدم في شيء واحد.
(٢) وفي نسخة: أُجيبك.
(٣) وفي نسخة: فنقول.
(٤) وفي نسخة: ما ضمّ شيء منه إلى شيء منه.
(٥) وفي نسخة: كما أنّ في تغييره دخوله في الحدث.

الْبَلَدِ ، وَلِنُبْصِرَ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْجُنُونِ ، وَالْحَلْقِ ، وَرَمْيِ الْحِجَارَةِ .

فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ: أَنْتَ بَعْدُ عَلىٰ عُتُوِّكَ وَضَلَالِكَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ ! فَذَهَبَ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ لَهُ: لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ، وَنَفَضَ رِدَاءَهُ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ -وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُ- نَجَوْنَا وَنَجَوْتَ ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا نَقُولُ -وَهُوَ كَمَا نَقُولُ- نَجَوْنَا وَهَلَكْتَ ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ الْكَرِيمِ عَلىٰ مَنْ مَعَهُ فَقَالَ: وَجَدْتُ فِي قَلْبِي حَرَارَةً فَرُدُّونِي ، فَرَدُّوهُ وَمَاتَ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ(١) .

الاحتجاج: روي مرسلاً بعض الخبر (٢) .

تنوير: «لَا يُحِيرُ جَوَاباً» بالمهملة أي لا يقدر عليه، والولوع بالشيء: الحرص عليه ، والمبالغة في تناوله .

قوله: «كُلُّ ذَلِكَ صِفَةُ خَلْقِهِ» أي خلق الخالق والصانع ، ويمكن أن يقرأ بالتاء ، أي صفة المخلوقيّة.

والحاصل: أنّه لمّا سأل الإمام عليه السلام عنه أنّك لو كنت مصنوعاً هل كنت على غير تلك الأحوال والصفات التي أنت عليها الآن أم لا ؟ أقبل يتفكّر في ذلك فتنبّه أنّ صفاته كلّها صفات المخلوقين ، وكانت معاندته مانعة عن الإذعان بالصانع تعالى فبقي متحيّراً ، فقال عليه السلام: إذا رجعت إلى نفسك ووجدت في نفسك صفة المخلوقين فلِمَ لا تذعن بالصانع ؟ فاعترف بالعجز عن الجواب وقال: «سَأَلْتَنِي عَنْ مَسْأَلَةٍ لَمْ يَسْأَلْنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ ، وَلَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ بَعْدَكَ».

---

(١) التوحيد: ٢٩٦ * الكافي الشريف: ٤٧/١.
(٢) الاحتجاج: ٧٢/٢.

قوله عليه السلام: «هَبْكَ» أي افرض نفسك أنّك علمت ما مضى، وسلّمنا ذلك لك، قال الفيروزآباديّ: هبني فعلت أي احسبني فعلت واعددني كلمة للأمر فقط.

وحاصل جوابه عليه السلام أوّلاً أنّك بنيت أُمورك كلّها على الظنّ والوهم؛ لأنّك تقطع بأنّك لا تسأل بعد ذلك عن مثلها، مع أنّه لا سبيل لك إلى القطع به.

وأمّا قوله عليه السلام: «عَلىٰ أَنَّكَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ نَقَضْتَ قَوْلَكَ» يحتمل وجوها:

الأوّل: أن يكون المراد أنّ نفيك للصانع مبنيّ على أنّك تزعم أن لا علّيّة بين الأشياء، ولا نسبة الوجود والعدم إليها على السواء، والاستدلال على الأشياء الغير المحسوسة إنّما يكون بالعلّيّة والمعلوليّة، فكيف حكمت بعدم حصول الشيء في المستقبل؟ فيكون المراد بالتقدّم والتأخّر العلّيّة والمعلوليّة أو ما يساوقهما.

الثاني: أن يكون مبنيّاً على ما لعلّهم كانوا قائلين به، وربّما أمكن إلزامهم بذلك بناء على نفي الصانع من أنّ الأشياء متساوية غير متفاوتة في الكمال والنقص، فالمراد أنّك كيف حكمت بتفضيلي على غيري وهو منافٍ للمقدّمة المذكورة، فالمراد بالتقدّم والتأخّر ما هو بحسب الشرف.

الثالث: أن يكون مبنياً على ما ينسب إلى أكثر الملاحدة من القول بالكمون والبروز، أي مع قولك بكون كلّ حقيقة حاصلة في كلّ شيء كيف يمكنك الحكم بتقدّم بعض الأشياء على بعض في الفضل

والشرف.

قوله عليه السلام: «وَفِي ذَلِكَ زَوَالٌ وَانْتِقَالٌ» حاصل استدلاله عليه السلام إمّا راجع إلى دليل المتكلّمين من أنّ عدم الانفكاك عن الحوادث يستلزم الحدوث، أو إلى أنّه لا يخلو إمّا أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيّرة قديماً، أم لا، بل يكون كلّها حوادث، وكلّ منهما محال، أمّا الأوّل فلما تقرّر عند الحكماء من أنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، وأمّا الثاني فللزوم التسلسل بناء على جريان دلائل إبطاله في الأُمور المتعاقبة، ويمكن أن يكون مبنيّاً على ما يظهر من الأخبار الكثيرة من أنّ كلّ قديم يكون واجباً بالذات، ولا يكون المعلول إلّا حادثاً، ووجوب الوجود ينافي التغيّر، ولا يكون الواجب محلّاً للحوادث كما برهن عليه.

ثمّ قال ابن أبي العوجاء: لو فرضنا بقاء الأشياء على صغرها لم يمكنك الاستدلال على حدوثها بالتغيّر؟ فأجاب عليه السلام أوّلاً على سبيل الجدل بأنّ كلامنا كان في هذا العالم الذي نشاهد فيه التغيّرات، فلو فرضت رفع هذا العالم ووضع عالم آخر مكانه لا يعتريه التغيّر، فزوال هذا العالم دلّ على كونه حادثاً، وإلّا لما زال، وحدوث العالم الثاني أظهر.

ثمّ قال: «وَلَكِنْ أَجَبْتُكَ مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ» - بتشديد الدال - أي فرضت لأن تلزمنا، أو - بالتخفيف - أي زعمت أنّك تقدر أن تلزمنا، وهو بأن تفرض في الأوّل مكان هذا العالم عالماً لا يكون فيه التغيّر، فنقول يحكم العقل بأنّ الأجسام يجوز عليها ضمّ شيء إليها، وقطع شيء منها، وجواز التغيّر عليه يكفي لحدوثها بنحو ما مرّ من التقرير.

(١٥٣٢) ٢١١ ـ التوحيد: ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ هِشَامٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقِيلَ لَهُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِفَسْخِ الْعَزْمِ، وَنَقْضِ الْهَمِّ، عَزَمْتُ فَفُسِخَ عَزْمِي، وَهَمَمْتُ فَنُقِضَ هَمِّي (١).

(١٥٣٣) ٢١٢ ـ التوحيد: الْمُكَتِّبُ، عَنِ الأَسَدِيِّ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ، عَنِ، عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الخَزَّازِ، عَنْ سُلَيْمَانِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، قال: حَضَرْتُ مُحَمَّدَ بْنَ النُّعْمَانِ الأَحْوَلَ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِتَوْفِيقِهِ وَإِرْشَادِهِ وَتَعْرِيفِهِ وَهِدَايَتِهِ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيتُ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَقُولُ لِمَنْ يَسْأَلُنِي فَيَقُولُ لِي: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قُلْتُ: عَرَفْتُ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ بِنَفْسِي؛ لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ، وَذَلِكَ أَنِّي أَجِدُهَا أَبْعَاضاً مُجْتَمِعَةً، وَأَجْزَاءً مُؤْتَلِفَةً، ظَاهِرَةَ التَّرْكِيبِ مُتَبَيِّنَةَ (٢) الصَّنْعَةِ، مَبْنِيَّةً عَلَىٰ ضُرُوبٍ مِنَ التَّخْطِيطِ وَالتَّصْوِيرِ، زَائِدَةً مِنْ بَعْدِ نُقْصَانٍ، وَنَاقِصَةً مِنْ بَعْدِ زِيَادَةٍ، قَدْ أُنْشِئَ لَهَا حَوَاسُّ مُخْتَلِفَةٌ، وَجَوَارِحُ مُتَبَايِنَةٌ، مِنْ بَصَرٍ وَسَمْعٍ وَشَامٍّ وَذَائِقٍ وَلَامِسٍ، مَجْبُولَةً عَلَى

---

(١) التوحيد: ٢٨٩.
وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام.
(٢) وفي نسخة: متينية.

الضَّعْفِ وَالنَّقْصِ وَالْمَهَانَةِ ، لَا تُدْرِكُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا مُدْرَكَ صَاحِبَتِهَا ، وَلَا تَقْوىٰ عَلىٰ ذَلِكَ عَاجِزَةً عِنْدَ اجْتِلَابِ الْمَنَافِعِ إِلَيْهَا ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ عَنْهَا ، وَاسْتَحَالَ فِي الْعُقُولِ وُجُودُ تَأْلِيفٍ لَا مُؤَلِّفَ لَهُ ، وَثَبَاتِ صُورَةٍ لَا مُصَوِّرَ لَهَا ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لَهَا خَالِقاً خَلَقَهَا ، وَمُصَوِّراً صَوَّرَهَا ، مُخَالِفاً لَهَا عَلىٰ جَمِيعِ جِهَاتِهَا (١) ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ (٢) : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣) .

(١٥٣٤) ٢٣ ـ **التوحيد** : الدَّقَّاقُ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمَأْمُونِ الْقُرَشِيِّ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ ، قَالَ : قَالَ لِي أَبُو شَاكِرٍ الدَّيْصَانِيُّ : إِنَّ لِي مَسْأَلَةً تَسْتَأْذِنُ لِي عَلىٰ صَاحِبِكَ ، فَإِنِّي قَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ فَمَا أَجَابُونِي بِجَوَابٍ مُشْبِعٍ ؟ فَقُلْتُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِهَا ، فَلَعَلَّ عِنْدِي جَوَاباً تَرْتَضِيهِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَلْقىٰ بِهَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَأْذَنُ لِي فِي السُّؤَالِ ؟ فَقَالَ لَهُ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا الدَّلِيلُ عَلىٰ أَنَّ لَكَ صَانِعاً ؟ فَقَالَ : وَجَدْتُ نَفْسِي لَا تَخْلُو مِنْ إِحْدىٰ جِهَتَيْنِ : إِمَّا أَنْ أَكُونَ صَنَعْتُهَا أَنَا فَلَا أَخْلُو مِنْ أَحَدِ مَعْنَيَيْنِ : إِمَّا أَنْ أَكُونَ صَنَعْتُهَا وَكَانَتْ مَوْجُودَةً ، أَوْ صَنَعْتُهَا وَكَانَتْ مَعْدُومَةً ، فَإِنْ كُنْتُ صَنَعْتُهَا وَكَانَتْ مَوْجُودَةً

---

(١) وفي نسخة : مخالفاً لها في جميع صفاتها .

(٢) وفي نسخة : عز وجل .

(٣) التوحيد : ٢٨٩ ، ورجال السند ثقات عيون ، سوى الخزاز ، والرواي عنه من الأعاظم .

فَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ بِوُجُودِهَا عَنْ صَنْعَتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَعْدُومَةً فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يُحْدِثُ شَيْئاً، فَقَدْ ثَبَتَ الْمَعْنَى الثَّالِثُ، أَنَّ لِي صَانِعاً وَهُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَقَامَ وَمَا أَجَابَ جَوَاباً (١).

بيان: هذا برهان متين مبنيّ على توقّف التأثير والإيجاد على وجود الموجد والمؤثّر، والضرورة الوجدانيّة حاكمة بحقّيّتها، ولا مجال للعقل في إنكارها.

(١٥٣٥) ٢٤ ـ التوحيد: أَبِي وَابْنُ الْوَلِيدِ، مَعاً عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ وَمُحَمَّدِ الْعَطَّارِ، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ الْهَاشِمِيِّ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: دَخَلَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: أَلَيْسَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: بَلَىٰ، فَقَالَ لَهُ: أَنَا أَخْلُقُ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَخْلُقُ؟ قَالَ: أُحْدِثُ فِي الْمَوْضِعِ ثُمَّ أَلْبَثُ عَنْهُ فَيَصِيرُ دواباً فَأَكُونُ أَنَا الَّذِي خَلَقْتُهَا، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَلَيْسَ خَالِقُ الشَّيْءِ يَعْرِفُ كَمْ خَلَقَهُ؟ قَالَ لَهُ: بَلَىٰ، قَالَ: فَتَعْرِفُ الذَّكَرَ مِنْهَا مِنَ الْأُنْثَىٰ؟ وَتَعْرِفُ كَمْ عُمُرُهَا؟ فَسَكَتَ (٢).

(١٥٣٦) ٢٥ ـ التوحيد: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ، عَنْ

---

(١) التوحيد: ٢٩٠، ورجال السند بين ثقة وممدوح ومقبول، سوى ابن المأمون لم أجد من ذكره، والراوي عنه من الأولياء.

(٢) التوحيد: ٢٩٥، وسنده كالحسن ـ بل حسن ـ، رجاله ثقات أجلاء عيون، سوى علي بن يعقوب الهاشمي روى عنه الكبار كابني فضال وابن أبي الخطاب والحجال وعلي بن حسان، ورواياته كثيرة في الكتب المعتبرة، ووقع في أسانيد النجاشي لكتب الأصحاب.

مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ ، قَالَ : قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ ، قَالَ لِي هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ : كَانَ زِنْدِيقٌ بِمِصْرَ يَبْلُغُهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُنَاظِرَهُ فَلَمْ يُصَادِفْهُ بِهَا ، فَقِيلَ لَهُ : هُوَ بِمَكَّةَ ، فَخَرَجَ الزِّنْدِيقُ إِلىٰ مَكَّةَ وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَارَبَنَا الزِّنْدِيقُ وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الطَّوَافِ ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ كَتِفَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ عَلَيْهِ السَّلامُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : اسْمِي ، عَبْدُ الْمَلِكِ ، قَالَ : فَمَا كُنْيَتُكَ ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : فَمَنِ الْمَلِكُ الَّذِي أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ ، أَمِنْ مُلُوكِ السَّمَاءِ أَمْ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ ؟ وَأَخْبِرْنِي عَنِ ابْنِكَ أَعَبْدُ إِلَهِ السَّمَاءِ أَمْ عَبْدُ إِلَهِ الْأَرْضِ ؟ فَسَكَتَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : قُلْ مَا شِئْتَ تُخْصَمْ .

قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ : قُلْتُ لِلزِّنْدِيقِ : أَمَا تَرُدُّ عَلَيْهِ ؟ فَقَبَّحَ قَوْلِي ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِذَا فَرَغْتُ مِنَ الطَّوَافِ فَأْتِنَا .

فَلَمَّا فَرَغَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ أَتَاهُ الزِّنْدِيقُ فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ـ وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ ـ فَقَالَ لِلزِّنْدِيقِ : أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَرْضِ تَحْتاً وَفَوْقاً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَدَخَلْتَ تَحْتَهَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَا يُدْرِيكَ بِمَا تَحْتَهَا ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي إِلَّا أَنِّي أَظُنُّ أَنْ لَيْسَ تَحْتَهَا شَيْءٌ ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : فَالظَّنُّ عَجْزٌ مَا لَمْ تَسْتَيْقِنْ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: فَصَعِدْتَ إِلَى السَّمَاءِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَتَدْرِي مَا فِيهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَعَجَباً لَكَ لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ، وَلَمْ تَبْلُغِ الْمَغْرِبَ، وَلَمْ تَنْزِلْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَلَمْ تَصْعَدْ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَمْ تَجُزْ هُنَالِكَ فَتَعْرِفَ مَا خَلْقَهُنَّ، وَأَنْتَ جَاحِدٌ مَا فِيهِنَّ، وَهَلْ يَجْحَدُ الْعَاقِلُ مَا لَا يَعْرِفُ؟ فَقَالَ الزِّنْدِيقُ: مَا كَلَّمَنِي بِهَذَا أَحَدٌ غَيْرُكَ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَأَنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ، فَلَعَلَّ هُوَ، أَوْ لَعَلَّ لَيْسَ هُوَ؟ قَالَ الزِّنْدِيقُ: وَلَعَلَّ ذَاكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، لَيْسَ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ حُجَّةٌ عَلَىٰ مَنْ يَعْلَمُ فَلَا حُجَّةَ لِلْجَاهِلِ، يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ، تَفَهَّمْ عَنِّي فَإِنَّا لَا نَشُكُّ فِي اللَّهِ أَبَداً، أَمَا تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يَلِجَانِ لَيْسَ لَهُمَا مَكَانٌ إِلَّا مَكَانُهُمَا، فَإِنْ كَانَا يَقْدِرَانِ عَلَىٰ أَنْ يَذْهَبَا وَلَا يَرْجِعَانِ فَلِمَ يَرْجِعَانِ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُونَا مُضْطَرَّيْنِ فَلِمَ لَا يَصِيرُ اللَّيْلُ نَهَاراً وَالنَّهَارُ لَيْلاً اضْطُرَّا ـ وَاللَّهِ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ ـ إِلَىٰ دَوَامِهِمَا، وَالَّذِي اضْطَرَّهُمَا أَحْكَمُ مِنْهُمَا، وَأَكْبَرُ مِنْهُمَا.

قَالَ الزِّنْدِيقُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ك يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ! الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَتَظُنُّونَهُ بِالْوَهْمِ، فَإِنْ كَانَ الدَّهْرُ يَذْهَبُ بِهِمْ لِمَ لَا يَرُدُّهُمْ؟ وَإِنْ كَانَ يَرُدُّهُمْ لِمَ لَا يَذْهَبُ بِهِمُ الْقَوْمُ مُضْطَرُّونَ؟

يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ! السَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ، وَالْأَرْضُ مَوْضُوعَةٌ، لِمَ لَا تَسْقُطُ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ؟ وَلِمَ لَا تَنْحَدِرُ الْأَرْضُ فَوْقَ طِبَاقِهَا، فَلَا يَتَمَاسَكَانِ

وَلَا يَتَمَاسَكُ مَنْ عَلَيْهِمَا ؟

فَقَالَ الزِّنْدِيقُ : أَمْسَكَهُمَا ـ وَاللَّهِ ـ رَبُّهُمَا وَسَيِّدُهُمَا ، فَآمَنَ الزِّنْدِيقُ عَلَىٰ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنْ آمَنَتِ الزَّنَادِقَةُ عَلَىٰ يَدَيْكَ فَقَدْ آمَنَتِ الْكُفَّارُ عَلَىٰ يَدَيْ أَبِيكَ ، فَقَالَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي آمَنَ عَلَىٰ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : اجْعَلْنِي مِنْ تَلَامِذَتِكَ ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ لِهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ : خُذْهُ إِلَيْكَ فَعَلِّمْهُ ، فَعَلَّمَهُ هِشَامٌ فَكَانَ مُعَلِّمَ أَهْلِ مِصْرَ وَأَهْلِ الشَّامِ ، وَحَسُنَتْ طَهَارَتُهُ حَتَّىٰ رَضِيَ بِهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ (١) .

الاحتجاج : عن هشام بن الحكم ... مثله (٢) .

إيضاح : قوله عليه السلام : « فَمَنِ الْمَلِكُ » لعلّه عليه السلام سلك أوّلاً في الاحتجاج عليه مسلك الجدل لبنائه على الأمر المشهور عند الناس أنّ الاسم مطابق لمعناه. ويحتمل أن يكون على سبيل المطايبة والمزاح لبيان عجزه عن فهم الواضحات ، وردّ الجواب عن أمثال تلك المطايبات ، أو يكون منبّهاً على ما ارتكز في العقول من الإذعان بوجود الصانع ، وإن أنكروه ظاهراً لكفّرهم وعنادهم.

ثمّ ابتدأ عليه السلام بإزالة إنكار الخصم ، وإخراجه منه إلى الشكّ

(١) التوحيد : ٢٩٢ * الكافي الشريف : ٧٢/١.
ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى الحسن بن إبراهيم ، روى عنه عدة من الكبار ، وله روايات في الكتب المعتبرة.
(٢) الاحتجاج : ٧٢/٢.

لتستعدّ نفسه لقبول الحقّ، فأزال إنكاره بأنّه غير عالم بما تحت الأرض، وليس له سبيل إلى الجزم بأنّ ليس تحتها شيء، ثمّ زاده بياناً بأنّ السماء التي لم يصعدها كيف يكون له الجزم والمعرفة بما فيها، وما ليس فيها؟ وكذا المشرق والمغرب، فلمّا عرف قبح إنكاره، وتنزّل عنه، وأقرّ بالشكّ بقوله، ولعلّ ذاك أخذ عليه السلام في هدايته، وقال: ليس للشاكّ دليل، وللجاهل حجّة، فليس لك إلّا طلب الدليل، فاستمع وتفهّم فإنّا لا نشكّ فيه أبداً، والمراد بولوج الشمس والقمر غروبهما، أو دخولهما بالحركات الخاصّة في بروجهما، وبولوج الليل والنهار دخول تمام كلّ منهما في الآخر، أو دخول بعض من كلّ منهما في الآخر بحسب الفصول.

وحاصل الاستدلال: أنّ لهذه الحركات انضباطاً واتّساقاً واختلافاً وتركّاً، فالانضباط يدلّ على عدم كونها إراديّة، كما هو المشاهد من أحوال ذوي الإرادات من الممكنات، والاختلاف يدلّ على عدم كونها طبيعيّة، فإنّ الطبيعة العادمة للشعور لا تختلف مقتضياتها كما نشاهد من حركات العناصر، كما قالوا: إنّ الطبيعة الواحدة لا تقتضي التوجّه إلى جهة والانصراف عنه،

ويمكن أن يقال: حاصل الدليل راجع إلى ما يحكم به الوجدان من أنّ مثل تلك الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على قانون الحكمة لا يصدر عن الدهر والطبائع العادمة للشعور والإرادة، وإلى هذا يرجع قوله عليه السلام: «فَإِنْ كَانَ الدَّهْرُ يَذْهَبُ بِهِمْ» أي الدهر العديم الشعور، كيف يصدر عنه الذهاب الموافق للحكمة ولا يصدر عنه بدله الرجوع؟ أو

المراد أنّه لم يقتضِ طبعه ذهاب شيء ولا يقتضي ردّه وبالعكس، بناء على أنّ مقتضيات الطبائع تابعة لتأثير الفاعل القادر القاهر، ويمكن أن يكون المراد بالذهاب بهم إعدامهم، وبردّهم إيجادهم، والمراد بالدهر الطبيعة كما هو ظاهر كلام أكثر الدهريّة، أي نسبة الوجود والعدم إلى الطبائع الإمكانيّة على السواء، فإن كان الشيء يوجد بطبعه فلم لا يعدم، فترجّح أحدهما ترجّح بلا مرجّح يحكم العقل باستحالته، ويجري جميع تلك الاحتمالات في قوله عليه السلام: «السَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ» إلى آخر كلامه.

وقوله عليه السلام: «لِمَ لَا تَسْقُطُ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ؟» أي لا تتحرّك بالحركة المستقيمة حتّى تقع على الأرض.

وقوله: «وَلِمَ لَا تَنْحَدِرُ الْأَرْضُ» أي تتحرك إلى جهة التحت حتّى تقع على أطباق السماء، أو المراد الحركة الدوريّة فيغرق الناس في الماء فيكون ضمير طباقها راجعاً إلى الأرض، وطباق الأرض: أعلاها، أي تنحدر الأرض بحيث تصير فوق ما علا منها الآن.

قوله عليه السلام: «فَلَا يَتَمَاسَكَانِ» أي في صورة السقوط والانحدار، أو المراد فظهر أنّه لا يمكنهما التمسّك بأنفسهما، بل لا بدّ من ماسك يمسكهما.

أقول: تفصيل القول في شرح تلك الأخبار الغامضة يقتضي مقاماً آخر، وإنّما نشير في هذا الكتاب إلى ما لعلّه يتبصّر به أولو الأذهان الثاقبة من أولي الألباب.

وسنبسط الكلام فيها في كتاب مرآة العقول إن شاء اللّه تعالى.

(١٥٣٧) ٢٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: قَالَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلامُ: لَمَّا تَوَعَّدَ(١) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْيَهُودَ وَالنَّوَاصِبَ فِي جَحْدِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ قَالَ مَرَدَةُ الْيَهُودِ وَعُتَاةُ النَّوَاصِبِ(٢) : مَنْ هَذَا الَّذِي يَنْصُرُ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً عَلىٰ أَعْدَائِهِمَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ بِلَا عَمَدٍ مِنْ تَحْتِهَا، وَلَا عِلَاقَةٍ مِنْ فَوْقِهَا تَحْبِسُهَا مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ ـ يَا أَيُّهَا الْعِبَادُ وَالْإِمَاءُ ـ أُسَرَائِي، وَفِي قَبْضِي الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِكُمْ، لَا مَنْجىٰ لَكُمْ مِنْهَا إِنْ هَرَبْتُمْ، وَالسَّمَاءُ مِنْ فَوْقِكُمْ، وَلَا مَحِيصَ لَكُمْ عَنْهَا إِنْ ذَهَبْتُمْ، فَإِنْ شِئْتُ أَهْلَكْتُكُمْ بِهَذِهِ، وَإِنْ شِئْتُ أَهْلَكْتُكُمْ بِتِلْكَ، ثُمَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي نَهَارِكُمْ لِتَنْتَشِرُوا فِي مَعَايِشِكُمْ، وَمِنَ الْقَمَرِ الْمُضِيءِ لَكُمْ فِي لَيْلِكُمْ لِتُبْصِرُوا فِي ظُلُمَاتِهِ، وَإِلْجَائِكُمْ بِالاسْتِرَاحَةِ بِالظُّلْمَةِ إِلىٰ تَرْكِ مُوَاصَلَةِ الْكَدِّ الَّذِي يَنْهَكُ(٣) أَبْدَانَكُمْ، وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ الْمُتَتَابِعَيْنِ الْكَادَّيْنِ عَلَيْكُمْ بِالْعَجَائِبِ الَّتِي يُحْدِثُهَا رَبُّكُمْ فِي عَالَمِهِ، مِنْ إِسْعَادٍ وَإِشْقَاءٍ، وَإِعْزَازٍ وَإِذْلَالٍ، وَإِغْنَاءٍ وَإِفْقَارٍ، وَصَيْفٍ وَشِتَاءٍ، وَخَرِيفٍ وَرَبِيعٍ، وَخِصْبٍ وَقَحْطٍ، وَخَوْفٍ وَأَمْنٍ، ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ مَطَايَاكُمْ، لَا تَهْدَأُ(٤) لَيْلاً وَلَا نَهَاراً، وَلَا

(١) أي هدّد.
(٢) العتاة: جمع للعاتي، وهو المستكبر، ومَن جاوز الحدّ.
(٣) أي يدنف ويضني.
(٤) المطايا: جمع للمطية، وهي الدابّة التي تركب، ولا تهدأ أي لا تسكن.

تَقْتَضِيكُمْ عَلَفاً وَلَا مَاءً، وَكَفَاكُمْ بِالرِّيَاحِ مؤُونَةً تُسَيِّرُهَا بِقُوَاكُمْ الَّتِي كَانَتْ لَا تَقُومُ بِهَا لَوْ رَكَدَتْ عَنْهَا الرِّيَاحُ لِتَمَامِ مَصَالِحِكُمْ وَمَنَافِعِكُمْ، وَبُلُوغِ الْحَوَائِجِ لِأَنْفُسِكُمْ، وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ وَابِلاً وَهَطْلاً وَرَذَاذاً (١)، لَا يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً فَيُغْرِقَكُم، وَيُهْلِكَ مَعَايِشَكُمْ، لَكِنَّهُ يُنْزِلُ مُتَفَرِّقاً مِنْ عَلاً حَتَّىٰ يَعُمَّ الْأَوْهَادَ وَالتِّلَالَ وَالتِّلَاعَ (٢)، ﴿ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ﴾ فَيُخْرِجُ نَبَاتَهَا وَثِمَارَهَا وَحُبُوبَهَا، وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْهَا مَا هُوَ لِأَكْلِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ، وَمِنْهَا سِبَاعٌ ضَارِيَةٌ حَافِظَةٌ عَلَيْكُمْ لِأَنْعَامِكُمْ، لِئَلَّا تَشُذَّ عَلَيْكُمْ خَوْفاً مِنِ افْتِرَاسِهَا لَهَا، ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ ﴾ الْمُرَبِّيَةِ لِحُبُوبِكُمْ، الْمُبَلِّغَةِ لِثِمَارِكُمْ النَّافِيَةِ لِرُكُودِ الْهَوَاءِ، وَالْأَقْتَارِ عَنْكُمْ، ﴿ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ ﴾ يَحْمِلُ أَمْطَارَهَا، وَيَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيَصُبُّهَا مِنْ حَيْثُ يُؤْمَرُ ﴿ لَآياتٍ ﴾ دَلَائِلَ وَاضِحَاتٍ ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يَتَفَكَّرُونَ بِعُقُولِهِمْ أَنَّ مَنْ هَذِهِ الْعَجَائِبُ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ، قَادِرٌ عَلَىٰ نُصْرَةِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَآلِهِمَا عَلَيْهِما السَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ (٣).

---

(١) الوابل: المطر الشديد، الهطل ـ بفتح الهاء ـ: المطر الضعيف الدائم، وتتابع المطر المتفرّق العظيم القطر، والرذاذ ـ كسحاب ـ: المطر الضعيف، أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار، أو هو بعد الطلّ.

(٢) جمع للتلعة: ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها، من الأضداد، ولعلّ المراد في الخبر المعنى الثاني.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٥٧٥.

وتفسير الإمام العسكري عليه السلام من الكتب المعتبرة التي اعتمد عليها صدوق الأمة قدس سره وغيره، راجع ملحق: ١٦.

بيان: «الْكَادَّيْنِ» من الكدّ بمعنى الشدّة، والإلحاح في الطلب كناية عن عدم تخلّفهما.

والباء في قوله عليه السلام: «بِالْعَجَائِبِ» بمعنى (مع).

وقوله: «وَالْأَقْتَارِ» كأنّه جمع القترة بمعنى الغبرة، أي يذهب الأغبرة والأبخرة المجتمعة في الهواء الموجبة لكثافتها وتعفّنها.

والضمير في قوله: «أَمْطَارَهَا» إمّا راجع إلى الأرض، أو إلى السحاب للجمعيّة.

(١٥٣٨) ٢٧ ـ **جامع الأخبار**: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ، فَقَالَ: الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَالرَّوْثَةُ تَدُلُّ عَلَى الْحَمِيرِ، وَآثَارُ الْقَدَمِ تَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ، فَهَيْكَلٌ عُلْوِيٌّ بِهَذِهِ اللَّطَافَةِ، وَمَرْكَزٌ سُفْلِيٌّ بِهَذِهِ الْكَثَافَةِ، كَيْفَ لَا يَدُلّانِ عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ (١)؟

(١٥٣٩) ٢٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: بِصُنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، وَبِالْعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ، وَبِالتَّفَكُّرِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ، مَعْرُوفٌ بِالدَّلالاتِ، مَشْهُورٌ بِالْبَيِّنَاتِ (٢).

(١٥٤٠) ٢٩ ـ **جامع الأخبار**: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: مَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ؟ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: تَحْوِيلُ الْحَالِ، وَضَعْفُ

---

(١) جامع الأخبار: ٣٥.

(٢) جامع الأخبار: ٣٥ * عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٣٦ * أمالي المفيد: ٢٥٣، بسند حسن عن الشريف الصالح الحسن بن حمزة عن الحميري عن أبيه عن الأشعري عن مروك بن عبيد عن محمد بن زيد الطبري وهو الرازمي * أمالي الطوسي: حديث: ٢٨.

الْأَرْكَانِ ، وَنَقْضُ الْهِمَّةِ (١) .

أقول: سيأتي ما يناسب هذا الباب في أبواب الاحتجاجات ، وأبواب المواعظ والخطب والحكم إن شاء اللّه تعالى .

ولنذكر بعد ذلك توحيد المفضّل بن عمر ورسالة الإهليلجة المرويّتين عن الصادق عليه السلام لاشتمالهما على دلائل وبراهين على إثبات الصانع تعالى ، ولا يضرّ إرسالهما لاشتهار انتسابهما إلى المفضّل ، وقد شهد بذلك السيّد ابن طاوس وغيره (٢) ، ولا ضعف محمّد بن سنان والمفضّل؛ لأنّه في محلّ المنع ، بل يظهر من الأخبار الكثيرة علوّ قدرهما ، وجلالتهما ، مع أنّ متن الخبرين شاهدا صدق على صحّتهما (٣) ، وأيضاً هما يشتملان على براهين لا تتوقّف إفادتها العلم

---

(١) جامع الأخبار : ٣٩.

(٢) قال ابن طاوس في : ٩ من كتابه كشف المحجّة : وانظر كتاب المفضّل بن عمر الذي أملاه عليه مولانا الصادق عليه السلام فيما خلق اللّه جلّ جلاله من الآثار ، وانظر كتاب الإهليلجة وما فيه من الاعتبار ، فإنّ الاعتناء بقول سابق الأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم أفضل السلام موافق لفطرة العقول والأحلام.

وقال في : ٧٨ من كتابه الأمان من أخطار الأسفار والأزمان : ويصحب معه كتاب الإهليلجة وهو كتاب مناظرة مولانا الصادق عليه السلام الهنديّ في معرفة اللّه جلّ جلاله بطريق غريبة عجيبة ضروريّة ، حتّى أقرّ الهنديّ بالإلٰهيّة والوحدانيّة ، ويصحب معه كتاب المفضّل بن عمر الذي رواه عن الصادق عليه السلام في معرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفليّ وأسراره ، فإنّه عجيب في معناه.

وعدّ النجاشيّ من كتبه كتاب الفكر ، كتاب في بدء الخلق ، والحثّ على الاعتبار ، وصيّة المفضّل ، وساق طريقه إليه .

كما نقله ابن القيم الجوزية في كتابه « مفتاح دار السعادة » بتمامه ، من دون أن ينسبه إلى المفضل أو غيره ، مع تغيير يسير في عدة من العبائر .

(٣) أمّا متن الخبر الأوّل المشتهر بتوحيد المفضّل فهو مطابق لجلّ الأخبار المرويّة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام المطابقة لمعارف الكتاب العزيز ، وما يشتمل عليه من الأدلّة براهين

على صحّة الخبر.

تامّة لا غبار عليها.

وأمّا خبر الإهليلجة فمحصّل ما فيه إثبات حجّيّة حكم العقل، وعدم كفاية الحواسّ في الأحكام، وإثبات وجود الصانع من طريق السببيّة، وإثبات وحدته من طريق اتّصال التدبير، وهذا لا شكّ فيه من جهة العقل، ولا من جهة مطابقته لسائر النقل، غير أنّه مشتمل على تفاصيل لا شاهد عليها من النقل والعقل، بل الأمر بالعكس، كاشتماله على كون علوم الهيئة وأحكام النجوم مستنداً إلى الوحى، وكذا كون علم الطبّ والقرابادين مستندين إلى الوحي مستدلّاً بأن إنساناً واحداً لا يقدر على هذا التتبّع العظيم، والتجارب الوسيع، مع أنّ ذلك مستند الى أرصاد كثيرة، ومحاسبات علميّة، وتجاربات ممتدّة من أُمم مختلفة في أعصار وقرون طويلة تراكمت حتّى تكوّنت في صورة، فمن أنتجه مجموع تلك المجاهدات العظيمة، والدليل عليه أنّ النهضة الأخيرة سبكت علمي الهيئة والطبّ في قالب جديد أوسع من قالبهما القديم بما لا يقدر من الوسعة، ولا مستند له إلّا الأرصاد والتجارب والمحاسبات العلميّة، وكذا ما هو مثلهما في الوسعة كالكيمياء والطبيعيّات وعلم النبات والحيوان، وغير ذلك، نعم، من الممكن استناد أصلهما إلى الوحي وبيان النبيّ.

وممّا يشتمل عليه الخبر كون البحار باقية على حال واحدة دائماً من غير زيادة ونقيصة، مع أنّ التغيّرات الكلّيّة فيها ممّا هو اليوم من الواضحات، على أنّ الكتاب والسنّة يساعدانه أيضاً.

والذي أظنّه ـ والله أعلم ـ أنّ أصل الخبر ممّا صدر عنه عليه السلام، لكنّه لم يخل عن تصرّف المتصرّفين، فزادوا ونقصوا بما أخرجه عن استقامته الأصليّة، ويشهد على ذلك النسخ المختلفة العجيبة التي سينقلها المصنّف رحمه الله، فإنّ النسخ يمكن أن تختلف بالكلمة والكلمتين، والجملة والجملتين، لسهو من الراوي في ضبطه، أو من الكاتب في استنساخه، وأمّا بنحو الورقة والورقتين، وخمسين سطراً ومائة سطر، فمن المستبعد جدّاً، إلّا أن يستند إلى تصرّف عمديّ، وممّا يشهد على ذلك أيضاً الاندماج، وعسر البيان الذي يشاهد في أوائل الخبر وأواسطه. والله أعلم (الطباطبائي).

قلت: ما قاله عن خبر الاهليلجة قابل للتأمل، أما إشكاله الأول فقد استدرك عليه بقوله: «نعم من الممكن استناد أصلهما إلى الوحي»، وأما الثاني ـ إن سلم بعدم صحته ـ فلا يؤثر في ما هو عليه السلام بصدد اثباته، لعلمه بكون السائل قائله به، فهو من باب إلزامه بما يقول.

باب ٤: الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل بن عمر [1]

(١٥٤١) ١ ـ رَوىٰ مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ ، قَالَ: كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَ الْعَصْرِ جَالِساً فِي الرَّوْضَةِ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ وَأَنَا مُفَكِّرٌ فِيمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الشَّرَفِ وَالْفَضَائِلِ ، وَمَا مَنَحَهُ وَأَعْطَاهُ وَشَرَّفَهُ بِهِ وَحَبَاهُ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ الْجُمْهُورُ مِنَ الْأُمَّةِ ، وَمَا جَهِلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ ، وَخَطَرِ مَرْتَبَتِهِ [2] ، فَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ فَجَلَسَ بِحَيْثُ أَسْمَعُ كَلَامَهُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ إِذَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ ، فَتَكَلَّمَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ الْعِزَّ بِكَمَالِهِ ، وَحَازَ الشَّرَفَ بِجَمِيعِ خِصَالِهِ ، وَنَالَ الْحُظْوَةَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنَّهُ كَانَ فَيْلَسُوفاً ، ادَّعَى الْمَرْتَبَةَ الْعُظْمىٰ ، وَالْمَنْزِلَةَ الْكُبْرىٰ ، وَأَتىٰ عَلىٰ ذَلِكَ بِمُعْجِزَاتٍ بَهَرَتِ الْعُقُولَ ، وَضَلَّتْ فِيهَا الْأَحْلَامُ ، وَغَاصَتِ الْأَلْبَابُ عَلىٰ طَلَبِ عِلْمِهَا فِي بِحَارِ الْفِكْرِ ، فَرَجَعَتْ خَاسِئَاتٌ وَهِيَ حَسِيرٌ ، فَلَمَّا اسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهِ الْعُقَلَاءُ وَالْفُصَحَاءُ وَالْخُطَبَاءُ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً ، فَقَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِ نَامُوسِهِ ، فَصَارَ يَهْتِفُ بِهِ عَلىٰ رُءُوسِ الصَّوَامِعِ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ ، وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي انْتَهَتْ إِلَيْهَا دَعْوَتُهُ ، وَعَلَتْ بِهَا كَلِمَتُهُ ، وَظَهَرَتْ فِيهَا حُجَّتُهُ ، بَرّاً وَبَحْراً ، وَسَهْلاً وَجَبَلاً ، فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

---

(١) وفي الباب حديث واحد.

(٢) الخطر: الشرف ، وارتفاع القدر والمرتبة.

خَمْسُ مَرَّاتٍ مُرَدَّداً فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لِيَتَجَدَّدَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ذِكْرُهُ ، لِئَلَّا يُخْمَلَ أَمْرُهُ.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: دَعْ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَدْ تَحَيَّرَ فِيهِ عَقْلِي ، وَضَلَّ فِي أَمْرِهِ فِكْرِي ، وَحَدِّثْنَا فِي ذِكْرِ الْأَصْلِ الَّذِي يَمْشِي بِهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْتِدَاءَ الْأَشْيَاءَ ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ بِإِهْمَالٍ ، لَا صَنْعَةَ فِيهِ وَلَا تَقْدِيرَ ، وَلَا صَانِعَ لَهُ وَلَا مُدَبِّرَ ، بَلِ الْأَشْيَاءُ تَتَكَوَّنُ مِنْ ذَاتِهَا بِلَا مُدَبِّرٍ ، وَعَلَىٰ هَذَا كَانَتِ الدُّنْيَا لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ.

بيان: الحوز: الجمع ، وكلّ من ضمّ إلى نفسه شيئاً فقد حازه.

و«الْحُظْوَةَ» ـ بالضمّ والكسر والحاء المهملة والظاء المعجمة ـ: المكانة ، والمنزلة، والفيلسوف: العالم، وخساء البصر أي كلّ، والناموس: صاحب السرّ المطّلع على أمرك ، أو صاحب سرّ الخير ، وجبرئيل عليه السلام. والحاذق ومن يلطف مدخله، ذكرها الفيروزآباديّ، ومراده هنا الربّ تعالى شأنه.

وخمل ذكره: خفي ، والخامل: الساقط الذي لا نباهة له.

وقوله: «الَّذِي يَمْشِي بِهِ» أي يذهب إلى دين محمّد صلّى اللّه عليه وآله وغيره بسببه ، أو يهتدي به ، كقوله تعالى: ﴿ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (١) ، وفي بعض النسخ: يسمّي إمّا بالتشديد أي يذكر اسمه ، أو بالتخفيف أي يرتفع الناس به ، ويدّعون الانتساب إليه.

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي غَضَباً وَغَيْظاً وَحَنَقاً (١) فَقُلْتُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ! أَلْحَدْتَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَأَنْكَرْتَ الْبَارِئَ جَلَّ قُدْسُهُ، الَّذِي خَلَقَكَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَصَوَّرَكَ فِي أَتَمِّ صُورَةٍ، وَنَقَلَكَ فِي أَحْوَالِكَ حَتَّىٰ بَلَغَ بِكَ إِلَىٰ حَيْثُ انْتَهَيْتَ، فَلَوْ تَفَكَّرْتَ فِي نَفْسِكَ، وَصَدَقَكَ لَطِيفُ حِسِّكَ، لَوَجَدْتَ دَلَائِلَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَآثَارَ الصَّنْعَةِ فِيكَ قَائِمَةً، وَشَوَاهِدَهُ جَلَّ وَتَقَدَّسَ فِي خَلْقِكَ وَاضِحَةً، وَبَرَاهِينَهُ لَكَ لَائِحَةً؟

فَقَالَ: يَا هَذَا، إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ كَلَّمْنَاكَ، فَإِنْ ثَبَتَ لَكَ حُجَّةٌ تَبِعْنَاكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ فَلَا كَلَامَ لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ فَمَا هَكَذَا يُخَاطِبُنَا، وَلَا بِمِثْلِ دَلِيلِكَ يُجَادِلُنَا، وَلَقَدْ سَمِعَ مِنْ كَلَامِنَا أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعْتَ، فَمَا أَفْحَشَ فِي خِطَابِنَا، وَلَا تَعَدَّىٰ فِي جَوَابِنَا، وَإِنَّهُ لَلْحَلِيمُ الرَّزِينُ، الْعَاقِلُ الرَّصِينُ، لَا يَعْتَرِيهِ (٢) خُرْقٌ وَلَا طَيْشٌ وَلَا نَزَقٌ، وَيَسْمَعُ كَلَامَنَا، وَيُصْغِي إِلَيْنَا، وَيَسْتَعْرِفُ حُجَّتَنَا، حَتَّى اسْتَفْرَغْنَا مَا عِنْدَنَا، وَظَنَنَّا أَنَّا قَدْ قَطَعْنَاهُ، أَدْحَضَ حُجَّتَنَا بِكَلَامٍ يَسِيرٍ، وَخِطَابٍ قَصِيرٍ، يُلْزِمُنَا بِهِ الْحُجَّةَ، وَيَقْطَعُ الْعُذْرَ، وَلَا نَسْتَطِيعُ لِجَوَابِهِ رَدّاً، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَخَاطِبْنَا بِمِثْلِ خِطَابِهِ.

بيان: «وَصَدَقَكَ» بالتخفيف، أي قال لك صدقاً.

«لَطِيفُ حِسِّكَ» أي حسّك اللطيف، أي لم يلتبس على حسّك

---

(١) الحنق: شدّة الاغتياظ.

(٢) أي لا يصيبه.

غرائب صنع اللّه فيك لمعاندتك للحقّ ، وفي بعض النسخ : حسنك ، فالمراد بصدق الحسن ظهور ما أخفى اللّه فيه منه على الناظر ، وعلى الوجهين يمكن أن يقرأ صدقك بالتشديد بتكلّف لا يخفى على المتأمّل .

و« الرَّزِين » الوقور .

و« الرَّصِين » ـ بالصاد المهملة ـ : الحكم الثابت ، والخرق ـ بالضمّ ـ ضدّ الرفق ، والنزق : الطيش والخفّة عند الغضب .

وقوله : « اسْتَفْرَغْنَا » لعلّه من الإفراغ بمعنى الصبّ . قال الفيروزآباديّ : استفرغ مجهوده : بذل طاقته ، والإدحاض : الإبطال .

قَالَ الْمُفَضَّلُ : فَخَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ مَحْزُوناً مُفَكِّراً فِيمَا بُلِيَ بِهِ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْ كُفْرِ هَذِهِ الْعِصَابَةِ ، وَتَعْطِيلِهَا (١) ، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ مَوْلَايَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَرَآنِي مُنْكَسِراً ، فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا سَمِعْتُ مِنَ الدَّهْرِيِّينَ (٢) ، وَبِمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَ : لَأُلْقِيَنَّ إِلَيْكَ مِنْ حِكْمَةِ الْبَارِئِ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ اسْمُهُ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ ، وَالسِّبَاعِ ، وَالْبَهَائِمِ ، وَالطَّيْرِ ، وَالْهَوَامِّ ، وَكُلِّ ذِي رُوحٍ مِنَ الْأَنْعَامِ ، وَالنَّبَاتِ ، وَالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ وَغَيْرِ ذَاتِ الثَّمَرِ ، وَالْحُبُوبِ ، وَالْبُقُولِ ، الْمَأْكُولِ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِ الْمَأْكُولِ ، مَا يَعْتَبِرُ بِهِ الْمُعْتَبِرُونَ ، وَيَسْكُنُ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ الْمُلْحِدُونَ ، فَبَكِّرْ عَلَيَّ غَداً .

(١) العصابة : الجماعة من الرجال .

(٢) الدهريّ : الملحد القائل : بأنّ العالم موجود أزلاً وأبداً ، لا صانع له .

(المجلس الأول) :

قَالَ الْمُفَضَّلُ : فَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَرِحاً مَسْرُوراً ، وَطَالَتْ عَلَيَّ تِلْكَ اللَّيْلَةُ انْتِظَاراً لِمَا وَعَدَنِي بِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ ، فَاسْتُوذِنَ لِي فَدَخَلْتُ ، وَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ ، ثُمَّ نَهَضَ إِلىٰ حُجْرَةٍ كَانَ يَخْلُو فِيهَا فَنَهَضْتُ بِنُهُوضِهِ ، فَقَالَ : اتْبَعْنِي فَتَبِعْتُهُ ، فَدَخَلَ وَدَخَلْتُ خَلْفَهُ ، فَجَلَسَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَقَالَ : يَا مُفَضَّلُ ، كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ اللَّيْلَةُ انْتِظَاراً لِمَا وَعَدْتُكَ ؟ فَقُلْتُ : أَجَلْ يَا مَوْلَايَ ، فَقَالَ : يَا مُفَضَّلُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَهُوَ بَاقٍ وَلَا نِهَايَةَ لَهُ ، فَلَهُ الْحَمْدُ عَلىٰ مَا أَلْهَمَنَا ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلىٰ مَا مَنَحَنَا ، وَقَدْ خَصَّنَا مِنَ الْعُلُومِ بِأَعْلَاهَا ، وَمِنَ الْمَعَالِي بِأَسْنَاهَا ، وَاصْطَفَانَا عَلىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ بِعِلْمِهِ ، وَجَعَلَنَا مُهَيْمِنِينَ عَلَيْهِمْ بِحِكَمِهِ ، فَقُلْتُ : يَا مَوْلَايَ ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكْتُبَ مَا تَشْرَحُهُ - وَكُنْتُ أَعْدَدْتُ مَعِي مَا أَكْتُبُ فِيهِ - فَقَالَ لِي : افْعَلْ .

بيان : أسناها أي أرفعها ، أو أضوؤها ، والمهيمن : الأمين والمؤتمن والشاهد .

يَا مُفَضَّلُ ! إِنَّ الشُّكَّاكَ جَهِلُوا الْأَسْبَابَ وَالْمَعَانِيَ فِي الْخِلْقَةِ ، وَقَصُرَتْ أَفْهَامُهُمْ عَنْ تَأَمُّلِ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ فِيمَا ذَرَأَ (١) الْبَارِئُ جَلَّ قُدْسُهُ ،

---

(١) أي خلق .

وَبَرَأَ (١) مِنْ صُنُوفِ خَلْقِهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَالسَّهْلِ وَالْوَعْرِ (٢) ، فَخَرَجُوا بِقِصَرِ عُلُومِهِمْ إِلَى الْجُحُودِ ، وَبِضَعْفِ بَصَائِرِهِمْ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالْعُنُودِ ، حَتّىٰ أَنْكَرُوا خَلْقَ الْأَشْيَاءِ ، وَادَّعَوْا أَنَّ كَوْنَهَا بِالْإِهْمَالِ لَا صَنْعَةَ فِيهَا وَلَا تَقْدِيرَ ، وَلَا حِكْمَةَ مِنْ مُدَبِّرٍ ، وَلَا صَانِعٍ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنّىٰ يُؤْفَكُونَ ، فَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ وَعَمَاهُمْ وَتَحَيُّرِهِمْ بِمَنْزِلَةِ عُمْيَانٍ دَخَلُوا دَاراً قَدْ بُنِيَتْ أَتْقَنَ بِنَاءٍ وَأَحْسَنَهُ ، وَفُرِشَتْ بِأَحْسَنِ الْفُرُشِ وَأَفْخَرِهِ ، وَأُعِدَّ فِيهَا ضُرُوبُ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْمَلَابِسِ ، وَالْمَآرِبِ (٣) الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا ، لَا يُسْتَغْنىٰ عَنْهَا ، وَوُضِعَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ عَلىٰ صَوَابٍ مِنَ التَّقْدِيرِ ، وَحِكْمَةٍ مِنَ التَّدْبِيرِ ، فَجَعَلُوا يَتَرَدَّدُونَ فِيهَا يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَيَطُوفُونَ بُيُوتَهَا إِدْبَاراً وَإِقْبَالاً ، مَحْجُوبَةً أَبْصَارُهُمْ عَنْهَا ، لَا يُبْصِرُونَ بُنْيَةَ الدَّارِ (٤) وَمَا أُعِدَّ فِيهَا ، وَرُبَّمَا عَثَرَ بَعْضُهُمْ بِالشَّيْءِ الَّذِي قَدْ وُضِعَ مَوْضِعَهُ ، وَأُعِدَّ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ جَاهِلٌ بِالْمَعْنىٰ فِيهِ ، وَلِمَا أُعِدَّ ، وَلِمَاذَا جُعِلَ كَذَلِكَ ، فَتَذَمَّرَ وَتَسَخَّطَ ، وَذَمَّ الدَّارَ وَبَانِيَهَا ، فَهَذِهِ حَالُ هَذَا الصِّنْفِ فِي إِنْكَارِهِمْ مَا أَنْكَرُوا مِنْ أَمْرِ الْخِلْقَةِ ، وَثَبَاتِ الصَّنْعَةِ (٥) ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا غَرَبَتْ (٦) أَذْهَانُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ فِي الْأَشْيَاءِ

---

(١) أي خلقه من العدم.
(٢) وعر الأرض : صلب وصعب السير فيه ، ضدّ السهل.
(٣) المآرب : الحوائج.
(٤) وفي نسخة : هيئة الدار.
(٥) وفي نسخة : إثبات الصنعة.
(٦) في نسخة : عزبت ، وفي نسخة أُخرى : غبت ، وفي ثالثة : وعرت.

صَارُوا يَجُولُونَ فِي هَذَا الْعَالَمِ حَيَارىٰ ، وَلَا يَفْهَمُونَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ إِتْقَانِ خِلْقَتِهِ ، وَحُسْنِ صَنْعَتِهِ ، وَصَوَابِ تَهْيِئَتِهِ ، وَرُبَّمَا وَقَفَ بَعْضُهُمْ عَلَى الشَّيْءِ لِجَهْلِ سَبَبِهِ وَالْإِرْبِ فِيهِ ، فَيُسْرِعُ إِلىٰ ذَمِّهِ ، وَوَصْفِهِ بِالْإِحَالَةِ وَالْخَطإِ ، كَالَّذِي أَقْدَمَتْ عَلَيْهِ الْمَانَوِيَّةُ الْكَفَرَةُ ، وَجَاهَرَتْ بِهِ الْمُلْحِدَةُ الْمَارِقَةُ الْفَجَرَةُ ، وَأَشْبَاهُهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ الْمُعَلِّلِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُحَالِ ، فَيَحِقُّ عَلىٰ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَتِهِ ، وَهَدَاهُ لِدِينِهِ ، وَوَفَّقَهُ لِتَأَمُّلِ التَّدْبِيرِ فِي صَنْعَةِ الْخَلَائِقِ ، وَالْوُقُوفِ عَلىٰ مَا خُلِقُوا لَهُ مِنْ لَطِيفِ التَّدْبِيرِ ، وَصَوَابِ التَّعْبِيرِ ، بِالدَّلَالَةِ الْقَائِمَةِ الدَّالَّةِ عَلىٰ صَانِعِهَا ، أَنْ يُكْثِرَ حَمْدَ اللَّهِ مَوْلَاهُ عَلىٰ ذَلِكَ ، وَيَرْغَبَ إِلَيْهِ فِي الثَّبَاتِ عَلَيْهِ ، وَالزِّيَادَةِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .

بيان: «قاتَلَهُمُ اللَّهُ» أي قتلهم ، أو لعنهم ، «أَنّىٰ يُؤْفَكُونَ» كيف يصرفون عن الحقّ .

وقال الجوهريّ : ظلّ يتذمّر على فلان : إذا تنكّر له ، وأوعده ، انتهى .

و«غَرَبَتْ» بمعنى غابت ، «الْإِرْبِ» ـ بالفتح والكسر ـ : الحاجة ، ووصفه بالإحالة أي بأنّه يستحيل أن يكون له خالق مدبّر ، أو يستحيل أن يكون من فعله تعالى .

و«الْمَانَوِيَّة» فرقة من الثنويّة أصحاب ماني الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير ، وأحدث ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة ، وكان يقول بنبوّة المسيح على نبيّنا وآله وعليه السلام ولا يقول بنبوّة موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام ، وزعم أنّ العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين :

أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وهؤلاء ينسبون الخيرات إلى النور ، والشرور إلى الظلمة ، وينسبون خلق السباع والموذيات والعقارب والحيّات إلى الظلمة ، فأشار عليه السلام إلى فساد وهمهم بأنّ هذا لجهلهم بمصالح هذه السباع والعقارب والحيّات التي يزعمون أنّها من الشرور التي لا يليق بالحكيم خلقها.

قوله عليه السلام: «الْمُعَلِّلِينَ» أي الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربّهم بأُمور يحكم العقل السليم باستحالته.

قال الفيروزآباديّ: علّله بطعام وغيره تعليلاً: شغله به.

يَا مُفَضَّلُ ! أَوَّلُ الْعِبَرِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَى الْبَارِئِ جَلَّ قُدْسُهُ تَهْيِئَةُ هٰذَا الْعَالَمِ ، وَتَأْلِيفُ أَجْزَائِهِ وَنَظْمُهَا عَلىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْعَالَمَ بِفِكْرِكَ ، وَمَيَّزْتَهُ بِعَقْلِكَ ، وَجَدْتَهُ كَالْبَيْتِ الْمَبْنِيِّ الْمُعَدِّ فِيهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِبَادُهُ ، فَالسَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ كَالسَّقْفِ ، وَالْأَرْضُ مَمْدُودَةٌ كَالْبِسَاطِ ، وَالنُّجُومُ مَنْضُودَةٌ كَالْمَصَابِيحِ ، وَالْجَوَاهِرُ مَخْزُونَةٌ كَالذَّخَائِرِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهَا لِشَأْنِهِ مُعَدٌّ ، وَالْإِنْسَانُ كَالْمُمَلَّكِ ذٰلِكَ الْبَيْتَ ، وَالْمُخَوَّلِ جَمِيعَ مَا فِيهِ ، وَضُرُوبُ النَّبَاتِ مُهَيَّأَةٌ لِمَآرِبِهِ ، وَصُنُوفُ الْحَيَوَانِ مَصْرُوفَةٌ فِي مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ ، فَفِي هٰذَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلىٰ أَنَّ الْعَالَمَ مَخْلُوقٌ بِتَقْدِيرٍ وَحِكْمَةٍ وَنِظَامٍ وَمُلَائَمَةٍ ، وَأَنَّ الْخَالِقَ لَهُ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَلَّفَهُ وَنَظَّمَهُ بَعْضاً إِلىٰ بَعْضٍ ، جَلَّ قُدْسُهُ ، وَتَعَالىٰ جَدُّهُ ، وَكَرُمَ وَجْهُهُ ، وَلَا إِلٰهَ غَيْرُهُ ، تَعَالىٰ عَمَّا يَقُولُ الْجَاحِدُونَ ، وَجَلَّ وَعَظُمَ عَمَّا يَنْتَحِلُهُ الْمُلْحِدُونَ.

بيان: قال الفيروزآباديّ: نضد متاعه ينضده: جعل بعضه فوق بعض فهو منضود، انتهى، والتخويل: الإعطاء والتمليك.

قوله: «وَأَنَّ الْخَالِقَ لَهُ وَاحِدٌ».

أقول: أشار عليه السلام بذلك إلى أقوى براهين التوحيد [1]، وهو أنّ ائتلاف أجزاء العالم، واحتياج بعضها إلى بعض، وانتظام بعضها ببعض، يدلّ على وحدة مدبّرها، كما أنّ ارتباط أجزاء الشخص بعضها ببعض، وانتظام بعض أعضائه مع بعض، يدلّ على وحدة مدبّره، وقد قيل في تطبيق العالم الكبير على العالم الصغير لطائف لا يسع المقام ذكرها، وربّما يستدلّ عليه أيضاً بما قد تقرّر من أنّ المتلازمين إمّا أن يكون أحدهما علّة للآخر، أو هما معلولا علّة ثالثة، وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد.

نَبْتَدِئُ - يَا مُفَضَّلُ - بِذِكْرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فَاعْتَبِرْ بِهِ.

فَأَوَّلُ ذَلِكَ مَا يُدَبَّرُ بِهِ الْجَنِينُ فِي الرَّحِمِ، وَهُوَ مَحْجُوبٌ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ: ظُلْمَةِ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةِ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةِ الْمَشِيمَةِ، حَيْثُ لَا حِيلَةَ عِنْدَهُ فِي طَلَبِ غِذَاءٍ، وَلَا دَفْعِ أَذىً، وَلَا اسْتِجْلَابِ مَنْفَعَةٍ، وَلَا دَفْعِ مَضَرَّةٍ، فَإِنَّهُ يَجْرِي إِلَيْهِ مِنْ دَمِ الْحَيْضِ مَا يَغْذُوهُ كَمَا يَغْذُو الْمَاءُ النَّبَاتَ.

فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ غِذَاؤَهُ حَتَّىٰ إِذَا كَمَلَ خَلْقُهُ، وَاسْتَحْكَمَ بَدَنُهُ، وَقَوِيَ

(١) الذي وصف عليه السلام به هذا الدليل هو أنّه أوّل الأدلّة، أي أقرب الأدلّة منّا إذا أردنا التفهّم بالاستدلال، وأمّا كونه أقواها - كما ذكره رحمه الله - فلعلّ هناك ما هو أقوى منه وإن كان أبعد من أفهامنا، كما بيّن في محلّه (الطباطبائي).

أَدِيمُهُ عَلىٰ مُبَاشَرَةِ الْهَوَاءِ، وَبَصَرُهُ عَلىٰ مُلَاقَاةِ الضِّيَاءِ، هَاجَ الطَّلْقُ بِأُمِّهِ، فَأَزْعَجَهُ أَشَدَّ إِزْعَاجٍ وَأَعْنَفَهُ حَتّىٰ يُولَدَ، وَإِذَا وُلِدَ صَرَفَ ذَلِكَ الدَّمَ الَّذِي كَانَ يَغْذُوهُ مِنْ دَمِ أُمِّهِ إِلىٰ ثَدْيَيْهَا، فَانْقَلَبَ الطَّعْمُ وَاللَّوْنُ إِلىٰ ضَرْبٍ آخَرَ مِنَ الْغِذَاءِ، وَهُوَ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِلْمَوْلُودِ مِنَ الدَّمِ، فَيُوَافِيهِ فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، فَحِينَ يُولَدُ قَدْ تَلَمَّظَ وَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ طَلَباً لِلرَّضَاعِ، فَهُوَ يَجِدُ ثَدْيَيْ أُمِّهِ كَالْإِدَاوَتَيْنِ الْمُعَلَّقَتَيْنِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ.

فَلَا يَزَالُ يَغْتَذِي بِاللَّبَنِ مَا دَامَ رَطْبَ الْبَدَنِ، رَقِيقَ الْأَمْعَاءِ، لَيِّنَ الْأَعْضَاءِ، حَتّىٰ إِذَا تَحَرَّكَ وَاحْتَاجَ إِلىٰ غِذَاءٍ فِيهِ صَلَابَةٌ لِيَشْتَدَّ، وَيَقْوىٰ بَدَنُهُ، طَلَعَتْ لَهُ الطَّوَاحِنُ مِنَ الْأَسْنَانِ وَالْأَضْرَاسِ لِيَمْضَغَ بِهِ الطَّعَامَ، فَيَلِينَ عَلَيْهِ، وَيَسْهُلَ لَهُ إِسَاغَتُهُ.

فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتّىٰ يُدْرِكَ، فَإِذَا أَدْرَكَ وَكَانَ ذَكَراً طَلَعَ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ عَلَامَةَ الذَّكَرِ، وَعِزَّ الرَّجُلِ الَّذِي يَخْرُجُ بِهِ مِنْ حَدِّ الصَّبَا وَشِبْهِ النِّسَاءِ، وَإِنْ كَانَتْ أُنْثىٰ يَبْقىٰ وَجْهُهَا نَقِيّاً مِنَ الشَّعْرِ، لِتَبْقىٰ لَهَا الْبَهْجَةُ وَالنَّضَارَةُ الَّتِي تُحَرِّكُ الرِّجَالَ لِمَا فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَبَقَاؤُهُ.

بيان: الأديم: الجلد و«الطَّلْقُ» وجع الولادة، ويقال: أزعجه أي قلعه عن مكانه، ويقال: «تَلَمَّظ» إذا أخرج لسانه فمسح به شفتيه، وتلمّظت الحيّة: إذا أخرجت لسانها كتلمّظت الأكل، والإداوة ـ بالكسر ـ: إناء صغير من جلد يتّخذ للماء، و«الطَّوَاحِنُ» الأضراس، ويطلق الأضراس غالباً على المآخير، والأسنان على المقاديم، كما هو الظاهر هنا، وإن لم يفرّق

اللغويّون بينهما، والمراد بالطواحن هنا جميع الأسنان، والإساغة: الأكل والشرب بسهولة.

اعْتَبِرْ - يَا مُفَضَّلُ - فِيمَا يُدَبَّرُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ، هَلْ تَرىٰ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِالْإِهْمَالِ؟ أَفَرَأَيْتَ لَوْ لَمْ يَجْرِ إِلَيْهِ ذَلِكَ الدَّمُ وَهُوَ فِي الرَّحِمِ أَلَمْ يَكُنْ سَيَذْوِي وَيَجِفُّ كَمَا يَجِفُّ النَّبَاتُ إِذَا فَقَدَ الْمَاءَ؟ وَلَوْ لَمْ يُزْعِجْهُ الْمَخَاضُ (١) عِنْدَ اسْتِحْكَامِهِ أَلَمْ يَكُنْ سَيَبْقىٰ فِي الرَّحِمِ كَالْمَوْءُودِ فِي الْأَرْضِ؟ وَلَوْ لَمْ يُوَافِقْهُ اللَّبَنُ مَعَ وِلَادَتِهِ أَلَمْ يَكُنْ سَيَمُوتُ جُوعاً أَوْ يَغْتَذِي بِغِذَاءٍ لَا يُلَائِمُهُ، وَلَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ بَدَنُهُ؟ وَلَوْ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِ الْأَسْنَانُ فِي وَقْتِهَا أَلَمْ يَكُنْ سَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَضْغُ الطَّعَامِ وَإِسَاغَتُهُ، أَوْ يُقِيمُهُ عَلَى الرَّضَاعِ فَلَا يَشُدُّ بَدَنُهُ، وَلَا يَصْلُحُ لِعَمَلٍ، ثُمَّ كَانَ تَشْتَغِلُ أُمُّهُ بِنَفْسِهِ عَنْ تَرْبِيَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلَادِ؟ وَلَوْ لَمْ يَخْرُجِ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ فِي وَقْتِهِ أَلَمْ يَكُنْ سَيَبْقىٰ فِي هَيْئَةِ الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ فَلَا تَرىٰ لَهُ جَلَالَةً وَلَا وَقَاراً؟

فَقَالَ الْمُفَضَّلُ: فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ! فَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ يَبْقىٰ عَلىٰ حَالَتِهِ، وَلَا يَنْبُتُ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ وَإِنْ بَلَغَ حَالَ الْكِبَرِ؟ فَقَالَ: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٢)، فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْصُدُهُ حَتّىٰ يُوَافِيَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَآرِبِ، إِلَّا الَّذِي أَنْشَأَهُ خَلْقاً بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، ثُمَّ تَوَكَّلَ لَهُ بِمَصْلَحَتِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ، فَإِنْ كَانَ الْإِهْمَالُ يَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا التَّدْبِيرِ

(١) المخاض: وجع الولادة، وهو الطلق.
(٢) سورة آل عمران: ١٨٢.

فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَمْدُ وَالتَّقْدِيرُ يَأْتِيَانِ بِالْخَطَإِ وَالْمُحَالِ؛ لِأَنَّهُمَا ضِدُّ الْإِهْمَالِ، وَهَذَا فَظِيعٌ (١) مِنَ الْقَوْلِ، وَجَهْلٌ مِنْ قَائِلِهِ؛ لِأَنَّ الْإِهْمَالَ لَا يَأْتِي بِالصَّوَابِ، وَالتَّضَادَّ لَا يَأْتِي بِالنِّظَامِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُلْحِدُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

وَلَوْ كَانَ الْمَوْلُودُ يُولَدُ فَهِماً عَاقِلاً لَأَنْكَرَ الْعَالَمَ عِنْدَ وِلَادَتِهِ، وَلَبَقِيَ حَيْرَانَ تَائِهَ الْعَقْلِ (٢) إِذَا رَأَىٰ مَا لَمْ يَعْرِفْ، وَوَرَدَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَرَ مِثْلَهُ مِنِ اخْتِلَافِ صُوَرِ الْعَالَمِ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُشَاهِدُهُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، وَيَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ.

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّ مَنْ سُبِيَ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ وَهُوَ عَاقِلٌ، يَكُونُ كَالْوَالِهِ الْحَيْرَانِ، فَلَا يُسْرِعُ فِي تَعَلُّمِ الْكَلَامِ، وَقَبُولِ الْأَدَبِ، كَمَا يُسْرِعُ الَّذِي يُسْبىٰ صَغِيراً غَيْرَ عَاقِلٍ.

ثُمَّ لَوْ وُلِدَ عَاقِلاً كَانَ يَجِدُ غَضَاضَةً إِذَا رَأَىٰ نَفْسَهُ مَحْمُولاً مُرْضَعاً مُعَصَّباً بِالْخِرَقِ، مُسَجّىً فِي الْمَهْدِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ هَذَا كُلِّهِ لِرِقَّةِ بَدَنِهِ وَرُطُوبَتِهِ حِينَ يُولَدُ، ثُمَّ كَانَ لَا يُوجَدُ لَهُ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالْوَقْعِ مِنَ الْقُلُوبِ مَا يُوجَدُ لِلطِّفْلِ، فَصَارَ يَخْرُجُ إِلَى الدُّنْيَا غَبِيّاً غَافِلاً عَمَّا فِيهِ أَهْلُهُ، فَيَلْقَى الْأَشْيَاءَ بِذِهْنٍ ضَعِيفٍ، وَمَعْرِفَةٍ نَاقِصَةٍ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَزَايَدُ فِي الْمَعْرِفَةِ

---

(١) فظع الأمر: اشتدّت شناعته، وجاوز المقدار في ذلك.
(٢) أي ضائع العقل.

قَلِيلاً قَلِيلاً ، وَشَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ ، وَحَالاً بَعْدَ حَالٍ ، حَتّىٰ يَأْلَفَ الْأَشْيَاءَ ، وَيَتَمَرَّنَ وَيَسْتَمِرَّ عَلَيْهَا ، فَيَخْرُجَ مِنْ حَدِّ التَّأَمُّلِ لَهَا ، وَالْحَيْرَةِ فِيهَا إِلَى التَّصَرُّفِ وَالاضْطِرَابِ إِلَى الْمَعَاشِ بِعَقْلِهِ وَحِيلَتِهِ ، وَإِلَى الاعْتِبَارِ وَالطَّاعَةِ وَالسَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَفِي هَذَا أَيْضاً وُجُوهٌ أُخَرُ ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ يُولَدُ تَامَّ الْعَقْلِ مُسْتَقِلّاً بِنَفْسِهِ لَذَهَبَ مَوْضِعُ حَلَاوَةِ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ ، وَمَا قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ لِلْوَالِدَيْنِ فِي الاشْتِغَالِ بِالْوَلَدِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ، وَمَا يُوجِبُ تَرْبِيَةً لِلْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ مِنَ الْمُكَلَّفَاتِ[1] بِالْبِرِّ ، وَالْعَطْفِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلىٰ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ كَانَ الْأَوْلَادُ لَا يَأْلَفُونَ آبَاءَهُمْ ، وَلَا يَأْلَفُ الْآبَاءُ أَبْنَاءَهُمْ ؛ لِأَنَّ الْأَوْلَادَ كَانُوا يَسْتَغْنُونَ عَنْ تَرْبِيَةِ الْآبَاءِ وَحِيَاطَتِهِمْ[2] ، فَيَتَفَرَّقُونَ عَنْهُمْ حِينَ يُولَدُونَ ، فَلَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ نِكَاحِ أُمِّهِ وَأُخْتِهِ ، وَذَوَاتِ الْمَحَارِمِ مِنْهُ إِذَا كَانَ لَا يَعْرِفُهُنَّ ، وَأَقَلُّ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَبَاحَةِ بَلْ هُوَ أَشْنَعُ وَأَعْظَمُ وَأَفْظَعُ وَأَقْبَحُ وَأَبْشَعُ لَوْ خَرَجَ الْمَوْلُودُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَهُوَ يَعْقِلُ أَنْ يَرىٰ مِنْهَا مَا لَا يَحِلُّ لَهُ ، وَلَا يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَرَاهُ ، أَفَلَا تَرىٰ كَيْفَ أُقِيمَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْخِلْقَةِ عَلىٰ غَايَةِ الصَّوَابِ ، وَخَلَا مِنَ الْخَطَإِ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ .

بيان : « أَفَرَأَيْتَ » أي أخبرني ، قال الزمخشريّ : لمّا كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً ، وصحّة الخبر عنها ،

---

(١) وفي نسخة : من المكافاة .

(٢) أي حفظهم وتعهّدهم .

استعملوا أرأيت بمعنى أخبر، انتهى.

ويقال: ذوى العود أي يبس، والموءود: الذي دفن في الأرض حيّاً كما كان المشركون يفعلون في الجاهليّة ببناتهم.

قوله عليه السلام: «أَوْ يُقِيمُه» أي عدم طلوع الأسنان.

قوله عليه السلام: «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» يحتمل أن يكون هذا لتعذيب الآباء وإن كان الأولاد يؤجرون لقباحة منظرهم، أو للأولاد لما كان في علمه تعالى صدوره عنهم باختيارهم. و«يَرْصُدُهُ» أي يرقبه.

قوله عليه السلام: «فَإِنْ كَانَ الْإِهْمَالُ» أي إذا لم يكن الأشياء منوطة بأسبابها، ولم ترتبط الأمور بعللها، فكما جاز أن يحصل هذا الترتيب والنظام التامّ بلا سبب، فجاز أن يصير التدبير في الأُمور سبباً لاختلالها، وهذا خلاف ما يحكم به عقول كافّة الخلق لما نرى من سعيهم في تدبير الأُمور، وذمّهم من يأتي بها على غير تأمّل وروية.

ويحتمل أن يكون المراد أنّ الوجدان يحكم بتضادّ آثار الأُمور المتضادّة، وربّما أمكن إقامة البرهان عليه أيضاً، فإذا أتى الإهمال بالصواب يجب أن يأتي ضدّه، وهو التدبير بالخطإ، وهذا أفظع وأشنع.

والمراد بالمحال: الأمر الباطل الذي لم يأت على وجهه الذي ينبغي أن يكون عليه، قال الفيروزآباديّ: المحال من الكلام -بالضمّ-: ما عدل عن وجهه، انتهى.

والتيه: الضلال والحيرة، والغضاضة -بالفتح-: الذلّة والمنقصة.

وقوله عليه السلام: «مُعَصَّباً» أي مشدوداً، والتسجية: التغطية بثوب يمدّ عليه، والغبي -على فعيل-: قليل الفطنة والاعتبار، من العِبرة، وذكر

في مقابله السهو والغفلة.

وقوله: «وَمَا قُدِّرَ» و«وَمَا يُوجِبُ» كلاهما معطوفان على موضع.

وقوله: «مِنَ الْـمُكَلَّفَاتِ» بيان لما يوجب، أي لذهب التكاليف المتعلّقة بالأولاد بأن يبرّوا آباءهم، ويعطفوا عليهم عند حاجة الآباء إلى تربيتهم، وإعانتهم لكبرهم وضعفهم، جزاء لما قاسوا من الشدائد في تربيتهم.

قوله: «أَنْ يَرىٰ» خبر لقوله: «أَقَلُّ مَا فِي ذَلِكَ».

اعْرِفْ -يَا مُفَضَّلُ!- مَا لِلأَطْفَالِ فِي الْبُكَاءِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي أَدْمِغَةِ الأَطْفَالِ رُطُوبَةً إِنْ بَقِيَتْ فِيهَا أَحْدَثَتْ عَلَيْهِمْ أَحْدَاثاً جَلِيلَةً، وَعِلَلاً عَظِيمَةً، مِنْ ذَهَابِ الْبَصَرِ وَغَيْرِهِ، فَالْبُكَاءُ يُسِيلُ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ فَيُعْقِبُهُمْ ذَلِكَ الصِّحَّةَ فِي أَبْدَانِهِمْ، وَالسَّلَامَةَ فِي أَبْصَارِهِمْ، أَفَلَيْسَ قَدْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الطِّفْلُ يَنْتَفِعُ بِالْبُكَاءِ وَوَالِدَاهُ لَا يَعْرِفَانِ ذَلِكَ، فَهُمَا دَائِبَانِ لِيُسْكِتَاهُ، وَيَتَوَخَّيَانِ فِي الأُمُورِ مَرْضَاتَهُ لِئَلَّا يَبْكِيَ، وَهُمَا لَا يَعْلَمَانِ أَنَّ الْبُكَاءَ أَصْلَحُ لَهُ، وَأَجْمَلُ عَاقِبَةً، فَهَكَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَشْيَاءِ مَنَافِعُ لَا يَعْرِفُهَا الْقَائِلُونَ بِالإِهْمَالِ، وَلَوْ عَرَفُوا ذَلِكَ لَمْ يَقْضُوا عَلَى الشَّيْءِ أَنَّهُ لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَلَا يَعْلَمُونَ السَّبَبَ فِيهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْمُنْكِرُونَ يَعْلَمُهُ الْعَارِفُونَ[1]، وَكَثِيرٌ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ عِلْمُ الْمَخْلُوقِينَ مُحِيطٌ بِهِ عِلْمُ الْخَالِقِ جَلَّ قُدْسُهُ، وَعَلَتْ

(١) وفي نسخة: يعرفه العارفون.

كَلِمَتُهُ.

فَأَمَّا مَا يَسِيلُ مِنْ أَفْوَاهِ الْأَطْفَالِ مِنَ الرِّيقِ، فَفِي ذَلِكَ خُرُوجُ الرُّطُوبَةِ الَّتِي لَوْ بَقِيَتْ فِي أَبْدَانِهِمْ لَأَحْدَثَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورَ الْعَظِيمَةَ، كَمَنْ تَرَاهُ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الرُّطُوبَةُ فَأَخْرَجَتْهُ إِلىٰ حَدِّ الْبَلَهِ (١) وَالْجُنُونِ وَالتَّخْلِيطِ (٢)، إِلىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ، كَالْفَالِجِ وَاللَّقْوَةِ (٣) وَمَا أَشْبَهَهُمَا، فَجَعَلَ اللَّهُ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ تَسِيلُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ فِي صِغَرِهِمْ لِمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الصِّحَّةِ فِي كِبَرِهِمْ، فَتَفَضَّلَ عَلىٰ خَلْقِهِ بِمَا جَهِلُوهُ، وَنَظَرَ لَهُمْ بِمَا لَمْ يَعْرِفُوهُ، وَلَوْ عَرَفُوا نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ لَشَغَلَهُمْ ذَلِكَ عَنِ التَّمَادِي فِي مَعْصِيَتِهِ، فَسُبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ نِعْمَتَهُ وَأَسْبَغَهَا عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَعَالىٰ عَمَّا يَقُولُ الْمُبْطِلُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

بيان: الدؤوب: الجدّ والتعب، والتوخّي: التحرّي والقصد.

وقوله عليه السلام: «كُلَّ مَا لَا يَعْرِفُه» أي ممّا لا يقصر عنه علم المخلوقين، ويقال: أبطل أي جاء بالباطل.

انْظُرِ الْآنَ يَا مُفَضَّلُ! كَيْفَ جُعِلَتْ آلَاتُ الْجِمَاعِ فِي الذَّكَرِ وَالْأُنْثىٰ جَمِيعاً عَلىٰ مَا يُشَاكِلُ ذَلِكَ، فَجُعِلَ لِلذَّكَرِ آلَةٌ نَاشِزَةٌ (٤)، تَمْتَدُّ حَتّىٰ

---

(١) أي ضعف العقل، وعجز الرأي.

(٢) أي اضطراب العقل واختلاله.

(٣) اللقوة: علّة ينجذب لها شقّ الوجه إلى جهة غير طبيعيّة، فيخرج النفخة والبزقة من جانب واحد، ولا يحسن التقاء الشفتين، ولا ينطبق إحدى العينين.

(٤) أي رافعة، وفي نسخة: ناشرة.

تَصِلَ النُّطْفَةُ إِلَى الرَّحِمِ؛ إِذْ كَانَ مُحْتَاجاً إِلىٰ أَنْ يَقْذِفَ مَاءَهُ فِي غَيْرِهِ، وَخُلِقَ لِلْأُنْثىٰ وِعَاءٌ قَعِرٌ لِيَشْتَمِلَ عَلَى الْمَاءَيْنِ جَمِيعاً، وَيَحْتَمِلَ الْوَلَدَ، وَيَتَّسِعَ لَهُ، وَيَصُونَهُ حَتّىٰ يَسْتَحْكِمَ، أَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِ حَكِيمٍ لَطِيفٍ، ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١).

بيان: المشاكلة: المشابهة والمناسبة، واسم الإشارة راجع إلى ما مضى من التدبير في الخلق، ويحتمل إرجاعه إلى الجماع.

فَكِّرْ - يَا مُفَضَّلُ - فِي أَعْضَاءِ الْبَدَنِ أَجْمَعَ، وَتَدْبِيرِ كُلٍّ مِنْهَا لِلْإِرْبِ، فَالْيَدَانِ لِلْعِلَاجِ، وَالرِّجْلَانِ لِلسَّعْيِ، وَالْعَيْنَانِ لِلاهْتِدَاءِ، وَالْفَمُ لِلاغْتِذَاءِ، وَالْمَعِدَةُ لِلْهَضْمِ، وَالْكَبِدُ لِلتَّخْلِيصِ (٢)، وَالْمَنَافِذُ لِتَنْفِيذِ الْفُضُولِ (٣)، وَالْأَوْعِيَةُ لِحَمْلِهَا، وَالْفَرْجُ لِإِقَامَةِ النَّسْلِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا، وَأَعْمَلْتَ فِكْرَكَ فِيهَا وَنَظَرَكَ، وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا قَدْ قُدِّرَ لِشَيْءٍ عَلىٰ صَوَابٍ وَحِكْمَةٍ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ! إِنَّ قَوْماً يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الطَّبِيعَةِ؟ فَقَالَ: سَلْهُمْ عَنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ، أَهِيَ شَيْءٌ لَهُ عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ عَلىٰ مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، أَمْ لَيْسَتْ كَذَلِكَ؟ فَإِنْ أَوْجَبُوا لَهَا الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ فَمَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِثْبَاتِ الْخَالِقِ، فَإِنَّ هَذِهِ صَنْعَتُهُ، وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهَا تَفْعَلُ هَذِهِ

---

(١) سورة يونس: ١٨. سورة النحل: ١. سورة الروم: ٤٠. سورة الزمر: ٦٧.

(٢) التخليص: التصفية والتمييز عن غيره، وذلك لأنّ الكبد يحيل الكيلوس الى الخلط، ويصفّي الأخلاط كلّ واحد عن الآخر، وينفذها إلى البدن، كلّها في مجاري مهيّأة له.

(٣) أي لإخراج الفضول.

الْأَفْعَالَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا عَمْدٍ، وَكَانَ فِي أَفْعَالِهَا مَا قَدْ تَرَاهُ مِنَ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، عُلِمَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لِلْخَالِقِ الْحَكِيمِ، وَأَنَّ الَّذِي سَمَّوْهُ طَبِيعَةً هُوَ سُنَّةٌ فِي خَلْقِهِ الْجَارِيَةُ عَلَىٰ مَا أَجْرَاهَا عَلَيْهِ.

إيضاح: قوله عليه السلام: «فَمَا يَمْنَعُهُمْ» لعلّ المراد أنّهم إذا قالوا بذلك فقد أثبتوا الصانع فلم يسمّونه بالطبيعة، وهي ليست بذات علم وإرادة وقدرة.

قوله عليه السلام: «عُلِمَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ» أي ظاهر بطلان هذا الزعم، والذي صار سبباً لذهولهم، أنّ اللّه تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها، فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب في ذلك.

وبعبارة أُخرى: إنّ سنّة اللّه وعادته قد جرت لحكم كثيرة أن تكون الأشياء بحسب بادئ النظر مستندة إلى غيره تعالى، ثمّ يعلم بعد الاعتبار والتفكّر أنّ الكلّ مستند إلى قدرته وتأثيره تعالى، وإنّما هذه الأشياء وسائل وشرائط لذلك، فلذا تحيّروا في الصانع تعالى، فالضمير المنصوب في قوله: «أَجْرَاهَا» راجع إلى السنّة، وضمير عليه راجع إلى الموصول.

فَكِّرْ يَا مُفَضَّلُ فِي وُصُولِ الْغِذَاءِ إِلَى الْبَدَنِ، وَمَا فِيهِ مِنَ التَّدْبِيرِ، فَإِنَّ الطَّعَامَ يَصِيرُ إِلَى الْمَعِدَةِ فَتَطْبُخُهُ، وَتَبْعَثُ بِصَفْوِهِ إِلَى الْكَبِدِ فِي عُرُوقٍ رِقَاقٍ وَاشِجَةٍ بَيْنَهَا، قَدْ جُعِلَتْ كَالْمُصَفِّي لِلْغِذَاءِ لِكَيْلَا يَصِلَ إِلَى الْكَبِدِ مِنْهُ شَيْءٌ فَيَنْكَأَهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَبِدَ رَقِيقَةٌ لَا تَحْتَمِلُ الْعُنْفَ، ثُمَّ إِنَّ الْكَبِدَ تَقْبَلُهُ فَيَسْتَحِيلُ بِلُطْفِ التَّدْبِيرِ دَماً، وَيَنْفُذُ إِلَى الْبَدَنِ كُلِّهِ فِي مَجَارِيَ مُهَيَّأَةٍ لِذَلِكَ

بِمنْزِلَةِ الْمَجَارِي الَّتِي تُهَيَّأُ لِلْمَاءِ ، حَتَّىٰ يَطَّرِدَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا ، وَيَنْفُذُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الْخَبَثِ وَالْفُضُولِ إِلىٰ مَفَايِضَ قَدْ أُعِدَّتْ لِذَلِكَ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ جِنْسِ الْمِرَّةِ الصَّفْرَاءِ جَرىٰ إِلَى الْمَرَارَةِ ، وَمَا كَانَ مِنْ جِنْسِ السَّوْدَاءِ جَرىٰ إِلَى الطِّحَالِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْبِلَّةِ وَالرُّطُوبَةِ جَرىٰ إِلَى الْمَثَانَةِ ، فَتَأَمَّلْ حِكْمَةَ التَّدْبِيرِ فِي تَرْكِيبِ الْبَدَنِ ، وَوَضْعِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مِنْهُ مَوَاضِعَهَا ، وَإِعْدَادِ هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فِيهِ لِتَحْمِلَ تِلْكَ الْفُضُولَ لِئَلَّا تَنْتَشِرَ فِي الْبَدَنِ فَتُسْقِمَهُ وَتَنْهَكَهُ ، فَتَبَارَكَ مَنْ أَحْسَنَ التَّقْدِيرَ ، وَأَحْكَمَ التَّدْبِيرَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَمُسْتَحِقُّهُ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ : فَقُلْتُ : صِفْ نُشُوءَ(١) الْأَبْدَانِ وَنُمُوَّهَا حَالاً بَعْدَ حَالٍ حَتَّىٰ تَبْلُغَ التَّمَامَ وَالْكَمَالَ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَوَّلُ ذَلِكَ تَصْوِيرُ الْجَنِينِ فِي الرَّحِمِ حَيْثُ لَا تَرَاهُ عَيْنٌ وَلَا تَنَالُهُ يَدٌ ، وَيُدَبِّرُهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ سَوِيّاً مُسْتَوْفِياً جَمِيعَ مَا فِيهِ قِوَامُهُ وَصَلَاحُهُ مِنَ الْأَحْشَاءِ وَالْجَوَارِحِ وَالْعَوَامِلِ ، إِلىٰ مَا فِي تَرْكِيبِ أَعْضَائِهِ مِنَ الْعِظَامِ وَاللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَالْمُخِّ وَالْعَصَبِ وَالْعُرُوقِ وَالْغَضَارِيفِ ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَى الْعَالَمِ تَرَاهُ كَيْفَ يَنْمِي(٢) بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ ، وَهُوَ ثَابِتٌ عَلىٰ شَكْلٍ وَهَيْئَةٍ لَا تَتَزَايَدُ وَلَا تَنْقُصُ إِلىٰ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ إِنْ مُدَّ فِي عُمُرِهِ ، أَوْ

---

(١) بالنون المفتوحة والشين الساكنة ثمّ الهمزة، أو بالنون والشين المضمومتين والواو الساكنة ثمّ الهمزة.

(٢) وفي نسخة : ينمو.

يَسْتَوْفِيَ مُدَّتَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، هَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ لَطِيفِ التَّدْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ .

يَا مُفَضَّلُ ! انْظُرْ إِلىٰ مَا خُصَّ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي خَلْقِهِ تَشْرِيفاً وَتَفْضِيلاً عَلَى الْبَهَائِمِ ، فَإِنَّهُ خُلِقَ يَنْتَصِبُ قَائِماً ، وَيَسْتَوِي جَالِساً لِيَسْتَقْبِلَ الْأَشْيَاءَ بِيَدَيْهِ وَجَوَارِحِهِ ، وَيُمْكِنَهُ الْعِلَاجُ وَالْعَمَلُ بِهِمَا ، فَلَوْ كَانَ مَكْبُوباً عَلىٰ وَجْهِهِ كَذَاتِ الْأَرْبَعِ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئاً مِنَ الْأَعْمَالِ .

بيان : قال الفيروزآباديّ : وشجت العروق والأغصان : اشتبكت ، وقال : نكأ القرحة ـ كمنع ـ : قشّرها قبل أن تبرأ فنديت ، انتهى .

والمفايض في بعض النسخ بالفاء ، أي مجاري ، من فاض الماء ، وفي بعضها بالغين ، من غاض الماء غيضاً أي نضب [1] وذهب في الأرض ، والمغيض : المكان الذي يغيض فيه ، و (إلى) في قوله : « إِلىٰ مَا فِي تَرْكِيبِ » بمعنى (مع) .

وقال الفيروزآباديّ : الغضروف : كلّ عظم رخو يؤكل ، وهو مارن الأنف [2] ، وبعض الكتف ، ورءوس الأضلاع ، ورهابة الصدر ، وداخل فوق الأُذن ، انتهى .

وقوله : « تَتَزَايَدُ وَلَا تَنْقُصُ » أي النسبة بين الأعضاء وبلوغ الأشدّ وهو القوّة أن يكتهل ويستوفي السنّ الذي يستحكم فيها قوَّته وعقله وتميّزه .

انْظُرِ الْآنَ يَا مُفَضَّلُ إِلىٰ هَذِهِ الْحَوَاسِّ الَّتِي خُصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي خَلْقِهِ ، وَشُرِّفَ بِهَا عَلىٰ غَيْرِهِ ، كَيْفَ جُعِلَتِ الْعَيْنَانِ فِي الرَّأْسِ كَالْمَصَابِيحِ فَوْقَ

---

(١) أي جرى وسال ، غار في الأرض .
(٢) أي طرف الأنف ، أو ما لان من طرفه .

الْمَنَارَةِ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ مُطَالَعَةِ الْأَشْيَاءِ ، وَلَمْ تُجْعَلْ فِي الْأَعْضَاءِ الَّتِي تَحْتَهُنَّ ، كَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ ، فَتَعْرِضَهَا الْآفَاتُ ، وَتُصِيبَهَا مِنْ مُبَاشَرَةِ الْعَمَلِ وَالْحَرَكَةِ مَا يُعَلِّلُهَا ، وَيُؤَثِّرُ فِيهَا ، وَيَنْقُصُ مِنْهَا ، وَلَا فِي الْأَعْضَاءِ الَّتِي وَسَطَ الْبَدَنِ ، كَالْبَطْنِ وَالظَّهْرِ ، فَيَعْسُرَ تَقَلُّبُهَا ، وَاطِّلَاعُهَا نَحْوَ الْأَشْيَاءِ ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مَوْضِعٌ كَانَ الرَّأْسُ أَسْنَى الْمَوَاضِعِ لِلْحَوَاسِّ ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الصَّوْمَعَةِ لَهَا ، فَجُعِلَ الْحَوَاسُّ خَمْساً تَلْقَىٰ خَمْساً لِكَيْ لَا يَفُوتَهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ .

فَخُلِقَ الْبَصَرُ لِيُدْرِكَ الْأَلْوَانَ ، فَلَوْ كَانَتِ الْأَلْوَانُ وَلَمْ يَكُنْ بَصَرٌ يُدْرِكُهَا لَمْ يَكُنْ مَنْفَعَةٌ فِيهَا ، وَخُلِقَ السَّمْعُ لِيُدْرِكَ الْأَصْوَاتَ ، فَلَوْ كَانَتِ الْأَصْوَاتُ وَلَمْ يَكُنْ سَمْعٌ يُدْرِكُهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِرْبٌ (١) ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْحَوَاسِّ ، ثُمَّ هَذَا يَرْجِعُ مُتَكَافِئاً ، فَلَوْ كَانَ بَصَرٌ وَلَمْ يَكُنْ أَلْوَانٌ لَمَا كَانَ لِلْبَصَرِ مَعْنىً ، وَلَوْ كَانَ سَمْعٌ وَلَمْ يَكُنْ أَصْوَاتٌ لَمْ يَكُنْ لِلسَّمْعِ مَوْضِعٌ ، فَانْظُرْ كَيْفَ قَدَّرَ بَعْضَهَا يَلْقَىٰ بَعْضاً ، فَجَعَلَ لِكُلِّ حَاسَّةٍ مَحْسُوساً يَعْمَلُ فِيهِ ، وَلِكُلِّ مَحْسُوسٍ حَاسَّةً تُدْرِكُهُ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ جُعِلَتْ أَشْيَاءُ مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْحَوَاسِّ وَالْمَحْسُوسَاتِ لَا يَتِمُّ الْحَوَاسُّ إِلَّا بِهَا ، كَمَثَلِ الضِّيَاءِ وَالْهَوَاءِ ، فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ ضِيَاءٌ يُظْهِرُ اللَّوْنَ لِلْبَصَرِ لَمْ يَكُنِ الْبَصَرُ يُدْرِكُ اللَّوْنَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَوَاءٌ يُؤَدِّي الصَّوْتَ إِلَى السَّمْعِ لَمْ يَكُنِ السَّمْعُ يُدْرِكُ الصَّوْتَ ،

(١) الإرب: الحاجة.

فَهَلْ يَخْفىٰ عَلىٰ مَنْ صَحَّ نَظَرُهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ، أَنَّ مِثْلَ هٰذَا الَّذِي وَصَفْتُ مِنْ تَهْيِئَةِ الْحَوَاسِّ وَالْمَحْسُوسَاتِ بَعْضُهَا يَلْقىٰ بَعْضاً ، وَتَهْيِئَةِ أَشْيَاءَ أُخَرَ بِهَا تَتِمُّ الْحَوَاسُّ ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمْدٍ وَتَقْدِيرٍ مِنْ لَطِيفٍ خَبِيرٍ ؟

بيان : قوله عليه السلام : « بَعْضُهَا يَلْقىٰ بَعْضاً » حال ، أو صفة بتأويل أو تقدير.

فَكِّرْ يَا مُفَضَّلُ فِيمَنْ عَدِمَ الْبَصَرَ مِنَ النَّاسِ ، وَمَا يَنَالُهُ مِنَ الْخَلَلِ فِي أُمُورِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَوْضِعَ قَدَمِهِ ، وَلَا يُبْصِرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ ، وَبَيْنَ الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَلَا يَرىٰ حُفْرَةً إِنْ هَجَمَ عَلَيْهَا (١) ، وَلَا عَدُوّاً إِنْ أَهْوىٰ إِلَيْهِ بِسَيْفٍ ، وَلَا يَكُونُ لَهُ سَبِيلٌ إِلىٰ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئاً مِنْ هٰذِهِ الصِّنَاعَاتِ ، مِثْلِ الْكِتَابَةِ وَالتِّجَارَةِ وَالصِّيَاغَةِ (٢) ، حَتّىٰ إِنَّهُ لَوْلَا نَفَاذُ ذِهْنِهِ لَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الْحَجَرِ الْمُلْقىٰ ، وَكَذٰلِكَ مَنْ عَدِمَ السَّمْعَ يَخْتَلُّ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، فَإِنَّهُ يَفْقِدُ رَوْحَ الْمُخَاطَبَةِ وَالْمُحَاوَرَةِ ، وَيَعْدَمُ لَذَّةَ الْأَصْوَاتِ وَاللُّحُونِ الشَّجِيَّةِ وَالْمُطْرِبَةِ ، وَيُعْظِمُ الْمَؤُونَةَ عَلَى النَّاسِ فِي مُحَاوَرَتِهِ حَتّىٰ يَتَبَرَّمُوا بِهِ (٣) ، وَلَا يَسْمَعُ شَيْئاً مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَحَادِيثِهِمْ حَتّىٰ يَكُونُ كَالْغَائِبِ وَهُوَ شَاهِدٌ ، أَوْ كَالْمَيِّتِ وَهُوَ حَيٌّ.

فَأَمَّا مَنْ عَدِمَ الْعَقْلَ فَإِنَّهُ يُلْحَقُ بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ ، بَلْ يَجْهَلُ كَثِيراً مِمَّا

---

(١) أي انتهى إليها بغتة على غفلة منه.

(٢) كذا ، ولعله تصحيف : والصناعة.

(٣) أي حتّى يملّوا ويضجروا به.

يَهْتَدِي إِلَيْهِ الْبَهَائِمُ ، أَفَلَا تَرىٰ كَيْفَ صَارَتِ الْجَوَارِحُ وَالْعَقْلُ وَسَائِرُ الْخِلَالِ (١) الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الْإِنْسَانِ ، وَالَّتِي لَوْ فَقَدَ مِنْهَا شَيْئاً لَعَظُمَ مَا يَنَالُهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَلَلِ ، يُوَافِي خِلْقَةً عَلَى التَّمَامِ ، حَتّىٰ لَا يَفْقِدَ شَيْئاً مِنْهَا ، فَلِمَ كَانَ كَذَلِكَ ! إِلّا لِأَنَّهُ خُلِقَ بِعِلْمٍ وَتَقْدِيرٍ (٢) ؟

بيان: « رَوْحَ الْمُخَاطَبَةِ » ـ بالفتح ـ: أي راحتها ولذّتها ، والشجو : الحزن ، ولا يتوهم جواز الاستدلال به على عدم حرمة الغناء مطلقاً لاحتمال أن يكون المراد الأفراد المحلّلة منها ، كما ذكرها الأصحاب ، وسيأتي ذكرها في بابه ، أو يكون فائدة إدراك تلك اللذّة عظم الثواب في تركها لوجهه تعالى .

وقوله عليه السلام : « يُوَافِي خِلْقَة » خبر « صَارَت » .

قَالَ الْمُفَضَّلُ : فَقُلْتُ : فَلِمَ صَارَ بَعْضُ النَّاسِ يَفْقِدُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ فَيَنَالُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ مَا وَصَفْتَهُ يَا مَوْلَايَ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ذَلِكَ لِلتَّأْدِيبِ وَالْمَوْعِظَةِ لِمَنْ يَحِلُّ ذَلِكَ بِهِ وَلِغَيْرِهِ بِسَبَبِهِ ، كَمَا قَدْ يُؤَدِّبُ الْمُلُوكُ النَّاسَ لِلتَّنْكِيلِ (٣) وَالْمَوْعِظَةِ ، فَلَا يُنْكَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، بَلْ يُحْمَدُ مِنْ رَأْيِهِمْ ، وَيُصَوَّبُ مِنْ تَدْبِيرِهِمْ ، ثُمَّ لِلَّذِينَ يَنْزِلُ بِهِمْ هَذِهِ الْبَلَايَا مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِنْ شَكَرُوا وَأَنَابُوا مَا يَسْتَصْغِرُونَ مَعَهُ مَا يَنَالُهُمْ مِنْهَا ، حَتّىٰ إِنَّهُمْ لَوْ خُيِّرُوا بَعْدَ الْمَوْتِ لَاخْتَارُوا أَنْ يُرَدُّوا إِلَى الْبَلَايَا لِيَزْدَادُوا مِنَ

---

(١) جمع الخلة ، وهي الخصلة .

(٢) وفي نسخة : إلّا لأنّه خلق بعلم وبقدر .

(٣) نكّل به : صنع به صنيعاً يحذّر غيره ، ويجعله عبرة له .

الثَّوَابِ.

فَكِّرْ يَا مُفَضَّلُ فِي الْأَعْضَاءِ الَّتِي خُلِقَتْ أَفْرَاداً وَأَزْوَاجاً، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالتَّقْدِيرِ وَالصَّوَابِ فِي التَّدْبِيرِ، فَالرَّأْسُ مِمَّا خُلِقَ فَرْداً وَلَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ صَلَاحٌ فِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ، أَلَا تَرىٰ أَنَّهُ لَوْ أُضِيفَ إِلىٰ رَأْسِ الْإِنْسَانِ رَأْسٌ آخَرُ لَكَانَ ثِقْلاً عَلَيْهِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْحَوَاسَّ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مُجْتَمِعَةٌ فِي رَأْسٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ كَانَ الْإِنْسَانُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ لَوْ كَانَ لَهُ رَأْسَانِ، فَإِنْ تَكَلَّمَ مِنْ أَحَدِهِمَا كَانَ الْآخَرُ مُعَطَّلاً لَا إِرْبَ فِيهِ، وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمَا جَمِيعاً بِكَلَامٍ وَاحِدٍ كَانَ أَحَدُهُمَا فَضْلاً لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِأَحَدِهِمَا بِغَيْرِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ مِنَ الْآخَرِ لَمْ يَدْرِ السَّامِعُ بِأَيِّ ذَلِكَ يَأْخُذُ.

وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْأَخْلَاطِ وَالْيَدَانِ مِمَّا خُلِقَ أَزْوَاجاً، وَلَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ خَيْرٌ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ يَدٌ وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ يُخِلُّ بِهِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلىٰ مُعَالَجَتِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ، أَلَا تَرىٰ أَنَّ النَّجَّارَ وَالْبَنَّاءَ لَوْ شَلَّتْ إِحْدىٰ يَدَيْهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَالِجَ صِنَاعَتَهُ، وَإِنْ تَكَلَّفَ ذَلِكَ لَمْ يُحْكِمْهُ، وَلَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ مَا يَبْلُغُهُ إِذَا كَانَتْ لَهُ يَدَانِ يَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْعَمَلِ.

أَطِلِ الْفِكْرَ يَا مُفَضَّلُ فِي الصَّوْتِ وَالْكَلَامِ، وَتَهْيِئَةِ آلَاتِهِ فِي الْإِنْسَانِ، فَالْحَنْجَرَةُ كَالْأُنْبُوبَةِ (١) لِخُرُوجِ الصَّوْتِ، وَاللِّسَانُ وَالشَّفَتَانِ وَالْأَسْنَانُ

---

(١) وزان أُرجوزة: ما بين العقدتين من القصب.

لِصِيَاغَةِ الْحُرُوفِ وَالنَّغْمِ ، أَلَا تَرىٰ أَنَّ مَنْ سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ لَمْ يُقِمِ السِّينَ ، وَمَنْ سَقَطَتْ شَفَتُهُ لَمْ يُصَحِّحِ الْفَاءَ ، وَمَنْ ثَقُلَ لِسَانُهُ لَمْ يُفْصِحِ الرَّاءَ ، وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِذَلِكَ الْمِزْمَارُ الْأَعْظَمُ ، فَالْحَنْجَرَةُ يُشْبِهُ قَصَبَةَ الْمِزْمَارِ ، وَالرِّئَةُ يُشْبِهُ الزِّقَّ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ لِتَدْخُلَ الرِّيحُ ، وَالْعَضَلَاتُ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى الرِّئَةِ لِيَخْرُجَ الصَّوْتُ كَالْأَصَابِعِ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى الزِّقِّ حَتّىٰ تَجْرِيَ الرِّيحُ فِي الْمِزْمَارِ ، وَالشَّفَتَانِ وَالْأَسْنَانُ الَّتِي تَصُوغُ الصَّوْتَ حُرُوفاً وَنَغْماً كَالْأَصَابِعِ الَّتِي يَخْتَلِفُ فِي فَمِ الْمِزْمَارِ ، فَتَصُوغُ صَفِيرَهُ أَلْحَاناً ، غَيْرُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُ الصَّوْتِ يُشْبِهُ الْمِزْمَارَ بِالدَّلَالَةِ وَالتَّعْرِيفِ ، فَإِنَّ الْمِزْمَارَ بِالْحَقِيقَةِ هُوَ الْمُشَبَّهُ بِمَخْرَجِ الصَّوْتِ .

قَدْ أَنْبَأْتُكَ بِمَا فِي الْأَعْضَاءِ مِنَ الْغِنَاءِ فِي صَنْعَةِ الْكَلَامِ ، وَإِقَامَةِ الْحُرُوفِ ، وَفِيهَا مَعَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ مَآرِبُ أُخْرىٰ :

فَالْحَنْجَرَةُ لِيُسْلَكَ فِيهَا هَذَا النَّسِيمُ إِلَى الرِّئَةِ فَتَرَوَّحَ عَلَى الْفُؤَادِ بِالنَّفَسِ الدَّائِمِ الْمُتَتَابِعِ الَّذِي لَوِ احْتَبَسَ (١) شَيْئاً يَسِيراً لَهَلَكَ الْإِنْسَانُ .

وَبِاللِّسَانِ تُذَاقُ الطُّعُومُ ، فَيُمَيِّزُ بَيْنَهَا ، وَيَعْرِفُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا حُلْوَهَا مِنْ مُرِّهَا ، وَحَامِضَهَا مِنْ مُزِّهَا ، وَمَالِحَهَا مِنْ عَذْبِهَا ، وَطَيِّبَهَا مِنْ خَبِيثِهَا ، وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ مَعُونَةٌ عَلىٰ إِسَاغَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .

وَالْأَسْنَانُ تَمْضَغُ الطَّعَامَ حَتّىٰ تُلِينَ وَيَسْهُلَ إِسَاغَتُهُ ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ

---

(١) وفي نسخة : لو حبس .

كَالسَّنَدِ لِلشَّفَتَيْنِ تُمْسِكُهُمَا وَتَدْعَمُهُمَا مِنْ دَاخِلِ الْفَمِ (١) ، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّكَ تَرىٰ مَنْ سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ مُسْتَرْخِيَ الشَّفَةِ وَمُضْطَرِبَهَا.

وَبِالشَّفَتَيْنِ يَتَرَشَّفُ الشَّرَابَ (٢) حَتّىٰ يَكُونَ الَّذِي يَصِلُ إِلَى الْجَوْفِ مِنْهُ بِقَصْدٍ وَقَدْرٍ ، لَا يَثُجُّ ثَجّاً فَيَغَصَّ بِهِ الشَّارِبُ ، أَوْ يَنْكَأَ فِي الْجَوْفِ ، ثُمَّ هُمَا بَعْدَ ذَلِكَ كَالْبَابِ الْمُطْبَقِ عَلَى الْفَمِ ، يَفْتَحُهُمَا الْإِنْسَانُ إِذَا شَاءَ ، وَيُطْبِقُهُمَا إِذَا شَاءَ.

فَفِيمَا وَصَفْنَا مِنْ هَذَا بَيَانُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ يَتَصَرَّفُ وَيَنْقَسِمُ إِلىٰ وُجُوهٍ مِنَ الْمَنَافِعِ ، كَمَا تَتَصَرَّفُ الْأَدَاةُ الْوَاحِدَةُ فِي أَعْمَالٍ شَتّىٰ ، وَذَلِكَ كَالْفَأْسِ (٣) يُسْتَعْمَلُ فِي النِّجَارَةِ (٤) وَالْحَفْرِ ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَلَوْ رَأَيْتَ الدِّمَاغَ ـ إِذَا كُشِفَ عَنْهُ ـ لَرَأَيْتَهُ قَدْ لُفَّ بِحُجُبٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ لِتَصُونَهُ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَتُمْسِكَهُ فَلَا يَضْطَرِبَ ، وَلَرَأَيْتَ عَلَيْهِ الْجُمْجُمَةَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضَةِ كَيْمَا يَفُتَّهُ هَدُّ الصَّدْمَةِ وَالصَّكَّةِ (٥) الَّتِي رُبَّمَا وَقَعَتْ فِي الرَّأْسِ ، ثُمَّ قَدْ جُلِّلَتِ الْجُمْجُمَةُ بِالشَّعْرِ حَتّىٰ صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْفَرْوِ لِلرَّأْسِ (٦) يَسْتُرُهُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، فَمَنْ حَصَّنَ الدِّمَاغَ هَذَا

---

(١) دعم الشيء: أسنده لئلّا يميل.
(٢) رشّف الماء أي بالغ في مصّه.
(٣) الفأس: آلة لقطع الخشب وغيره.
(٤) وزان الكتابة: حرفة النجّار.
(٥) الصكّة: الضرب الشديد أو اللطم.
(٦) الفرو: شيء كالجبّة يبطّن من جلود بعض الحيوانات كالأرانب والسمور.

التَّحْصِينَ إِلّا الَّذِي خَلَقَهُ ، وَجَعَلَهُ يَنْبُوعَ الْحِسِّ ، وَالْمُسْتَحِقَّ لِلْحِيطَةِ وَالصِّيَانَةِ ، بِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ مِنَ الْبَدَنِ ، وَارْتِفَاعِ دَرَجَتِهِ ، وَخَطَرِ مَرْتَبَتِهِ.

بيان: المزّ بين الحلو والحامض، والثجّ: السيلان، والغصص: أن يقف الشيء في الحلق فلم يكد يسيغه.

و«الْجُمْجُمَةَ» عظم الرأس المشتمل على الدماغ.

و«الْبَيْضَة» هي التي توضع على الرأس في الحرب، والفتّ: الكسر، وهدّ البناء: كسره وضعضعه، وهدّته المصيبة أي أوهنت ركنه، والحيطة -بالكسر-: الحياطة والرعاية.

تَأَمَّلْ يَا مُفَضَّلُ الْجَفْنَ عَلَى الْعَيْنِ كَيْفَ جُعِلَ كَالْغِشَاءِ ، وَالْأَشْفَارَ كَالْأَشْرَاجِ ، وَأَوْلَجَهَا فِي هَذَا الْغَارِ ، وَأَظَلَّهَا بِالْحِجَابِ ، وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الشَّعْرِ.

بيان: «الْجَفْن» غطاء العين من أعلى وأسفل.

«وَالْأَشْفَارَ» هي حروف الأجفان التي عليها الشعر، والأشراج: العرى، وكأنه عليه السلام شبّه الأشفار بالعرى والخيط المشدود بها، فإنّ بهما ترفع الأستار، وتسدل عند الحاجة إليهما، أو بالعرى التي تكون في العيبة من الأدم[1] وغيره، يكون فيها خيط إذا شدّت به يكون ما في العيبة محفوظاً مستوراً، وكلاهما مناسب، والأوّل أنسب بالغشاء.

قال الجزريّ: في حديث الأحنف: «فأدخلت ثياب صوني العيبة فأشرجتها»، يقال: أشرجت العيبة وشرجتها: إذا شددتها بالشرج، وهي

(١) العيبة: الزنبيل من أدم، ما تجعل فيه الثياب كالصندوق، الأدم: الجلود المدبوغة.

العرى ، انتهى .

«وَأَوْلَجَهَا» يعني أدخلها.

يَا مُفَضَّلُ ! مَنْ غَيَّبَ الْفُؤَادَ فِي جَوْفِ الصَّدْرِ ، وَكَسَاهُ الْمِدْرَعَةَ الَّتِي هِيَ غِشَاؤُهُ ، وَحَصَّنَهُ بِالْجَوَانِحِ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَصَبِ ، لِئَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِ مَا يَنْكَؤُهُ ؟

مَنْ جَعَلَ فِي الْحَلْقِ مَنْفَذَيْنِ : أَحَدُهُمَا لِمَخْرَجِ الصَّوْتِ وَهُوَ الْحُلْقُومُ الْمُتَّصِلُ بِالرِّئَةِ ، وَالْآخَرُ مَنْفَذُ الْغِذَاءِ وَهُوَ الْمَرِيءُ الْمُتَّصِلُ بِالْمَعِدَةِ ، الْمُوصِلُ الْغِذَاءِ إِلَيْهَا ؟ وَجَعَلَ عَلَى الْحُلْقُومِ طَبَقاً يَمْنَعُ الطَّعَامَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الرِّئَةِ فَيَقْتُلَ ؟ مَنْ جَعَلَ الرِّئَةَ مِرْوَحَةَ الْفُؤَادِ لَا تَفْتُرُ ، وَلَا تُخِلُّ لِكَيْلَا تَتَحَيَّزَ الْحَرَارَةُ فِي الْفُؤَادِ فَتُؤَدِّيَ إِلَى التَّلَفِ ؟ مَنْ جَعَلَ لِمَنَافِذِ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ أَشْرَاجاً تَضْبِطُهُمَا لِئَلَّا يَجْرِيَا جَرَيَاناً دَائِماً ، فَيَفْسُدَ عَلَى الْإِنْسَانِ عَيْشُهُ ؟ فَكَمْ عَسىٰ أَنْ يُحْصِيَ الْمُحْصِي مِنْ هٰذَا ؟

بَلِ الَّذِي لَا يُحْصىٰ مِنْهُ وَلَا يَعْلَمُهُ النَّاسُ أَكْثَرُ ، مَنْ جَعَلَ الْمَعِدَةَ عَصَبَانِيَّةً شَدِيدَةً ، وَقَدَّرَهَا لِهَضْمِ الطَّعَامِ الْغَلِيظِ ؟ وَمَنْ جَعَلَ الْكَبِدَ رَقِيقَةً نَاعِمَةً لِقَبُولِ الصَّفْوِ اللَّطِيفِ مِنَ الْغِذَاءِ ، وَلِتَهْضِمَ وَتَعْمَلَ مَا هُوَ أَلْطَفُ مِنْ عَمَلِ الْمَعِدَةِ ؟ إِلَّا اللّٰهُ الْقَادِرُ.

أَتَرَى الْإِهْمَالَ يَأْتِي بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ (١) ؟ كَلَّا ، بَلْ هُوَ تَدْبِيرٌ مِنْ مُدَبِّرٍ

(١) في نسخة : أترى من الإهمال يأتي بشيء من ذلك.

حَكِيمٍ قَادِرٍ، عَلِيمٍ بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ خَلْقِهِ إِيَّاهَا، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

تبيان: الجوانح: الأضلاع التي ممّا يلي الصدر.

وقوله عليه السلام: «وَلَا تُخِلُّ» من الإخلال بالشيء بمعنى تركه.

وقوله: «تَتَحَيَّزَ» إمّا من الحيز أي تسكن، أو من قولهم: تحيّزت الحيّة أي تلوّت.

فَكِّرْ يَا مُفَضَّلُ لِمَ صَارَتِ الْمُخُّ الرَّقِيقُ مُحَصَّناً فِي أَنَابِيبِ الْعِظَامِ؟ هَلْ ذَلِكَ إِلّا لِيَحْفَظَهُ وَيَصُونَهُ؟ لِمَ صَارَ الدَّمُ السَّائِلُ مَحْصُوراً فِي الْعُرُوقِ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ فِي الظُّرُوفِ إِلّا لِتَضْبِطَهُ فَلَا يَفِيضَ؟ لِمَ صَارَتِ الْأَظْفَارُ عَلَىٰ أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ إِلّا وِقَايَةً لَهَا وَمَعُونَةً عَلَى الْعَمَلِ؟ لِمَ صَارَ دَاخِلُ الْأُذُنِ مُلْتَوِياً كَهَيْئَةِ الْكَوْكَبِ[(١)] إِلّا لِيَطَّرِدَ فِيهِ الصَّوْتُ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمْعِ، وَلِيَتَكَسَّرَ حُمَّةُ الرِّيحِ فَلَا يَنْكَأَ فِي السَّمْعِ؟ لِمَ حَمَلَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ وَأَلْيَتَيْهِ هَذَا اللَّحْمَ إِلّا لِيَقِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ فَلَا يَتَأَلَّمُ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَيْهِمَا كَمَا يَأْلَمُ مَنْ نَحَلَ جِسْمُهُ وَقَلَّ لَحْمُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ حَائِلٌ يَقِيهِ صَلَابَتَهَا؟ مَنْ جَعَلَ الْإِنْسَانَ ذَكَراً وَأُنْثَىٰ إِلّا مَنْ خَلَقَهُ مُتَنَاسِلاً؟ وَمَنْ خَلَقَهُ مُتَنَاسِلاً إِلّا مَنْ خَلَقَهُ مُؤَمِّلاً، وَمَنْ خَلَقَهُ مُؤَمِّلاً؟ وَمَنْ أَعْطَاهُ آلَاتِ الْعَمَلِ إِلّا مَنْ خَلَقَهُ عَامِلاً؟ وَمَنْ خَلَقَهُ عَامِلاً إِلّا مَنْ جَعَلَهُ مُحْتَاجاً؟ وَمَنْ جَعَلَهُ

---

(١) في بعض النسخ: «اللولب» مكان «الكوكب»، وهو آلة من خشب أو حديد ذات محور، ذي دوائر ناتئة، وهو الذكر، أو داخلة وهو الأنثى.

مُحْتَاجاً إِلّا مَنْ ضَرَبَهُ بِالْحَاجَةِ؟ وَمَنْ ضَرَبَهُ بِالْحَاجَةِ إِلّا مَنْ تَوَكَّلَ بِتَقْوِيمِهِ مَنْ خَصَّهُ بِالْفَهْمِ؟ إِلّا مَنْ أَوْجَبَ لَهُ الْجَزَاءَ؟ وَمَنْ وَهَبَ لَهُ الْحِيلَةَ إِلّا مَنْ مَلَّكَهُ الْحَوْلَ، وَمَنْ مَلَّكَهُ الْحَوْلَ إِلّا مَنْ أَلْزَمَهُ الْحُجَّةَ، مَنْ يَكْفِيهِ مَا لَا تَبْلُغُهُ حِيلَتُهُ إِلّا مَنْ لَمْ يَبْلُغْ مَدىٰ شُكْرِهِ.

فَكِّرْ وَتَدَبَّرْ مَا وَصَفْتُهُ، هَلْ تَجِدُ الْإِهْمَالَ عَلىٰ هَذَا النِّظَامِ وَالتَّرْتِيبِ، تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ.

بيان: «الْكَوْكَب» المحبس، واطّرد الشيء: تبع بعضه بعضاً، وجرى، وقال الجوهريّ: حمّة الحرّ: معظمه.

وقوله عليه السلام: «إِلّا مَنْ خَلَقَهُ مُؤَمِّلاً» إشارة إلى أنّ الأمل والرجاء في البقاء هو السبب لتحصيل النسل، ولذا جعل الإنسان ذا أمل لبقاء نوعه.

قوله عليه السلام: «إِلّا مَنْ ضَرَبَهُ بِالْحَاجَةِ» أي سبّب له أسباب الاحتياج، وخلقه بحيث يحتاج.

قوله عليه السلام: «إِلّا مَنْ تَوَكَّلَ بِتَقْوِيمِهِ» أي تكفّل برفع حاجته، وتقويم أوده، والحول: القوّة.

أَصِفُ لَكَ الْآنَ - يَا مُفَضَّلُ - الْفُؤَادَ، اعْلَمْ أَنَّ فِيهِ ثُقَباً مُوَجَّهَةً نَحْوَ الثُّقَبِ الَّتِي فِي الرِّئَةِ تُرَوِّحُ عَنِ الْفُؤَادِ، حَتّىٰ لَوِ اخْتَلَفَتْ تِلْكَ الثُّقَبُ، وَتَزَايَلَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ لَمَا وَصَلَ الرَّوْحُ إِلَى الْفُؤَادِ، وَلَهَلَكَ الْإِنْسَانُ، أَفَيَسْتَجِيزُ ذُو فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ أَنْ يَزْعُمَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ بِالْإِهْمَالِ، وَلَا يَجِدُ شَاهِداً مِنْ

نَفْسِهِ يَنْزِعُهُ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ ؟ لَوْ رَأَيْتَ فَرْداً مِنْ مِصْرَاعَيْنِ فِيهِ كَلُّوبٌ أَكُنْتَ تَتَوَهَّمُ أَنَّهُ جُعِلَ كَذَلِكَ بِلَا مَعْنىً ؟ بَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ ضَرُورَةً أَنَّهُ مَصْنُوعٌ يَلْقىٰ فَرْداً آخَرَ فَتُبْرِزُهُ لِيَكُونَ فِي اجْتِمَاعِهِمَا ضَرْبٌ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ؟ وَهَكَذَا تَجِدُ الذَّكَرَ مِنَ الْحَيَوَانِ كَأَنَّهُ فَرْدٌ مِنْ زَوْجٍ مُهَيَّأٌ (١) مِنْ فَرْدٍ أُنْثىٰ ، فَيَلْتَقِيَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ دَوَامِ النَّسْلِ وَبَقَائِهِ ، فَتَبّاً وَخَيْبَةً وَتَعْساً لِمُنْتَحِلِي الْفَلْسَفَةِ كَيْفَ عَمِيَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ هَذِهِ الْخِلْقَةِ الْعَجِيبَةِ ، حَتّىٰ أَنْكَرُوا التَّدْبِيرَ وَالْعَمْدَ فِيهَا .

لَوْ كَانَ فَرْجُ الرَّجُلِ مُسْتَرْخِياً كَيْفَ كَانَ يَصِلُ إِلىٰ قَعْرِ الرَّحِمِ حَتّىٰ يُفْرِغَ النُّطْفَةَ فِيهِ ؟ وَلَوْ كَانَ مُنْعَظاً أَبَداً كَيْفَ كَانَ الرَّجُلُ يَتَقَلَّبُ فِي الْفِرَاشِ ، أَوْ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ وَشَيْءٌ شَاخِصٌ أَمَامَهُ ؟ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مَعَ قُبْحِ الْمَنْظَرِ تَحْرِيكُ الشَّهْوَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ جَمِيعاً ، فَقَدَّرَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ ذَلِكَ لَا يَبْدُو لِلْبَصَرِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَلَا يَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ مِنْهُ مَؤُونَةٌ ، بَلْ جَعَلَ فِيهِ الْقُوَّةَ عَلَى الانْتِصَابِ وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلىٰ ذَلِكَ لِمَا قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَبَقَاؤُهُ .

توضيح : قال الجوهريّ : وزعته أزعه وزعاً : كففته (٢) ، انتهى ، والكلوب ـ بالتشديد ـ : حديدة معوجّة الرأس ، وفي بعض النسخ : كلون ، وهو فارسيّ .

قوله عليه السلام : « مُهَيَّأَة » في بعض النسخ بالياء فلفظة (من)

---

(١) وفي نسخة : كأنّه فرد من زوج مهنّأ .

(٢) لم نجد في كلامه عليه السلام لفظة : وزعته .

تعليليّة ، وفي بعضها بالنون ، فمن تعليليّة أو ابتدائيّة ، أي إنّما يتمّ عيشه بأُنثى ، وعلى التقديرين يحتمل أن يكون بمعنى (مع) إن جوّز استعماله فيه .

وقال الجوهريّ : تبّاً لفلان تنصبه على المصدر بإضمار فعل ، أي ألزمه اللّه هلاكاً وخسراناً .

وقال : التعس : الهلاك ، يقال تعساً لفلان أي ألزمه اللّه هلاكاً .

اعْتَبِرِ الْآنَ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ بِعَظِيمِ النِّعْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ ، وَتَسْهِيلِ خُرُوجِ الْأَذىٰ ، أَ لَيْسَ مِنْ حُسْنِ التَّقْدِيرِ فِي بِنَاءِ الدَّارِ أَنْ يَكُونَ الْخَلَاءُ فِي أَسْتَرِ مَوْضِعٍ فِيهَا (١) ؟ فَكَذَا جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَنْفَذَ الْمُهَيَّأَ لِلْخَلَاءِ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي أَسْتَرِ مَوْضِعٍ مِنْهُ ، فَلَمْ يَجْعَلْهُ بَارِزاً مِنْ خَلْفِهِ ، وَلَا نَاشِراً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، بَلْ هُوَ مُغَيَّبٌ فِي مَوْضِعٍ غَامِضٍ مِنَ الْبَدَنِ مَسْتُورٌ مَحْجُوبٌ ، يَلْتَقِي عَلَيْهِ الْفَخِذَانِ ، وَتَحْجُبُهُ الْأَلْيَتَانِ بِمَا عَلَيْهِمَا مِنَ اللَّحْمِ فَيُوَارِيَانِهِ ، فَإِذَا احْتَاجَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْخَلَاءِ ، وَجَلَسَ تِلْكَ الْجِلْسَةَ ، أَلْفىٰ ذَلِكَ الْمَنْفَذَ مِنْهُ مُنْصَبّاً مُهَيَّئاً لِانْحِدَارِ الثُّفْلِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ مَنْ تَظَاهَرَتْ آلَاؤُهُ ، وَلَا تُحْصىٰ نَعْمَاؤُهُ .

بيان : « أَلْفىٰ » أي وجد . وقوله عليه السلام : « مُنْصَبّاً » إمّا من الانصباب كناية عن التدلّي ، أو من باب التفعيل من النصب .

قال الفيروزآباديّ : نصب الشيء : وضعه ورفعه ، ضدّ كنصبه فانتصب

(١) وفي نسخة : في أستر موضع منها .

وتنصّب.

فَكِّرْ يَا مُفَضَّلُ فِي هَذِهِ الطَّوَاحِنِ الَّتِي جُعِلَتْ لِلْإِنْسَانِ، فَبَعْضُهَا حُدَادٌ لِقَطْعِ الطَّعَامِ وَقَرْضِهِ، وَبَعْضُهَا عُرَاضٌ لِمَضْغِهِ وَرَضِّهِ[1]، فَلَمْ يَنْقُصْ وَاحِدٌ مِنَ الصِّفَتَيْنِ إِذْ كَانَ مُحْتَاجاً إِلَيْهِمَا جَمِيعاً.

تَأَمَّلْ وَاعْتَبِرْ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ فِي خَلْقِ الشَّعْرِ وَالْأَظْفَارِ، فَإِنَّهُمَا لَمَّا كَانَا مِمَّا يَطُولُ وَيَكْثُرُ حَتَّىٰ يُحْتَاجَ إِلَىٰ تَخْفِيفِهِ أَوَّلاً فَأَوَّلاً، جُعِلَا عَدِيمَي الْحِسِّ، لِئَلَّا يُؤْلِمَ الْإِنْسَانَ الْأَخْذُ مِنْهُمَا، وَلَوْ كَانَ قَصُّ الشَّعْرِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ مِمَّا يُوجَدُ لَهُ مَسٌّ مِنْ ذَلِكَ لَكَانَ الْإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ مَكْرُوهَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَدَعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَتَّىٰ يَطُولَ فَيَثْقُلَ عَلَيْهِ، وَإِمَّا أَنْ يُخَفِّفَهُ بِوَجَعٍ وَأَلَمٍ يَتَأَلَّمُ مِنْهُ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَقُلْتُ: فَلِمَ لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ خِلْقَةً لَا تَزِيدُ فَيَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى النُّقْصَانِ مِنْهُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْعَبْدِ نِعَماً لَا يَعْرِفُهَا فَيَحْمَدَ عَلَيْهَا.

اعْلَمْ أَنَّ آلَامَ الْبَدَنِ وَأَدْوَاءَهُ تَخْرُجُ بِخُرُوجِ الشَّعْرِ فِي مَسَامِّهِ[2]، وَبِخُرُوجِ الْأَظْفَارِ مِنْ أَنَامِلِهَا، وَلِذَلِكَ أُمِرَ الْإِنْسَانُ بِالنُّورَةِ، وَحَلْقِ الرَّأْسِ، وَقَصِّ الْأَظْفَارِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ لِيُسْرِعَ الشَّعْرُ وَالْأَظْفَارُ فِي النَّبَاتِ،

---

(١) رضّه: دقّه وجرشه.

(٢) المسامة: ثقبة ومنافذ كمنابت الشعر.

فَتَخْرُجَ الْآلَامُ وَالْأَدْوَاءُ بِخُرُوجِهَا ، وَإِذَا طَالا تَحَيَّرَا ، وَقَلَّ خُرُوجُهُمَا ، فَاحْتُبِسَتِ الْآلَامُ وَالْأَدْوَاءُ فِي الْبَدَنِ ، فَأَحْدَثَتْ عِلَلاً وَأَوْجَاعاً ، وَمَنَعَ مَعَ ذَلِكَ الشَّعْرَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُضِرُّ بِالْإِنْسَانِ ، وَيُحْدِثُ عَلَيْهِ الْفَسَادَ وَالضَّرَرَ ، لَوْ نَبَتَ الشَّعْرُ فِي الْعَيْنِ أَلَمْ يَكُنْ سَيَعْمَى الْبَصَرُ ؟ وَلَوْ نَبَتَ فِي الْفَمِ أَلَمْ يَكُنْ سَيَغَصُّ عَلَى الْإِنْسَانِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ ؟ وَلَوْ نَبَتَ فِي بَاطِنِ الْكَفِّ أَلَمْ يَكُنْ سَيَعُوقُهُ عَنْ صِحَّةِ اللَّمْسِ وَبَعْضِ الْأَعْمَالِ ؟ فَلَوْ نَبَتَ فِي فَرْجِ الْمَرْأَةِ ، أَوْ عَلَىٰ ذَكَرِ الرَّجُلِ ، أَلَمْ يَكُنْ سَيُفْسِدُ عَلَيْهِمَا لَذَّةَ الْجِمَاعِ ؟ فَانْظُرْ كَيْفَ تَنَكَّبَ الشَّعْرُ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ، ثُمَّ لَيْسَ هَذَا فِي الْإِنْسَانِ فَقَطْ ، بَلْ تَجِدُهُ فِي الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَسَائِرِ الْمُتَنَاسِلاتِ ، فَإِنَّكَ تَرىٰ أَجْسَامَهُنَّ مُجَلَّلَةً بِالشَّعْرِ ، وَتَرىٰ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ خَالِيَةً مِنْهُ لِهَذَا السَّبَبِ بِعَيْنِهِ ، فَتَأَمَّلِ الْخِلْقَةَ كَيْفَ تَتَحَرَّزُ وُجُوهَ الْخَطَإِ وَالْمَضَرَّةِ ، وَتَأْتِي بِالصَّوَابِ وَالْمَنْفَعَةِ ، إِنَّ الْمَنَّانِيَّةَ (١) وَأَشْبَاهَهُمْ حِينَ اجْتَهَدُوا فِي عَيْبِ الْخِلْقَةِ وَالْعَمْدِ عَابُوا الشَّعْرَ النَّابِتَ عَلَى الرَّكَبِ وَالْإِبْطَيْنِ (٢) ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ رُطُوبَةٍ تَنْصَبُّ إِلىٰ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ فَيَنْبُتُ فِيهَا الشَّعْرُ كَمَا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمِيَاهِ ، أَ فَلَا تَرىٰ إِلىٰ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ أَسْتَرَ وَأَهْيَأَ لِقَبُولِ تِلْكَ الْفَضْلَةِ مِنْ غَيْرِهَا ، ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ تُعَدُّ (٣)

(١) وفي نسخة : المانويّة.

(٢) الإبطين : باطن الكتفين.

(٣) وفي نسخة : بعد.

مِمَّا يَحْمِلُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَئُونَةِ هَذَا الْبَدَنِ وَتَكَالِيفِهِ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، فَإِنَّ اهْتِمَامَهُ بِتَنْظِيفِ بَدَنِهِ، وَأَخْذِ مَا يَعْلُوهُ مِنَ الشَّعْرِ، مِمَّا يَكْسِرُ بِهِ شِرَّتَهُ، وَيَكُفُّ عَادِيَتَهُ، وَيَشْغَلُهُ عَنْ بَعْضِ مَا يُخْرِجُهُ إِلَيْهِ الْفَرَاغُ مِنَ الْأَشَرِ وَالْبِطَالَةِ.

تَأَمَّلِ الرِّيقَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ، فَإِنَّهُ جُعِلَ يَجْرِي جَرَيَاناً دَائِماً إِلَى الْفَمِ لِيَبُلَّ الْحَلْقَ وَاللَّهَوَاتِ فَلَا يَجِفَّ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ لَوْ جُعِلَتْ كَذَلِكَ كَانَ فِيهِ هَلَاكُ الْإِنْسَانِ، ثُمَّ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسِيغَ طَعَاماً إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْفَمِ بِلَّةٌ تُنْفِذُهُ، تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْمُشَاهَدَةُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الرُّطُوبَةَ مَطِيَّةُ الْغِذَاءِ، وَقَدْ تَجْرِي مِنْ هَذِهِ الْبِلَّةِ إِلَىٰ مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْمِرَّةِ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ صَلَاحٌ تَامٌّ لِلْإِنْسَانِ، وَلَوْ يَبِسَتِ الْمِرَّةُ لَهَلَكَ الْإِنْسَانُ، وَلَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ جَهَلَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَضَعَفَةِ الْمُتَفَلْسِفِينَ بِقِلَّةِ التَّمَيُّزِ، وَقُصُورِ الْعِلْمِ: لَوْ كَانَ بَطْنُ الْإِنْسَانِ كَهَيْئَةِ الْقَبَاءِ يَفْتَحُهُ الطَّبِيبُ إِذَا شَاءَ فَيُعَايِنُ مَا فِيهِ، وَيُدْخِلُ يَدَهُ فَيُعَالِجُ مَا أَرَادَ عِلَاجَهُ، أَلَمْ يَكُنْ أَصْلَحَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُصْمَتاً مَحْجُوباً عَنِ الْبَصَرِ وَالْيَدِ، لَا يُعْرَفُ مَا فِيهِ إِلَّا بِدَلَالَاتٍ غَامِضَةٍ، كَمِثْلِ النَّظَرِ إِلَى الْبَوْلِ، وَحِسِّ الْعِرْقِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْثُرُ فِيهِ الْغَلَطُ وَالشُّبْهَةُ، حَتَّىٰ رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَباً لِلْمَوْتِ، فَلَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ أَنَّ هَذَا لَوْ كَانَ هَكَذَا كَانَ أَوَّلَ مَا فِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَسْقُطُ عَنِ الْإِنْسَانِ الْوَجَلُ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْمَوْتِ، وَكَانَ يَسْتَشْعِرُ الْبَقَاءَ، وَيَغْتَرُّ بِالسَّلَامَةِ، فَيُخْرِجُهُ ذَلِكَ إِلَى الْعُتُوِّ وَالْأَشَرِ،

ثُمَّ كَانَتِ الرُّطُوبَاتُ الَّتِي فِي الْبَطْنِ تَتَرَشَّحُ وَتَتَحَلَّبُ فَيُفْسِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَقْعَدَهُ وَمَرْقَدَهُ وَثِيَابَ بِذْلَتِهِ وَزِينَتِهِ ، بَلْ كَانَ يُفْسِدُ عَلَيْهِ عَيْشَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَعِدَةَ وَالْكَبِدَ وَالْفُؤَادَ إِنَّمَا تَفْعَلُ أَفْعَالَهَا بِالْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ مُحْتَبِسَةً فِي الْجَوْفِ ، فَلَوْ كَانَ فِي الْبَطْنِ فَرْجٌ يَنْفَتِحُ حَتّىٰ يَصِلَ الْبَصَرُ إِلىٰ رُؤْيَتِهِ ، وَالْيَدُ إِلىٰ عِلَاجِهِ ، لَوَصَلَ بَرْدُ الْهَوَاءِ إِلَى الْجَوْفِ فَمَازَجَ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيَّةَ ، وَبَطَلَ عَمَلُ الْأَحْشَاءِ ، فَكَانَ فِي ذٰلِكَ هَلَاكُ الْإِنْسَانِ ، أَفَلَا تَرىٰ أَنَّ كُلَّ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ الْأَوْهَامُ سِوىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الْخِلْقَةُ خَطَأٌ وَخَطَلٌ ؟

إيضاح : «الرَّكَب» ـ بالتحريك ـ : منبت العانة . ومستنقع الماء ـ بالفتح ـ : مجتمعه .

وشرّة الشباب ـ بالكسر ـ : حرصه ونشاطه . والعادية : الظلم والشرّ .

«والْأَشَر» ـ بالتحريك ـ : البطر وشدّة الفرح ، «وَاللَّهَوَاتِ» جمع لهات ، وهي اللحمة في سقف أقصى الفم .

وقوله عليه السلام : «مِنَ الْمِرَّة» بيان لموضع آخر . وعتا عتوّاً : استكبر وجاوز الحدّ ، ويقال : تحلّب العرق أي سال ، والخطل : المنطق الفاسد المضطرب .

فَكِّرْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي جُعِلَتْ فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الطَّعْمِ وَالنَّوْمِ وَالْجِمَاعِ ، وَمَا دُبِّرَ فِيهَا ، فَإِنَّهُ جُعِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الطِّبَاعِ نَفْسِهِ مُحَرِّكٌ يَقْتَضِيهِ ، وَيَسْتَحِثُّ بِهِ .

فَالْجُوعُ يَقْتَضِي الطَّعْمَ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْبَدَنِ وَقِوَامُهُ، وَالْكَرىٰ تَـقْتَضِي النَّوْمَ الَّذِي فِيهِ رَاحَةُ الْبَدَنِ، وَإِجْمَامُ قُوَاهُ، وَالشَّبَقُ يَقْتَضِي الْجِمَاعَ الَّذِي فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَبَقَاؤُهُ، وَلَوْ كَانَ الْإِنْسَـانُ إِنَّـمَا يَـصِيرُ إِلىٰ أَكْـلِ الطَّـعَامِ لِمَعْرِفَتِهِ بِحَاجَةِ بَدَنِهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْ طِبَاعِهِ شَيْئاً يَضْطَرُّهُ إِلىٰ ذٰلِكَ، كَانَ خَلِيقاً أَنْ يَتَوَانىٰ عَنْهُ أَحْيَاناً بِالتَّثَقُّلِ وَالْكَسَلِ، حَتّىٰ يَنْحَلَ بَدَنُهُ فَيَهْلِكَ، كَمَا يَحْتَاجُ الْوَاحِدُ إِلَى الدَّوَاءِ بِشَيْءٍ مِمَّا يَصْلُحُ بِبَدَنِهِ، فَيُدَافِعُ بِهِ حَتّىٰ يُؤَدِّيَهُ ذٰلِكَ إِلَى الْمَرَضِ وَالْمَوْتِ.

وَكَذٰلِكَ لَوْ كَانَ إِنَّمَا يَصِيرُ إِلَى النَّوْمِ بِالتَّفَكُّرِ فِي حَاجَتِهِ إِلىٰ رَاحَةِ الْبَدَنِ، وَإِجْمَامِ قُوَاهُ، كَانَ عَسىٰ أَنْ يَتَثَاقَلَ عَنْ ذٰلِكَ فَيَدْمَغُهُ حَتّىٰ يَنْهَكَ بَـدَنَهُ، وَلَوْ كَانَ إِنَّمَا يَتَحَرَّكُ لِلْجِمَاعِ بِالرَّغْبَةِ فِي الْوَلَدِ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ أَنْ يَفْتُرَ عَنْهُ حَتّىٰ يَقِلَّ النَّسْلُ أَوْ يَنْقَطِعَ، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَرْغَبُ فِي الْـوَلَدِ، وَلَا يَحْفِلُ بِهِ، فَانْظُرْ كَيْفَ جُعِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هٰذِهِ الْأَفْعَالِ الَّتِي بِـهَا قِـوَامُ الْإِنْسَانِ وَصَلَاحُهُ مُحَرِّكٌ مِـنْ نَـفْسِ الطَّـبْعِ يُـحَرِّكُـهُ لِـذٰلِكَ، وَيَـحْدُوهُ عَلَيْهِ(١)؟

وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الْإِنْسَانِ قُوىً أَرْبَعاً: قُوَّةٌ جَاذِبَةٌ تَقْبَلُ الْغِذَاءَ وَتُورِدُهُ عَلَى الْمَعِدَةِ، وَقُوَّةٌ مُمْسِكَةٌ تَحْبِسُ الطَّعَامَ حَتّىٰ تَفْعَلَ فِيهِ الطَّبِيعَةُ فِعْلَهَا، وَقُوَّةٌ هَاضِمَةٌ وَهِيَ الَّتِي تَطْبُخُهُ(٢)، وَتَسْتَخْرِجُ صَفْوَهُ، وَتَبُثُّهُ فِي الْبَدَنِ، وَقُوَّةٌ

(١) أي يبعثه ويسوقه إليه.
(٢) وفي نسخة: وهي التي تطحنه.

دَافِعَةٌ تَدْفَعُهُ، وَتَحْدُرُ الثُّفْلَ الْفَاضِلَ بَعْدَ أَخْذِ الْهَاضِمَةِ حَاجَتَهَا.

تَفَكَّرْ فِي تَقْدِيرِ هَذِهِ الْقُوَى الْأَرْبَعَةِ الَّتِي فِي الْبَدَنِ وَأَفْعَالِهَا وَتَقْدِيرِهَا لِلْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَالْإِرْبِ فِيهَا، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ، وَلَوْلَا الْجَاذِبَةُ كَيْفَ يَتَحَرَّكُ الْإِنْسَانُ لِطَلَبِ الْغِذَاءِ الَّتِي بِهَا قِوَامُ الْبَدَنِ؟ وَلَوْلَا الْمَاسِكَةُ كَيْفَ كَانَ يَلْبَثُ الطَّعَامُ فِي الْجَوْفِ حَتّىٰ تَهْضِمَهُ الْمَعِدَةُ؟ وَلَوْلَا الْهَاضِمَةُ كَيْفَ كَانَ يَنْطَبِخُ حَتّىٰ يَخْلُصَ مِنْهُ الصَّفْوُ الَّذِي يَغْذُو الْبَدَنَ، وَيَسُدُّ خَلَلَهُ؟ وَلَوْلَا الدَّافِعَةُ كَيْفَ كَانَ الثُّفْلُ الَّذِي تُخَلِّفُهُ الْهَاضِمَةُ يَنْدَفِعُ وَيَخْرُجُ أَوَّلاً فَأَوَّلاً؟ أَفَلَا تَرىٰ كَيْفَ وَكَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِلَطِيفِ صُنْعِهِ، وَحُسْنِ تَقْدِيرِهِ، هَذِهِ الْقُوىٰ بِالْبَدَنِ، وَالْقِيَامِ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُ، وَسَأُمَثِّلُ لَكَ فِي ذَلِكَ مِثَالاً: إِنَّ الْبَدَنَ بِمَنْزِلَةِ دَارِ الْمَلِكِ، وَلَهُ فِيهَا حَشَمٌ وَصِبْيَةٌ وَقُوَّامٌ مُوَكَّلُونَ بِالدَّارِ، فَوَاحِدٌ لِإِقْضَاءِ حَوَائِجِ الْحَشَمِ وَإِيرَادِهَا عَلَيْهِمْ، وَآخَرُ لِقَبْضِ مَا يَرِدُ وَخَزْنِهِ إِلىٰ أَنْ يُعَالَجَ وَيُهَيَّأَ، وَآخَرُ لِعِلَاجِ ذَلِكَ وَتَهْيِئَتِهِ وَتَفْرِيقِهِ، وَآخَرُ لِتَنْظِيفِ مَا فِي الدَّارِ مِنَ الْأَقْذَارِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْهَا، فَالْمَلِكُ فِي هَذَا هُوَ الْخَلَّاقُ الْحَكِيمُ، مَلِكُ الْعَالَمِينَ، وَالدَّارُ هِيَ الْبَدَنُ، وَالْحَشَمُ هِيَ الْأَعْضَاءِ، وَالْقُوَّامُ هِيَ هَذِهِ الْقُوَى الْأَرْبَعُ، وَلَعَلَّكَ تَرىٰ ذِكْرَنَا هَذِهِ الْقُوَى الْأَرْبَعَ وَأَفْعَالَهَا بَعْدَ الَّذِي وُصِفَتْ فَضْلاً وَتَزْدَاداً، وَلَيْسَ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ هَذِهِ الْقُوىٰ عَلَى الْجِهَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي كُتُبِ الْأَطِبَّاءِ، وَلَا قَوْلُنَا فِيهِ كَقَوْلِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ ذَكَرُوهَا عَلىٰ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي صِنَاعَةِ الطِّبِّ، وَتَصْحِيحِ

الْأَبْدَانِ، وَذَكَرْنَاهَا عَلَىٰ مَا يَحْتَاجُ فِي صَلَاحِ الدِّينِ، وَشِفَاءِ النُّفُوسِ مِنَ الْغَيِّ، كَالَّذِي أَوْضَحْتُهُ بِالْوَصْفِ الشَّافِي، وَالْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ فِيهَا.

تبيان: «الطَّعْم» ـبالضمّ ـ: الأكل، والكرا: السهر. والجمام ـبالفتح ـ: الراحة، يقال: جمّ الفرس جمّاً وجماماً: إذا ذهب إعياؤه، «وَالشَّبَق» ـبالتحريك ـ: شدّة شهوة الجماع، وتوانى في حاجته أي قصّر، «وَلَا يَحْفِلُ بِهِ» أي لا يبالي به، «وَتَحْدُرُ الثُّفْلَ» ـكتنصر ـ أي ترسّل.

وقوله عليه السلام: «وَلَوْلَا الْجَاذِبَة» يدلّ على أنّ لها مدخلاً في شهوة الطعام.

وقوله عليه السلام: «خُلَلَه» كأنّه بالضمّ، جمع الخلّة، وهي الحاجة، أو بالكسر أي الخلال والفرج التي حصلت في البدن بتحلّل الرطوبات.

قوله عليه السلام: «وَلَعَلَّكَ تَرىٰ» يحتمل أن يكون الغرض دفع توهّم السائل كون ذكر التمثيل بعد ذكر القوى ومنافعها على الوجه الذي ذكره الأطبّاء، واكتفوا به إطناباً وتكراراً.

وحاصله: أنّ الأطبّاء إنّما ذكروها على ما يحتاجون إليه في صناعتهم من ذكر أفعال تلك القوى، وسبب تعطّلها، ولذا لم يحتاجوا إلى ذكر ما أوردنا من التمثيل، ونحن إنّما ذكرنا هذا التمثيل لتتّضح دلالتها على صانعها ومدبّرها؛ إذ هذه مقصودنا من ذكرها.

ويحتمل أن يكون الغرض رفع توهم أن ذكره هذه القوى بعد كونها مذكورة في كتب الأطباء فضل لا حاجة إليه، بأن؟ الغرض مختلف في

بياننا وبيانهم ، وبذلك يختلف التقرير أيضاً ، فلذا ذكرنا هاهنا بهذا التقرير الشافي ، فالضمير في قوله: «وُصِفَتْ» على بناء المجهول راجع إلى القوى ، والعائد محذوف ، أي وصفت به ، لكنّه بعيد.

تَأَمَّلْ - يَا مُفَضَّلُ - هَذِهِ الْقُوَى الَّتِي فِي النَّفْسِ وَمَوْقِعَهَا مِنَ الْإِنْسَانِ ، أَعْنِي الْفِكْرَ وَالْوَهْمَ وَالْعَقْلَ وَالْحِفْظَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، أَفَرَأَيْتَ لَوْ نُقِصَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ الْحِفْظ وَحْدَهُ كَيْفَ كَانَتْ تَكُونُ حَالُهُ؟ وَكَمْ مِنْ خَلَلٍ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ وَمَعَاشِهِ وَتَجَارِبِهِ إِذَا لَمْ يَحْفَظْ مَا لَهُ ، وَعَلَيْهِ ، وَمَا أَخَذَهُ ، وَمَا أَعْطىٰ ، وَمَا رَأىٰ ، وَمَا سَمِعَ ، وَمَا قَالَ ، وَمَا قِيلَ لَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ مِمَّنْ أَسَاءَ بِهِ ، وَمَا نَفَعَهُ مِمَّا ضَرَّهُ ، ثُمَّ كَانَ لَا يَهْتَدِي لِطَرِيقٍ لَوْ سَلَكَهُ مَا لَا يُحْصىٰ ، وَلَا يَحْفَظُ عِلْماً وَلَوْ دَرَسَهُ عُمُرَهُ ، وَلَا يَعْتَقِدُ دِيناً ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِتَجْرِبَةٍ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْتَبِرَ شَيْئاً عَلىٰ مَا مَضىٰ ، بَلْ كَانَ حَقِيقاً أَنْ يَنْسَلِخَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ أَصْلاً؟

فَانْظُرْ إِلَى النِّعْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْخِلَالِ ، وَكَيْفَ مَوْقِعُ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا دُونَ الْجَمِيعِ ، وَأَعْظَمُ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الْحِفْظِ النِّعْمَةُ فِي النِّسْيَانِ ، فَإِنَّهُ لَوْلَا النِّسْيَانُ لَمَا سَلَا أَحَدٌ عَنْ مُصِيبَةٍ ، وَلَا انْقَضَتْ لَهُ حَسْرَةٌ ، وَلَا مَاتَ لَهُ حِقْدٌ ، وَلَا اسْتَمْتَعَ بِشَيْءٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا مَعَ تَذَكُّرِ الْآفَاتِ ، وَلَا رَجَا غَفْلَةً مِنْ سُلْطَانٍ ، وَلَا فَتْرَةً مِنْ حَاسِدٍ ، أَفَلَا تَرىٰ كَيْفَ جُعِلَ فِي الْإِنْسَانِ الْحِفْظُ وَالنِّسْيَانُ ، وَهُمَا مُخْتَلِفَانِ مُتَضَادَّانِ ، وَجُعِلَ لَهُ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا ضَرْبٌ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ، وَمَا عَسىٰ أَنْ يَقُولَ الَّذِينَ قَسَّمُوا

الْأَشْيَاءَ بَيْنَ خَالِقَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ الْمُتَبَايِنَةِ، وَقَدْ تَرَاهَا تَجْتَمِعُ عَلىٰ مَا فِيهِ الصَّلَاحُ وَالْمَنْفَعَةُ.

بيان: «دُونَ الْجَمِيعِ» أي فضلاً عن الجميع، ويقال: سلا عنه أي نسيه، وقد مضى منّا ما يمكن أن يستعمل في فهم آخر الكلام في موضعين، فتذكّر.

انْظُرْ - يَا مُفَضَّلُ - إِلىٰ مَا خُصَّ بِهِ الْإِنْسَانُ دُونَ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ مِنْ هَذَا الْخَلْقِ الْجَلِيلِ قَدْرُهُ، الْعَظِيمِ غَنَاؤُهُ، أَعْنِي الْحَيَاءَ، فَلَوْلَاهُ لَمْ يُقْرَ ضَيْفٌ، وَلَمْ يُوَفَّ بِالْعِدَاتِ، وَلَمْ تُقْضَ الْحَوَائِجُ، وَلَمْ يُتَحَرَّ الْجَمِيلُ (١)، وَلَمْ يَتَنَكَّبِ الْقَبِيحُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، حَتّىٰ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأُمُورِ الْمُفْتَرَضَةِ أَيْضاً إِنَّمَا يُفْعَلُ لِلْحَيَاءِ، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَوْلَا الْحَيَاءُ لَمْ يَرْعَ حَقَّ وَالِدَيْهِ، وَلَمْ يَصِلْ ذَا رَحِمٍ، وَلَمْ يُؤَدِّ أَمَانَةً، وَلَمْ يَعِفَّ عَنْ فَاحِشَةٍ (٢)، أَفَلَا تَرىٰ كَيْفَ وُفِّيَ لِلْإِنْسَانِ جَمِيعُ الْخِلَالِ الَّتِي فِيهَا صَلَاحُهُ، وَتَمَامُ أَمْرِهِ.

بيان: إقراء الضيف: ضيافتهم وإكرامهم، والتنكّب: التجنّب، ووفي على بناء المجهول من التوفية، وهي إعطاء الشيء وافياً.

تَأَمَّلْ - يَا مُفَضَّلُ - مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ هَذَا النُّطْقِ الَّذِي يُعَبِّرُ بِهِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، وَمَا يَخْطُرُ بِقَلْبِهِ، وَنَتِيجَةِ فِكْرِهِ، وَبِهِ

---

(١) تحرّى: طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظنّ، أو طلب أحرى الأمرين، أي أولاهما.

(٢) أي لم يكفّ ولم يمتنع عن فاحشة.

يَفْهَمُ عَنْ غَيْرِهِ مَا فِي نَفْسِهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ الْمُهْمَلَةِ الَّتِي لَا تُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهَا بِشَيْءٍ ، وَلَا تَفْهَمُ عَنْ مُخْبِرٍ شَيْئاً ، وَكَذَلِكَ الْكِتَابَةُ الَّتِي بِهَا تُقَيَّدُ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ لِلْبَاقِينَ ، وَأَخْبَارُ الْبَاقِينَ لِلْآتِينَ ، وَبِهَا تُخَلَّدُ الْكُتُبُ فِي الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَغَيْرِهَا ، وَبِهَا يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ ذِكْرَ مَا يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ وَالْحِسَابِ ، وَلَوْلَاهُ لَانْقَطَعَ أَخْبَارُ بَعْضِ الْأَزْمِنَةِ عَنْ بَعْضٍ ، وَأَخْبَارُ الْغَائِبِينَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ ، وَدَرَسَتِ الْعُلُومُ ، وَضَاعَتِ الْآدَابُ ، وَعَظُمَ مَا يَدْخُلُ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْخَلَلِ فِي أُمُورِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ ، وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَى النَّظَرِ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَمَا رُوِيَ لَهُمْ مِمَّا لَا يَسَعُهُمْ جَهْلُهُ .

وَلَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّهَا مِمَّا يُخْلَصُ إِلَيْهِ بِالْحِيلَةِ وَالْفِطْنَةِ ، وَلَيْسَتْ مِمَّا أُعْطِيَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ خَلْقِهِ وَطِبَاعِهِ .

وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ النَّاسُ فَيَجْرِي بَيْنَهُمْ ، وَلِهَذَا صَارَ يَخْتَلِفُ فِي الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ بِأَلْسُنٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَكَذَلِكَ الْكِتَابَةُ ، كَكِتَابَةِ الْعَرَبِيِّ وَالسُّرْيَانِيِّ وَالْعِبْرَانِيِّ وَالرُّومِيِّ ، وَغَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْكِتَابَةِ الَّتِي هِيَ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْأُمَمِ ، إِنَّمَا اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا كَمَا اصْطَلَحُوا عَلَى الْكَلَامِ ، فَيُقَالُ لِمَنْ ادَّعَىٰ ذَلِكَ : إِنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ لَهُ فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً فِعْلٌ أَوْ حِيلَةٌ فَإِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ ذَلِكَ الْفِعْلَ وَالْحِيلَةَ عَطِيَّةٌ وَهِبَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ (١) ، فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِسَانٌ مُهَيَّأٌ لِلْكَلَامِ ، وَذِهْنٌ يَهْتَدِي بِهِ

(١) وفي نسخة : في خلقته .

لِلْأُمُورِ ، لَمْ يَكُنْ لِيَتَكَلَّمَ أَبداً ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كَفٌّ مُهَيَّأَةٌ ، وَأَصَابِعُ لِلْكِتَابَةِ لَمْ يَكُنْ لِيَكْتُبَ أَبداً ، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا كَلَامَ لَهَا وَلَا كِتَابَةَ ، فَأَصْلُ ذَلِكَ فِطْرَةُ الْبَارِئِ جَلَّ وَعَزَّ ، وَمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ ، فَمَنْ شَكَرَ أُثِيبَ ، وَمَنْ كَفَرَ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ ﴾ (١) .

بيان: كلامه هاهنا مشعر بأنّ واضع اللغات البشر ، فتدبّر (٢) .

ذَكِّرْ ـ يَا مُفَضَّلُ (٣) ـ فِيمَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ عِلْمَهُ وَمَا مُنِعَ ، فَإِنَّهُ أُعْطِيَ عِلْمَ جَمِيعِ مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، فَمِمَّا فِيهِ صَلَاحُ دِينِهِ مَعْرِفَةُ الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالدَّلَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ الْقَائِمَةِ فِي الْخَلْقِ ، وَمَعْرِفَةُ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَمُوَاسَاةِ أَهْلِ الْخُلَّةِ ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ تُوجَدُ مَعْرِفَتُهُ ، وَالْإِقْرَارُ وَالاعْتِرَافُ بِهِ فِي الطَّبْعِ وَالْفِطْرَةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ، مُوَافِقَةً أَوْ مُخَالِفَةً ، وَكَذَلِكَ أُعْطِيَ عِلْمَ مَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاهُ ، كَالزِّرَاعَةِ ، وَالْغِرَاسِ (٤) ، وَاسْتِخْرَاجِ الْأَرَضِينَ ، وَاقْتِنَاءِ الْأَغْنَامِ وَالْأَنْعَامِ ، وَاسْتِنْبَاطِ الْمِيَاهِ (٥) ، وَمَعْرِفَةِ الْعَقَاقِيرِ (٦) الَّتِي يُسْتَشْفَىٰ بِهَا مِنْ ضُرُوبِ الْأَسْقَامِ ، وَالْمَعَادِنِ الَّتِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا أَنْوَاعُ الْجَوَاهِرِ ،

---

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢) وأهمّ منه دلالته على كون الأوضاع تعيّنيّة لا تعيينيّة ، وكذا إشعاره بأنّ هذه وأمثالها اصطلاحات واعتبارات تضطرّ إليها البشر (الطباطبائي).

(٣) وفي نسخة: فكّر يا مفضّل.

(٤) الغراس: جمع المغروس ، ما يغرس من الشجر.

(٥) أي استخرجها.

(٦) جمع للعقار: ما يتداوى به من النبات ، الدواء مطلقاً.

وَرُكُوبِ السُّفُنِ ، وَالْغَوْصِ فِي الْبَحْرِ ، وَضُرُوبِ الْحِيَلِ فِي صَيْدِ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْحِيتَانِ ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الصِّنَاعَاتِ ، وَوُجُوهِ الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَاسِبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ ، وَيَكْثُرُ تَعْدَادُهُ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُ أَمْرِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، فَأُعْطِيَ عِلْمَ مَا يُصْلِحُ بِهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ ، وَمُنِعَ مَا سِوىٰ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي شَأْنِهِ ، وَلَا طَاقَتِهِ أَنْ يَعْلَمَ كَعِلْمِ الْغَيْبِ ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ ، وَبَعْضُ مَا قَدْ كَانَ أَيْضاً ، كَعِلْمِ مَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَمَا تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَمَا فِي لُجَجِ الْبِحَارِ (١) ، وَأَقْطَارِ الْعَالَمِ (٢) ، وَمَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ ، وَمَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَأَشْبَاهِ هَذَا مِمَّا حُجِبَ عَلَى النَّاسِ عِلْمُهُ ، وَقَدِ ادَّعَتْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ هَذِهِ الْأُمُورَ ، فَأَبْطَلَ دَعْوَاهُمْ مَا بُيِّنَ مِنْ خَطَائِهِمْ (٣) فِيمَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَحْكُمُونَ بِهِ فِيمَا ادَّعَوْا عِلْمَهُ .

فَانْظُرْ كَيْفَ أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ عِلْمَ جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَحُجِبَ عَنْهُ مَا سِوىٰ ذَلِكَ لِيَعْرِفَ قَدْرَهُ وَنَقْصَهُ ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ فِيهِمَا صَلَاحُهُ .

تَأَمَّلِ الْآنَ - يَا مُفَضَّلُ - مَا سُتِرَ عَنِ الْإِنْسَانِ عِلْمُهُ مِنْ مُدَّةِ حَيَاتِهِ ، فَإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ مِقْدَارَ عُمُرِهِ ، وَكَانَ قَصِيرَ الْعُمُرِ ، لَمْ يَتَهَنَّأْ بِالْعَيْشِ مَعَ تَرَقُّبِ الْمَوْتِ وَتَوَقُّعِهِ لِوَقْتٍ قَدْ عَرَفَهُ ، بَلْ كَانَ يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَدْ فَنِيَ مَالُهُ ، أَوْ قَارَبَ

(١) اللجج : جمع اللجّة ، معظم الماء.
(٢) أي جهاتها الأربع.
(٣) وفي نسخة : ما يبين من خطائهم.

الْفَنَاءَ ، فَقَدِ اسْتَشْعَرَ الْفَقْرَ وَالْوَجَلَ مِنْ فَنَاءِ مَالِهِ وَخَوْفِ الْفَقْرِ عَلىٰ أَنَّ الَّذِي يَدْخُلُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ فَنَاءِ الْعُمُرِ أَعْظَمُ مِمَّا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ فَنَاءِ الْمَالِ؛ لِأَنَّ مَنْ يَقِلُّ مَالُهُ يَأْمُلُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ مِنْهُ فَيَسْكُنَ إِلىٰ ذَلِكَ ، وَمَنْ أَيْقَنَ بِفَنَاءِ الْعُمُرِ اسْتَحْكَمَ عَلَيْهِ الْيَأْسُ ، وَإِنْ كَانَ طَوِيلَ الْعُمُرِ ، ثُمَّ عَرَفَ ذَلِكَ وَثِقَ بِالْبَقَاءِ (١) ، وَانْهَمَكَ فِي اللَّذَّاتِ وَالْمَعَاصِي ، وَعَمِلَ عَلىٰ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ شَهْوَتَهُ ، ثُمَّ يَتُوبُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ ، وَهَذَا مَذْهَبٌ لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَا يَقْبَلُهُ.

أَلَا تَرىٰ لَوْ أَنَّ عَبْداً لَكَ عَمِلَ عَلىٰ أَنَّهُ يُسْخِطُكَ سَنَةً ، وَيُرْضِيكَ يَوْماً أَوْ شَهْراً ، لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَحِلَّ عِنْدَكَ مَحَلَّ الْعَبْدِ الصَّالِحِ دُونَ أَنْ يُضْمِرَ طَاعَتَكَ وَنُصْحَكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَفِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، عَلىٰ تَصَرُّفِ الْحَالاتِ (٢) .

فَإِنْ قُلْتَ : أَوَلَيْسَ قَدْ يُقِيمُ الْإِنْسَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ حِيناً ثُمَّ يَتُوبُ ، فَتُقْبَلُ تَوْبَتُهُ ؟

قُلْنَا : إِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسَانِ لِغَلَبَةِ الشَّهَوَاتِ ، وَتَرْكِهِ مُخَالَفَتَهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَدِّرَهَا فِي نَفْسِهِ ، وَيَبْنِيَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، فَيَصْفَحُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ ، فَأَمَّا مَنْ قَدَّرَ أَمْرَهُ عَلىٰ أَنْ يَعْصِيَ مَا بَدَا لَهُ ، ثُمَّ يَتُوبَ آخِرَ ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا يُحَاوِلُ خَدِيعَةَ مَنْ لَا يُخَادَعُ ، بِأَنْ يَتَسَلَّفَ

(١) كذا في النسخ ، والظاهر : ثمّ لو عرف ذلك وثق بالبقاء.
(٢) وفي نسخة : على تصرّف الآيات.

التَّلَذُّذَ فِي الْعَاجِلِ ، وَيَعِدَ وَيُمَنِّيَ نَفْسَهُ التَّوْبَةَ فِي الآجِلِ ، وَلِأَنَّهُ لَا يَفِي بِمَا يَعِدُ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ النُّزُوعَ مِنَ التَّرَفُّهِ وَالتَّلَذُّذِ ، وَمُعَانَاةَ التَّوْبَةِ ، وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ الْكِبَرِ ، وَضَعْفِ الْبَدَنِ ، أَمْرٌ صَعْبٌ ، وَلَا يُؤْمَنُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعَ مُدَافَعَتِهِ بِالتَّوْبَةِ أَنْ يُرْهِقَهُ الْمَوْتُ ، فَيَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ تَائِبٍ ، كَمَا قَدْ يَكُونُ عَلَى الْوَاحِدِ دَيْنٌ إِلَىٰ أَجَلٍ ، وَقَدْ يَقْدِرُ عَلَىٰ قَضَائِهِ ، فَلَا يَزَالُ يُدَافِعُ بِذَلِكَ حَتَّىٰ يَحِلَّ الْأَجَلُ ، وَقَدْ نَفِدَ الْمَالُ ، فَيَبْقَى الدَّيْنُ قَائِماً عَلَيْهِ ، فَكَانَ خَيْرَ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُسْتَرَ عَنْهُ مَبْلَغُ عُمُرِهِ فَيَكُونَ طُولَ عُمُرِهِ يَتَرَقَّبُ الْمَوْتَ ، فَيَتْرُكَ الْمَعَاصِيَ ، وَيُؤْثِرَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ .

فَإِنْ قُلْتَ : وَهَا هُوَ الْآنَ قَدْ سُتِرَ عَنْهُ مِقْدَارُ حَيَاتِهِ ، وَصَارَ يَتَرَقَّبُ الْمَوْتَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يُقَارِفُ الْفَوَاحِشَ ، وَيَنْتَهِكُ الْمَحَارِمَ ؟

قُلْنَا : إِنَّ وَجْهَ التَّدْبِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ الَّذِي جَرَىٰ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ مَعَ ذَلِكَ لَا يَرْعَوِي [١] ، وَلَا يَنْصَرِفُ عَنِ الْمَسَاوِي ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ مَرَحِهِ [٢] ، وَمِنْ قَسَاوَةِ قَلْبِهِ ، لَا مِنْ خَطَإٍ فِي التَّدْبِيرِ ، كَمَا أَنَّ الطَّبِيبَ قَدْ يَصِفُ لِلْمَرِيضِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ الْمَرِيضُ مُخَالِفاً لِقَوْلِ الطَّبِيبِ لَا يَعْمَلُ بِمَا يَأْمُرُهُ ، وَلَا يَنْتَهِي عَمَّا يَنْهَاهُ عَنْهُ ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِفَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْإِسَاءَةُ فِي ذَلِكَ لِلطَّبِيبِ بَلْ لِلْمَرِيضِ ، حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، وَلَئِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ مَعَ تَرَقُّبِهِ لِلْمَوْتِ كُلَّ سَاعَةٍ لَا يَمْتَنِعُ عَنِ الْمَعَاصِي ، فَإِنَّهُ

---

(١) أي لا يكفّ.

(٢) مرح الرجل : اشتدّ فرحه ونشاطه حتّى جاوز القدر ، وتبختر واختال.

لَوْ وَثِقَ بِطُولِ الْبَقَاءِ كَانَ أَحْرىٰ بِأَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْكَبَائِرِ الْفَظِيعَةِ، فَتَرَقُّبُ الْمَوْتِ عَلىٰ كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الثِّقَةِ بِالْبَقَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ تَرَقُّبَ الْمَوْتِ وَإِنْ كَانَ صِنْفٌ مِنَ النَّاسِ يَلْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا يَتَّعِظُونَ بِهِ، فَقَدْ يَتَّعِظُ بِهِ صِنْفٌ آخَرُ مِنْهُمْ، وَيَنْزِعُونَ عَنِ الْمَعَاصِي، وَيُؤْثِرُونَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَيَجُودُونَ بِالْأَمْوَالِ، وَالْعَقَائِلِ النَّفِيسَةِ فِي الصَّدَقَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُحْرَمَ هَؤُلَاءِ الانْتِفَاعَ بِهَذِهِ الْخَصْلَةِ لِتَضْيِيعِ أُولَئِكَ حَظَّهُمْ مِنْهَا.

بيان: انهمك الرجل في الأمر أي جدّ ولجّ، والتسلّف: الاقتراض، كأنّه يجري معاملة مع ربّه بأن يتصرّف في اللذّات عاجلاً، ويعد ربّه في عوضها التوبة ليؤدّي إليه آجلاً، وفي بعض النسخ: يستسلف، وهو طلب بيع الشيء سلفاً، والمعاناة: مقاساة العناء والمشقّة، ويرهقه أي يغشاه ويلحقه، وانتهاك المحارم: المبالغة في خرقها وإتيانها، والارعواء: الكفّ عن الشيء، وقيل: الندم على الشيء، والانصراف عنه، وتركه، والمرح: شدّة الفرح.

وقال الفيروزآباديّ: العقيلة من كلّ شيء: أكرمه، وكريمة الإبل. وقال: العقال ـ ككتاب ـ: زكاة عامّ من الإبل.

فَكِّرْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ فِي الْأَحْلَامِ كَيْفَ دَبَّرَ الْأَمْرَ فِيهَا، فَمَزَجَ صَادِقَهَا بِكَاذِبِهَا، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ كُلُّهَا تَصْدُقُ لَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَنْبِيَاءَ، وَلَوْ كَانَتْ كُلُّهَا تَكْذِبُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَنْفَعَةٌ، بَلْ كَانَتْ فَضْلاً لَا مَعْنىٰ لَهُ، فَصَارَتْ

تَصْدُقُ أَحْيَاناً فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ فِي مَصْلَحَةٍ يَهْتَدِي لَهَا ، أَوْ مَضَرَّةٍ يَتَحَذَّرُ مِنْهَا (١) ، وَتَكْذِبُ كَثِيراً لِئَلّا يَعْتَمِدَ عَلَيْهَا كُلَّ الاعْتِمَادِ .

فَكِّرْ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَرَاهَا مَوْجُودَةً مُعَدَّةً فِي الْعَالَمِ مِنْ مَآرِبِهِمْ ، فَالتُّرَابُ لِلْبِنَاءِ ، وَالْحَدِيدُ لِلصِّنَاعَاتِ ، وَالْخَشَبُ لِلسُّفُنِ وَغَيْرِهَا ، وَالْحِجَارَةُ لِلْأَرْحَاءِ (٢) وَغَيْرِهَا ، وَالنُّحَاسُ لِلْأَوَانِي ، وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ لِلْمُعَامَلَةِ ، وَالْجَوْهَرُ لِلذَّخِيرَةِ ، وَالْحُبُوبُ لِلْغِذَاءِ ، وَالثِّمَارُ لِلتَّفَكُّهِ ، وَاللَّحْمُ لِلْمَأْكَلِ ، وَالطِّيبُ لِلتَّلَذُّذِ ، وَالْأَدْوِيَةُ لِلتَّصْحِيحِ ، وَالدَّوَابُّ لِلْحُمُولَةِ ، وَالْحَطَبُ لِلتَّوَقُّدِ ، وَالرَّمَادُ لِلْكِلْسِ ، وَالرَّمْلُ لِلْأَرْضِ ، وَكَمْ عَسىٰ أَنْ يُحْصِيَ الْمُحْصِي مِنْ هَذَا وَشِبْهِهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ دَاخِلاً دَخَلَ دَاراً فَنَظَرَ إِلىٰ خَزَائِنَ مَمْلُوَّةٍ مِنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَرَأىٰ كُلَّ مَا فِيهَا مَجْمُوعاً مُعَدّاً لِأَسْبَابٍ مَعْرُوفَةٍ ، لَكَانَ يَتَوَهَّمُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ بِالْإِهْمَالِ ، وَمِنْ غَيْرِ عَمْدٍ؟ فَكَيْفَ يَسْتَجِيزُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ هَذَا فِي الْعَالَمِ ، وَمَا أُعِدَّ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؟

بيان : التفكّه : التنعّم ، الكلس ـ بالكسر ـ : الصاروج ، قوله عليه السلام : لِلْأَرْضِ أي لفرشها .

اعْتَبِرْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ بِأَشْيَاءَ خُلِقَتْ لِمَآرِبِ الْإِنْسَانِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ التَّدْبِيرِ ، فَإِنَّهُ خُلِقَ لَهُ الْحَبُّ لِطَعَامِهِ ، وَكُلِّفَ طَحْنَهُ وَعَجْنَهُ وَخَبْزَهُ ، وَخُلِقَ لَهُ

---

(١) وفي نسخة : يتحرّز منها .

(٢) جمع للرحى ، وهي الطاحون .

الْوَبَرُ(١) لِكِسْوَتِهِ ، فَكُلِّفَ نَدْفَهُ وَغَزْلَهُ وَنَسْجَهُ ، وَخُلِقَ لَهُ الشَّجَرُ ، فَكُلِّفَ غَرْسَهَا وَسَقْيَهَا وَالْقِيَامَ عَلَيْهَا ، وَخُلِقَتْ لَهُ الْعَقَاقِيرُ لِأَدْوِيَتِهِ ، فَكُلِّفَ لَقْطَهَا وَخَلْطَهَا وَصُنْعَهَا ، وَكَذَلِكَ تَجِدُ سَائِرَ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ هَذَا الْمِثَالِ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كُفِيَ الْخِلْقَةَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهَا حِيلَةٌ ، وَتُرِكَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَوْضِعُ عَمَلٍ وَحَرَكَةٍ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّلَاحِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كُفِيَ هَذَا كُلَّهُ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ مَوْضِعُ شُغُلٍ ، وَعَمَلٍ لَمَا حَمَلَتْهُ الْأَرْضُ أَشَراً وَبَطَراً ، وَلَبَلَغَ بِهِ كَذَلِكَ إِلَىٰ أَنْ يَتَعَاطَىٰ أُمُوراً فِيهَا تَلَفُ نَفْسِهِ ، وَلَوْ كُفِيَ النَّاسَ كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لَمَا تَهَنَّئُوا بِالعَيْشِ ، وَلَا وَجَدُوا لَهُ لَذَّةً ، أَلَا تَرَىٰ لَوْ أَنَّ امْرَأً نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَقَامَ حِيناً بَلَغَ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَخِدْمَةٍ لَتَبَرَّمَ(٢) بِالْفَرَاغِ ، وَنَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى التَّشَاغُلِ بِشَيْءٍ ؟ فَكَيْفَ لَوْ كَانَ طُولُ عُمُرِهِ مَكْفِيّاً لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شَيْءٍ ؟ وَكَانَ مِنْ صَوَابِ التَّدْبِيرِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي خُلِقَتْ لِلْإِنْسَانِ أَنْ جُعِلَ لَهُ فِيهَا مَوْضِعُ شُغُلٍ لِكَيْلَا تَبَرَّمَهُ الْبِطَالَةُ ، وَلِتَكُفَّهُ عَنْ تَعَاطِي مَا لَا يَنَالُهُ ، وَلَا خَيْرَ فِيهِ إِنْ نَالَهُ .

وَاعْلَمْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ أَنَّ رَأْسَ مَعَاشِ الْإِنْسَانِ وَحَيَاتِهِ الْخُبْزُ وَالْمَاءُ ، فَانْظُرْ كَيْفَ دُبِّرَ الْأَمْرُ فِيهِمَا ، فَإِنَّ حَاجَةَ الْإِنْسَانِ إِلَى الْمَاءِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِهِ إِلَى الْخُبْزِ ، وَذَلِكَ أَنَّ صَبْرَهُ عَلَى الْجُوعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى الْعَطَشِ ،

---

(١) الوبر للإبل والأرانب ونحوها ، كالصوف للغنم.

(٢) أي لتضجّر.

وَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِشُرْبِهِ وَوُضُوئِهِ ، وَغُسْلِهِ وَغَسْلِ ثِيَابِهِ ، وَسَقْيِ أَنْعَامِهِ وَزَرْعِهِ ، فَجُعِلَ الْمَاءُ مَبْذُولاً لَا يُشْتَرىٰ لِتَسْقُطَ عَنِ الْإِنْسَانِ الْمَئُونَةُ فِي طَلَبِهِ وَتَكَلُّفِهِ ، وَجُعِلَ الْخُبْزُ مُتَعَذِّراً لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ وَالْحَرَكَةِ لِيَكُونَ لِلْإِنْسَانِ فِي ذَلِكَ شُغُلٌ يَكُفُّهُ عَمَّا يُخْرِجُهُ إِلَيْهِ الْفَرَاغُ مِنَ الْأَشَرِ وَالْعَبَثِ.

أَلَا تَرىٰ أَنَّ الصَّبِيَّ يُدْفَعُ إِلَى الْمُؤَدِّبِ وَهُوَ طِفْلٌ لَمْ يَكْمُلْ ذَاتُهُ لِلتَّعْلِيمِ ؟ كُلُّ ذَلِكَ لِيَشْتَغِلَ عَنِ اللَّعِبِ وَالْعَبَثِ اللَّذَيْنِ رُبَّمَا جَنَيَا عَلَيْهِ وَعَلىٰ أَهْلِهِ الْمَكْرُوهَ الْعَظِيمَ ، وَهَكَذَا الْإِنْسَانُ لَوْ خَلَا مِنَ الشُّغُلِ لَخَرَجَ مِنَ الْأَشَرِ وَالْعَبَثِ وَالْبَطَرِ إِلىٰ مَا يَعْظُمُ ضَرَرُهُ عَلَيْهِ ، وَعَلىٰ مَنْ قَرُبَ مِنْهُ.

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَنْ نَشَأَ فِي الْجِدَةِ ، وَرَفَاهِيَةِ الْعَيْشِ ، وَالتَّرَفُّهِ ، وَالْكِفَايَةِ ، وَمَا يُخْرِجُهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، اعْتَبِرْ لِمَ لَا يَتَشَابَهُ النَّاسُ وَاحِدٌ بِآخَرَ كَمَا يَتَشَابَهُ الْوُحُوشُ وَالطَّيْرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ (١) ؟ فَإِنَّكَ تَرَى السِّرْبَ مِنَ الظِّبَاءِ وَالْقَطَا (٢) تَتَشَابَهُ حَتّىٰ لَا يُفَرَّقُ بَيْنَ وَاحِدٍ مِنْهَا وَبَيْنَ الْأُخْرىٰ ، وَتَرَى النَّاسَ مُخْتَلِفَةً صُوَرُهُمْ وَخَلْقُهُمْ حَتّىٰ لَا يَكَادَ اثْنَانِ مِنْهُمْ يَجْتَمِعَانِ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ إِلىٰ أَنْ يَتَعَارَفُوا

---

(١) المراد بالتشابه التشابه العرفيّ كما يدلّ عليه بيانه الآتي ، وأمّا التشابه الحقيقيّ فليس منه أثر لا في الإنسان ولا في غيره ، وقد قام عليه البرهان ، وساعده التجارب العلميّ (الطباطبائي).

(٢) السرب ـ بكسر السين وسكون الراء ـ: القطيع من الظباء والطير، وغيرها، والقطا: جمع للقطاة، طائر في حجم الحمام.

بِأَعْيَانِهِمْ وَحُلَاهُمْ لِمَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ ، وَلَيْسَ يَجْرِي بَيْنَ الْبَهَائِمِ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِعَيْنِهِ وَحِلْيَتِهِ.

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ التَّشَابُهَ فِي الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ لَا يَضُرُّهُمَا شَيْئاً ؟ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا تَشَابَهَ التَوْأَمَانِ تَشَابُهاً شَدِيداً فَتَعْظُمُ الْمؤُونَةُ عَلَى النَّاسِ فِي مُعَامَلَتِهِمَا حَتَّىٰ يُعْطَىٰ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ ، وَيُؤْخَذُ أَحَدُهُمَا بِذَنْبِ الْآخَرِ ، وَقَدْ يُحْدَثُ مِثْلُ هَذَا فِي تَشَابُهِ الْأَشْيَاءِ فَضْلاً عَنْ تَشَابُهِ الصُّورَةِ ، فَمَنْ لَطُفَ لِعِبَادِهِ بِهَذِهِ الدَّقَائِقِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَخْطُرُ بِالْبَالِ حَتَّىٰ وَقَفَ بِهَا عَلَى الصَّوَابِ ، إِلَّا مَنْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ ؟

لَوْ رَأَيْتَ تِمْثَالَ الْإِنْسَانِ مُصَوَّراً عَلَىٰ حَائِطٍ فَقَالَ لَكَ قَائِلٌ : إِنَّ هَذَا ظَهَرَ هَاهُنَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ لَمْ يَصْنَعْهُ صَانِعٌ ، أَكُنْتَ تَقْبَلُ ذَلِكَ ؟ بَلْ كُنْتَ تَسْتَهْزِئُ بِهِ ، فَكَيْفَ تُنْكِرُ هَذَا فِي تِمْثَالٍ مُصَوَّرٍ جَمَادٍ ، وَلَا تُنْكِرُ فِي الْإِنْسَانِ الْحَيِّ النَّاطِقِ ؟

لِمَ صَارَتْ أَبْدَانُ الْحَيَوَانِ وَهِيَ تَغْتَذِي أَبَداً لَا تَنْمِي ، بَلْ تَنْتَهِي إِلَىٰ غَايَةٍ مِنَ النُّمُوِّ ثُمَّ تَقِفُ وَلَا تَتَجَاوَزُهَا لَوْلَا التَّدْبِيرُ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ مِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ فِيهَا أَنْ يَكُونَ أَبْدَانُ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهَا عَلَىٰ مِقْدَارٍ مَعْلُومٍ غَيْرَ مُتَفَاوِتٍ فِي الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ (١) ، وَصَارَتْ تَنْمِي حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ غَايَتِهَا ثُمَّ يَقِفُ ثُمَّ لَا يَزِيدُ ، وَالْغِذَاءُ مَعَ ذَلِكَ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ ، وَلَوْ كَانَتْ تَنْمِي نُمُوّاً

---

(١) وفي نسخة : في الكبر والصغر.

دَائِماً لَعَظُمَتْ أَبْدَانُهَا ، وَاشْتَبَهَتْ مَقَادِيرُهَا ، حَتّىٰ لَا يَكُونَ لِشَيْءٍ مِنْهَا حَدٌّ يُعْرَفُ.

لِمَ صَارَتْ أَجْسَامُ الْإِنْسِ خَاصَّةً تُثْقِلُ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالْمَشْيِ ، وَيَجْفُو عَنِ الصِّنَاعَاتِ اللَّطِيفَةِ إِلَّا لِتَعْظِيمِ الْمَئُونَةِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ لِلْمَلْبَسِ وَالْمَضْجَعِ وَالتَّكْفِينِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، لَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يُصِيبُهُ أَلَمٌ وَلَا وَجَعٌ بِمَ كَانَ يَرْتَدِعُ عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَيَتَوَاضَعُ لِلَّهِ ، وَيَتَعَطَّفُ عَلَى النَّاسِ؟ أَمَا تَرَى الْإِنْسَانَ إِذَا عَرَضَ لَهُ وَجَعٌ خَضَعَ وَاسْتَكَانَ ، وَرَغِبَ إِلَىٰ رَبِّهِ فِي الْعَافِيَةِ ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ بِالصَّدَقَةِ ، وَلَوْ كَانَ لَا يَأْلَمُ مِنَ الضَّرْبِ بِمَ كَانَ السُّلْطَانُ يُعَاقِبُ الدُّعَّارَ(١) ، وَيُذِلُّ الْعُصَاةَ الْمَرَدَةَ؟ وَبِمَ كَانَ الصِّبْيَانُ يَتَعَلَّمُونَ الْعُلُومَ وَالصِّنَاعَاتِ؟ وَبِمَ كَانَ الْعَبِيدُ يَذِلُّونَ لِأَرْبَابِهِمْ ، وَيُذْعِنُونَ لِطَاعَتِهِمْ؟

أَفَلَيْسَ هَذَا تَوْبِيخٌ لِابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَذَوِيِّهِ الَّذِينَ جَحَدُوا التَّدْبِيرَ ، وَالْمَانَوِيَّةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْأَلَمَ وَالْوَجَعَ ، لَوْ لَمْ يُولَدْ مِنَ الْحَيَوَانِ إِلَّا ذَكَرٌ(٢) فَقَطْ أَوْ إِنَاثٌ فَقَطْ أَلَمْ يَكُنِ النَّسْلُ مُنْقَطِعاً ، وَبَادَ مَعَ ذَلِكَ أَجْنَاسُ الْحَيَوَانِ؟ فَصَارَ بَعْضُ الْأَوْلَادِ يَأْتِي ذُكُوراً ، وَبَعْضُهَا يَأْتِي إِنَاثاً ، لِيَدُومَ التَّنَاسُلُ وَلَا يَنْقَطِعُ.

لِمَ صَارَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ إِذَا أَدْرَكَا نَبَتَتْ لَهُمَا الْعَانَةُ ، ثُمَّ نَبَتَتِ اللِّحْيَةُ

---

(١) وفي نسخة: الدغار.
(٢) وفي نسخة: ذكوراً.

لِلرَّجُلِ ، وَتَخَلَّفَتْ عَنِ الْمَرْأَةِ لَوْلَا التَّدْبِيرُ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ لَمَا جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الرَّجُلَ قَيِّماً وَرَقِيباً عَلَى الْمَرْأَةِ ، وَجَعَلَ الْمَرْأَةَ عِرْساً وَخَوَلاً لِلرَّجُلِ ، أَعْطَى الرَّجُلَ اللِّحْيَةَ لِمَا لَهُ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالَةِ وَالْهَيْبَةِ ، وَمَنَعَهَا الْمَرْأَةَ لِتَبْقَىٰ لَهَا نِظَارَةُ الْوَجْهِ وَالْبَهْجَةُ الَّتِي تُشَاكِلُ الْمُفَاكَهَةَ وَالْمُضَاجَعَةَ .

أَفَلَا تَرَى الْخِلْقَةَ كَيْفَ يَأْتِي بِالصَّوَابِ فِي الْأَشْيَاءِ ، وَتَتَخَلَّلُ مَوَاضِعَ الْخَطَإِ ، فَتُعْطِىٰ وَتَمْنَعُ عَلَىٰ قَدْرِ الْإِرْبِ وَالْمَصْلَحَةِ بِتَدْبِيرِ الْحَكِيمِ عَزَّ وَجَلَّ .

بيان: جنى الذنب عليه يجنيه جناية: جرّه إليه ، و« الْجِدَة » ـ بالتخفيف ـ: الغناء .

قوله عليه السلام: « فِي تَشَابُهِ الْأَشْيَاءِ » أي قد يشبه مال شخص بمال شخص آخر ، كثوب أو نعل أو دينار أو درهم ، فيصير سبباً للاشتباه والتشاجر والتنازع ، فضلاً عن تشابه الصورة ، فإنّه أعظم فساداً ، والمراد أنّ الناس كثيراً ما يشتبه عليهم أمر رجلين لتشابه لباسهما ومركوبهما ، وغير ذلك ، فيؤخذ أحدهما بالآخر ، فكيف مع تشابه الصورة .

قوله عليه السلام: « وَاشْتَبَهَتْ مَقَادِيرُهَا » أي لم يعرف غاية ما ينتهي إليه مقداره ، فيشتبه الأمر عليه فيما يريد أن يهيّئه لنفسه من دار ودابّة وثياب وزوجة .

قوله عليه السلام: « وَيَجْفُو » أي يبعد ويجتنب ولا يداوم على الصناعات اللطيفة ، أي التي فيها دقّة ولطافة .

قال الجزريّ: وفي الحديث: « اقرؤوا القرآن ولا تجفوا عنه » ، أي

تعاهدوه ، وتبعدوا عن تلاوته ، انتهى .

والحاصل : أنّ اللّه تعالى جعل الإنسان بحيث تثقل عن الحركة والمشي قبل سائر الحيوانات ، وتكلّ عن الأعمال الدقيقة لتعظم عليه مئونة تحصيل ما يحتاج إليه ، فلا يبطر ولا يطغى ، أو ليكون لهذه الأعمال أجر فيصير سبباً لمعايش أقوام يزاولونها .

والدعار في بعض النسخ بالمهملة ، من الدعر محرّكة الفساد والفسق والخبث ، وفي بعضها بالمعجمة من الدغرة ، وهي أخذ الشيء اختلاساً .

والعرس ـ بالكسر ـ : امرأة الرجل ، والخول ـ محرّكة ـ : ما أعطاك اللّه من النعم والعبيد والإماء ، و« الْمُفَاكَهَةَ » الممازحة والمضاحكة .

قوله عليه السلام : « وَتَتَخَلَّلُ مَوَاضِعَ الْخَطَإِ » يحتمل أن تكون الجملة حاليّة ، أي تأتي بالصواب مع أنّها تدخل مواضع هي مظنّة الخطإ ، من قولهم : تخلّلت القوم أي دخلت خلالهم ، ويحتمل أن يكون المراد بالتخلّل التخلّف أو الخروج من خلالها ، لكن تطبيقهما على المعاني اللغويّة يحتاج إلى تكلّف .

قَالَ الْمُفَضَّلُ : ثُمَّ حَانَ وَقْتُ الزَّوَالِ ، فَقَامَ مَوْلَايَ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَقَالَ : بَكِّرْ إِلَيَّ غداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ مَسْرُوراً بِمَا عَرَفْتُهُ ، مُبْتَهِجاً بِمَا أُوتِيتُهُ ، حَامِداً لِلَّهِ عَلىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ ، شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ عَلىٰ مَا مَنَحَنِي بِمَا عَرَّفَنِيهِ مَوْلَايَ ، وَتَفَضَّلَ بِهِ عَلَيَّ ، فَبِتُّ فِي لَيْلَتِي مَسْرُوراً بِمَا مَنَحَنِيهِ ، مَحْبُوراً بِمَا عَلَّمَنِيهِ .

تمّ المجلس الأوّل ، ويتلوه المجلس الثاني من كتاب الأدلّة على

الخلق والتدبير، والردّ على القائلين بالإهمال، ومنكري العمد، برواية المفضّل عن الصادق صلوات اللّه عليه وعلى آبائه.

(المجلس الثاني)

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي بَكَّرْتُ إِلىٰ مَوْلَايَ، فَاسْتُوذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مُدِيرِ الْأَدْوَارِ (١)، وَمُعِيدِ الْأَكْوَارِ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ، وَعَالَماً بَعْدَ عَالَمٍ ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنىٰ ﴾ (٢) عَدْلاً مِنْهُ، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَجَلَّتْ آلَاؤُهُ ﴿ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٣)، يَشْهَدُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ قُدْسُهُ: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ (٤) فِي نَظَائِرَ لَهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٥)، وَلِذَلِكَ قَالَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ إِلَيْكُمْ.

ثُمَّ أَطْرَقَ هُنَيَّةً ثُمَّ قَالَ: يَا مُفَضَّلُ! الْخَلْقُ حَيَارىٰ عَمِهُونَ سُكَارىٰ فِي طُغْيَانِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ، وَبِشَيَاطِينِهِمْ وَطَوَاغِيتِهِمْ يَقْتَدُونَ، بُصَرَاءُ عُمْيٌ لَا

---

(١) وفي نسخة: الحمد للّه مدبّر الأدوار.
(٢) سورة النجم: ٣١.
(٣) سورة يونس: ٤٤.
(٤) سورة الزلزلة: ٧ و٨.
(٥) سورة فصّلت: ٤٢.

يُبْصِرُونَ، نُطَقَاءُ بُكْمٌ لَا يَعْقِلُونَ، سُمَعَاءُ صُمٌّ لَا يَسْمَعُونَ، رَضُوا بِالدُّونِ وَحَسِبُوا أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ، حَادُوا عَنْ مَدْرَجَةِ الْأَكْيَاسِ، وَرَتَعُوا فِي مَرْعَى الْأَرْجَاسِ الْأَنْجَاسِ، كَأَنَّهُمْ مِنْ مُفَاجَأَةِ الْمَوْتِ آمِنُونَ، وَعَنِ الْمُجَازَاتِ مُزَحْزَحُونَ، يَا وَيْلَهُمْ مَا أَشْقَاهُمْ، وَأَطْوَلَ عَنَاءَهُمْ، وَأَشَدَّ بَلَاءَهُمْ ﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ * إِلّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ﴾ (١).

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَبَكَيْتُ لِمَا سَمِعْتُ مِنْهُ، فَقَالَ: لَا تَبْكِ، تَخَلَّصْتَ إِذْ قَبِلْتَ، وَنَجَوْتَ إِذْ عَرَفْتَ.

ثُمَّ قَالَ: أَبْتَدِئُ لَكَ بِذِكْرِ الْحَيَوَانِ لِيَتَّضِحَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِ مَا وَضَحَ لَكَ مِنْ غَيْرِهِ.

فَكِّرْ فِي أَبْنِيَةِ أَبْدَانِ الْحَيَوَانِ، وَتَهْيِئَتِهَا عَلىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَلَا هِيَ صِلَابٌ كَالْحِجَارَةِ، وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَا تَنْثَنِي وَلَا تَتَصَرَّفُ فِي الْأَعْمَالِ، وَلَا هِيَ عَلىٰ غَايَةِ اللِّينِ وَالرَّخَاوَةِ، فَكَانَتْ لَا تَتَحَامَلُ، وَلَا تَسْتَقِلُّ بِأَنْفُسِهَا، فَجُعِلَتْ مِنْ لَحْمٍ رَخْوٍ تَنْثَنِي تَتَدَاخَلُهُ عِظَامٌ صِلَابٌ، يُمْسِكُهُ عَصَبٌ، وَعُرُوقٌ تَشُدُّهُ، وَيُضَمُّ بَعْضُهُ إِلىٰ بَعْضٍ، وَغُلِفَتْ (٢) فَوْقَ ذَلِكَ بِجِلْدٍ يَشْتَمِلُ عَلَى الْبَدَنِ كُلِّهِ، وَمِنْ أَشْبَاهِ ذَلِكَ هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي تُعْمَلُ مِنَ الْعِيدَانِ (٣)، وَتُلَفُّ بِالْخِرَقِ، وَتُشَدُّ بِالْخُيُوطِ، وَيُطْلىٰ فَوْقَ ذَلِكَ

(١) سورة الدخان: ٤١ و٤٢.
(٢) وفي نسخة: وعليت فوق ذلك.
(٣) جمع العود، وهي الخشب.

بِالصَّمْغِ (١) ، فَيَكُونُ الْعِيدَانُ بِمَنْزِلَةِ الْعِظَامِ ، وَالْخِرَقُ بِمَنْزِلَةِ اللَّحْمِ ، وَالْخُيُوطُ بِمَنْزِلَةِ الْعَصَبِ وَالْعُرُوقِ ، وَالطِّلَا بِمَنْزِلَةِ الْجِلْدِ ، فَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الْحَيَوَانُ الْمُتَحَرِّكُ حَدَثَ بِالْإِهْمَالِ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ جَازَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ التَّمَاثِيلِ الْمَيِّتَةِ ، فَإِنْ كَانَ هَذَا غَيْرَ جَائِزٍ فِي التَّمَاثِيلِ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَجُوزَ فِي الْحَيَوَانِ.

وَفَكِّرْ بَعْدَ هَذَا فِي أَجْسَادِ الْأَنْعَامِ ، فَإِنَّهَا حِينَ خُلِقَتْ عَلَىٰ أَبْدَانِ الْإِنْسِ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ وَالْعَصَبِ أُعْطِيَتْ أَيْضاً السَّمْعَ وَالْبَصَرَ لِيَبْلُغَ الْإِنْسَانُ حَاجَتَهُ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ عُمْياً صُمّاً (٢) لَمَا انْتَفَعَ بِهَا الْإِنْسَانُ ، وَلَا تَصَرَّفَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ مَآرِبِهِ ، ثُمَّ مُنِعَتِ الذِّهْنَ وَالْعَقْلَ لِتَذِلَّ لِلْإِنْسَانِ ، فَلَا تَمْتَنِعَ عَلَيْهِ إِذَا كَدَّهَا الْكَدَّ الشَّدِيدَ ، وَحَمَلَهَا الْحِمْلَ الثَّقِيلَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّهُ قَدْ يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ عَبِيدٌ مِنَ الْإِنْسِ يَذِلُّونَ وَيُذْعِنُونَ بِالْكَدِّ الشَّدِيدِ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ عَدِيمِي الْعَقْلِ وَالذِّهْنِ ؟

فَيُقَالُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ : إِنَّ هَذَا الصِّنْفَ مِنَ النَّاسِ قَلِيلٌ ، فَأَمَّا أَكْثَرُ النَّاسِ فَلَا يُذْعِنُونَ بِمَا تُذْعِنُ بِهِ الدَّوَابُّ مِنَ الْحَمْلِ وَالطَّحْنِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَلَا يُغْرَوْنَ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهُ (٣) ، ثُمَّ لَوْ كَانَ النَّاسُ يُزَاوِلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بِأَبْدَانِهِمْ لَشُغِلُوا بِذَلِكَ عَنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُحْتَاجُ

(١) أي يلطخ فوق ذلك بالصمغ.
(٢) وفي نسخة : فإنّها لو كانت عمّاً صمّاً.
(٣) وفي نسخة : ولا يعزون بما يحتاج إليه منه.

مَكَانَ الْجَمَلِ الْوَاحِدِ وَالْبَغْلِ الْوَاحِدِ إِلىٰ عِدَّةِ أَنَاسِيَّ ، فَكَانَ هٰذَا الْعَمَلُ يَسْتَفْرِغُ النَّاسَ حَتّىٰ لَا يَكُونَ فِيهِمْ عَنْهُ فَضْلٌ لِشَيْءٍ مِنَ الصِّنَاعَاتِ ، مَعَ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ التَّعَبِ الْفَادِحِ فِي أَبْدَانِهِمْ ، وَالضِّيقِ وَالْكَدِّ فِي مَعَاشِهِمْ.

إيضاح: «مُدِيرِ الْأَدْوَارِ» لعلّ فيه مضافاً محذوفاً ، أي ذوي الأدوار ، أو الإسناد مجازيّ ، وفي بعض النسخ بالباء الموحدة ، وهو أظهر.

و«الْأَكْوَارِ» جمع كور ـ بالفتح ـ وهو الجماعة الكثيرة من الإبل والقطيع من الغنم ، ويقال: كلّ دور كور ، والمراد إمّا استئناف قرن بعد قرن ، وزمان بعد زمان ، أو إعادة أهل الأكوار والأدوار جميعاً في القيامة ، والأوّل أظهر.

وقال الجزريّ: قيل للقرن طبق؛ لأنّهم طبق للأرض ثمّ ينقرضون فيأتي طبق آخر.

قوله عليه السلام: «فِي نَظَائِرَ» أي قالها في ضمن نظائر لها ، أو مع نظائرها.

قوله صلّى اللّه عليه وآله: «إِنَّمَا هِيَ» أي المثوبات والعقوبات. «أَعْمَالُكُمْ» أي جزاؤها.

والعمه: التحيّر والتردّد، والحيد: الميل، والمدرجة: المذهب والمسلك، وزحزحه: أبعده، والانثناء: الانعطاف والميل.

قوله عليه السلام: «وَلَا يُغْرَوْنَ» في بعض النسخ بالغين المعجمة والراء المهملة على بناء المفعول من قولهم: أغريت الكلب بالصيد أي لا يؤثّر فيهم الإغراء والتحريض على جميع الأعمال التي يحتاج إليها

الخلق من ذلك العمل الذي تأتي به الدواب ، وفي بعضها بالعين المهملة والزاي المعجمة من عزي من باب تعب ، أي صبر على ما نابه ، والأوّل أظهر.

و« الْفَادِحِ » من قولهم فدحه الدين: أثقله.

ثمّ اعلم أنّه ينبغي حمل السؤال على أنّه كان يمكن أن يكتفي بخلق الحيوانات؛ لأنّ بعضهم ينقادون ويطيعون بعضاً ، فالجواب منطبق من غير تكلّف.

فَكِّرْ -يَا مُفَضَّلُ- فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَفِي خَلْقِهَا عَلىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، فَالْإِنْسُ لَمَّا قُدِّرُوا أَنْ يَكُونُوا ذَوِي ذِهْنٍ وَفِطْنَةٍ وَعِلَاجٍ لِمِثْلِ هَذِهِ الصِّنَاعَاتِ مِنَ الْبِنَاءِ وَالتِّجَارَةِ وَالصِّيَاغَةِ (١) ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، خُلِقَتْ لَهُمْ أَكُفٌّ كِبَارٌ ، ذَوَاتُ أَصَابِعَ غِلَاظٍ ، لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ الْقَبْضِ عَلَى الْأَشْيَاءِ ، وَأَوْكَدُهَا هَذِهِ الصِّنَاعَاتُ ، وَآكِلَاتُ اللَّحْمِ لَمَّا قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ مَعَايِشُهَا مِنَ الصَّيْدِ خُلِقَتْ لَهُمْ أَكُفٌّ لِطَافٌ مُدَّمِجَةٌ (٢) ، ذَوَاتُ بَرَاثِنَ وَمَخَالِيبَ ، تَصْلُحُ لِأَخْذِ الصَّيْدِ ، وَلَا تَصْلُحُ لِلصِّنَاعَاتِ ، وَآكِلَاتُ النَّبَاتِ لَمَّا قُدِّرَ أَنْ يَكُونُوا لَا ذَاتَ صَنْعَةٍ ، وَلَا ذَاتَ صَيْدٍ ، خُلِقَتْ لِبَعْضِهَا أَظْلَافٌ (٣) تَقِيهَا خُشُونَةَ الْأَرْضِ إِذَا حَاوَلَ طَلَبَ

(١) وفي نسخة: والخياطة.
(٢) وفي نسخة: أكفّ لطاف مذبحة.
(٣) جمع الظلف -بكسر الظاء وسكون اللام- وهو لما اجترّ من الحيوانات، كالبقرة والظبيّ بمنزلة الحافر للفرس.

الرَّعْيِ، وَلِبَعْضِهَا حَوَافِرُ مُلَمْلَمَةٌ ذَوَاتُ قَعْرٍ كَأَخْمَصِ الْقَدَمِ تَنْطَبِقُ عَلَى الْأَرْضِ، لِيَتَهَيَّأَ لِلرُّكُوبِ وَالْحَمُولَةِ.

تَأَمَّلِ التَّدْبِيرَ فِي خَلْقِ آكِلَاتِ اللَّحْمِ مِنَ الْحَيَوَانِ حِينَ خُلِقَتْ ذَوَاتُ أَسْنَانٍ حِدَادٍ(١)، وَبَرَاثِنَ شِدَادٍ، وَأَشْدَاقٍ وَأَفْوَاهٍ وَاسِعَةٍ، فَإِنَّهُ لَمَّا قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ طُعْمُهَا اللَّحْمَ خُلِقَتْ خِلْقَةً تُشَاكِلُ ذَلِكَ، وَأُعِينَتْ بِسِلَاحٍ وَأَدَوَاتٍ تَصْلُحُ لِلصَّيْدِ، وَكَذَلِكَ تَجِدُ سِبَاعَ الطَّيْرِ ذَوَاتَ مَنَاقِيرَ وَمَخَالِيبَ مُهَيَّأَةٍ لِفِعْلِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الْوُحُوشُ ذَوَاتَ مَخَالِبَ كَانَتْ قَدْ أُعْطِيَتْ مَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَصِيدُ وَلَا تَأْكُلُ اللَّحْمَ، وَلَوْ كَانَتِ السِّبَاعُ ذَوَاتَ أَظْلَافٍ كَانَتْ قَدْ مُنِعَتْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، أَعْنِي السِّلَاحَ الَّذِي بِهِ تَصِيدُ وَتَتَعَيَّشُ، أَفَلَا تَرىٰ كَيْفَ أُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصِّنْفَيْنِ مَا يُشَاكِلُ صِنْفَهُ وَطَبَقَتَهُ، بَلْ مَا فِيهِ بَقَاؤُهُ وَصَلَاحُهُ.

انْظُرِ الْآنَ إِلىٰ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ كَيْفَ تَرَاهَا تَتْبَعُ أُمَّاتِهَا مُسْتَقِلَّةً بِأَنْفُسِهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْحَمْلِ وَالتَّرْبِيَةِ كَمَا تَحْتَاجُ أَوْلَادُ الْإِنْسِ، فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ أُمَّهَاتِهَا مَا عِنْدَ أُمَّهَاتِ الْبَشَرِ مِنَ الرِّفْقِ وَالْعِلْمِ بِالتَّرْبِيَةِ، وَالْقُوَّةِ عَلَيْهَا بِالْأَكُفِّ وَالْأَصَابِعِ الْمُهَيَّأَةِ لِذَلِكَ، أُعْطِيَتِ النُّهُوضَ وَالِاسْتِقْلَالَ بِأَنْفُسِهَا، وَكَذَلِكَ تَرىٰ كَثِيراً مِنَ الطَّيْرِ كَمِثْلِ الدَّجَاجِ وَالدُّرَّاجِ وَالْقَبَجِ(٢) تَدْرُجُ وَتَلْقُطُ حِينَ يَنْقَابُ عَنْهَا الْبَيْضُ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا ضَعِيفاً لَا نُهُوضَ فِيهِ

---

(١) وفي نسخة: حيث جعلت ذوات أسنان.

(٢) بالقاف والباء المفتوحتين: طائر يشبه الحجل.

كَمِثْلِ فِرَاخِ الْحَمَامِ وَالْيَمَامِ وَالْحُمَّرِ ، فَقَدْ جُعِلَ فِي الْأُمَّهَاتِ فَضْلُ عَطْفٍ عَلَيْهَا ، فَصَارَتْ تَمُجُّ الطَّعَامَ فِي أَفْوَاهِهَا بَعْدَ مَا تُوعِيهِ حَوَاصِلُهَا ، فَلَا تَزَالُ تَغْذُوهَا حَتّىٰ تَسْتَقِلَّ بِأَنْفُسِهَا ، وَلِذَلِكَ لَمْ تُرْزَقِ الْحَمَامُ فِرَاخاً كَثِيرَةً مِثْلَ مَا تُرْزَقُ الدَّجَاجُ ، لِتَقْوَى الْأُمُّ عَلىٰ تَرْبِيَةِ فِرَاخِهَا ، فَلَا تَفْسُدَ وَلَا تَمُوتَ ، فَكُلٌّ أُعْطِيَ بِقِسْطٍ مِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ.

انْظُرْ إِلىٰ قَوَائِمِ الْحَيَوَانِ كَيْفَ تَأْتِي أَزْوَاجاً لِتَتَهَيَّأَ لِلْمَشْيِ ، وَلَوْ كَانَتْ أَفْرَاداً لَمْ تَصْلُحْ لِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَاشِيَ يَنْقُلُ قَوَائِمَهُ(١) ، وَيَعْتَمِدُ عَلىٰ بَعْضٍ ، فَذُو الْقَائِمَتَيْنِ يَنْقُلُ وَاحِدَةً وَيَعْتَمِدُ عَلىٰ وَاحِدَةٍ ، وَذُو الْأَرْبَعِ يَنْقُلُ اثْنَيْنِ وَيَعْتَمِدُ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَافٍ؛ لِأَنَّ ذَا الْأَرْبَعِ لَوْ كَانَ يَنْقُلُ قَائِمَيْنِ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ ، وَيَعْتَمِدُ عَلىٰ قَائِمَيْنِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ ، لَمَا يَثْبُتُ عَلَى الْأَرْضِ ، كَمَا لَا يَثْبُتُ السَّرِيرُ ، وَمَا أَشْبَهَهُ ، فَصَارَ يَنْقُلُ الْيُمْنىٰ مِنْ مَقَادِيمِهِ مَعَ الْيُسْرىٰ مِنْ مَآخِيرِهِ ، وَيَنْقُلُ الْأُخْرَيَيْنِ أَيْضاً مِنْ خِلَافٍ ، فَيَثْبُتُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا يَسْقُطُ إِذَا مَشىٰ.

أَمَا تَرَى الْحِمَارَ كَيْفَ يَذِلُّ لِلطَّحْنِ وَالْحَمُولَةِ وَهُوَ يَرَى الْفَرَسَ مُودَعاً مُنَعَّماً ، وَالْبَعِيرَ لَا يُطِيقُهُ عِدَّةُ رِجَالٍ لَوِ اسْتَعْصىٰ ، كَيْفَ كَانَ يَنْقَادُ لِلصَّبِيِّ وَالثَّوْرَ الشَّدِيدَ؟ كَيْفَ كَانَ يُذْعِنُ لِصَاحِبِهِ حَتّىٰ يَضَعَ النِّيرَ عَلىٰ عُنُقِهِ وَيَحْرِثَ بِهِ ، وَالْفَرَسَ الْكَرِيمَ يَرْكَبُ السُّيُوفَ وَالْأَسِنَّةَ بِالْمُوَاتَاةِ لِفَارِسِهِ ،

(١) كذا في النسخ ، والظاهر أنّ الصحيح: ينقل بعض قوائمه.

وَالْقَطِيعَ مِنَ الْغَنَمِ يَرْعَاهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَلَوْ تَفَرَّقَتِ الْغَنَمُ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي نَاحِيَةٍ لَمْ يَلْحَقْهَا ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَصْنَافِ مُسَخَّرَةٌ لِلْإِنْسَانِ ، فَبِمَ كَانَتْ كَذَلِكَ إِلَّا بِأَنَّهَا عُدِمَتِ الْعَقْلَ وَالرَّوِيَّةَ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ تَعْقِلُ وَتُرَوِّي فِي الْأُمُورِ كَانَتْ خَلِيقَةً أَنْ تَلْتَوِيَ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَآرِبِهِ حَتَّىٰ يَمْتَنِعَ الْجَمَلُ عَلَىٰ قَائِدِهِ ، وَالثَّوْرُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ ، وَتَتَفَرَّقُ الْغَنَمُ عَنْ رَاعِيهَا ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ (١) .

وَكَذَلِكَ هَذِهِ السِّبَاعُ لَوْ كَانَتْ ذَاتَ عَقْلٍ وَرَوِيَّةٍ فَتَوَازَرَتْ عَلَى النَّاسِ كَانَتْ خَلِيقَةً أَنْ تَجْتَاحَهُمْ (٢) ، فَمَنْ كَانَ يَقُومُ لِلْأُسْدِ وَالذِّئَابِ وَالنُّمُورَةِ وَالدِّبَبَةِ لَوْ تَعَاوَنَتْ وَتَظَاهَرَتْ عَلَى النَّاسِ ؟ أَفَلَا تَرَىٰ كَيْفَ حُجِرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا ، وَصَارَتْ مَكَانَ مَا كَانَ ، يُخَافُ مِنْ إِقْدَامِهَا وَنِكَايَتِهَا ، تَهَابُ مَسَاكِنَ النَّاسِ وَتُحْجِمُ عَنْهَا ، ثُمَّ لَا تَظْهَرُ وَلَا تَنْتَشِرُ لِطَلَبِ قُوتِهَا إِلَّا بِاللَّيْلِ ، فَهِيَ مَعَ صَوْلَتِهَا كَالْخَائِفِ لِلْإِنْسِ ، بَلْ مَقْمُوعَةٍ مَمْنُوعَةٍ مِنْهُمْ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَسَاوَرَتْهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ ، وَضَيَّعَتْ عَلَيْهِمْ (٣) .

ثُمَّ جُعِلَ فِي الْكَلْبِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ السِّبَاعِ عَطْفٌ عَلَىٰ مَالِكِهِ ، وَمُحَامَاةٌ عَنْهُ ، وَحِفَاظٌ لَهُ ، فَهُوَ يَنْتَقِلُ عَلَى الْحِيطَانِ وَالسُّطُوحِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِحِرَاسَةِ مَنْزِلِ صَاحِبِهِ ، وَذَبِّ الدَّغَّارِ عَنْهُ (٤) ، وَيَبْلُغُ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِصَاحِبِهِ

---

(١) أي نظر في الأُمور وتفكّر فيها.

(٢) أي تستأصلهم وتهلكهم.

(٣) وفي نسخة : وضيّقت عليهم.

(٤) وفي نسخة : وذبّ الذعار عنه.

أَنْ يَبْذُلَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ دُونَهُ وَدُونَ مَاشِيَتِهِ وَمَالِهِ ، وَيَأْلَفُهُ غَايَةَ الْإِلْفِ حَتَّىٰ يَصْبِرَ مَعَهُ عَلَى الْجُوعِ وَالْجَفْوَةِ ، فَلِمَ طُبِعَ الْكَلْبُ عَلىٰ هَـٰذَا الْإِلْـفِ إِلّا لِيَكُونَ حَارِساً لِلْإِنْسَانِ ، لَهُ عَيْنٌ بِأَنْيَابٍ وَمَخَالِبَ ، وَنُبَاحٌ هَائِلٌ ، لِـيُذْعَرَ مِنْهُ السَّارِقُ ، وَيَتَجَنَّبَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَحْمِيهَا وَيَخْفِرُهَا.

بيان: « وَأَوْكَدُهَا » أي أوكد الأشياء ، وأحوجها إلى هذا النوع من الخلق هذه الصناعات ، ويحتمل إرجاع الضمير إلى جنس البشر فيكون فعلاً ، أي ألزمها أو ألهمها هذه الصناعات ، ولا يبعد إرجاعه إلى الأكفّ أيضاً.

قوله عليه السلام : « مُدَّمِجَة » أي انضمّ بعضها إلى بعض ، قال الجوهريّ : دمج الشيء دموجاً : إذا دخل في الشيء واستحكم فيه ، وأدمجت الشيء : إذا لففته في ثوب ، وفي بعض النسخ : مدبحة بالباء والحاء المهملة ، ولعلّ المراد معوجّة من قولهم : دبح تدبيحاً أي بسط ظهره ، وطأطأ رأسه ، وهو تصحيف.

والبراثن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان. والمخلب : ظفر البرثن ، والململم ـ بفتح اللامين ـ : المجتمع المدوّر المصموم ، والأخمص من باطن القدم : ما لا يصيب الأرض ، والشدق : جانب الفم ، والطعم ـ بالضمّ ـ : الطعام ، والأمات : جمع الأُمّ ، وقيل إنّما تستعمل في البهائم ، وأمّا في الناس فيقال : أُمّهات ، ويقال : قاب الطير بيضته : فلقها فانقابت.

« وَالْيَمَامِ » حمام الوحش ، « وَالْحُمَّرِ » بضمّ الحاء وفتح الميم : طائر ، وقد يشدّد الميم ، ويقال : مجّ الرجل الطعام من فيه : إذا رمى به ، والمودع من الخيل ـ بفتح الدال ـ : المستريح ، ونير الفدان ـ بالكسر ـ : الخشبة

المعترضة في عنق الثورين.

قوله عليه السلام: «يَرْكَبُ السُّيُوف» أي يستقبلها بجرأة كأنّه يركبها، أو بمعنى يرتكب مواجهتها، والمواتاة: الموافقة.

«وَالدِّبَبَة» ـكعنبة ـ: جمع الدبّ، ويقال: أحجم القوم عنه أي نكصوا وتأخّروا وتهيّبوا أخذه

. وساوره: واثبه، ويقال: حاميت عنه أي منعت منه، والعين ـبالفتح ـ: الغلظ في الجسم والخشونة، والخفر: المنع.

يَا مُفَضَّلُ! تَأَمَّلْ وَجْهَ الدَّابَّةِ كَيْفَ هُوَ، فَإِنَّكَ تَرَى الْعَيْنَيْنِ شَاخِصَتَيْنِ أَمَامَهَا لِتُبْصِرَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا لِئَلَّا تَصْدِمَ حَائِطاً، أَوْ تَتَرَدّىٰ فِي حُفْرَةٍ، وَتَرَى الْفَمَ مَشْقُوقاً شَقّاً فِي أَسْفَلِ الْخَطْمِ، وَلَوْ شُقَّ كَمَكَانِ الْفَمِ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي مُقَدَّمِ الذَّقَنِ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَنَاوَلَ بِهِ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ.

أَلَا تَرىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ بِفِيهِ وَلَكِنْ بِيَدِهِ تَكْرِمَةً لَهُ عَلىٰ سَائِرِ الْآكِلَاتِ؟ فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلدَّابَّةِ يَدٌ تَتَنَاوَلُ بِهَا الْعَلَفَ جُعِلَ خَطْمُهَا مَشْقُوقاً مِنْ أَسْفَلِهِ لِتَقْبِضَ بِهِ عَلَى الْعَلَفِ ثُمَّ تَقْضَمُهُ، وَأُعِينَتْ بِالْجَحْفَلَةِ تَتَنَاوَلُ بِهَا مَا قَرُبَ، وَمَا بَعُدَ اعْتَبِرْ بِذَنَبِهَا، وَالْمَنْفَعَةِ لَهَا فِيهِ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الطَّبَقِ عَلَى الدُّبُرِ وَالْحَيَاءِ جَمِيعاً يُوارِيهِمَا وَيَسْتُرُهُمَا، وَمِنْ مَنَافِعِهَا فِيهِ أَنَّ مَا بَيْنَ الدُّبُرِ وَمَرَاقِّي الْبَطْنِ مِنْهَا وَضَرٌ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الذُّبَابُ وَالْبَعُوضُ، فَجُعِلَ لَهَا الذَّنَبُ كَالْمَذَبَّةِ تَذُبُّ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ.

وَمِنْهَا أَنَّ الدَّابَّةَ تَسْتَرِيحُ إِلىٰ تَحْرِيكِهِ وَتَصْرِيفِهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، فَإِنَّهُ لَمَّا

كَانَ قِيَامُهَا عَلَى الْأَرْبَعِ بِأَسْرِهَا، وَشُغِلَتِ الْمُقَدِّمَتَانِ بِحَمْلِ الْبَدَنِ عَنِ التَّصَرُّفِ وَالتَّقَلُّبِ، كَانَ لَهَا فِي تَحْرِيكِ الذَّنَبِ رَاحَةٌ.

وَفِيهِ مَنَافِعُ أُخرىٰ يَقْصُرُ عَنْهَا الْوَهْمُ، يُعْرَفُ مَوَاقِعُهَا فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الدَّابَّةَ تَرْتَطِمُ فِي الْوَحَلِ (١) فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ أَعْوَنَ عَلىٰ نُهُوضِهَا مِنَ الْأَخْذِ بِذَنَبِهَا، وَفِي شَعْرِ الذَّنَبِ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ كَثِيرَةٌ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي مَآرِبِهِمْ، ثُمَّ جُعِلَ ظَهْرُهَا مُسَطَّحاً مَبْطُوحاً عَلىٰ قَوَائِمَ أَرْبَعٍ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ رُكُوبِهَا، وَجُعِلَ حَيَاهَا بَارِزاً مِنْ وَرَائِهَا لِيَتَمَكَّنَ الْفَحْلُ مِنْ ضَرْبِهَا، وَلَوْ كَانَ أَسْفَلَ الْبَطْنِ كَمَكَانِ الْفَرْجِ مِنَ الْمَرْأَةِ لَمْ يَتَمَكَّنِ الْفَحْلُ مِنْهَا، أَ لَا تَرىٰ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَهَا كِفَاحاً كَمَا يَأْتِي الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ؟

تَأَمَّلْ مِشْفَرَ الْفِيلِ، وَمَا فِيهِ مِنْ لَطِيفِ التَّدْبِيرِ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مَقَامَ الْيَدِ فِي تَنَاوُلِ الْعَلَفِ وَالْمَاءِ وَازْدِرَادِهِمَا (٢) إِلىٰ جَوْفِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَنَاوَلَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ رَقَبَةٌ يَمُدُّهَا كَسَائِرِ الْأَنْعَامِ، فَلَمَّا عَدِمَ الْعُنُقَ أُعِينَ مَكَانَ ذَلِكَ بِالْخُرْطُومِ الطَّوِيلِ لِيَسْدُلَهُ (٣) فَيَتَنَاوَلَ بِهِ حَاجَتَهُ، فَمَنْ ذَا الَّذِي عَوَّضَهُ مَكَانَ الْعُضْوِ الَّذِي عَدِمَهُ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ إِلَّا الرَّءُوفُ بِخَلْقِهِ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا بِالْإِهْمَالِ كَمَا قَالَتِ الظَّلَمَةُ؟

---

(١) أي تسقط في الوحل.
(٢) الازدراد: البلع.
(٣) أي ليرسله ويرخيه.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا بَالُهُ لَمْ يَخْلُقْ ذَا عُنُقٍ كَسَائِرِ الْأَنْعَامِ؟

قِيلَ لَهُ: إِنَّ رَأْسَ الْفِيلِ وَأُذُنَيْهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَثِقْلٌ ثَقِيلٌ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ عُنُقٍ عَظِيمَةٍ لَهَدَّهَا وَأَوْهَنَهَا، فَجَعَلَ رَأْسَهُ مُلْصَقاً بِجِسْمِهِ لِكَيْلَا يَنَالَ مِنْهُ مَا وَصَفْنَا، وَخَلَقَ لَهُ مَكَانَ الْعُنُقِ هَذَا الْمِشْفَرَ لِيَتَنَاوَلَ بِهِ غِذَاءَهُ، فَصَارَ مَعَ عَدَمِهِ الْعُنُقَ مُسْتَوْفِياً مَا فِيهِ بُلُوغُ حَاجَتِهِ.

انْظُرِ الْآنَ كَيْفَ جُعِلَ حَيَاءُ الْأُنْثَىٰ مِنَ الْفِيلَةِ فِي أَسْفَلِ بَطْنِهَا، فَإِذَا هَاجَتْ لِلضِّرَابِ ارْتَفَعَ وَبَرَزَ حَتَّىٰ يَتَمَكَّنَ الْفَحْلُ مِنْ ضَرْبِهَا، فَاعْتَبِرْ كَيْفَ جُعِلَ حَيَاءُ الْأُنْثَىٰ مِنَ الْفِيلَةِ عَلَىٰ خِلَافِ مَا عَلَيْهِ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَنْعَامِ، ثُمَّ جُعِلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخَلَّةُ لِيَتَهَيَّأَ لِلْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ قِوَامُ النَّسْلِ وَدَوَامُهُ.

فَكِّرْ فِي خَلْقِ الزَّرَافَةِ، وَاخْتِلَافِ أَعْضَائِهَا، وَشِبْهِهَا بِأَعْضَاءِ أَصْنَافٍ مِنَ الْحَيَوَانِ، فَرَأْسُهَا رَأْسُ فَرَسٍ، وَعُنُقُهَا عُنُقُ جَمَلٍ، وَأَظْلَافُهَا أَظْلَافُ بَقَرَةٍ، وَجِلْدُهَا جِلْدُ نَمِرٍ، وَزَعَمَ نَاسٌ مِنَ الْجُهَّالِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ نِتَاجَهَا مِنْ فُحُولٍ شَتَّىٰ، قَالُوا: وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَصْنَافاً مِنْ حَيَوَانِ الْبَرِّ إِذَا وَرَدَتِ الْمَاءَ تَنْزُو عَلَىٰ بَعْضِ السَّائِمَةِ وَيُنْتَجُ مِثْلُ هَذَا الشَّخْصِ الَّذِي هُوَ كَالْمُلْتَقَطِ مِنْ أَصْنَافٍ شَتَّىٰ، وَهَذَا جَهْلٌ مِنْ قَائِلِهِ، وَقِلَّةُ مَعْرِفَتِهِ بِالْبَارِئِ جَلَّ قُدْسُهُ، وَلَيْسَ كُلُّ صِنْفٍ مِنَ الْحَيَوَانِ يُلْقِحُ كُلَّ صِنْفٍ، فَلَا الْفَرَسُ يُلْقِحُ الْجَمَلَ، وَلَا الْجَمَلُ يُلْقِحُ الْبَقَرَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّلْقِيحُ مِنْ بَعْضِ الْحَيَوَانِ فِيمَا يُشَاكِلُهُ، وَيَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا يُلْقِحُ الْفَرَسُ الْحِمَارَ

فَيَخْرُجُ بَيْنَهُمَا الْبَغْلُ، وَيُلْقِحُ الذِّئْبُ الضَّبُعَ فَيَخْرُجُ بَيْنَهُمَا السِّمْعُ، عَلىٰ أَنَّهُ لَيْسَ يَكُونُ فِي الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا عُضْوٌ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، كَمَا فِي الزَّرَافَةِ عُضْوٌ مِنَ الْفَرَسِ، وَعُضْوٌ مِنَ الْجَمَلِ، وَأَظْلَافٌ مِنَ الْبَقَرَةِ، بَلْ يَكُونُ كَالْمُتَوَسِّطِ بَيْنَهُمَا، الْمُمْتَزِجِ مِنْهُمَا، كَالَّذِي تَرَاهُ فِي الْبَغْلِ، فَإِنَّكَ تَرىٰ رَأْسَهُ وَأُذُنَيْهِ وَكَفَلَهُ وَذَنَبَهُ وَحَوَافِرَهُ وَسَطاً بَيْنَ هَـٰذِهِ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْفَرَسِ وَالْحِمَارِ، وَشَحِيجَهُ كَالْمُمْتَزِجِ مِنْ صَهِيلِ الْفَرَسِ وَنَهِيقِ الْحِمَارِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلىٰ أَنَّهُ لَيْسَتِ الزَّرَافَةُ مِنْ لِقَاحِ أَصْنَافٍ شَتّىٰ مِنَ الْحَيَوَانِ كَمَا زَعَمَ الْجَاهِلُونَ، بَلْ هِيَ خَلْقٌ عَجِيبٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لِلدَّلَالَةِ عَلىٰ قُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ.

وَلِيُعْلِمَ أَنَّهُ خَالِقُ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ كُلِّهَا، يَجْمَعُ بَيْنَ مَا يَشَاءُ مِنْ أَعْضَائِهَا فِي أَيِّهَا شَاءَ، وَيُفَرِّقُ مَا شَاءَ مِنْهَا فِي أَيِّهَا شَاءَ، وَيَزِيدُ فِي الْخِلْقَةِ مَا شَاءَ، وَيَنْقُصُ مِنْهَا مَا شَاءَ، دَلَالَةً عَلىٰ قُدْرَتِهِ عَلَى الْأَشْيَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ جَلَّ وَتَعَالىٰ، فَأَمَّا طُولُ عُنُقِهَا وَالْمَنْفَعَةُ لَهَا فِي ذَلِكَ فَإِنَّ مَنْشَأَهَا وَمَرْعَاهَا فِي غَيَاطِلَ ذَوَاتِ أَشْجَارٍ شَاهِقَةٍ ذَاهِبَةٍ طُولاً فِي الْهَوَاءِ، فَهِيَ تَحْتَاجُ إِلىٰ طُولِ الْعُنُقِ لِتَنَاوَلَ بِفِيهَا أَطْرَافَ تِلْكَ الْأَشْجَارِ، فَتَتَقَوَّتَ مِنْ ثِمَارِهَا.

تَأَمَّلْ خَلْقَ الْقِرْدِ وَشِبْهَهُ بِالْإِنْسَانِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَعْضَائِهِ، أَعْنِي الرَّأْسَ وَالْوَجْهَ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَالصَّدْرَ، وَكَذَلِكَ أَحْشَاؤُهُ شَبِيهَةٌ أَيْضاً بِأَحْشَاءِ

الْإِنْسَانِ ، وَخُصَّ مِنْ ذَلِكَ بِالذِّهْنِ وَالْفِطْنَةِ الَّتِي بِهَا يَفْهَمُ عَنْ سَائِسِهِ مَا يُومِئُ إِلَيْهِ ، وَيَحْكِي كَثِيراً مِمَّا يَرَى الْإِنْسَانَ يَفْعَلُهُ ، حَتَّىٰ إِنَّهُ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَشَمَائِلِهِ فِي التَّدْبِيرِ فِي خِلْقَتِهِ عَلىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عِبْرَةً لِلْإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ طِينَةِ الْبَهَائِمِ وَسِنْخِهَا ؛ إِذْ كَانَ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهَا هَذَا الْقُرْبَ ، وَأَنَّهُ لَوْلَا فَضِيلَةٌ فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الذِّهْنِ وَالْعَقْلِ وَالنُّطْقِ كَانَ كَبَعْضِ الْبَهَائِمِ ، عَلىٰ أَنَّ فِي جِسْمِ الْقِرْدِ فُضُولاً أُخْرىٰ نُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِنْسَانِ ، كَالْخَطْمِ ، وَالذَّنَبِ الْمُسَدَّلِ ، وَالشَّعْرِ الْمُجَلِّلِ لِلْجِسْمِ كُلِّهِ ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ مَانِعاً لِلْقِرْدِ أَنْ يُلْحَقَ بِالْإِنْسَانِ لَوْ أُعْطِيَ مِثْلَ ذِهْنِ الْإِنْسَانِ وَعَقْلِهِ وَنُطْقِهِ ، وَالْفَصْلُ الْفَاصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِنْسَانِ بِالصِّحَّةِ هُوَ النَّقْصُ فِي الْعَقْلِ وَالذِّهْنِ وَالنُّطْقِ .

بيان : شخص البصر : ارتفع ، وشخص الرجل بصره : إذا فتح عينيه .

و« الْخَطْمِ » ـ بالفتح ـ من كلّ طائر منقاره ، ومن كلّ دابّة مقدّم أنفه وفمه ، وقضم ـ كسمع ـ : أكل بأطراف أسنانه ، والجحفلة بمنزلة الشفة للبغال والحمير والخيل ، وهي بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، والطبق ـ محرّكة ـ : غطاء كلّ شيء . « وَالْحَيَاءِ » الفرج ، والمراد بمراقي البطن : ما ارتفع منه من وسط ، أوقرب منه ، والوضر : الدرن ، والمذبّة ـ بكسر الميم ـ : ما يذبّ به الذباب ، وبطحه : ألقاه على وجهه ، وكفحته كفحاً وكفاحاً : إذا استقبلته ، و« الْمِشْفَر » من البعير كالجحفلة من الفرس .

وقال الجوهريّ : الزرافة والزرافة ـ بفتح الزاي وضمّها مخفّفة الفاء ـ : دابّة يقال لها بالفارسيّة : شتر گاوپلنگ .

وقال الفيروزآباديّ: «السِّمْع» ـ بكسر السين وسكون الميم ـ: ولد الذئب من الضبع، لا يموت حتف أنفه كالحيّة، وعدوه أسرع من الطير، ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعاً.

وقال: شحيج البغل والحمار: صوته. والغياطل: جمع الغيطل، وهو الشجر الكثير الملتفّ.

قوله عليه السلام: «أَنْ يَكُونَ» أي خلق كذلك لأن يكون عبرة للإنسان، والسنخ ـ بالكسر ـ: الأصل.

قوله: «بِالصِّحَّةِ هُوَ النَّقْصُ فِي الْعَقْلِ» أي الفصل الصحيح الذي يصلح واقعاً أن يكون فاصلاً، وفي أكثر النسخ: وهو وعلى هذا لا يبعد أن تكون تصحيف القحّة أي قلّة الحياء.

انْظُرْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ إِلىٰ لُطْفِ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ بِالْبَهَائِمِ كَيْفَ كُسِيَتْ أَجْسَامُهُمْ هَذِهِ الْكِسْوَةَ مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ وَالصُّوفِ لِيَقِيَهَا مِنَ الْبَرْدِ، وَكَثْرَةِ الْآفَاتِ، وَأُلْبِسَتْ قَوَائِمُهَا الْأَظْلَافَ وَالْحَوَافِرَ وَالْأَخْفَافَ لِيَقِيَهَا مِنَ الْحَفَا إِذْ كَانَتْ لَا أَيْدِيَ لَهَا، وَلَا أَكُفَّ، وَلَا أَصَابِعَ مُهَيَّأَةً لِلْغَزْلِ وَالنَّسْجِ، فَكُفُوا بِأَنْ جُعِلَ كِسْوَتُهُمْ فِي خِلْقَتِهِمْ بَاقِيَةً عَلَيْهِمْ مَا بَقُوا، لَا يَحْتَاجُونَ إِلىٰ تَجْدِيدِهَا، وَالاسْتِبْدَالِ بِهَا، فَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَإِنَّهُ ذُو حِيلَةٍ وَكَفٍّ مُهَيَّأَةٍ لِلْعَمَلِ، فَهُوَ يَنْسِجُ وَيَغْزِلُ، وَيَتَّخِذُ لِنَفْسِهِ الْكِسْوَةَ، وَيَسْتَبْدِلُ بِهَا حَالاً بَعْدَ حَالٍ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ صَلَاحٌ مِنْ جِهَاتٍ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَشْتَغِلُ بِصَنْعَةِ اللِّبَاسِ عَنِ الْعَبَثِ، وَمَا يُخْرِجُهُ إِلَيْهِ الْكِفَايَةُ، وَمِنْهَا أَنَّهُ يَسْتَرِيحُ إِلىٰ خَلْعِ

كِسْوَتِهِ إِذَا شَاءَ، وَلُبْسِهَا إِذَا شَاءَ، وَمِنْهَا أَنْ يَتَّخِذَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْكِسْوَةِ ضُرُوباً لَهَا جَمَالٌ وَرَوْعَةٌ، فَيَتَلَذَّذُ بِلُبْسِهَا وَتَبْدِيلِهَا، وَكَذَلِكَ يَتَّخِذُ بِالرِّفْقِ مِنَ الصَّنْعَةِ ضُرُوباً مِنَ الْخِفَافِ وَالنِّعَالِ يَقِي بِهَا قَدَمَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ مَعَايِشُ لِمَنْ يَعْمَلُهُ مِنَ النَّاسِ، وَمَكَاسِبُ يَكُونُ فِيهَا مَعَاشُهُمْ، وَمِنْهَا أَقْوَاتُهُمْ وَأَقْوَاتُ عِيَالِهِمْ، فَصَارَ الشَّعْرُ وَالْوَبَرُ وَالصُّوفُ يَقُومُ لِلْبَهَائِمِ مَقَامَ الْكِسْوَةِ، وَالْأَظْلَافُ وَالْحَوَافِرُ وَالْأَخْفَافُ مَقَامَ الْحِذَاءِ.

بيان: قال الجوهريّ: قال الكسائيّ: رجل حاف بيّن الحفوة، والحفاء -بالمدّ- وهو الذي يمشي بلا خفّ ولا نعل.

وقال: وأمّا الذي حفي من كثرة المشي أي رقّت قدمه أو حافره، فإنّه حفّ بيّن الحفا مقصوراً، وأحفاه غيره، انتهى.

قوله عليه السلام: وروعه: من قولهم راعني الشيء: أعجبني.

فَكِّرْ -يَا مُفَضَّلُ- فِي خِلْقَةٍ عَجِيبَةٍ جُعِلَتْ فِي الْبَهَائِمِ، فَإِنَّهُمْ يُوَارُونَ أَنْفُسَهُمْ إِذَا مَاتُوا كَمَا يُوَارِي النَّاسُ مَوْتَاهُمْ، وَإِلَّا فَأَيْنَ جِيَفُ هَذِهِ الْوُحُوشِ وَالسِّبَاعِ وَغَيْرِهَا لَا يُرَىٰ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَيْسَتْ قَلِيلَةً فَتَخْفَىٰ لِقِلَّتِهَا، بَلْ لَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهَا أَكْثَرُ مِنَ النَّاسِ لَصَدَقَ، فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا تَرَاهُ فِي الصَّحَارِي وَالْجِبَالِ مِنْ أَسْرَابِ الظِّبَاءِ وَالْمَهَا وَالْحَمِيرِ وَالْوُعُولِ وَالْأَيَائِلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُحُوشِ، وَأَصْنَافِ السِّبَاعِ مِنَ الْأُسْدِ وَالضِّبَاعِ وَالذِّئَابِ وَالنُّمُورِ وَغَيْرِهَا، وَضُرُوبِ الْهَوَامِّ وَالْحَشَرَاتِ وَدَوَابِّ الْأَرْضِ،

وَكَذَلِكَ أَسْرَابُ الطَّيْرِ مِنَ الْغِرْبَانِ (١) وَالْقَطَا (٢) وَالْإِوَزِّ (٣) وَالْكَرَاكِي (٤) وَالْحَمَامِ وَسِبَاعِ الطَّيْرِ جَمِيعاً، وَكُلُّهَا لَا يُرىٰ مِنْهَا شَيْءٌ إِذَا مَاتَتْ إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ يَصِيدُهُ قَانِصٌ، أَوْ يَفْتَرِسُهُ سَبُعٌ، فَإِذَا أَحَسُّوا بِالْمَوْتِ كَمَنُوا (٥) فِي مَوَاضِعَ خَفِيَّةٍ فَيَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَامْتَلَأَتِ الصَّحَارِي مِنْهَا حَتَّىٰ تَفْسُدَ رَائِحَةُ الْهَوَاءِ، وَيُحْدَثُ الْأَمْرَاضُ وَالْوَبَاءُ، فَانْظُرْ إِلىٰ هَذَا الَّذِي يَخْلُصُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَعَمِلُوهُ بِالتَّمْثِيلِ الأوّل الَّذِي مُثِّلَ لَهُمْ كَيْفَ جُعِلَ طَبْعاً وَادِّكَاراً فِي الْبَهَائِمِ وَغَيْرِهَا لِيَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ مَعَرَّةِ مَا يُحْدَثُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْفَسَادِ.

توضيح: السرب ـ بالكسر ـ والسربة: القطيع من الظباء والقطا والخيل ونحوها، والجمع أسراب. والمهاة: البقرة الوحشيّة، والجمع مها.

والوعل ـ بالفتح وككتف ـ: تيس الجبل، والجمع وعال ووعول. والأيّل ـ بضمّ الهمزة وكسرها وفتح الياء المشدّدة وكسيّد ـ: الذكر من الأوعال.

ويقال: هو الذي يسمّى بالفارسية گوزن، والجمع أيابيل، والقانص: الصائد، وخلص إليه: وصل، والمراد بالتمثيل ما ذكره اللّه تعالى في قصّة

---

(١) جمع الغراب.
(٢) جمع القطاة: طائر في حجم الحمام.
(٣) جمع الاوزّة: طائر مائيّ يقال له: الوزّة أيضاً.
(٤) جمع الكركيّ: طائر كبير، أغبر اللون، طويل العنق والرجلين، أبتر الذنب، قليل اللحم، يأوى إلى الماء أحياناً.
(٥) أي تواروا واختفوا.

قابيل، والمعرّة: الأذى.

فَكِّرْ - يَا مُفَضَّلُ - فِي الْفِطَنِ الَّتِي جُعِلَتْ فِي الْبَهَائِمِ لِمَصْلَحَتِهَا بِالطَّبْعِ وَالْخِلْقَةِ لُطْفاً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ، لِئَلَّا يَخْلُوَ مِنْ نِعَمِهِ جَلَّ وَعَزَّ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لَا بِعَقْلٍ وَرَوِيَّةٍ، فَإِنَّ الْأَيَّلَ يَأْكُلُ الْحَيَّاتِ فَيَعْطَشُ عَطَشاً شَدِيداً، فَيَمْتَنِعُ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَدِبَّ السَّمُّ فِي جِسْمِهِ فَيَقْتُلَهُ، وَيَقِفُ عَلَى الْغَدِيرِ وَهُوَ مَجْهُودٌ عَطَشاً، فَيَعِجُّ عَجِيجاً عَالِياً وَلَا يَشْرَبُ مِنْهُ، وَلَوْ شَرِبَ لَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، فَانْظُرْ إِلَىٰ مَا جُعِلَ مِنْ طِبَاعِ هَذِهِ الْبَهِيمَةِ مِنْ تَحَمُّلِ الظَّمَاءِ الْغَالِبِ خَوْفاً مِنَ الْمَضَرَّةِ فِي الشُّرْبِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ الْمُمَيِّزُ يَضْبِطُهُ مِنْ نَفْسِهِ.

وَالثَّعْلَبَ إِذَا أَعْوَزَهُ الطُّعْمُ تَمَاوَتَ، وَنَفَخَ بَطْنَهُ حَتَّىٰ يَحْسَبَهُ الطَّيْرُ مَيِّتاً، فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ لِتَنْهَشَهُ وَثَبَ عَلَيْهَا فَأَخَذَهَا، فَمَنْ أَعَانَ الثَّعْلَبَ الْعَدِيمَ النُّطْقِ وَالرَّوِيَّةِ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ إِلَّا مَنْ تَوَكَّلَ بِتَوْجِيهِ الرِّزْقِ لَهُ مِنْ هَذَا وَشِبْهِهِ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ الثَّعْلَبُ يَضْعُفُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَقْوىٰ عَلَيْهِ السِّبَاعُ مِنْ مُسَاوَرَةِ الصَّيْدِ أُعِينَ بِالدَّهَاءِ (١) وَالْفِطْنَةِ وَالاحْتِيَالِ لِمَعَاشِهِ.

وَالدُّلْفِينَ يَلْتَمِسُ صَيْدَ الطَّيْرِ فَيَكُونُ حِيلَتُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ السَّمَكَ فَيَقْتُلَهُ وَيَشْرَحَهُ (٢) حَتَّىٰ يَطْفُوَ عَلَى الْمَاءِ، يَكْمُنُ تَحْتَهُ وَيُثَوِّرُ الْمَاءَ الَّذِي عَلَيْهِ حَتَّىٰ لَا يَتَبَيَّنَ شَخْصُهُ، فَإِذَا وَقَعَ الطَّيْرُ عَلَى السَّمَكِ الطَّافِي وَثَبَ إِلَيْهَا

---

(١) الدهاء: جودة الرأي، والحذق: المكر والاحتيال.

(٢) أي يقطعه.

فَاصْطَادَهَا ، فَانْظُرْ إِلىٰ هَذِهِ الْحِيلَةِ كَيْفَ جُعِلَتْ طَبْعاً فِي هَـذِهِ الْـبَهِيمَةِ لِبَعْضِ الْمَصْلَحَةِ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ : فَقُلْتُ : خَبِّرْنِي يَا مَوْلَايَ عَنِ التِّنِّينِ وَالسَّحَابِ؟ فَـقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ السَّحَابَ كَالْمُوَكَّلِ بِهِ يَخْتَطِفُهُ حَيْثُمَا ثَقِفَهُ كَمَا يَخْتَطِفُ حَجَرُ الْمِغْنَاطِيسِ الْحَدِيدَ ، فَهُوَ لَا يَطْلُعُ رَأْسَـهُ فِـي الْأَرْضِ خَـوْفاً مِـنَ السَّحَابِ ، وَلَا يَخْرُجُ إِلّا فِي الْقَيْظِ مَرَّةً إِذَا صَحَتِ السَّمَاءُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا نُكْتَةٌ مِنْ غَيْمَةٍ.

قُلْتُ : فَلِمَ وَكَّلَ السَّحَابَ بِالتِّنِّينِ يَرْصُدُهُ وَيَخْتَطِفُهُ إِذَا وَجَدَهُ؟ قَـالَ : لِيَدْفَعَ عَنِ النَّاسِ مَضَرَّتَهُ.

بيان : قوله : «لَا بِعَقْلٍ وَرَوِيَّةٍ» لعلّ المراد أنّ هذه الأُمور مـن مـحض لطفه تعالى ، حيث يلهمهم ذلك لا بعقل وروية ، وفي أكـثر النسـخ : لا يـعقل ومـروته ، وهـو تـصحيف ، والمـراد مـعلوم ، والجـهد : الطـاقة والمشقّة ، أي أصابته مشقّة عظيمة مـن العـطش ، والعـجيج : الصـياح ، ورفع الصوت ، وأعوزه الشيء أي احتاج إليه ، والتماوت : إظهار الموت حيلة ، والمساورة : هي الوثوب على وجه الصيد.

وقال الفيروزآباديّ : الدلفين ـ بالضمّ ـ : دابّة بحريّة تنجي الغريق (١).

---

(١) وقيل : هو خنزير البحر ، وهو دابّة تنجي الغريق ، وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح ، لأنّه يقذف به البحر إلى النيل ، وصفته كصفة الزقّ المـنفوخ ، وله رأس صـغير جدّاً ، وليس في دوابّ البحر ما له رئة سواه ، فلذلك يسمع منه النفخ والنفس ، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته ، لأنّه لا يزال يدفعه إلى البرّ حتّى يـنجيه ، ولا يـؤذي أحداً ، ومن طبعه الأُنس بالانسان وخاصّة بالصبيان.

وقوله عليه السلام: «يُثَوِّرُ الْمَاءَ» أي يهيّجه ويحرّكه، و«التِّنِّين» حيّة عظيمة معروفة، و«ثَقِفَه» أي وجده، و«الْقَيْظ» صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل، والصحو: ذهاب الغيم.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَقُلْتُ: قَدْ وَصَفْتَ لِي مَوْلَايَ مِنْ أَمْرِ الْبَهَائِمِ مَا فِيهِ مُعْتَبَرٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ، فَصِفْ لِيَ الذَّرَّةَ (١) وَالنَّمْلَ وَالطَّيْرَ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا مُفَضَّلُ! تَأَمَّلْ وَجْهَ الذَّرَّةِ الْحَقِيرَةِ الصَّغِيرَةِ هَلْ تَجِدُ فِيهَا نَقْصاً عَمَّا فِيهِ صَلَاحُهَا، فَمِنْ أَيْنَ هَذَا التَّقْدِيرُ وَالصَّوَابُ فِي خَلْقِ الذَّرَّةِ إِلَّا مِنَ التَّدْبِيرِ الْقَائِمِ فِي صَغِيرِ الْخَلْقِ وَكَبِيرِهِ.

انْظُرْ إِلَى النَّمْلِ وَاحْتِشَادِهَا فِي جَمْعِ الْقُوتِ وَإِعْدَادِهِ، فَإِنَّكَ تَرَى الْجَمَاعَةَ مِنْهَا إِذَا نَقَلَتِ الْحَبَّ إِلَىٰ زُبْيَتِهَا بِمَنْزِلَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ يَنْقُلُونَ الطَّعَامَ أَوْ غَيْرَهُ، بَلْ لِلنَّمْلِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ مَا لَيْسَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ، أَمَا تَرَاهُمْ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى النَّقْلِ كَمَا يَتَعَاوَنُ النَّاسُ عَلَى الْعَمَلِ، ثُمَّ يَعْمِدُونَ إِلَى الْحَبِّ فَيُقَطِّعُونَهُ قِطَعاً لِكَيْلَا يَنْبُتَ فَيَفْسُدَ عَلَيْهِمْ (٢)، فَإِنْ أَصَابَهُ نَدىً أَخْرَجُوهُ فَنَشَرُوهُ حَتَّىٰ يَجِفَّ، ثُمَّ لَا يَتَّخِذُ النَّمْلُ الزُّبْيَةَ إِلَّا فِي نَشَزٍ مِنَ الْأَرْضِ كَيْ لَا يُفِيضَ السَّيْلُ فَيُغْرِقَهَا (٣)، فَكُلُّ هَذَا مِنْهُ بِلَا عَقْلٍ

(١) الذرّة: النحلة الصغيرة الحمراء.

(٢) ويقطع الكفرة ويقسمها أرباعاً، لما أُلهم من أنّ كلّ نصف منها ينبت.

(٣) قال الدميريّ: يحفر قريته بقوائمه وهي ستّ، فإذا حفرها جعل فيها تعاريج، لئلّا يجري إليها ماء المطر، وربّما اتّخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك، وإنّما يفعل ذلك خوفاً على ما يدّخره من البلل، ومن عجائبه اتّخاذ القرية تحت الأرض، وفيها منازل ودهاليز وغرف

وَلَا رَوِيَّةٍ، بَلْ خِلْقَةٌ خُلِقَ عَلَيْهَا لِمَصْلَحَةٍ لُطْفاً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

انْظُرْ إِلىٰ هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ: اللَّيْثُ، وَتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ أَسَدَ الذُّبَابِ، وَمَا أُعْطِيَ مِنَ الْحِيلَةِ وَالرِّفْقِ فِي مَعَاشِهِ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ حِينَ يُحِسُّ بِالذُّبَابِ قَدْ وَقَعَ قَرِيباً مِنْهُ تَرَكَهُ مَلِيّاً حَتّىٰ كَأَنَّهُ مَوَاتٌ لَا حَرَاكَ بِهِ، فَإِذَا رَأَى الذُّبَابَ قَدِ اطْمَأَنَّ وَغَفَلَ عَنْهُ دَبَّ دَبِيباً دَقِيقاً (١) حَتّىٰ يَكُونَ مِنْهُ بِحَيْثُ يَنَالُهُ وَثْبُهُ، ثُمَّ يَثِبُ عَلَيْهِ فَيَأْخُذُهُ، فَإِذَا أَخَذَهُ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ بِجِسْمِهِ كُلِّهِ مَخَافَةَ أَنْ يَنْجُوَ مِنْهُ، فَلَا يَزَالُ قَابِضاً عَلَيْهِ حَتّىٰ يُحِسَّ بِأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ وَاسْتَرْخىٰ، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَيْهِ فَيَفْتَرِسُهُ، وَيَحْيَا بِذَلِكَ مِنْهُ.

فَأَمَّا الْعَنْكَبُوتُ، فَإِنَّهُ يَنْسِجُ ذَلِكَ النَّسْجَ فَيَتَّخِذُهُ شَرَكاً وَمَصْيَدَةً لِلذُّبَابِ، ثُمَّ يَكْمُنُ فِي جَوْفِهِ، فَإِذَا نَشِبَ فِيهِ الذُّبَابُ (٢) أَجَالَ عَلَيْهِ يَلْدَغُهُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، فَيَعِيشُ بِذَلِكَ مِنْهُ، فَكَذَلِكَ يُحْكىٰ صَيْدُ الْكِلَابِ وَالْفُهُودِ، وَهَكَذَا يُحْكىٰ صَيْدُ الْأَشْرَاكِ وَالْحَبَائِلِ.

فَانْظُرْ إِلىٰ هَذِهِ الدُّوَيْبَّةِ الضَّعِيفَةِ كَيْفَ جُعِلَ فِي طَبْعِهَا مَا لَا يَبْلُغُهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ، وَاسْتِعْمَالِ الْآلَاتِ فِيهَا، فَلَا تَزْدَرِ بِالشَّيْءِ إِذَا كَانَتِ الْعِبْرَةُ فِيهِ وَاضِحَةً، كَالذَّرَّةِ وَالنَّمْلَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَعْنَى النَّفِيسَ قَدْ يُمَثَّلُ بِالشَّيْءِ الْحَقِيرِ، فَلَا يَضَعُ مِنْهُ ذَلِكَ كَمَا لَا يَضَعُ مِنَ الدِّينَارِ، وَهُوَ

وطبقات معلّقة، يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء.

(١) وفي نسخة: دبّ دبيباً رقيقاً.

(٢) أي وقع فيه.

مِنْ ذَهَبٍ أَنْ يُوزَنَ بِمِثْقَالٍ مِنْ حَدِيدٍ.

بيان: الاحتشاد: الاجتماع، و«الزُّبْيَة» ـ بالضمّ ـ: الحفرة، والنشر ـ بالفتح وبالتحريك ـ: المكان المرتفع، وقال الجوهريّ: الليث: الأسد، وضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب، انتهى، والموات ـ بالفتح ـ: ما لا روح فيه، ويقال: ما به حراك ـ كسحاب ـ: أي حركه. والشرك ـ بالتحريك ـ: حبالة الصائد، ويقال: أحال عليه بالسوط يضربه أي أقبل.

قوله عليه السلام: «فَكَذَلِكَ» أي كفعل الليث، وقوله: «وَهَكَذَا» أي كالعنكبوت، والازدراء: الاحتقار.

قوله عليه السلام: «فَلَا يَضَعُ مِنْهُ» أي لا ينقص من قدر المعنى النفيس تمثيله بالشيء الحقير، قال الفيروزآباديّ: وضع عنه: حطّ من قدره.

تَأَمَّلْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ جِسْمَ الطَّائِرِ وَخِلْقَتَهُ، فَإِنَّهُ حِينَ قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ طَائِراً فِي الْجَوِّ خُفِّفَ جِسْمُهُ، وَأُدْمِجَ خَلْقُهُ، فَاقْتَصَرَ بِهِ مِنَ الْقَوَائِمِ الْأَرْبَعِ عَلَى اثْنَتَيْنِ، وَمِنَ الْأَصَابِعِ الْخَمْسِ عَلَىٰ أَرْبَعٍ، وَمِنْ مَنْفَذَيْنِ لِلزِّبْلِ وَالْبَوْلِ عَلَىٰ وَاحِدٍ يَجْمَعُهُمَا، ثُمَّ خُلِقَ ذَا جُؤْجُؤٍ مُحَدَّدٍ لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرِقَ الْهَوَاءَ كَيْفَ مَا أَخَذَ فِيهِ، كَمَا جُعِلَ السَّفِينَةُ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ لِتَشُقَّ الْمَاءَ وَتَنْفُذَ فِيهِ، وَجُعِلَ فِي جَنَاحَيْهِ وَذَنَبِهِ رِيشَاتٌ طِوَالٌ مِتَانٌ لِيَنْهَضَ بِهَا لِلطَّيَرَانِ، وَكُسِيَ كُلُّهُ الرِّيشَ لِيُدَاخِلَهُ الْهَوَاءُ فَيُقِلَّهُ، وَلَمَّا قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ طُعْمُهُ الْحَبَّ وَاللَّحْمَ يَبْلَعُهُ بَلْعاً بِلَا مَضْغٍ، نُقِصَ مِنْ خَلْقِهِ الْأَسْنَانُ، وَخُلِقَ لَهُ مِنْقَارٌ صُلْبٌ جَاسٍ يَتَنَاوَلُ بِهِ طُعْمَهُ، فَلَا يَنْسَحِجُ مِنْ لَقْطِ الْحَبِّ، وَلَا يَتَقَصَّفُ مِنْ

نَهْشِ اللَّحْمِ ، وَلَمَّا عَدِمَ الْأَسْنَانَ وَصارَ يَزْدَرِدُ الْحَبَّ صَحِيحاً ، وَاللَّحْمَ غَرِيضاً ، أُعِينَ بِفَضْلِ حَرارَةٍ فِي الْجَوْفِ تَطْحَنُ لَهُ الطُّعْمَ طَحْناً يَسْتَغْنِي بِهِ عَنِ الْمَضْغِ ، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّ عَجَمَ الْعِنَبِ وَغَيْرِهِ يَخْرُجُ مِنْ أَجْوَافِ الْإِنْسِ صَحِيحاً ، وَيُطْحَنُ فِي أَجْوَافِ الطَّيْرِ ، لَا يُرىٰ لَهُ أَثَرٌ ، ثُمَّ جُعِلَ مِمَّا يَبِيضُ بَيْضاً وَلَا يَلِدُ وِلَادَةً لِكَيْلَا يَثْقُلَ عَنِ الطَّيَرَانِ ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَتِ الْفِراخُ فِي جَوْفِهِ تَمْكُثُ حَتّىٰ تَسْتَحْكِمَ لَأَثْقَلَتْهُ وَعَاقَتْهُ عَنِ النُّهُوضِ وَالطَّيَرَانِ ، فَجُعِلَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ مُشَاكِلاً لِلْأَمْرِ الَّذِي قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ صَارَ الطَّائِرُ السَّائِحُ فِي هَذَا الْجَوِّ يَقْعُدُ عَلىٰ بَيْضِهِ فَيَحْضُنُهُ أُسْبُوعاً ، وَبَعْضُهَا أُسْبُوعَيْنِ ، وَبَعْضُهَا ثَلَاثَةَ أَسَابِيعَ ، حَتّىٰ يَخْرُجَ الْفَرْخُ مِنَ الْبَيْضَةِ ، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَيْهِ فَيَزُقُّهُ الرِّيحَ لِتَتَّسِعَ حَوْصَلَتُهُ لِلْغِذَاءِ ، ثُمَّ يُرَبِّيهِ وَيُغَذِّيهِ بِمَا يَعِيشُ بِهِ ، فَمَنْ كَلَّفَهُ أَنْ يَلْقُطَ الطُّعْمَ وَيَسْتَخْرِجَهُ بَعْدَ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي حَوْصَلَتِهِ وَيَغْذُوبِهِ فِرَاخَهُ ؟ وَلِأَيِّ مَعْنىً يَحْتَمِلُ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ وَلَيْسَ بِذِي رَوِيَّةٍ وَلَا تَفَكُّرٍ وَلَا يَأْمُلُ فِي فِرَاخِهِ مَا يَأْمُلُ الْإِنْسَانُ فِي وَلَدِهِ مِنَ الْعِزِّ وَالرِّفْدِ (١) ، وَبَقَاءِ الذِّكْرِ ؟ فَهَذَا هُوَ فِعْلٌ (٢) يَشْهَدُ بِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلىٰ فِرَاخِهِ لِعِلَّةٍ لَا يَعْرِفُهَا وَلَا يُفَكِّرُ فِيهَا ، وَهِيَ دَوَامُ النَّسْلِ وَبَقَاؤُهُ لُطْفاً مِنَ اللَّهِ تَعَالىٰ ذِكْرُهُ.

انْظُرْ إِلَى الدَّجَاجَةِ كَيْفَ تُهَيَّجُ لِحِضْنِ الْبَيْضِ وَالتَّفْرِيخِ ، وَلَيْسَ لَهَا

---

(١) الرفد : النصيب ، المعاونة .

(٢) وفي نسخة : فهذا من فعله .

بَيْضٌ مُجْتَمَعٌ، وَلَا وَكْرٌ[١] مُوَطَّأٌ، بَلْ تَنْبَعِثُ وَتَنْتَفِخُ وَتُقَوْقِي، وَتَمْتَنِعُ مِنَ الطُّعْمِ حَتّىٰ يُجْمَعَ لَهَا الْبَيْضُ فَتَحْضُنُهُ وَتُفْرِخُ، فَلِمَ كَانَ ذَلِكَ مِنْهَا إِلّا لِإِقَامَةِ النَّسْلِ، وَمَنْ أَخَذَهَا بِإِقَامَةِ النَّسْلِ؟ وَلَا رَوِيَّةَ وَلَا تَفَكُّرَ لَوْلَا أَنَّهَا مَجْبُولَةٌ عَلىٰ ذَلِكَ.

اعْتَبِرْ بِخَلْقِ الْبَيْضَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمُحِّ الْأَصْفَرِ الْخَاثِرِ، وَالْمَاءِ الْأَبْيَضِ الرَّقِيقِ، فَبَعْضُهُ لِيَنْتَشِرَ مِنْهُ الْفَرْخُ، وَبَعْضُهُ لِيُغَذّىٰ بِهِ[٢] إِلىٰ أَنْ تَنْقَابَ عَنْهُ الْبَيْضَةُ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ نُشُوءُ الْفَرْخِ فِي تِلْكَ الْقِشْرَةِ الْمُسْتَحْصَنَةِ الَّتِي لَا مَسَاغَ لِشَيْءٍ إِلَيْهَا لَجُعِلَ مَعَهُ فِي جَوْفِهَا مِنَ الْغِذَاءِ مَا يَكْتَفِي بِهِ إِلىٰ وَقْتِ خُرُوجِهِ مِنْهَا، كَمَنْ يُحْبَسُ فِي حَبْسٍ حَصِينٍ لَا يُوصَلُ إِلىٰ مَنْ فِيهِ، فَيُجْعَلُ مَعَهُ مِنَ الْقُوتِ مَا يَكْتَفِي بِهِ إِلىٰ وَقْتِ خُرُوجِهِ مِنْهُ.

فَكِّرْ فِي حَوْصَلَةِ الطَّائِرِ، وَمَا قُدِّرَ لَهُ، فَإِنَّ مَسْلَكَ الطُّعْمِ إِلَى الْقَانِصَةِ[٣] ضَيِّقٌ لَا يَنْفُذُ فِيهِ الطَّعَامُ إِلّا قَلِيلاً قَلِيلاً، فَلَوْ كَانَ الطَّائِرُ لَا يَلْقُطُ حَبَّةً ثَانِيَةً حَتّىٰ تَصِلَ الْأُولىٰ إِلَى الْقَانِصَةِ لَطَالَ عَلَيْهِ، وَمَتىٰ كَانَ يَسْتَوْفِي طُعْمَهُ فَإِنَّمَا يَخْتَلِسُهُ اخْتِلَاساً لِشِدَّةِ الْحَذَرِ، فَجُعِلَتِ الْحَوْصَلَةُ كَالْمِخْلَاةِ الْمُعَلَّقَةِ أَمَامَهُ لِيُوعِيَ فِيهَا مَا أَدْرَكَ مِنَ الطُّعْمِ بِسُرْعَةٍ، ثُمَّ تُنْفِذُهُ إِلَى الْقَانِصَةِ

(١) الوكر - بفتح الواو وسكون الكاف -: عشّ الطائر.
(٢) وفي نسخة: ليغتذى به.
(٣) القانصة للطير كالمعدة للإنسان.

عَلىٰ مَهْلٍ ، وَفِي الْحَوْصَلَةِ أَيْضاً خَلَّةٌ أُخْرىٰ ، فَإِنَّ مِنَ الطَّائِرِ مَا يَحْتَاجُ إِلىٰ أَنْ يَزُقَّ فِرَاخَهُ فَيَكُونُ رَدُّهُ لِلطُّعْمِ مِنْ قُرْبٍ أَسْهَلَ عَلَيْهِ.

توضيح: أقلّه أي حمله ورفعه، وجسا ـكدعا ـ: صلب ويبس، ويقال: سحجت جلده فانسحج أي قشّرته فانقشر، والتقصّف: التكسّر، والغريض: الطريّ، أي غير مطبوخ، والعجم ـبالتحريك ـ: النوى، وحضن الطائر بيضته يحضنه: إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، وزقّ الطائر: فرخه، يزقّه أي أطعمه بفيه، «وَتُقَوْقِي» أي تصيح، و«الْـمُحُّ» ـبضمّ الميم والحاء المهملة ـ: صفرة البيض، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة.

وقال الأصمعيّ: أخثرت الزبد: تركته خاثراً، وذلك إذا لم تذبه.

و«تَنْقَابَ» أي تنفلق.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ ! إِنَّ قَوْماً مِنَ الْـمُعَطِّلَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ فِي الطَّيْرِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ قِبَلِ امْتِزَاجِ الْأَخْلَاطِ، وَاخْتِلَافِ مَقَادِيرِهَا بِالْمَرَجِ وَالْإِهْمَالِ ؟ فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ ! هَذَا الْوَشْيُ الَّذِي تَرَاهُ فِي الطَّوَاوِيسِ وَالدُّرَّاجِ ، وَالتَّدَارِجِ (١) عَلَى اسْتِوَاءٍ وَمُقَابَلَةٍ كَنَحْوِ مَا يَخُطُّ بِالْأَقْلَامِ ، كَيْفَ يَأْتِي بِهِ الامْتِزَاجُ الْـمُهْمَلُ عَلىٰ شَكْلٍ وَاحِدٍ لَا يَخْتَلِفُ وَلَوْ كَانَ بِالْإِهْمَالِ لَعَدِمَ الاسْتِوَاءَ وَلَكَانَ مُخْتَلِفاً.

---

(١) قال الدميريّ: التدرج ـكحبرج ـ: طائر كالدرّاج يغرّد في البساتين بأصوات طيّبة، يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال، ويهزل عند كدورته وهبوب الجنوب، يتّخذ داره في التراب الليّن، ويضع البيض فيها لئلّا يتعرّض للآفات، وقال ابن زهر: هو طائر مليح، يكون بأرض خراسان، وغيرها من بلاد فارس.

تَأَمَّلْ رِيشَ الطَّيْرِ كَيْفَ هُوَ ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ مَنْسُوجاً كَنَسْجِ الثَّوْبِ مِنْ سُلُوكٍ دِقَاقٍ قَدْ أُلِّفَ بَعْضُهُ إِلىٰ بَعْضٍ كَتَأْلِيفِ الْخَيْطِ إِلَى الْخَيْطِ وَالشَّعْرَةِ إِلَى الشَّعْرَةِ ، ثُمَّ تَرىٰ ذَلِكَ النَّسْجَ إِذَا مَدَدْتَهُ يَنْفَتِحُ قَلِيلاً ، وَلَا يَنْشَقُّ لِتُدَاخِلَهُ الرِّيحُ فَيَقِلَّ الطَّائِرُ إِذَا طَارَ ، وَتَرىٰ فِي وَسَطِ الرِّيشَةِ عَمُوداً غَلِيظاً مَتِيناً قَدْ نُسِجَ عَلَيْهِ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الشَّعْرِ لِيُمْسِكَهُ بِصَلَابَتِهِ ، وَهُوَ الْقَصَبَةُ الَّتِي هُوَ فِي وَسَطِ الرِّيشَةِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَجْوَفُ لِيَخِفَّ عَلَى الطَّائِرِ وَلَا يَعُوقَهُ عَنِ الطَّيَرَانِ .

بيان : : المرج ـ بالتحريك ـ : الفساد والاضطراب والاختلاط ، وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة ، والأوّل أظهر .

و« الْوَشْي » نقش الثوب ، ويكون من كلّ لون ، والسلوك : جمع السلك ، وهو جمع السلكة ـ بالكسر ـ : الخيط يخاط بها .

هَلْ رَأَيْتَ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ هَذَا الطَّائِرَ الطَّوِيلَ السَّاقَيْنِ ، وَعَرَفْتَ مَا لَهُ مِنَ الْمَنْفَعَةِ فِي طُولِ سَاقَيْهِ ، فَإِنَّهُ أَكْثَرُ ذَلِكَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ الْمَاءِ ، فَتَرَاهُ بِسَاقَيْنِ طَوِيلَيْنِ كَأَنَّهُ رَبِيئَةٌ فَوْقَ مَرْقَبٍ ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ مَا يَدِبُّ فِي الْمَاءِ ، فَإِذَا رَأَىٰ شَيْئاً مِمَّا يَتَقَوَّتُ بِهِ خَطَا خُطُوَاتٍ رَقِيقاً (١) ، حَتَّىٰ يَتَنَاوَلَهُ ، وَلَوْ كَانَ قَصِيرَ السَّاقَيْنِ ، وَكَانَ يَخْطُو نَحْوَ الصَّيْدِ لِيَأْخُذَهُ ، يُصِيبُ بَطْنُهُ الْمَاءَ فَيَثُورُ وَيُذْعَرُ مِنْهُ فَيَتَفَرَّقُ عَنْهُ ، فَخُلِقَ لَهُ ذَلِكَ الْعَمُودَانِ لِيُدْرِكَ بِهِمَا حَاجَتَهُ ، وَلَا يَفْسُدَ عَلَيْهِ مَطْلَبُهُ .

---

(١) وفي نسخة : خطوات رقيقات .

تَأَمَّلْ ضُرُوبَ التَّدْبِيرِ فِي خَلْقِ الطَّائِرِ فَإِنَّكَ تَجِدُ كُلَّ طَائِرٍ طَوِيلِ السَّاقَيْنِ طَوِيلَ الْعُنُقِ، وَذٰلِكَ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ تَنَاوُلِ طُعْمِهِ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَوْ كَانَ طَوِيلَ السَّاقَيْنِ قَصِيرَ الْعُنُقِ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَنَاوَلَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ، وَرُبَّمَا أُعِينَ مَعَ طُولِ الْعُنُقِ (١) بِطُولِ الْمَنَاقِيرِ لِيَزْدَادَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ سُهُولَةً لَهُ وَإِمْكَاناً، أَفَلَا تَرىٰ أَنَّكَ لَا تُفَتِّشُ شَيْئاً مِنَ الْخِلْقَةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ عَلىٰ غَايَةِ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ.

توضيح: ماء ضحضاح أي قريب القعر. والربيئة ـ بالهمز ـ: العين. والطليعة: الذي ينظر للقوم لئلّا يدهمهم عدوّ، ولا يكون إلّا على جبل أو شرف. والمرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب. والذعر: الخوف.

انْظُرْ إِلَى الْعَصَافِيرِ كَيْفَ تَطْلُبُ أُكُلَهَا بِالنَّهَارِ، فَهِيَ لَا تَفْقِدُهُ، وَلَا هِيَ تَجِدُهُ مَجْمُوعاً مُعَدّاً، بَلْ تَنَالُهُ بِالْحَرَكَةِ وَالطَّلَبِ، وَكَذٰلِكَ الْخَلْقُ كُلُّهُ، فَسُبْحَانَ مَنْ قَدَّرَ الرِّزْقَ كَيْفَ قَوَّتَهُ (٢)، فَلَمْ يَجْعَلْ مِمَّا لَا يُقْدَرُ عَلَيْهِ إِذْ جَعَلَ لِلْخَلْقِ حَاجَةً إِلَيْهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَبْذُولاً وَيُنَالُ بِالْهُوَيْنَا؛ إِذْ كَانَ لَا صَلَاحَ فِي ذٰلِكَ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ يُوجَدُ مَجْمُوعاً مُعَدّاً كَانَتِ الْبَهَائِمُ تَتَقَلَّبُ عَلَيْهِ، وَلَا تَنْقَلِعُ حَتّىٰ تَبْشَمَ فَتَهْلِكَ، وَكَانَ النَّاسُ أَيْضاً يَصِيرُونَ بِالْفَرَاغِ إِلىٰ غَايَةِ الْأَشَرِ وَالْبَطَرِ، حَتّىٰ يَكْثُرَ الْفَسَادُ، وَيَظْهَرَ الْفَوَاحِشُ.

---

(١) وفي نسخة: أُعِينَ على طول العنق.
(٢) وفي نسخة: كيف قدّره.

أَعَلِمْتَ مَا طُعْمُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ مِنَ الطَّيْرِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ إِلّا بِاللَّيْلِ، كَمِثْلِ الْبُومِ وَالْهَامِ(١) وَالْخُفَّاشِ؟ قُلْتُ: لَا يَا مَوْلَايَ.

قَالَ: إِنَّ مَعَاشَهَا مِنْ ضُرُوبٍ تَنْتَشِرُ فِي هَذَا الْجَوِّ مِنَ الْبَعُوضِ وَالْفَرَاشِ وَأَشْبَاهِ الْجَرَادِ وَالْيَعَاسِيبِ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الضُّرُوبَ مَبْثُوثَةٌ فِي الْجَوِّ لَا يَخْلُو مِنْهَا مَوْضِعٌ. وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّكَ إِذَا وَضَعْتَ سِرَاجاً بِاللَّيْلِ فِي سَطْحٍ، أَوْ عَرْصَةِ دَارٍ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا شَيْءٌ كَثِيرٌ، فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي ذَلِكَ كُلُّهُ إِلّا مِنَ الْقُرْبِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّهُ يَأْتِي مِنَ الصَّحَارِي وَالْبَرَارِي.

قِيلَ لَهُ: كَيْفَ يُوَافِي تِلْكَ السَّاعَةَ مِنْ مَوْضِعٍ بَعِيدٍ؟ وَكَيْفَ يُبْصِرُ مِنْ ذَلِكَ الْبُعْدِ سِرَاجاً فِي دَارٍ مَحْفُوفَةٍ بِالدُّورِ فَيَقْصِدُ إِلَيْهِ؟ مَعَ أَنَّ هَذِهِ عِيَاناً تَتَهَافَتُ عَلَى السِّرَاجِ(٢) مِنْ قُرْبٍ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهَا مُنْتَشِرَةٌ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْجَوِّ، فَهَذِهِ الْأَصْنَافُ مِنَ الطَّيْرِ تَلْتَمِسُهَا إِذَا خَرَجَتْ فَتَتَقَوَّتُ بِهَا. فَانْظُرْ كَيْفَ وُجِّهَ الرِّزْقُ لِهَذِهِ الطُّيُورِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ إِلّا بِاللَّيْلِ مِنْ هَذِهِ الضُّرُوبِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْجَوِّ.

وَاعْرِفْ مَعَ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ فِي خَلْقِ هَذِهِ الضُّرُوبِ الْمُنْتَشِرَةِ الَّتِي عَسَىٰ أَنْ يَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّهَا فَضْلٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ.

---

(١) جمع الهامة: نوع من البوم الصغير، تألف القبور والأماكن الخربة، وتنظر من كلّ مكان أينما درت أدارت رأسها، وتسمّى أيضاً الصدى.

(٢) أي تساقط عليه وتتابع.

خُلِقَ الْخُفَّاشُ خِلْقَةً عَجِيبَةً بَيْنَ خِلْقَةِ الطَّيْرِ وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ ، بَلْ هُوَ إِلَىٰ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ أَقْرَبُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ذُو أُذُنَيْنِ نَاشِزَتَيْنِ وَأَسْنَانٍ ، وَوَبَرٍ (١) ، وَهُوَ يَلِدُ وِلَاداً ، وَيَرْضِعُ وَيَبُولُ ، وَيَمْشِي إِذَا مَشَىٰ عَلَىٰ أَرْبَعٍ ، وَكُلُّ هَذَا خِلَافُ صِفَةِ الطَّيْرِ ، ثُمَّ هُوَ أَيْضاً مِمَّا يَخْرُجُ بِاللَّيْلِ ، وَيَتَقَوَّتُ مِمَّا يَسْرِي فِي الْجَوِّ مِنَ الْفَرَاشِ وَمَا أَشْبَهَهُ ، وَقَدْ قَالَ قَائِلُونَ : إِنَّهُ لَا طُعْمَ لِلْخُفَّاشِ ، وَإِنَّ غِذَاءَهُ مِنَ النَّسِيمِ وَحْدَهُ ، وَذَلِكَ يَفْسُدُ وَيَبْطُلُ مِنْ جِهَتَيْنِ :

إِحْدَاهُمَا : خُرُوجُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الثُّفْلِ وَالْبَوْلِ ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ مِنْ غَيْرِ طُعْمٍ ، وَالْأُخْرَىٰ أَنَّهُ ذُو أَسْنَانٍ ، وَلَوْ كَانَ لَا يَطْعَمُ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ لِلْأَسْنَانِ فِيهِ مَعْنىً ، وَلَيْسَ فِي الْخِلْقَةِ شَيْءٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ ، وَأَمَّا الْمَآرِبُ فِيهِ فَمَعْرُوفَةٌ حَتَّىٰ إِنَّ زِبْلَهُ يَدْخُلُ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ (٢) ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْإِرْبِ فِيهِ خِلْقَتُهُ الْعَجِيبَةُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ قُدْرَةِ الْخَالِقِ جَلَّ شَأْنُهُ ، وَتَصَرُّفِهَا فِيمَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ لِضَرْبٍ مِنَ الْمَصْلَحَةِ .

فَأَمَّا الطَّائِرُ الصَّغِيرُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : ابْنُ تُمَّرَةَ ، فَقَدْ عَشَّشَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فِي بَعْضِ الشَّجَرِ ، فَنَظَرَ إِلَىٰ حَيَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ نَحْوَ عُشِّهِ ،

(١) أضاف الدميريّ له خصيصتين ، وقال : يحيض ويطهر ، ويضحك كما يضحك الإنسان.

(٢) قد ذكر الدميريّ لأجزائه خواصّاً كثيرة :

منها : إن طبخ رأسه في إناء نحاس أو حديد بدهن زنبق ، ويغمر فيه مراراً حتّى يتهرّى ، ويصفّى ذلك الدهن عنه ، ويدهن به صاحب النقرس والفالج القديم والارتعاش والتورّم في الجسد فإنّه ينفعه ذلك ويبرئه.

ومنها : أنّ زبله إذا طلي به على القوابي قلعها ، وغير ذلك من الفوائد.

فَاغِرَةً فَاهَا لِتَبْلَعَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتَقَلَّبُ وَيَضْطَرِبُ فِي طَلَبِ حِيلَةٍ مِنْهَا إِذَا وَجَدَ حَسَكَةً ، فَحَمَلَهَا فَأَلْقَاهَا فِي فَمِ الْحَيَّةِ ، فَلَمْ تَزَلِ الْحَيَّةُ تَلْتَوِي وَتَتَقَلَّبُ حَتَّىٰ مَاتَتْ ، أَفَرَأَيْتَ ـ لَوْ لَمْ أُخْبِرْكَ بِذَلِكَ ـ كَانَ يَخْطُرُ بِبَالِكَ ، أَوْ بِبَالِ غَيْرِكَ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ حَسَكَةٍ مِثْلُ هَذِهِ الْمَنْفَعَةِ الْعَظِيمَةِ ، أَوْ يَكُونُ مِنْ طَائِرٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ ، مِثْلُ هَذِهِ الْحِيلَةِ.

اعْتَبِرْ بِهَذَا وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ تَكُونُ فِيهَا مَنَافِعُ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِحَادِثٍ يُحْدَثُ بِهِ ، أَوْ خَبَرٍ يُسْمَعُ بِهِ.

انْظُرْ إِلَى النَّحْلِ وَاحْتِشَادِهِ فِي صَنْعَةِ الْعَسَلِ ، وَتَهْيِئَةِ الْبُيُوتِ الْمُسَدَّسَةِ ، وَمَا تَرىٰ فِي ذَلِكَ اجْتِمَاعَهُ مِنْ دَقَائِقِ الْفِطْنَةِ[١] ، فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْعَمَلَ رَأَيْتَهُ عَجِيباً لَطِيفاً ، وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَعْمُولَ وَجَدْتَهُ عَظِيماً ، شَرِيفاً مَوْقِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْفَاعِلِ أَلْفَيْتَهُ غَبِيّاً جَاهِلاً بِنَفْسِهِ ، فَضْلاً عَمَّا سِوىٰ ذَلِكَ ، فَفِي هَذَا أَوْضَحُ الدَّلَالَةِ عَلىٰ أَنَّ الصَّوَابَ وَالْحِكْمَةَ فِي هَذِهِ الصَّنْعَةِ لَيْسَ لِلنَّحْلِ ، بَلْ هِيَ لِلَّذِي طَبَعَهُ عَلَيْهَا ، وَسَخَّرَهُ فِيهَا لِمَصْلَحَةِ النَّاسِ.

انْظُرْ إِلىٰ هَذَا الْجَرَادِ مَا أَضْعَفَهُ وَأَقْوَاهُ ، فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ خَلْقَهُ رَأَيْتَهُ كَأَضْعَفِ الْأَشْيَاءِ ، وَإِنْ دَلَفَتْ عَسَاكِرُهُ نَحْوَ بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَحْمِيَهُ مِنْهُ ، أَلَا تَرىٰ أَنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ لَوْ جَمَعَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ

---

(١) وفي نسخة: وما ترى في اجتماعه من دقائق الفطنة.

لِيَحْمِيَ بِلَادَهُ مِنَ الْجَرَادِ لَمْ يَقْدِرْ عَلىٰ ذٰلِكَ، أَفَلَيْسَ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلىٰ قُدْرَةِ الْخَالِقِ أَنْ يَبْعَثَ أَضْعَفَ خَلْقِهِ إِلىٰ أَقْوىٰ خَلْقِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ.

انْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ يَنْسَابُ عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مِثْلَ السَّيْلِ فَيُغْشِي السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، وَالْبَدْوَ وَالْحَضَرَ، حَتّىٰ يَسْتُرَ نُورَ الشَّمْسِ بِكَثْرَتِهِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْأَيْدِي مَتىٰ كَانَ يَجْتَمِعُ مِنْهُ هَذِهِ الْكَثْرَةُ؟ وَفِي كَمْ مِنْ سَنَةٍ كَانَ يَرْتَفِعُ؟ فَاسْتَدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى الْقُدْرَةِ الَّتِي لَا يَئُودُهَا شَيْءٌ وَيُكْثِرُ عَلَيْهَا.

تَأَمَّلْ خَلْقَ السَّمَكِ، وَمُشَاكَلَتَهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ خُلِقَ غَيْرَ ذِي قَوَائِمَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْمَشْيِ إِذَا كَانَ مَسْكَنُهُ الْمَاءَ، وَخُلِقَ غَيْرَ ذِي رِيَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَفَّسَ وَهُوَ مُنْغَمِسٌ فِي اللُّجَّةِ، وَجُعِلَتْ لَهُ مَكَانَ الْقَوَائِمِ أَجْنِحَةٌ شِدَادٌ يَضْرِبُ بِهَا فِي جَانِبَيْهِ كَمَا يَضْرِبُ الْمَلَّاحُ بِالْمَجَاذِيفِ مِنْ جَانِبَيِ السَّفِينَةِ، وَكُسِيَ جِسْمُهُ قُشُوراً مِتَاناً مُتَدَاخِلَةً كَتَدَاخُلِ الدُّرُوعِ وَالْجَوَاشِنِ لِتَقِيَهُ مِنَ الْآفَاتِ، فَأُعِينَ بِفَضْلِ حِسٍّ فِي الشَّمِّ؛ لِأَنَّ بَصَرَهُ ضَعِيفٌ وَالْمَاءُ يَحْجُبُهُ، فَصَارَ يَشَمُّ الطُّعْمَ مِنَ الْبُعْدِ الْبَعِيدِ فَيَنْتَجِعُهُ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَعْلَمُ بِهِ، وَبِمَوْضِعِهِ؟

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ فِيهِ إِلىٰ صِمَاخَيْهِ مَنَافِذَ فَهُوَ يَعُبُّ الْمَاءَ بِفِيهِ (١)، وَيُرْسِلُهُ مِنْ صِمَاخَيْهِ (٢)، فَتَرَوَّحَ إِلىٰ ذَلِكَ، كَمَا يَتَرَوَّحُ غَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ إِلىٰ تَنَسُّمِ هَذَا النَّسِيمِ.

---

(١) أي شربه أو كرعه بلا تنفّس.
(٢) الصمخ: خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس.

فَكِّرِ الْآنَ فِي كَثْرَةِ نَسْلِهِ ، وَمَا خُصَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّكَ تَرىٰ فِي جَوْفِ السَّمَكَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْبَيْضِ مَا لَا يُحْصىٰ كَثْرَةً ، وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَّسِعَ لِمَا يَغْتَذِي بِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا يَأْكُلُ السَّمَكَ ، حَتّىٰ إِنَّ السِّبَاعَ أَيْضاً فِي حَافَاتِ الْآجَامِ عَاكِفَةٌ عَلَى الْمَاءِ أَيْضاً كَيْ تَرْصِدَ السَّمَكَ ، فَإِذَا مَرَّ بِهَا خَطِفَتْهُ ، فَلَمَّا كَانَتِ السِّبَاعُ تَأْكُلُ السَّمَكَ ، وَالطَّيْرُ يَأْكُلُ السَّمَكَ ، وَالنَّاسُ يَأْكُلُونَ السَّمَكَ ، وَالسَّمَكُ يَأْكُلُ السَّمَكَ ، كَانَ مِنَ التَّدْبِيرِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ عَلىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثْرَةِ ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ سَعَةَ حِكْمَةِ الْخَالِقِ ، وَقِصَرَ عِلْمِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَانْظُرْ إِلىٰ مَا فِي الْبِحَارِ مِنْ ضُرُوبِ السَّمَكِ ، وَدَوَابِّ الْمَاءِ ، وَالْأَصْدَافِ ، وَالْأَصْنَافِ الَّتِي لَا تُحْصىٰ ، وَلَا تُعْرَفُ مَنَافِعُهَا إِلَّا الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ ، يُدْرِكُهُ النَّاسُ بِأَسْبَابٍ تُحْدَثُ مِثْلَ الْقِرْمِزِ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا عَرَفَ النَّاسُ صِبْغَهُ بِأَنَّ كَلْبَةً تَجُولُ عَلىٰ شَاطِئِ الْبَحْرِ فَوَجَدَتْ شَيْئاً مِنَ الصِّنْفِ الَّذِي يُسَمَّى الْحَلَزُونَ فَأَكَلَتْهُ ، فَاخْتَضَبَ خَطْمُهَا بِدَمِهِ ، فَنَظَرَ النَّاسُ إِلىٰ حُسْنِهِ فَاتَّخَذُوهُ صِبْغاً ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِمَّا يَقِفُ النَّاسُ عَلَيْهِ حَالاً بَعْدَ حَالٍ ، وَزَمَاناً بَعْدَ زَمَانٍ .

قَالَ الْمُفَضَّلُ : حَانَ وَقْتُ الزَّوَالِ ، فَقَامَ مَوْلَايَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَقَالَ : بَكِّرْ إِلَيَّ غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالىٰ ، فَانْصَرَفْتُ وَقَدْ تَضَاعَفَ سُرُورِي بِمَا عَرَّفَنِيهِ ، مُبْتَهِجاً بِمَا مَنَحَنِيهِ حَامِداً لِلَّهِ عَلىٰ مَا آتَانِيهِ ، فَبِتُّ لَيْلَتِي مَسْرُوراً مُبْتَهِجاً .

بيان: البشم ـ محرّكة ـ: التخمة والسأمة بشم ـ كفرح ـ، وأبشمه الطعام، والفراش: هي التي تقع في السراج، واليعسوب: أمير النحل، وطائر أصغر من الجرادة أو أعظم.

وقوله عليه السلام: «نَاشِزَتَيْن» بالمعجمة أي مرتفعين، وفي بعض النسخ بالمهملة أي مبسوطتين، والسري السير بالليل.

وقال الفيروزآباديّ: والتمرة ـ كقبرة ـ وابن تمرة: طائر أصغر من العصفور، انتهى (١).

وفغر فاه أي فتحه، والحسك ـ محرّكة ـ: نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم.

قوله عليه السلام: «غَبِيّاً جَاهِلاً» أي ليس له عقل يتصرّف في سائر الأشياء على نحو تصرّفه في ذلك الأمر المخصوص، فظهر أنّ خصوص هذا الأمر إلهام من مدبّر حكيم، أو خلقة وطبيعة جبله عليها ليصدر عنه خصوص هذا الأمر لما فيه من المصلحة، مع كونه غافلاً عن المصلحة أيضاً، ولعلّ هذا يؤيّد ما يقال: إنّ الحيوانات العجم غير مدركة للكلّيّات (٢)، ويقال: دلفت الكتيبة في الحرب أي تقدّمت، ويقال: دلفناهم فالعساكر تحتمل الرفع والنصب، والرجل ـ بالفتح ـ: جمع راجل خلاف الفارس، وانساب: جرى ومشى مسرعاً.

---

(١) قال الدميريّ: التمّر: طائر نحو الاوزّ، في منقاره طول، وعنقه أطول من عنق الإوزّ.
وفي المنجد: التم: طائر مائيّ شبيه بالاوزّ، أطول منه عنقاً.
أقول: الظاهر أنّه غلط، وصحيحه كما في القاموس وغيره: التمّر بالراء.

(٢) فيه ما لا يخفى، فإنّ إدراك الكلّيّات غير الفكر الذي بمعنى الانتقال من النتيجة إلى المقدّمات، ومنها إلى النتيجة، وكذا هو غير قوّة الفكر؛ والذي يلوح منه نفي قوّة الفكر كالانسان، وأمّا أصل الفكر وإدراك الكلّيّات فلا (الطباطبائي).

و« لَا يَؤُودُهَا » أي لا يثقلها، ولجّة الماء: معظمه، والمجذاف: ما تجري به السفينة. وانتجع: طلب الكلاء في موضعه.

و« حَافَاتِ الْآجَامِ » جوانبها، وعكف على الشيء: أقبل عليه مواظباً.

وقال الفيروزآباديّ: القرمز صبغ أرمنيّ يكون من عصارة دود في آجامهم، وقال: الحلزون ـ محرّكة ـ: دابّة تكون في الرمث، أي بعض مراعي الإبل.

ويظهر من كلامه عليه السلام اتّحادهما، ويحتمل أن يكون المراد أنّ من صبغ الحلزون تفطّنوا بإعمال القرمز للصبغ لتشابههما.

تمّ المجلس الثاني.

(الْمَجْلِسُ الثَّالِثُ) :

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ بَكَّرْتُ إِلىٰ مَوْلَايَ، فَاسْتُوذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَأَذِنَ لِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَانَا وَلَمْ يَصْطَفِ عَلَيْنَا، اصْطَفَانَا بِعِلْمِهِ، وَأَيَّدَنَا بِحِلْمِهِ، مَنْ شَذَّ عَنَّا (١) فَالنَّارُ مَأْوَاهُ، وَمَنْ تَفَيَّأَ بِظِلِّ دَوْحَتِنَا فَالْجَنَّةُ مَثْوَاهُ.

قَدْ شَرَحْتُ لَكَ يَا مُفَضَّلُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ، وَمَا دُبِّرَ بِهِ، وَتَنَقُّلَهُ فِي أَحْوَالِهِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الاعْتِبَارِ، وَشَرَحْتُ لَكَ أَمْرَ الْحَيَوَانِ، وَأَنَا أَبْتَدِئُ الْآنَ بِذِكْرِ السَّمَاءِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالْفَلَكِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالرِّيَاحِ، وَالْجَوَاهِرِ الْأَرْبَعَةِ: الْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالنَّارِ،

---

(١) أي تحزّب وانفرد عنّا.

وَالْمَطَرِ وَالصَّخْرِ وَالْجِبَالِ ، وَالطِّينِ وَالْحِجَارَةِ ، وَالْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ ، وَالنَّخْلِ وَالشَّجَرِ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْعِبَرِ.

فَكِّرْ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ ، وَمَا فِيهِ مِنْ صَوَابِ التَّدْبِيرِ ، فَإِنَّ هَذَا اللَّوْنَ أَشَدُّ الْأَلْوَانِ مُوافَقَةً لِلْبَصَرِ وَتَقْوِيَةً ، حَتَّىٰ إِنَّ مِنْ صِفَاتِ الْأَطِبَّاءِ لِمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ أَضَرَّ بِبَصَرِهِ إِدْمَانَ النَّظَرِ إِلَى الْخُضْرَةِ ، وَمَا قَرُبَ مِنْهَا إِلَى السَّوَادِ ، وَقَدْ وَصَفَ الْحُذَّاقُ مِنْهُمْ لِمَنْ كَلَّ بَصَرُهُ الْإِطْلَاعَ فِي إِجَّانَةٍ(١) خَضْرَاءَ مَمْلُوَّةٍ مَاءً ، فَانْظُرْ كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ جَلَّ وَتَعَالَىٰ أَدِيمَ السَّمَاءِ بِهَذَا اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ إِلَى السَّوَادِ لِيُمْسِكَ الْأَبْصَارَ الْمُنْقَلِبَةَ عَلَيْهِ ، فَلَا يَنْكِيَ فِيهَا بِطُولِ مُبَاشَرَتِهَا لَهُ ، فَصَارَ هَذَا الَّذِي أَدْرَكَهُ النَّاسُ بِالْفِكْرِ وَالرَّوِيَّةِ وَالتَّجَارِبِ يُوجَدُ مَفْرُوغاً مِنْهُ فِي الْخِلْقَةِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ لِيَعْتَبِرَ بِهَا الْمُعْتَبِرُونَ ، وَيُفَكِّرَ فِيهَا الْمُلْحِدُونَ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ.

بيان: «اصْطَفَانَا بِعِلْمِهِ» أي اختارنا وفضّلنا على الخلق بأن أعطانا من علمه ما لم يعط أحداً ، وأيّدنا بحلمه ، أي قوّانا على تبليغ الرسالة بما حلانا به من حلمه لنصبر على ما يلقانا من أذى الناس وتكذيبهم ، والدوحة: الشجرة العظيمة ، «وَالصَّخْر» الحجر العظام.

و«أَدِيمَ السَّمَاءِ» وجهها ، كما يطلق أديم الأرض على وجهها ، ويمكن أن يكون عليه السلام شبّهها بالأديم.

وقوله عليه السلام: «حِكْمَةٌ بالِغَةٌ» ـ بالرفع ـ خبر مبتدأ محذوف ، أو

(١) الإجانة: إناء تُغسل فيه الثياب.

بالنصب بالحاليّة ، أو بكونه مفعولاً لأجله.

فَكِّرْ - يَا مُفَضَّلُ - فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا لِإِقَامَةِ دَوْلَتَيِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ ، فَلَوْلَا طُلُوعُهَا لَبَطَلَ أَمْرُ الْعَالَمِ كُلِّهِ ، فَلَمْ يَكُنِ النَّاسُ يَسْعَوْنَ فِي مَعَايِشِهِمْ ، وَيَتَصَرَّفُونَ فِي أُمُورِهِمْ وَالدُّنْيَا مُظْلِمَةٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَكُونُوا يَتَهَنَّئُونَ بِالْعَيْشِ مَعَ فَقْدِهِمْ لَذَّةَ النُّورِ وَرَوْحَهُ ، وَالْإِرْبُ فِي طُلُوعِهَا ظَاهِرٌ مُسْتَغْنٍ بِظُهُورِهِ ، عَنِ الْإِطْنَابِ فِي ذِكْرِهِ ، وَالزِّيَادَةِ فِي شَرْحِهِ ، بَلْ تَأَمَّلِ الْمَنْفَعَةَ فِي غُرُوبِهَا ، فَلَوْلَا غَرْبُهَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ هَدْءٌ وَلَا قَرَارٌ مَعَ عِظَمِ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْهَدْءِ وَالرَّاحَةِ ، لِسُكُونِ أَبْدَانِهِمْ ، وَجُمُومِ حَوَاسِّهِمْ ، وَانْبِعَاثِ الْقُوَّةِ الْهَاضِمَةِ لِهَضْمِ الطَّعَامِ ، وَتَنْفِيذِ الْغِذَاءِ إِلَى الْأَعْضَاءِ.

ثُمَّ كَانَ الْحِرْصُ يَسْتَحْمِلُهُمْ مِنْ مُدَاوَمَةِ الْعَمَلِ ، وَمُطَاوَلَتِهِ عَلَىٰ مَا يَعْظُمُ نِكَايَتُهُ فِي أَبْدَانِهِمْ ، فَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَوْلَا جُثُومُ هَذَا اللَّيْلِ لِظُلْمَتِهِ عَلَيْهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَدْءٌ وَلَا قَرَارٌ حِرْصاً عَلَى الْكَسْبِ وَالْجَمْعِ وَالادِّخَارِ ، ثُمَّ كَانَتِ الْأَرْضُ تَسْتَحْمِي بِدَوَامِ الشَّمْسِ بِضِيَائِهَا ، وَتُحْمِي كُلَّ مَا عَلَيْهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ ، فَقَدَّرَهَا اللَّهُ بِحِكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ تَطْلُعُ وَقْتاً وَتَغْرُبُ وَقْتاً ، بِمَنْزِلَةِ سِرَاجٍ يُرْفَعُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ تَارَةً لِيَقْضُوا حَوَائِجَهُمْ ، ثُمَّ يَغِيبُ عَنْهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ لِيَهْدَؤُوا وَيَقِرُّوا ، فَصَارَ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ مَعَ تَضَادِّهِمَا مُنْقَادَيْنِ مُتَظَاهِرَيْنِ عَلَىٰ مَا فِيهِ صَلَاحُ الْعَالَمِ وَقِوَامُهُ.

ثُمَّ فَكِّرْ بَعْدَ هَذَا فِي ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ وَانْحِطَاطِهَا لِإِقَامَةِ هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ

الْأَرْبَعَةِ مِنَ السَّنَةِ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْمَصْلَحَةِ ، فَفِي الشِّتَاءِ تَعُودُ الْحَرَارَةُ فِي الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ فَيَتَوَلَّدُ فِيهِمَا مَوَادُّ الثِّمَارِ ، وَيَسْتَكْثِفُ الْهَوَاءُ فَيَنْشَأُ مِنْهُ السَّحَابُ وَالْمَطَرُ ، وَتَشُدُّ أَبْدَانُ الْحَيَوَانِ وَتَقْوىٰ ، وَفِي الرَّبِيعِ تَتَحَرَّكُ وَتَظْهَرُ الْمَوَادُّ الْمُتَوَلِّدَةُ فِي الشِّتَاءِ ، فَيَطْلُعُ النَّبَاتُ ، وَتَنَوَّرُ الْأَشْجَارُ ، وَيَهِيجُ الْحَيَوَانُ لِلسِّفَادِ ، وَفِي الصَّيْفِ يَحْتَدِمُ الْهَوَاءُ فَتَنْضَجُ الثِّمَارُ ، وَتَتَحَلَّلُ فُضُولُ الْأَبْدَانِ ، وَيَجِفُّ وَجْهُ الْأَرْضِ فَتَهَيَّأُ لِلْبِنَاءِ وَالْأَعْمَالِ ، وَفِي الْخَرِيفِ يَصْفُو الْهَوَاءُ ، وَيَرْتَفِعُ الْأَمْرَاضُ ، وَيَصِحُّ الْأَبْدَانُ ، وَيَمْتَدُّ اللَّيْلُ ، فَيُمْكِنُ فِيهِ بَعْضُ الْأَعْمَالِ لِطُولِهِ ، وَيَطِيبُ الْهَوَاءُ فِيهِ إِلىٰ مَصَالِحَ أُخْرىٰ ، لَوْ تَقَصَّيْتُ لِذِكْرِهَا لَطَالَ فِيهَا الْكَلَامُ .

فَكِّرِ الْآنَ فِي تَنَقُّلِ الشَّمْسِ فِي الْبُرُوجِ الاثْنَيْ عَشَرَ لِإِقَامَةِ دَوْرِ السَّنَةِ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ ، فَهُوَ الدَّوْرُ الَّذِي تَصِحُّ بِهِ الْأَزْمِنَةُ الْأَرْبَعَةُ مِنَ السَّنَةِ : الشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالصَّيْفُ وَالْخَرِيفُ ، وَيَسْتَوْفِيهَا عَلَى التَّمَامِ ، وَفِي هَذَا الْمِقْدَارِ مِنْ دَوَرَانِ الشَّمْسِ تُدْرِكُ الْغَلَّاتُ وَالثِّمَارُ ، وَتَنْتَهِي إِلىٰ غَايَاتِهَا ، ثُمَّ تَعُودُ فَيَسْتَأْنِفُ النُّشُوءُ وَالنُّمُوُّ ، أَلَا تَرىٰ أَنَّ السَّنَةَ مِقْدَارُ مَسِيرِ الشَّمْسِ مِنَ الْحَمَلِ إِلَى الْحَمَلِ ؟ فَبِالسَّنَةِ وَأَخَوَاتِهَا يُكَالُ الزَّمَانُ مِنْ لَدُنْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَالَمَ إِلىٰ كُلِّ وَقْتٍ وَعَصْرٍ مِنْ غَابِرِ الْأَيَّامِ ، وَبِهَا يَحْسُبُ النَّاسُ الْأَعْمَالَ (١) ، وَالْأَوْقَاتَ الْمُوَقَّتَةَ لِلدُّيُونِ ، وَالْإِجَارَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ ، وَبِمَسِيرِ الشَّمْسِ يَكْمُلُ السَّنَةُ ،

(١) وفي نسخة : وبها يحسب الناس الأعمار .

وَيَقُومُ حِسَابُ الزَّمَانِ عَلَى الصِّحَّةِ.

انْظُرْ إِلىٰ شُرُوقِهَا عَلَى الْعَالَمِ كَيْفَ دُبِّرَ أَنْ يَكُونَ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ تَبْزُغُ فِي مَوْضِعٍ مِنَ السَّمَاءِ فَتَقِفُ لَا تَعْدُوهُ لَمَا وَصَلَ شُعَاعُهَا وَمَنْفَعَتُهَا إِلىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْجِهَاتِ؛ لِأَنَّ الْجِبَالَ وَالْجُدْرَانَ كَانَتْ تَحْجُبُهَا عَنْهَا، فَجُعِلَتْ تَطْلُعُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَتَشْرُقُ عَلىٰ مَا قَابَلَهَا مِنْ وَجْهِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ لَا تَزَالُ تَدُورُ وَتَمْشِي جِهَةً بَعْدَ جِهَةٍ حَتّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَتَشْرُقَ عَلىٰ مَا اسْتَتَرَ عَنْهَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَلَا يَبْقىٰ مَوْضِعٌ مِنَ الْمَوَاضِعِ إِلّا أَخَذَ بِقِسْطِهِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ[(١)] مِنْهَا، وَالْإِرْبِ الَّتِي قُدِّرَتْ لَهُ، وَلَوْ تَخَلَّفَتْ مِقْدَارَ عَامٍ أَوْ بَعْضَ عَامٍ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ حَالُهُمْ؟ بَلْ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ بَقَاءٌ؟ أَفَلَا يَرَى النَّاسُ كَيْفَ هَذِهِ الْأُمُورُ الْجَلِيلَةُ[(٢)] الَّتِي لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُمْ فِيهَا حِيلَةٌ، فَصَارَ تَجْرِي عَلىٰ مَجَارِيهَا، لَا تَعْتَلُّ وَلَا تَتَخَلَّفُ عَنْ مَوَاقِيتِهَا لِصَلَاحِ الْعَالَمِ، وَمَا فِيهِ بَقَاؤُهُ.

اسْتَدِلَّ بِالْقَمَرِ فَفِيهِ دَلَالَةٌ جَلِيلَةٌ تَسْتَعْمِلُهَا الْعَامَّةُ فِي مَعْرِفَةِ الشُّهُورِ، وَلَا يَقُومُ عَلَيْهِ حِسَابُ السَّنَةِ؛ لِأَنَّ دَوْرَهُ لَا يَسْتَوْفِي الْأَزْمِنَةَ الْأَرْبَعَةَ، وَنُشُوءَ الثِّمَارِ وَتَصَرُّمَهَا، وَلِذَلِكَ صَارَتْ شُهُورُ الْقَمَرِ وَسِنُوهُ تَتَخَلَّفُ عَنْ شُهُورِ الشَّمْسِ وَسِنِيهَا، وَصَارَ الشَّهْرُ مِنْ شُهُورِ الْقَمَرِ يَنْتَقِلُ فَيَكُونُ مَرَّةً بِالشِّتَاءِ وَمَرَّةً بِالصَّيْفِ.

---

(١) أي بحصّته ونصيبه من المنفعة.

(٢) وفي نسخة: كيف كان يكون للناس هذه الأُمور الجليلة.

فكِّرْ فِي إِنَارَتِهِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَالْإِرْبِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَى الظُّلْمَةِ لِهَدْءِ الْحَيَوَانِ، وَبَرْدِ الْهَوَاءِ عَلَى النَّبَاتِ، لَمْ يَكُنْ صَلَاحٌ فِي أَنْ يَكُونَ اللَّيْلُ ظُلْمَةً دَاجِيَةً لَا ضِيَاءَ فِيهَا، فَلَا يُمْكِنُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْعَمَلِ لِأَنَّهُ رُبَّمَا احْتَاجَ النَّاسُ إِلَى الْعَمَلِ بِاللَّيْلِ لِضِيقِ الْوَقْتِ عَلَيْهِمْ فِي تَقَصِّي الْأَعْمَالِ بِالنَّهَارِ (١)، أَوْ لِشِدَّةِ الْحَرِّ وَإِفْرَاطِهِ، فَيَعْمَلُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ أَعْمَالاً شَتَّىٰ، كَحَرْثِ الْأَرْضِ، وَضَرْبِ اللَّبِنِ، وَقَطْعِ الْخَشَبِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَجُعِلَ ضَوْءُ الْقَمَرِ مَعُونَةً لِلنَّاسِ عَلىٰ مَعَايِشِهِمْ إِذَا احْتَاجُوا إِلىٰ ذَلِكَ، وَأُنْساً لِلسَّائِرِينَ، وَجُعِلَ طُلُوعُهُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ دُونَ بَعْضٍ، وَنُقِصَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ وَضِيَائِهَا لِكَيْلَا تَنْبَسِطَ النَّاسُ فِي الْعَمَلِ انْبِسَاطَهُمْ بِالنَّهَارِ، وَيَمْتَنِعُوا مِنَ الْهَدْءِ وَالْقَرَارِ فَيُهْلِكَهُمْ ذَلِكَ، وَفِي تَصَرُّفِ الْقَمَرِ خَاصَّةً فِي مُهَلِّهِ (٢) وَمُحَاقِهِ وَزِيَادَتِه، وَنُقْصَانِهِ وَكُسُوفِهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلىٰ قُدْرَةِ اللَّهِ خَالِقِهِ، الْمُصَرِّفِ لَهُ هَذَا التَّصْرِيفَ لِصَلَاحِ الْعَالَمِ مَا يَعْتَبِرُ بِهِ الْمُعْتَبِرُونَ.

إيضاح: الدولة ـ بالفتح والضمّ ـ: انقلاب الزمان، ودالت الأيّام: دارت، واللّه يداولها بين الناس (٣)، وهدأ ـ كمنع ـ هدءاً وهدوءاً: سكن، ويقال: نكيت في العدوّ نكاية: إذا قتلت فيهم وجرحت، وجثم الإنسان والطائر والنعام يجثم جثماً وجثوماً: لزم مكانه لم يبرح، والمراد جثومهم

(١) وفي نسخة: في تقضى بعض الأعمال بالنهار.
(٢) وفي نسخة: خاصّة في تهلله.
(٣) إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ سورة آل عمران: ١٤٠.

في الليل، والتظاهر: التعاون، ونور الشجر أي أخرج نوره، وحدم النار: شدّة احتراقها، والتقصّي: بلوغ أقصى الشيء ونهايته، والغابر: الباقي والماضي، والمراد هنا الثاني، وبزغت الشمس بزوغاً: شرقت، أو البزوغ ابتداء الطلوع، وقال الجوهريّ: اعتلّ عليه بعلّة، واعتلّه: إذا اعتاقه عن أمر، انتهى، وليلة داجية أي مظلمة.

فكِّرْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ فِي النُّجُومِ، وَاخْتِلَافِ مَسِيرِهَا، فَبَعْضُهَا لَا تُفَارِقُ مَرَاكِزَهَا مِنَ الْفَلَكِ، وَلَا تَسِيرُ إِلّا مُجْتَمِعَةً، وَبَعْضُهَا مُطْلَقَةٌ، تَنْتَقِلُ فِي الْبُرُوجِ، وَتَفْتَرِقُ فِي مَسِيرِهَا، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَسِيرُ سَيْرَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، أَحَدُهُمَا عَامٌّ مَعَ الْفَلَكِ نَحْوَ الْمَغْرِبِ، وَالْآخَرُ خَاصٌّ لِنَفْسِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، كَالنَّمْلَةِ الَّتِي تَدُورُ عَلَى الرَّحىٰ، فَالرَّحىٰ تَدُورُ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَالنَّمْلَةُ تَدُورُ ذَاتَ الشِّمَالِ، وَالنَّمْلَةُ فِي تِلْكَ تَتَحَرَّكُ حَرَكَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا بِنَفْسِهَا فَتَتَوَجَّهُ أَمَامَهَا، وَالْأُخْرىٰ مُسْتَكْرَهَةٌ مَعَ الرَّحىٰ تَجْذِبُهَا إِلىٰ خَلْفِهَا، فَاسْأَلِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ النُّجُومَ صَارَتْ عَلىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ بِالْإِهْمَالِ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ، وَلَا صَانِعٍ لَهَا، مَا مَنَعَهَا أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا رَاتِبَةً أَوْ تَكُونَ كُلُّهَا مُنْتَقِلَةً؟ فَإِنَّ الْإِهْمَالَ مَعْنىً وَاحِدٌ، فَكَيْفَ صَارَ يَأْتِي بِحَرَكَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ عَلىٰ وَزْنٍ وَتَقْدِيرٍ؟ فَفِي هَذَا بَيَانُ أَنَّ مَسِيرَ الْفَرِيقَيْنِ عَلىٰ مَا يَسِيرَانِ عَلَيْهِ بِعَمْدٍ وَتَدْبِيرٍ، وَحِكْمَةٍ وَتَقْدِيرٍ، وَلَيْسَ بِإِهْمَالٍ كَمَا تَزْعُمُ الْمُعَطِّلَةُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَلِمَ صَارَ بَعْضُ النُّجُومِ رَاتِباً، وَبَعْضُهَا مُنْتَقِلاً؟

قُلْنَا: إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ كُلُّهَا رَاتِبَةً لَبَطَلَتِ الدَّلَالَاتُ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا مِنْ تَنَقُّلِ

الْمُنْتَقِلَةِ، وَمَسِيرِهَا فِي كُلِّ بُرْجٍ مِنَ الْبُرُوجِ، كَمَا قَدْ يُسْتَدَلُّ عَلىٰ أَشْيَاءَ مِمَّا يُحْدَثُ فِي الْعَالَمِ بِتَنَقُّلِ الشَّمْسِ وَالنُّجُومِ فِي مَنَازِلِهَا، وَلَوْ كَانَتْ كُلُّهَا مُنْتَقِلَةً لَمْ يَكُنْ لِمَسِيرِهَا مَنَازِلُ تُعْرَفُ، وَلَا رَسْمٌ يُوقَفُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُوقَفُ بِمَسِيرِ الْمُنْتَقِلَةِ مِنْهَا بِتَنَقُّلِهَا فِي الْبُرُوجِ الرَّاتِبَةِ، كَمَا يُسْتَدَلُّ عَلىٰ سَيْرِ السَّائِرِ عَلَى الْأَرْضِ بِالْمَنَازِلِ الَّتِي يَجْتَازُ عَلَيْهَا، وَلَوْ كَانَ تَنَقُّلُهَا بِحَالٍ وَاحِدَةٍ لَاخْتَلَطَ نِظَامُهَا، وَبَطَلَتِ الْمَآرِبُ فِيهَا، وَلَسَاغَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ كَيْنُونَتَهَا (١) عَلىٰ حَالٍ وَاحِدَةٍ تُوجِبُ عَلَيْهَا الْإِهْمَالَ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي وَصَفْنَا، فَفِي اخْتِلَافِ سَيْرِهَا وَتَصَرُّفِهَا، وَمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ الْمَآرِبِ وَالْمَصْلَحَةِ، أَبْيَنُ دَلِيلٍ عَلَى الْعَمْدِ وَالتَّدْبِيرِ فِيهَا.

فَكِّرْ فِي هٰذِهِ النُّجُومِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي بَعْضِ السَّنَةِ، وَتَحْتَجِبُ فِي بَعْضِهَا، كَمِثْلِ الثُّرَيَّا وَالْجَوْزَاءِ وَالشِّعْرَيَيْنِ وَسُهَيْلٍ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ بِأَسْرِهَا تَظْهَرُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ لَمْ تَكُنْ لِوَاحِدٍ فِيهَا عَلىٰ حِيَالِهِ دَلَالَاتٌ يَعْرِفُهَا النَّاسُ، وَيَهْتَدُونَ بِهَا لِبَعْضِ أُمُورِهِمْ، كَمَعْرِفَتِهِمُ الْآنَ بِمَا يَكُونُ مِنْ طُلُوعِ الثَّوْرِ وَالْجَوْزَاءِ إِذَا طَلَعَتْ، وَاحْتِجَابِهَا إِذَا احْتَجَبَتْ، فَصَارَ ظُهُورُ كُلِّ وَاحِدٍ وَاحْتِجَابُهُ فِي وَقْتٍ غَيْرِ وَقْتِ الْآخَرِ لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلىٰ حِدَتِهِ، وَكَمَا جُعِلَتِ الثُّرَيَّا وَأَشْبَاهُهَا تَظْهَرُ حِيناً وَتَحْجُبُ حِيناً لِضَرْبٍ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، كَذٰلِكَ جُعِلَتْ بَنَاتُ النَّعْشِ ظَاهِرَةً لَا تَغِيبُ لِضَرْبٍ آخَرَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، فَإِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَعْلَامِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا

---

(١) في نسخة: انّ كينونيّتها.

النَّاسُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ (١) لِلطُّرُقِ الْمَجْهُولَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا لَا تَغِيبُ وَلَا تَتَوَارىٰ ، فَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا مَتىٰ أَرَادُوا أَنْ يَهْتَدُوا بِهَا إِلىٰ حَيْثُ شَاءُوا ، وَصَارَ الْأَمْرَانِ جَمِيعاً عَلَى اخْتِلَافِهِمَا مُوَجَّهَيْنِ نَحْوَ الْإِرْبِ وَالْمَصْلَحَةِ ، وَفِيهِمَا مَآرِبُ أُخْرىٰ عَلَامَاتٌ وَدَلَالاتٌ عَلىٰ أَوْقَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، كَالزِّرَاعَةِ وَالْغِرَاسِ وَالسَّفَرِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَأَشْيَاءَ مِمَّا يَحْدُثُ فِي الْأَزْمِنَةِ مِنَ الْأَمْطَارِ ، وَالرِّيَاحِ ، وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَبِهَا يَهْتَدِي السَّائِرُونَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِقَطْعِ الْقِفَارِ (٢) الْمُوحِشَةِ ، وَاللُّجَجِ الْهَائِلَةِ ، مَعَ مَا فِي تَرَدُّدِهَا فِي كَبِدِ السَّمَاءِ (٣) مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً ، وَمُشْرِقَةً وَمُغْرِبَةً ، مِنَ الْعِبَرِ ، فَإِنَّهَا تَسِيرُ أَسْرَعَ السَّيْرِ وَأَحَثَّهُ .

أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ بِالْقُرْبِ مِنَّا حَتّىٰ يَتَبَيَّنَ لَنَا سُرْعَةُ سَيْرِهَا بِكُنْهِ مَا هِيَ عَلَيْهِ ، أَلَمْ تَكُنْ سَتَخْطَفُ الْأَبْصَارَ بِوَهْجِهَا وَشُعَاعِهَا (٤) ، كَالَّذِي يَحْدُثُ أَحْيَاناً مِنَ الْبُرُوقِ إِذَا تَوَالَتْ وَاضْطَرَمَتْ فِي الْجَوِّ ؟ وَكَذَلِكَ أَيْضاً لَوْ أَنَّ أُنَاساً كَانُوا فِي قُبَّةٍ مُكَلَّلَةٍ بِمَصَابِيحَ تَدُورُ حَوْلَهُمْ دَوَرَاناً حَثِيثاً لَحَارَتْ أَبْصَارُهُمْ (٥) حَتّىٰ يَخِرُّوا لِوُجُوهِهِمْ ؟

فَانْظُرْ كَيْفَ قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ مَسِيرُهَا فِي الْبُعْدِ الْبَعِيدِ لِكَيْلَا تَضُرَّ فِي

---

(١) إشارة لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ سورة النحل : ١٦ .
(٢) جمع القفر : الخلاء من الأرض ، لا ماء فيه ، ولا ناس ، ولا كلاء .
(٣) أي وسط السماء .
(٤) أي ستذهب بها بتوقّدها .
(٥) حارت العين : اشتدّ بياض بياضها ، وسواد سوادها .

الْأَبْصَارِ ، وَتُنْكَأَ فِيهَا ، وَبِأَسْرَعِ السُّرْعَةِ لِكَيْلَا تَتَخَلَّفَ عَنْ مِقْدَارِ الْحَاجَةِ فِي مَسِيرِهَا ، وَجُعِلَ فِيهَا جُزْءٌ يَسِيرٌ مِنَ الضَّوْءِ لِيَسُدَّ مَسَدَّ الْأَضْوَاءِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَمَرٌ ، وَيُمْكِنُ فِيهِ الْحَرَكَةُ إِذَا حَدَثَتْ ضَرُورَةٌ كَمَا قَدْ يَحْدُثُ الْحَادِثُ عَلَى الْمَرْءِ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى التَّجَافِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنَ الضَّوْءِ يَهْتَدِي بِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَبْرَحَ مَكَانَهُ ، فَتَأَمَّلِ اللُّطْفَ وَالْحِكْمَةَ فِي هَذَا التَّقْدِيرِ حِينَ جُعِلَ لِلظُّلْمَةِ دَوْلَةٌ وَمُدَّةٌ لِحَاجَةٍ إِلَيْهَا ، وَجُعِلَ خِلَالَهَا شَيْءٌ مِنَ الضَّوْءِ لِلْمَآرِبِ الَّتِي وَصَفْنَا.

فَكِّرْ فِي هَذَا الْفَلَكِ بِشَمْسِهِ وَقَمَرِهِ ، وَنُجُومِهِ وَبُرُوجِهِ ، تَدُورُ عَلَى الْعَالَمِ فِي هَذَا الدَّوَرَانِ الدَّائِمِ بِهَذَا التَّقْدِيرِ وَالْوَزْنِ لِمَا فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَهَذِهِ الْأَزْمَانِ الْأَرْبَعَةِ الْمُتَوَالِيَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ مِنْ ضُرُوبِ الْمَصْلَحَةِ كَالَّذِي بَيَّنْتُ وَشَخَّصْتُ (١) لَكَ آنِفاً.

وَهَلْ يَخْفَىٰ عَلَىٰ ذِي لُبٍّ أَنَّ هَذَا تَقْدِيرٌ مُقَدَّرٌ ، وَصَوَابٌ وَحِكْمَةٌ مِنْ مُقَدِّرٍ حَكِيمٍ ؟

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ هَذَا شَيْءٌ اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا ، فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا فِي دُولَابٍ تَرَاهُ يَدُورُ وَيَسْقِي حَدِيقَةً فِيهَا شَجَرٌ وَنَبَاتٌ ؟ فَتَرَىٰ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ آلَتِهِ مُقَدَّراً بَعْضُهُ ، يَلْقَىٰ بَعْضاً عَلَىٰ مَا فِيهِ صَلَاحُ تِلْكَ

(١) وفي نسخة: كالذي بيّنت ولخّصت لك آنفاً.

الْحَدِيقَةِ وَمَا فِيهَا، وَبِمَ كَانَ يُثْبِتُ هَذَا الْقَوْلَ لَوْ قَالَهُ؟ وَمَا تَرَى النَّاسَ كَانُوا قَائِلِينَ لَهُ لَوْ سَمِعُوهُ مِنْهُ، أَ فَيُنْكِرُ أَنْ يَقُولَ فِي دُولَابِ خَشَبٍ (١) مَصْنُوعٍ بِحِيلَةٍ قَصِيرَةٍ لِمَصْلَحَةِ قِطْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ أَنَّهُ كَانَ بِلَا صَانِعٍ وَمُقَدِّرٍ؟ وَيَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ فِي هَذَا الدُّولَابِ الْأَعْظَمِ الْمَخْلُوقِ بِحِكْمَةٍ يَقْصُرُ عَنْهَا أَذْهَانُ الْبَشَرِ لِصَلَاحِ جَمِيعِ الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا أَنَّهُ شَيْءٌ اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ بِلَا صَنْعَةٍ وَلَا تَدْبِيرٍ؟ لَوِ اعْتَلَّ هَذَا الْفَلَكُ كَمَا تَعْتَلُّ الْآلَاتُ الَّتِي تُتَّخَذُ لِلصِّنَاعَاتِ وَغَيْرِهَا أَيُّ شَيْءٍ كَانَ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الْحِيلَةِ فِي إِصْلَاحِهِ.

بيان: قوله عليه السلام: «لَا تُفَارِقُ مَرَاكِزَهَا» لعلّ المراد أنّه ليس لها حركة بيّنة ظاهرة كما في السيّارات، أو لا تختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب والبعد، بأن تكون الجملة التالية مفسّرة لها.

ويحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج التي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذاة تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج، وإن انتقلت عن مواضعها، وعليه ينبغي أن يحمل قوله عليه السلام: «وَبَعْضُهَا مُطْلَقَةٌ، تَنْتَقِلُ فِي الْبُرُوجِ»، أو على ما ذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرة بيّنة يعرفه كلّ أحد، والأوّل أظهر كما سيظهر من كلامه عليه السلام.

قوله: «فَإِنَّ الْإِهْمَالَ مَعْنىً وَاحِدٌ» يحتمل أن يكون المراد أنّ الطبيعة أو الدهر اللذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثّرين كلّ منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة، ولا يمكن صدور الأمرين المختلفين عن

(١) وفي نسخة: في دولاب خسيس.

مثل ذلك كما مرّ، أو المراد أنّ العقل يحكم بأنّ هذين الأمرين المتّسقين الجاريين على قانون الحكمة لا يكون إلّا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم، أو المراد أنّ الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلّة، وترجيح الأمر الممكن من غير مرجّح ـ كما تزعمون ـ أمر واحد حاصل فيهما، فلِم صارت إحداهما راتبة والأُخرى منتقلة؟ ولِم لم يعكس الأمر؟ والأوّل أظهر (١) كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: «لَبَطَلَتِ الدَّلَالاتُ» ظاهره كون الأوضاع النجوميّة علامات للحوادث.

قوله عليه السلام: «فِي الْبُرُوجِ الرَّاتِبَةِ» يدلّ ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنّه عليه السلام راعى في انتقال البروج محاذاة نفس الأشكال وإن أمكن أن يكون المراد بيان حكمة بطء الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج ولو بقربها منها، لكنّه بعيد.

قوله عليه السلام: «وَالشِّعْرَيَيْنِ» قال الجوهريّ: الشعرى: الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدّة الحرّ، وهما الشعريان، والشعرى: العبور التي في الجوزاء، والشعرى: القميصاء التي في الذراع تزعم العرب أنّهما أُختا سهيل، انتهى.

و«الْقِفَارِ» جمع قفر، وهو الخلأ من الأرض، وخطف البرق البصر: ذهب به، ووهج النار ـ بالتسكين ـ: توقّدها.

وقوله: «حَثِيثاً» أي مسرعا، وتجافى أي لم يلزم مكانه، وبرح مكانه: زال عنه.

---

(١) وظاهر الخبر المعنى الأخير.

فَكِّرْ - يَا مُفَضَّلُ - فِي مَقَادِيرِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ كَيْفَ وَقَعَتْ عَلىٰ مَا فِيهِ صَلَاحُ هَذَا الْخَلْقِ ، فَصَارَ مُنْتَهىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا امْتَدَّ إِلىٰ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً لَا يُجَاوِزُ ذَلِكَ ، أَفَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ النَّهَارُ يَكُونُ مِقْدَارُهُ مِائَةَ سَاعَةٍ أَوْ مِائَتَيْ سَاعَةٍ أَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ بَوَارُ[1] كُلِّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ .

أَمَّا الْحَيَوَانُ فَكَانَ لَا يَهْدَأُ وَلَا يَقِرُّ طُولَ هَذِهِ الْمُدَّةِ ، وَلَا الْبَهَائِمُ كَانَتْ تُمْسِكُ عَنِ الرَّعْيِ لَوْ دَامَ لَهَا ضَوْءُ النَّهَارِ ، وَلَا الْإِنْسَانُ كَانَ يَفْتُرُ عَنِ الْعَمَلِ وَالْحَرَكَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَيُهْلِكُهَا أَجْمَعَ ، وَيُؤَدِّيهَا إِلَى التَّلَفِ .

وَأَمَّا النَّبَاتُ فَكَانَ يَطُولُ عَلَيْهِ حَرُّ النَّهَارِ ، وَوَهْجُ الشَّمْسِ حَتّىٰ يَجِفَّ وَيَحْتَرِقَ .

وَكَذَلِكَ اللَّيْلُ لَوِ امْتَدَّ مِقْدَارُ هَذِهِ الْمُدَّةِ كَانَ يَعُوقُ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ حَتّىٰ تَمُوتَ جُوعاً ، وَتَخْمُدُ الْحَرَارَةُ الطَّبِيعِيَّةُ مِنَ النَّبَاتِ حَتّىٰ يَعْفَنَ وَيَفْسُدَ ، كَالَّذِي تَرَاهُ يَحْدُثُ عَلَى النَّبَاتِ إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ لَا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ .

اعْتَبِرْ بِهَذِهِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ كَيْفَ يَتَعَاوَرَانِ الْعَالَمَ ، وَيَتَصَرَّفَانِ هَذَا التَّصَرُّفَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَالاعْتِدَالِ لِإِقَامَةِ هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ السَّنَةِ ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَصَالِحِ ، ثُمَّ هُمَا بَعْدَ دِبَاغِ الْأَبْدَانِ الَّتِي عَلَيْهَا بَقَاؤُهَا وَفِيهَا

(١) البوار: الهلاك والكساد.

صَلَاحُهَا ، فَإِنَّهُ لَوْلَا الْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَتَدَاوُلُهُمَا الْأَبْدَانَ لَفَسَدَتْ وَأَخْوَتْ وَانْتَكَثَتْ.

فَكِّرْ فِي دُخُولِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ بِهَذَا التَّدْرِيجِ وَالتَّرَسُّلِ ، فَإِنَّكَ تَرَىٰ أَحَدَهُمَا يَنْقُصُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ ، وَالْآخَرَ يَزِيدُ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُنْتَهَاهُ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ ، وَلَوْ كَانَ دُخُولُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ مُفَاجَأَةً لَأَضَرَّ ذَلِكَ بِالْأَبْدَانِ وَأَسْقَمَهَا ، كَمَا أَنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ خَرَجَ مِنْ حَمَّامٍ حَارٍّ إِلَىٰ مَوْضِعِ الْبُرُودَةِ لَضَرَّهُ ذَلِكَ وَأَسْقَمَ بَدَنَهُ ، فَلِمَ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا التَّرَسُّلَ فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ إِلَّا لِلسَّلَامَةِ مِنْ ضَرَرِ الْمُفَاجَأَةِ ، وَلِمَ جَرَى الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا فِيهِ السَّلَامَةُ مِنْ ضَرِّ الْمُفَاجَأَةِ لَوْلَا التَّدْبِيرُ فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ زَعَمَ زَاعِمٌ أَنَّ هَذَا التَّرَسُّلَ فِي دُخُولِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ إِنَّمَا يَكُونُ لِإِبْطَاءِ مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي الارْتِفَاعِ وَالانْحِطَاطِ سُئِلَ عَنِ الْعِلَّةِ فِي إِبْطَاءِ مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي ارْتِفَاعِهَا وَانْحِطَاطِهَا ، فَإِنِ اعْتَلَّ فِي الْإِبْطَاءِ بِبُعْدِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ سُئِلَ عَنِ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ ، فَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَرْقَىٰ مَعَهُ إِلَىٰ حَيْثُ رَقِيَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى الْعَمْدِ وَالتَّدْبِيرِ ، لَوْلَا الْحَرُّ لَمَا كَانَتِ الثِّمَارُ الْجَاسِيَةُ الْمُرَّةُ تَنْضَجُ فَتَلِينُ وَتَعْذُبُ ، حَتَّىٰ يُتَفَكَّهَ بِهَا رَطْبَةً وَيَابِسَةً ، وَلَوْلَا الْبَرْدُ لَمَا كَانَ الزَّرْعُ يُفْرِخُ هَكَذَا ، وَيَرِيعُ الرَّيْعَ الْكَثِيرَ الَّذِي يَتَّسِعُ لِلْقُوتِ ، وَمَا يُرَدُّ فِي الْأَرْضِ لِلْبَذْرِ.

أَفَلَا تَرَىٰ مَا فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ مِنْ عَظِيمِ الْغِنَاءِ وَالْمَنْفَعَةِ ، وَكِلَاهُمَا مَعَ

غِنَائِهِ وَالْمَنْفَعَةِ فِيهِ يُؤْلِمُ الْأَبْدَانَ وَيَمَضُّهَا، وَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِمَنْ فَكَّرَ، وَدَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ فِي مَصْلَحَةِ الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ.

بيان: قوله عليه السلام: «لَا يُجَاوِزُ ذَلِكَ» أي في معظم المعمورة.

وقال الفيروزآباديّ: خوت الدار: تهدّمت، ... والنجوم خيّاً: أمحلت فلم تمطر، كأخوت، وقال: المنتكث: المهزول، وقال: الترسّل: الرفق والتؤدة، انتهى.

قوله عليه السلام: «بِبُعْدِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ» أي المشرق والمغرب كناية عن عظم الدائرة التي يقطع عليها البروج، أو مشرق الصيف والشتاء، والأوّل أظهر.

قوله عليه السلام: «الْجَاسِيَة» أي الصلبة، و«يُتَفَكَّهَ بِهَا» أي يتمتّع بها، و«الرَّيْع» النماء والزيادة.

وقال الجوهريّ: أمضني الجرح إمضاضاً: إذا أوجعك، وفيه لغة أُخرى مضّني الجرح، ولم يعرفها الأصمعيّ.

وَأُنَبِّهُكَ - يَا مُفَضَّلُ - عَلَى الرِّيحِ وَمَا فِيهَا، أَلَسْتَ تَرىٰ رُكُودَهَا إِذَا رَكَدَتْ كَيْفَ يُحْدِثُ الْكَرْبَ الَّذِي يَكَادُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى النُّفُوسِ، وَيُحْرِضُ الْأَصِحَّاءَ، وَيَنْهَكُ الْمَرْضىٰ، وَيُفْسِدُ الثِّمَارَ، وَيُعَفِّنُ الْبُقُولَ، وَيُعْقِبُ الْوَبَاءَ فِي الْأَبْدَانِ، وَالْآفَةَ فِي الْغَلَّاتِ، فَفِي هَذَا بَيَانُ أَنَّ هُبُوبَ الرِّيحِ مِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ فِي صَلَاحِ الْخَلْقِ.

وَأُنَبِّئُكَ عَنِ الْهَوَاءِ بِخَلَّةٍ أُخْرىٰ، فَإِنَّ الصَّوْتَ أَثَرٌ يُؤَثِّرُهُ اصْطِكَاكُ

الْأَجْسَامِ فِي الْهَوَاءِ ، وَالْهَوَاءُ يُؤَدِّيهِ إِلَى الْمَسَامِعِ ، وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي حَوَائِجِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ طُولَ نَهَارِهِمْ وَبَعْضَ لَيْلِهِمْ ، فَلَوْ كَانَ أَثَرُ هَذَا الْكَلَامِ يَبْقَىٰ فِي الْهَوَاءِ كَمَا يَبْقَى الْكِتَابُ فِي الْقِرْطَاسِ لَامْتَلَأَ الْعَالَمُ مِنْهُ ، فَكَانَ يَكْرُبُهُمْ وَيَفْدَحُهُمْ ، وَكَانُوا يَحْتَاجُونَ فِي تَجْدِيدِهِ وَالاسْتِبْدَالِ بِهِ إِلَىٰ أَكْثَرَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي تَجْدِيدِ الْقَرَاطِيسِ؛ لِأَنَّ مَا يُلْقَىٰ مِنَ الْكَلَامِ أَكْثَرُ مِمَّا يُكْتَبُ ، فَجَعَلَ الْخَلَّاقُ الْحَكِيمُ جَلَّ قُدْسُهُ هَذَا الْهَوَاءَ قِرْطَاساً خَفِيّاً يَحْمِلُ الْكَلَامَ رَيْثَمَا يَبْلُغُ الْعَالَمُ حَاجَتَهُمْ ، ثُمَّ يُمْحَىٰ فَيَعُودُ جَدِيداً نَقِيّاً ، وَيَحْمِلُ مَا حَمَلَ أَبَداً بِلَا انْقِطَاعٍ ، وَحَسْبُكَ بِهَذَا النَّسِيمِ الْمُسَمَّىٰ هَوَاءً عِبْرَةً ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَصَالِحِ ، فَإِنَّهُ حَيَاةُ هَذِهِ الْأَبْدَانِ ، وَالْمُمْسِكُ لَهَا مِنْ دَاخِلٍ بِمَا تَسْتَنْشِقُ مِنْهُ ، وَمِنْ خَارِجٍ بِمَا تُبَاشِرُ مِنْ رَوْحِهِ ، وَفِيهِ تَطَّرِدُ هَذِهِ الْأَصْوَاتُ ، فَيُؤَدِّي بِهَا مِنَ الْبُعْدِ الْبَعِيدِ ، وَهُوَ الْحَامِلُ لِهَذِهِ الْأَرَايِيحِ يَنْقُلُهَا مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ .

أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ تَأْتِيكَ الرَّائِحَةُ مِنْ حَيْثُ تَهُبُّ الرِّيحُ ، فَكَذَلِكَ الصَّوْتُ ، وَهُوَ الْقَابِلُ لِهَذَا الْحَرِّ وَالْبَرْدِ اللَّذَيْنِ يَتَعَاقَبَانِ عَلَى الْعَالَمِ لِصَلَاحِهِ(١) ، وَمِنْهُ هَذِهِ الرِّيحُ الْهَابَّةُ ، فَالرِّيحُ تَرُوحُ عَنِ الْأَجْسَامِ ، وَتُزْجِي السَّحَابَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ ، لِيَعُمَّ نَفْعُهُ حَتَّىٰ يَسْتَكْثِفَ فَيَمْطُرَ ، وَتَفُضُّهُ حَتَّىٰ يَسْتَخِفَّ فَيَتَفَشَّىٰ ، وَتُلْقِحُ الشَّجَرَ ، وَتُسِيرُ السُّفُنَ ، وَتُرْخِي الْأَطْعِمَةَ(٢) ،

---

(١) وفي نسخة: اللذين يعقبان على العالم لصلاحه.
(٢) أي صيّرها رخواً ، أي متّسعاً.

وَتُبَرِّدُ الْمَاءَ ، وَتَشُبُّ النَّارَ ، وَتُجَفِّفُ الْأَشْيَاءَ النَّدِيَّةَ.

وَبِالْجُمْلَةِ: أَنَّهَا تُحْيِي كُلَّمَا فِي الْأَرْضِ ، فَلَوْلَا الرِّيحُ لَذَوَى النَّبَاتُ (١) ، وَمَاتَ الْحَيَوَانُ ، وَحُمَّتِ الْأَشْيَاءُ وَفَسَدَتْ.

توضيح : ركود الريح: سكونها، والحرض: فساد البدن ، ويقال: نهكته الحمّى أي أضنّته وهزلته.

وقوله عليه السلام: «وَالْهَوَاءُ يُؤَدِّيهِ» يدلّ على ما هو المنصور من تكيّف الهواء بكيفيّة الصوت على ما فصّل في محلّه ، ويقال: كربه الأمر أي شقّ عليه.

وفدحه الدين أي أثقله ، وريثما فعل كذا أي قدر ما فعله ويبلغ ، إمّا على بناء المجرّد فالعالم فاعله ، أو على التفعيل فالهواء فاعله.

والروح -بالفتح-: الراحة ونسيم الريح، واطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً وجرى، و« الأَرَايِيح » جمع للريح، «وَتُزْجِي السَّحَابَ» على بناء الإفعال ، أي تسوقه، «وَتَفُضُّهُ» أي تفرّقه، والتفشّي: الانتشار، «وَتُرْخِي الْأَطْعِمَةَ» على التفعيل أو الإفعال أي تصيّرها رخوة لطيفة، «وَتَشُبُّ النَّارَ» أي توقّدها.

فَكِّرْ -يَا مُفَضَّلُ- فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ هَذِهِ الْجَوَاهِرَ الْأَرْبَعَةَ لِيَتَّسِعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهَا ، فَمِنْ ذَلِكَ سَعَةُ هَذِهِ الْأَرْضِ وَامْتِدَادُهَا ، فَلَوْلَا ذَلِكَ كَيْفَ كَانَتْ تَتَّسِعُ لِمَسَاكِنِ النَّاسِ ، وَمَزَارِعِهِمْ ، وَمَرَاعِيهِمْ ، وَمَنَابِتِ أَخْشَابِهِمْ ، وَأَحْطَابِهِمْ ، وَالْعَقَاقِيرِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْمَعَادِنِ الْجَسِيمَةِ ، غَنَاؤُهَا ،

---

(١) ذوى النبات: ذبل ونشف ماؤه.

وَلَعَلَّ مَنْ يُنْكِرُ هَذِهِ الْفَلَوَاتِ الْخَاوِيَةَ ، وَالْقِفَارَ الْمُوحِشَةَ ، فَيَقُولُ: مَا الْمَنْفَعَةُ فِيهَا ، فَهِيَ مَأْوىٰ هَذِهِ الْوُحُوشِ وَمَحَالُّهَا وَمَرْعَاهَا ؟ ثُمَّ فِيهَا بَعْدُ مُتَنَفَّسٌ وَمُضْطَرَبٌ لِلنَّاسِ إِذَا احْتَاجُوا إِلَى الاسْتِبْدَالِ بِأَوْطَانِهِمْ ، فَكَمْ بَيْدَاءَ ، وَكَمْ فَدْفَدٍ ، حَالَتْ قُصُوراً وَجِنَاناً بِانْتِقَالِ النَّاسِ إِلَيْهَا ، وَحُلُولِهِمْ فِيهَا ؟ وَلَوْلَا سَعَةُ الْأَرْضِ وَفُسْحَتُهَا لَكَانَ النَّاسُ كَمَنْ هُوَ فِي حِصَارٍ ضَيِّقٍ لَا يَجِدُ مَنْدُوحَةً عَنْ وَطَنِهِ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ يَضْطَرُّهُ إِلَى الانْتِقَالِ عَنْهُ.

ثُمَّ فَكِّرْ فِي خَلْقِ هَذِهِ الْأَرْضِ عَلىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ حِينَ خُلِقَتْ رَاتِبَةً رَاكِنَةً ، فَتَكُونُ مَوْطِناً مُسْتَقَرّاً لِلْأَشْيَاءِ ، فَيَتَمَكَّنُ النَّاسُ مِنَ السَّعْيِ عَلَيْهَا فِي مَآرِبِهِمْ ، وَالْجُلُوسِ عَلَيْهَا لِرَاحَتِهِمْ ، وَالنَّوْمِ لِهَدْئِهِمْ ، وَالْإِتْقَانِ لِأَعْمَالِهِمْ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ رَجْرَاجَةً مُتَكَفِّئَةً لَمْ يَكُونُوا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُتْقِنُوا الْبِنَاءَ وَالتِّجَارَةَ وَالصِّنَاعَةَ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، بَلْ كَانُوا لَا يَتَهَنَّئُونَ بِالْعَيْشِ وَالْأَرْضُ تَرْتَجُّ مِنْ تَحْتِهِمْ.

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا يُصِيبُ النَّاسَ حِينَ الزَّلَازِلِ عَلىٰ قِلَّةِ مَكْثِهَا ، حَتّىٰ يَصِيرُوا إِلىٰ تَرْكِ مَنَازِلِهِمْ ، وَالْهَرَبِ عَنْهَا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلِمَ صَارَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ تُزَلْزَلُ ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ الزَّلْزَلَةَ وَمَا أَشْبَهَهَا مَوْعِظَةٌ وَتَرْهِيبٌ يُرَهَّبُ بِهَا النَّاسُ لِيَرْعَوُوا وَيَنْزِعُوا عَنِ الْمَعَاصِي ، وَكَذَلِكَ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ فِي أَبْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَجْرِي فِي التَّدْبِيرِ عَلىٰ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَاسْتِقَامَتُهُمْ ، وَيُدَّخَرُ لَهُمْ إِنْ صَلَحُوا مِنَ

الثَّوَابِ، وَالْعِوَضِ فِي الْآخِرَةِ مَا لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَرُبَّمَا عُجِّلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا صَلَاحاً لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

ثُمَّ إِنَّ الْأَرْضَ فِي طِبَاعِهَا الَّذِي طَبَعَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ، وَكَذَلِكَ الْحِجَارَةُ، وَإِنَّمَا الْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحِجَارَةِ فَضْلُ يُبْسٍ فِي الْحِجَارَةِ، أَفَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الْيُبْسَ أَفْرَطَ عَلَى الْأَرْضِ قَلِيلاً حَتَّىٰ تَكُونَ حَجَراً صَلْداً أَكَانَتْ تُنْبِتُ هَذَا النَّبَاتَ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْحَيَوَانِ؟ وَكَانَ يُمْكِنُ بِهَا حَرْثٌ أَوْ بِنَاءٌ؟ أَفَلَا تَرَىٰ كَيْفَ تُنْصَبُ(١) مِنْ يُبْسِ الْحِجَارَةِ؟ وَجُعِلَتْ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ اللِّينِ وَالرَّخَاوَةِ، وَلِتَهَيَّأَ لِلاعْتِمَادِ وَمِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ جَلَّ وَعَلَا فِي خِلْقَةِ الْأَرْضِ أَنَّ مَهَبَّ الشَّمَالِ أَرْفَعُ مِنْ مَهَبِّ الْجَنُوبِ، فَلِمَ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَذَلِكَ إِلَّا لِيَنْحَدِرَ الْمِيَاهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فَتَسْقِيَهَا وَتَرْوِيَهَا، ثُمَّ تُفِيضَ آخِرَ ذَلِكَ إِلَى الْبَحْرِ، فَكَأَنَّمَا يَرْفَعُ أَحَدُ جَانِبَيِ السَّطْحِ(٢) وَيَخْفِضُ الْآخَرُ لِيَنْحَدِرَ الْمَاءُ عَنْهُ وَلَا يَقُومَ عَلَيْهِ، كَذَلِكَ جُعِلَ مَهَبُّ الشَّمَالِ أَرْفَعَ مِنْ مَهَبِّ الْجَنُوبِ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ بِعَيْنِهَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَبَقِيَ الْمَاءُ مُتَحَيِّراً عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَكَانَ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ أَعْمَالِهَا(٣)، وَيَقْطَعُ الطُّرُقَ وَالْمَسَالِكَ.

ثُمَّ الْمَاءُ لَوْلَا كَثْرَتُهُ وَتَدَفُّقُهُ فِي الْعُيُونِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ لَضَاقَ عَمَّا

---

(١) وفي نسخة: نقصت.
(٢) كذا في النسخ، والظاهر: فكما يرفع أحد جانبي السطح.
(٣) وفي نسخة: فكان يمنع الناس من اعتمالها.

يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ لِشُرْبِهِمْ ، وَشُرْبِ أَنْعَامِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ ، وَسَقْيِ زُرُوعِهِمْ وَأَشْجَارِهِمْ ، وَأَصْنَافِ غَلّاتِهِمْ ، وَشُرْبِ مَا يَرِدُهُ مِنَ الْوُحُوشِ وَالطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ ، وَتَتَقَلَّبُ فِيهِ الْحِيتَانُ وَدَوَابُّ الْمَاءِ ، وَفِيهِ مَنَافِعُ أُخَرُ أَنْتَ بِهَا عَارِفٌ ، وَعَنْ عِظَمِ مَوْقِعِهَا غَافِلٌ ، فَإِنَّهُ سِوَى الْأَمْرِ الْجَلِيلِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَنَائِهِ فِي إِحْيَاءِ جَمِيعِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ ، يَمْزُجُ بِالْأَشْرِبَةِ فَتَلِينُ وَتَطِيبُ لِشَارِبِهَا ، وَبِهِ تُنَظَّفُ الْأَبْدَانُ وَالْأَمْتِعَةُ مِنَ الدَّرَنِ الَّذِي يَغْشَاهَا ، وَبِهِ يُبَلُّ التُّرَابُ فَيَصْلُحُ لِلاعْتِمَالِ(١) ، وَبِهِ يُكَفُّ عَادِيَةُ النَّارِ إِذَا اضْطَرَمَتْ ، وَأَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، وَبِهِ يُسِيغُ الْغَصَّانُ مَا غَصَّ بِهِ ، وَبِهِ يَسْتَحِمُّ الْمُتْعِبُ الْكَالُّ فَيَجِدُ الرَّاحَةَ مِنْ أَوْصَابِهِ ، إِلَىٰ أَشْبَاهِ هَذَا مِنَ الْمَآرِبِ الَّتِي تَعْرِفُ عِظَمَ مَوْقِعِهَا فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، فَإِنْ شَكَكْتَ فِي مَنْفَعَةِ هَذَا الْمَاءِ الْكَثِيرِ الْمُتَرَاكِمِ فِي الْبِحَارِ ، وَقُلْتَ: مَا الْإِرْبُ فِيهِ ؟ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُكْتَنَفُ وَمُضْطَرَبُ مَا لَا يُحْصَىٰ مِنْ أَصْنَافِ السَّمَكِ ، وَدَوَابِّ الْبَحْرِ ، وَمَعْدِنِ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالْعَنْبَرِ ، وَأَصْنَافٍ شَتَّىٰ تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَحْرِ ، وَفِي سَوَاحِلِهِ مَنَابِتُ الْعُودِ وَالْيَلَنْجُوجِ ، وَضُرُوبٍ مِنَ الطِّيبِ وَالْعَقَاقِيرِ ، ثُمَّ هُوَ بَعْدُ مَرْكَبُ النَّاسِ ، وَمَحْمِلٌ لِهَذِهِ التِّجَارَاتِ الَّتِي تُجْلَبُ مِنَ الْبُلْدَانِ الْبَعِيدَةِ ، كَمَثَلِ مَا يُجْلَبُ مِنَ الصِّينِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَمِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْعِرَاقِ(٢) ، فَإِنَّ هَذِهِ التِّجَارَاتِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَحْمِلٌ إِلَّا عَلَى الظَّهْرِ

(١) وفي نسخة: فيصلح للأعمال.
(٢) وفي نسخة: إلى الصين.

لَبَارَتْ (١) وَبَقِيَتْ فِي بُلْدَانِهَا وَأَيْدِي أَهْلِهَا ؛ لِأَنَّ أَجْرَ حَمْلِهَا كَانَ يُجَاوِزُ أَثْمَانَهَا ، فَلَا يَتَعَرَّضُ أَحَدٌ لِحَمْلِهَا ، وَكَانَ يَجْتَمِعُ فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا فَقْدُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ تَعْظُمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا ، وَالْآخَرُ انْقِطَاعُ مَعَاشِ مَنْ يَحْمِلُهَا وَيَتَعَيَّشُ بِفَضْلِهَا.

وَهَكَذَا الْهَوَاءُ لَوْلَا كَثْرَتُهُ وَسَعَتُهُ لَاخْتَنَقَ هَذَا الْأَنَامُ مِنَ الدُّخَانِ وَالْبُخَارِ الَّتِي يَتَحَيَّرُ فِيهِ ، وَيَعْجِزُ عَمَّا يُحَوَّلُ إِلَى السَّحَابِ وَالضَّبَابِ أَوَّلاً أَوَّلاً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ صِفَتِهِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ.

وَالنَّارُ أَيْضاً كَذَلِكَ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَبْثُوثَةً كَالنَّسِيمِ وَالْمَاءِ ، كَانَتْ تُحْرِقُ الْعَالَمَ وَمَا فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ ظُهُورِهَا فِي الْأَحَايِينِ لِغَنَائِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَالِحِ ، فَجُعِلَتْ كَالْمَخْزُونَةِ فِي الْأَخْشَابِ (٢) تُلْتَمَسُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، وَتُمْسَكُ بِالْمَادَّةِ وَالْحَطَبِ مَا احْتِيجَ إِلَىٰ بَقَائِهَا لِئَلَّا تَخْبُوَ (٣) ، فَلَا هِيَ تُمْسَكُ بِالْمَادَّةِ وَالْحَطَبِ فَتَعْظُمَ الْمَئُونَةُ فِي ذَلِكَ ، وَلَا هِيَ تَظْهَرُ مَبْثُوثَةً فَتَحْرِقَ كُلَّ مَا هِيَ فِيهِ ، بَلْ هِيَ عَلَىٰ تَهْيِئَةٍ وَتَقْدِيرٍ اجْتَمَعَ فِيهَا الاسْتِمْتَاعُ بِمَنَافِعِهَا ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ ضَرَرِهَا.

ثُمَّ فِيهِ خَلَّةٌ أُخْرىٰ ، وَهِيَ أَنَّهَا مِمَّا خُصَّ بِهِ الْإِنْسَانُ دُونَ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ ، لِمَا لَهُ فِيهَا مِنَ الْمَصْلَحَةِ ، فَإِنَّهُ لَوْ فَقَدَ النَّارَ لَعَظُمَ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ

---

(١) بارت أي كسدت.
(٢) وفي نسخة: في الأجسام.
(٣) أي لئلا تخمد وتطفأ.

مِنَ الضَّرَرِ فِي مَعَاشِهِ ، فَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَلَا تَسْتَعْمِلُ النَّارَ ، وَلَا تَسْتَمْتِعُ بِهَا ، وَلَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا هَكَذَا خلَقَ لِلْإِنْسَانِ كَفّاً وَأَصَابِعَ مُهَيَّأَةً لِقَدْحِ النَّارِ وَاسْتِعْمَالِهَا ، وَلَمْ يُعْطِ الْبَهَائِمَ مِثْلَ ذَلِكَ ، لَكِنَّهَا أُعِينَتْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْجَفَاءِ ، وَالْخَلَلِ فِي الْمَعَاشِ ، لِكَيْلَا يَنَالَهَا فِي فَقْدِ النَّارِ مَا يَنَالُ الْإِنْسَانَ.

وَأُنَبِّئُكَ مِنْ مَنَافِعِ النَّارِ عَلَىٰ خِلْقَةٍ صَغِيرَةٍ عَظِيمٍ مَوْقِعِهَا ، وَهِيَ هَذَا الْمِصْبَاحُ الَّذِي يَتَّخِذُهُ النَّاسُ فَيَقْضُونَ بِهِ حَوَائِجَهُمْ مَا شَاؤُوا مِنْ لَيْلِهِمْ ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْخَلَّةُ لَكَانَ النَّاسُ تُصْرَفُ أَعْمَارُهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ فِي الْقُبُورِ ، فَمَنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْتُبَ ، أَوْ يَحْفَظَ ، أَوْ يَنْسِجَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ حَالُ مَنْ عَرَضَ لَهُ وَجَعٌ فِي وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ فَاحْتَاجَ أَنْ يُعَالِجَ ضِمَاداً ، أَوْ سَفُوفاً ، أَوْ شَيْئاً يَسْتَشْفِي بِهِ(١) ؟

فَأَمَّا مَنَافِعُهَا فِي نَضْجِ الْأَطْعِمَةِ ، وَدَفَاءِ الْأَبْدَانِ ، وَتَجْفِيفِ أَشْيَاءَ ، وَتَحْلِيلِ أَشْيَاءَ ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ ، فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ ، وَأَظْهَرُ مِنْ أَنْ تَخْفَىٰ.

تبيان: «الْعَقَاقِير» أُصول الأدوية ، و«الْغَنَاء» ـ بالفتح ـ: المنفعة ، و«الْخَاوِيَة» الخالية ، والفدفد: الفلاة ، والمكان الصلب الغليظ والمرتفع ،

---

(١) الضماد ـ بالكسر ـ: أن يخلط الأدوية بمائع ويلين ويوضع على العضو ، وأصل الضمد الشدّ من باب ضرب ، يقال: ضمد رأسه وجرحه: إذا شدّه بالضماد ، وهي خرقة يشدّ بها العضو المئوف ، ثمّ قيل لوضع الدواء على الجرح وغيره وإن لم يشدّ ، والسفوف ـ بفتح السين ـ: الأدوية المسحوقة اليابسة التي تطرح في الضماد.

والأرض المستوية، والفسحة ـ بالضمّ ـ: السعة، ويقال: لي عن هذا الأمر مندوحة ومنتدح أي سعة، و« حَزَبَهُ أَمْرٌ » أي أصابه، و« الرَّاتِبَةِ » الثابتة، والراكنة: الساكنة، وهدأ هدءاً وهدوءاً: سكن.

وقوله عليه السلام: « رَجْرَاجَة » أي متزلزلة متحرّكة، والتكفّئ: الانقلاب والتمايل والتحرّك، والارتجاج: الاضطراب، والارعواء: الرجوع عن الجهل، والكفّ عن القبيح، والصلد ـ ويكسر ـ: الصلب الأملس.

قوله عليه السلام: « كَيْفَ تُنْصَبُ » كذا في أكثر النسخ، والنصب يكون بمعنى الرفع والوضع، ولعلّ المراد هنا الثاني، والظاهر أنّه تصحيف (نقصت) أو نحوه.

قوله عليه السلام: « أَنَّ مَهَبَّ الشَّمَالِ أَرْفَعُ » أي بعد ما خرجت الأرض من الكرويّة الحقيقيّة صار ما يلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع ممّا يلي الجنوب، ولذا ترى أكثر الأنهار كدجلة والفرات وغيرهما تجري من الشمال إلى الجنوب، ولمّا كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعاً للأرض في ارتفاعه وانخفاضه، فلذا صارت العيون المتفجّرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتّى تجري على وجه الأرض، ولذا حكموا بفوقيّة الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البئر والبالوعة، وإذا تأمّلت فيما ذكرنا يظهر لك ما بيّنه عليه السلام من الحكم في ذلك، وأنّه لا ينافي كرويّة الأرض، والتدفّق: التصبّب.

قوله عليه السلام: « فَإِنَّهُ سِوَى الْأَمْرِ الْجَلِيلِ » الضمير راجع إلى الماء، وهو اسم إن، ويمزج خبره أي للماء ـ سوى النفع الجليل المعروف،

وهو كونه سبباً لحياة كلّ شيء ـ منافع أُخرى منها: أنّه يمزج مع الأشربة.

وقال الجوهريّ : الحميم : الماء الحارّ ، وقد استحممت : إذا اغتسلت به ، ثمّ صار كلّ اغتسال استحماماص بأي ماء كان ، انتهى .

والوصب ـ محرّكة ـ: المرض ن والمكتنف ـ بفتح النون ـ: من الكنف بمعنى الحفظ والإحاطة ، واكتنفه أي أحاط به ، ويظهر منه أنّ نوعاً من الياقوت يتكوّن في البحر ، وقيل : أُطلق على المرجان مجازاً ، ويحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالغوص وإن لم يتكوّن فيه ، «وَالْيَلَنْجُوج» عود البخور ، «وَمِنَ الْعِرَاقِ» أي البصرة «إِلَى الْعِرَاقِ» أي الكوفة ، أو بالعكس .

قوله عليه السلام : «وَيَعْجِزُ» أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواء عمّا يستحيل الهواء إليه من السحاب والضباب التي تتكوّن من الهواء ، «أَوَّلاً أَوَّلاً» أي تدريجاً أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لا يتّسع لذلك ، «الضَّبَابِ» ـ بالفتح ـ ندى كالغيم ، أو سحاب رقيق كالدخان . و«الْأَحَايِين» جمع أحيان ، وهو جمع حين بمعنى الدهر والزمان .

قوله عليه السلام : «فَلَا هِيَ تُمْسَكُ بِالْمَادَّةِ وَالْحَطَبِ» أي دائماً بحيث إذا انطفأت لم يمكن إعادتها ، والمادّة : الزيادة المتّصلة ، والمراد هنا الدهن ومثله ، و«دِفَاءِ الْأَبْدَانِ» ـ بالكسر ـ: دفع البرد عنها .

فَكِّرْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ فِي الصَّحْوِ (١) وَالْمَطَرِ كَيْفَ يَعْتَقِبَانِ عَلَىٰ هَذَا الْعَالَمِ لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُ ، وَلَوْ دَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَيْهِ كَانَ فِي ذَلِكَ فَسَادُهُ ، أَلَا تَرَىٰ

(١) صحا يصحو صحواً ، وصحى يصحى ، صحا اليوم : صفا ولم يكن فيه غيم .

أَنَّ الْأَمْطَارَ إِذَا تَوَالَتْ عَفِنَتِ الْبُقُولُ وَالْخُضَرُ، وَاسْتَرْخَتْ أَبْدَانُ الْحَيَوَانِ، وَخَصِرَ الْهَوَاءُ فَأَحْدَثَ ضُرُوباً مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَفَسَدَتِ الطُّرُقُ وَالْمَسَالِكُ، وَأَنَّ الصَّحْوَ إِذَا دَامَ جَفَّتِ الْأَرْضُ، وَاحْتَرَقَ النَّبَاتُ، وَغِيضَ مَاءُ الْعُيُونِ وَالْأَوْدِيَةِ، فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِالنَّاسِ، وَغَلَبَ الْيُبْسُ عَلَى الْهَوَاءِ، فَأَحْدَثَ ضُرُوباً أُخْرىٰ مِنَ الْأَمْرَاضِ، فَإِذَا تَعَاقَبَا عَلَى الْعَالَمِ هَذَا التَّعَاقُبَ اعْتَدَلَ الْهَوَاءُ، وَدَفَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَادِيَةَ الْآخَرِ (١)، فَصَلَحَتِ الْأَشْيَاءُ وَاسْتَقَامَتْ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَلِمَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَضَرَّةٌ الْبَتَّةَ؟

قِيلَ لَهُ: لِيَمُضَّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ (٢) وَيُؤْلِمَهُ بَعْضَ الْأَلَمِ فَيَرْعَوِيَ عَنِ الْمَعَاصِي، فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا سَقُمَ بَدَنُهُ احْتَاجَ إِلَى الْأَدْوِيَةِ الْمُرَّةِ الْبَشِعَةِ لِيَقُومَ طِبَاعُهُ، وَيَصْلُحَ مَا فَسَدَ مِنْهُ، كَذَلِكَ إِذَا طَغىٰ وَأَشِرَ احْتَاجَ إِلىٰ مَا يَعَضُّهُ وَيُؤْلِمُهُ لِيَرْعَوِيَ، وَيَقْصُرَ عَنْ مَسَاوِيهِ، وَيُثْبِتَهُ عَلىٰ مَا فِيهِ حَظُّهُ وَرُشْدُهُ، وَلَوْ أَنَّ مَلِكاً مِنَ الْمُلُوكِ قَسَمَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ قَنَاطِيرَ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، أَلَمْ يَكُنْ سَيَعْظُمُ عِنْدَهُمْ، وَيَذْهَبُ لَهُ بِهِ الصَّوْتُ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ مَطْرَةٍ رَوَاءٍ (٣) إِذْ يُعْمَرُ بِهِ الْبِلَادُ، وَيَزِيدُ فِي الْغَلَّاتِ، أَكْثَرَ مِنْ قَنَاطِيرِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِي أَقَالِيمِ الْأَرْضِ كُلِّهَا؟ أَفَلَا تَرَى الْمَطْرَةَ الْوَاحِدَةَ مَا أَكْبَرَ

---

(١) أي ضرر الآخر.

(٢) وفي نسخة: يمضّ ذلك الإنسان.

(٣) على زنة «حياء»: الماء الكثير المشبّع.

قَدْرَهَا ، وَأَعْظَمَ النِّعْمَةَ عَلَى النَّاسِ فِيهَا وَهُمْ عَنْهَا سَاهُونَ ، وَرُبَّمَا عَاقَتْ عَنْ أَحَدِهِمْ حَاجَةٌ لَا قَدْرَ لَهَا ، فَيَذْمُرُ(١) وَيَسْخَطُ إِيثَاراً لِلْخَسِيسِ قَدْرُهُ ، عَلَى الْعَظِيمِ نَفْعُهُ ، جَهْلاً بِمَحْمُودِ الْعَاقِبَةِ ، وَقِلَّةَ مَعْرِفَةٍ ، لِعَظِيمِ الْغَنَاءِ وَالْمَنْفَعَةِ فِيهَا تَأَمَّلْ نُزُولَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالتَّدْبِيرَ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ جُعِلَ يَنْحَدِرُ عَلَيْهَا مِنْ عُلْوٍ لِيَتَفَشَّىٰ مَا غَلُظَ وَارْتَفَعَ مِنْهَا فَيُرْوِيَهُ ، وَلَوْ كَانَ إِنَّمَا يَأْتِيهَا مِنْ بَعْضِ نَوَاحِيهَا لَمَا عَلَا عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمُشْرِفَةِ مِنْهَا ، وَيَقِلُّ مَا يُزْرَعُ فِي الْأَرْضِ.

أَلَا تَرىٰ أَنَّ الَّذِي يُزْرَعُ سَيْحاً (٢) أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ ، فَالْأَمْطَارُ هِيَ الَّتِي تُطْبِقُ الْأَرْضَ ، وَرُبَّمَا تَزْرَعُ هَذِهِ الْبَرَارِيَ الْوَاسِعَةَ ، وَسُفُوحَ الْجِبَالِ وَذُرَاهَا (٣) ، فَتَغِلُّ الْغَلَّةَ الْكَثِيرَةَ(٤) ، وَبِهَا يَسْقُطُ عَنِ النَّاسِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ مَؤُونَةُ سِيَاقِ الْمَاءِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلىٰ مَوْضِعٍ ، وَمَا يَجْرِي فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّشَاجُرِ وَالتَّظَالُمِ حَتّىٰ يَسْتَأْثِرَ بِالْمَاءِ ذَوُو الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ وَيُحْرَمَهُ الضُّعَفَاءُ.

ثُمَّ إِنَّهُ حِينَ قُدِّرَ أَنْ يَنْحَدِرَ عَلَى الْأَرْضِ انْحِدَاراً جُعِلَ ذَلِكَ قَطْراً شَبِيهاً بِالرَّشِّ لِيَغُورَ فِي قُطْرِ الْأَرْضِ فَيُرْوِيَهَا ، وَلَوْ كَانَ يَسْكُبُهُ انْسِكَاباً كَانَ يَنْزِلُ

---

(١) في بعض النسخ: «يتذمّر ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جميلاً محمود العاقبة ، وقلّة معرفته لعظيم الغناء والمنفعة فيها».

(٢) السيح: الماء الجاري على وجه الأرض.

(٣) سفح الجبل: أصله وأسفله ، عرضه ومضطجعه الذي ينصبّ الماء ، وذرو الجبل: أعلاه.

(٤) وفي نسخة: فتقلّ الغلّة الكثيرة.

عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فَلَا يَغُورُ فِيهَا ، ثُمَّ كَانَ يَحْطِمُ الزَّرْعَ الْقَائِمَةَ إِذَا انْدَفَقَ عَلَيْهَا ، فَصَارَ يَنْزِلُ نُزُولاً رَقِيقاً (١) ، فَيُنْبِتُ الْحَبَّ الْمَزْرُوعَ ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ وَالزَّرْعَ الْقَائِمَ.

وَفِي نُزُولِهِ أَيْضاً مَصَالِحُ أُخْرىٰ ، فَإِنَّهُ يُلَيِّنُ الْأَبْدَانَ ، وَيَجْلُو كَدَرَ الْهَوَاءِ فَيَرْتَفِعُ الْوَبَاءُ الْحَادِثُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيَغْسِلُ مَا يَسْقُطُ عَلَى الشَّجَرِ وَالزَّرْعِ مِنَ الدَّاءِ الْمُسَمّىٰ بِالْيَرَقَانِ (٢) ، إِلىٰ أَشْبَاهِ هَذَا مِنَ الْمَنَافِعِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ قَدْ يَكُونُ مِنْهُ فِي بَعْضِ السِّنِينَ الضَّرَرُ الْعَظِيمُ الْكَثِيرُ لِشِدَّةِ مَا يَقَعُ مِنْهُ ، أَوْ بَرَدٍ يَكُونُ فِيهِ تَحَطُّمُ الْغَلَّاتِ ، وَبَخُورَةٍ يُحْدِثُهَا فِي الْهَوَاءِ فَيُوَلِّدُ كَثِيراً مِنَ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَبْدَانِ ، وَالْآفَاتِ فِي الْغَلّاتِ ؟

قِيلَ: بَلىٰ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الْفَرْطُ لِمَا فِيهِ مِنْ صَلَاحِ الْإِنْسَانِ ، وَكَفِّهِ عَنْ رُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالتَّمَادِي فِيهَا ، فَيَكُونُ الْمَنْفَعَةُ فِيمَا يَصْلُحُ لَهُ مِنْ دِينِهِ أَرْجَحَ مِمَّا عَسىٰ أَنْ يُرْزَأَ فِي مَالِهِ.

بيان : « يَعْتَقِبَانِ » أي يأتي كلّ منهما عقيب صاحبه، «وَخَصِرَ الْهَوَاءُ» بكسر الصاد المهملة ، يقال: خصر يومنا أي اشتدّ برده ، وماء خاصر: بارد ، وفي أكثر النسخ بالحاء المهملة والسين ، من حسر أي كَلّ ، وهو لا يستقيم إلّا بتكلّف وتجوّز ، وفي بعضها بالخاء المعجمة والثاء المثلثة ،

---

(١) وفي نسخة: فصار ينزل نزولاً رفيقاً.
(٢) اليرقان: آفة للزرع أو دود يسطو على الزرع.

من قولهم خثر اللبن خثراً: إذا غلظ، والبشع: الكريه الطعم الذي يأخذ بالحلق، والقنطار: معيار، ويروى أنّه ألف ومائتا أُوقية، ويقال: هو مائة وعشرون رطلاً، ويقال: هو ملء مسك الثور ذهباً.

قوله عليه السلام: «وَيَذْهَبُ لَهُ بِهِ الصَّوْتُ» أي يملأ صيت كرمه وجوده الآفاق، والذمر: الملامة والتهدّد.

قوله: «لِيَتَفَشّىٰ» التفشّي: الاتّساع، والأظهر ليغشى بالغين المعجمة كما في بعض النسخ، والحطم: الكسر، والاندفاق: الانصباب، واليرقان: آفة للزرع،

وقوله: «مِمَّا عَسىٰ أَنْ يُرْزَأَ» من الرزء: المصيبة.

انْظُرْ - يَا مُفَضَّلُ - إِلىٰ هَذِهِ الْجِبَالِ الْمَرْكُومَةِ[١] مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ الَّتِي يَحْسَبُهَا الْغَافِلُونَ فَضْلاً لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا، وَالْمَنَافِعُ فِيهَا كَثِيرَةٌ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْهَا الثُّلُوجُ فَيَبْقىٰ فِي قِلَالِهَا لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيَذُوبَ مَا ذَابَ مِنْهُ، فَتَجْرِيَ مِنْهُ الْعُيُونُ الْغَزِيرَةُ الَّتِي تَجْتَمِعُ مِنْهَا الْأَنْهَارُ الْعِظَامُ، وَيَنْبُتَ فِيهَا ضُرُوبٌ مِنَ النَّبَاتِ وَالْعَقَاقِيرِ الَّتِي لَا يَنْبُتُ مِثْلُهَا فِي السَّهْلِ، وَيَكُونَ فِيهَا كُهُوفٌ وَمَقَايِلُ لِلْوُحُوشِ مِنَ السِّبَاعِ الْعَادِيَةِ، وَيُتَّخَذَ مِنْهَا الْحُصُونُ وَالْقِلَاعُ الْمَنِيعَةُ لِلتَّحَرُّزِ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَيُنْحَتَ مِنْهَا الْحِجَارَةُ لِلْبِنَاءِ وَالْأَرْحَاءِ[٢]، وَيُوجَدَ فِيهَا مَعَادِنُ لِضُرُوبٍ مِنَ الْجَوَاهِرِ، وَفِيهَا خِلَالٌ أُخْرىٰ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْمُقَدِّرُ لَهَا فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

---

(١) المركومة: المجتمعة من الطين والحجارة بعضها فوق بعض.
(٢) أي الطواحين.

تفسير: المقايل في بعض النسخ بالقاف، وكأنّه من القيلولة، وفي بعضها بالغين، ولعلّه من الغيل: الشجر الملتفّ، وفي بعض كتب اللغة: المغالة: العشّ، وفي بعض النسخ: معاقل جمع المعقل، وهو الملجأ.

فَكِّرْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ فِي هَذِهِ الْمَعَادِنِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمُخْتَلِفَةِ، مِثْلِ الْجِصِّ وَالْكِلْسِ وَالْجِبْسِ (١) وَالزَّرَانِيخِ وَالْمَرْتَكِ وَالقونيا (٢) وَالزِّئْبَقِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَالزَّبَرْجَدِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُّدِ وَضُرُوبِ الْحِجَارَةِ، وَكَذَلِكَ مَا يُخْرَجُ مِنْهَا مِنَ الْقَارِ وَالْمُومِيَا وَالْكِبْرِيتِ وَالنِّفْطِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَعْمِلُهُ النَّاسُ فِي مَآرِبِهِمْ، فَهَلْ يَخْفَىٰ عَلَىٰ ذِي عَقْلٍ أَنَّ هَذِهِ كُلَّهَا ذَخَائِرُ ذُخِرَتْ لِلإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ لِيَسْتَخْرِجَهَا فَيَسْتَعْمِلَهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَصُرَتْ حِيلَةُ النَّاسِ عَمَّا حَاوَلُوا مِنْ صَنْعَتِهَا عَلَىٰ حِرْصِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لَوْ ظَفِرُوا بِمَا حَاوَلُوا مِنْ هَذَا الْعِلْمِ كَانَ لَا مَحَالَةَ سَيَظْهَرُ وَيَسْتَفِيضُ فِي الْعَالَمِ حَتَّىٰ تَكْثُرَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَيَسْقُطَا عِنْدَ النَّاسِ فَلَا يَكُونَ لَهُمَا قِيمَةٌ، وَيَبْطُلَ الانْتِفَاعُ بِهِمَا فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَلَا كَانَ يَجْبِي السُّلْطَانُ الْأَمْوَالَ، وَلَا يَدَّخِرُهُمَا أَحَدٌ لِلْأَعْقَابِ، وَقَدْ أُعْطِيَ النَّاسُ مَعَ هَذَا صَنْعَةَ الشَّبَهِ مِنَ النُّحَاسِ، وَالزُّجَاجِ مِنَ الرَّمْلِ، وَالْفِضَّةِ مِنَ الرَّصَاصِ، وَالذَّهَبِ مِنَ الْفِضَّةِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا لَا مَضَرَّةَ فِيهِ.

---

(١) أي حجر الجصّ.
(٢) في نسخة: القونبا، وفي أُخرى: التوتياء.

فَانْظُرْ كَيْفَ أُعْطُوا إِرَادَتَهُمْ فِيمَا لَا ضَرَرَ فِيهِ، وَمُنِعُوا ذَلِكَ فِيمَا كَانَ ضَارّاً لَهُمْ لَوْ نَالُوهُ، وَمَنْ أَوْغَلَ فِي الْمَعَادِنِ انْتَهىٰ إِلىٰ وَادٍ عَظِيمٍ يَجْرِي مُنْصَلِتاً بِمَاءٍ غَزِيرٍ لَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ، وَلَا حِيلَةَ فِي عُبُورِهِ، وَمِنْ وَرَائِهِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ مِنَ الْفِضَّةِ.

تَفَكَّرِ الْآنَ فِي هَذَا مِنْ تَدْبِيرِ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ، فَإِنَّهُ أَرَادَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يُرِيَ الْعِبَادَ قُدْرَتَهُ، وَسَعَةَ خَزَائِنِهِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يَمْنَحَهُمْ كَالْجِبَالِ مِنَ الْفِضَّةِ لَفَعَلَ، لَكِنْ لَا صَلَاحَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فَيَكُونُ فِيهَا كَمَا ذَكَرْنَا سُقُوطُ هَذَا الْجَوْهَرِ عِنْدَ النَّاسِ، وَقِلَّةُ انْتِفَاعِهِمْ بِهِ، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَدْ يَظْهَرُ الشَّيْءُ الطَّرِيفُ مِمَّا يُحْدِثُهُ النَّاسُ مِنَ الْأَوَانِي وَالْأَمْتِعَةِ، فَمَا دَامَ عَزِيزاً قَلِيلاً فَهُوَ نَفِيسٌ جَلِيلٌ، آخِذُ الثَّمَنِ، فَإِذَا فَشَا وَكَثُرَ فِي أَيْدِي النَّاسِ سَقَطَ عِنْدَهُمْ، وَخَسَتْ قِيمَتُهُ، وَنَفَاسَةُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عِزَّتِهَا.

بيان: «الْكِلْسِ» ـ بالكسر ـ: الصاروج، «وَالْجِبْسِ» ـ بالكسر ـ: الجصّ، وفي أكثر النسخ: الجبسين، ولم أجده فيما عندنا من كتب اللغة، لكن في كتب الطبّ كما في أكثر النسخ، «وَالْمَرْتَكِ» ـ كمقعد ـ: المرداسنج، والقونيا بالباء الموحدة، أو الياء المثناة من تحت، ولم أجدهما في كتب اللغة، لكن في القاموس: القونة: القطعة من الحديد أو الصفر يرفع بها الإناء، وفي بعض النسخ: والتوتياء، وفي كتب اللغة أنّه حجر يكتحل به(١)، و«الْقَار» القير، وجبى الخراج جباية: جمعه،

(١) نقل في كتب الطبّ عن الشيخ أنّه قال: أصل التوتيا دخان يرتفع حيث يخلص النحاس من الحجارة التي تخالطه، والآنك الذي يخالطه، وربّما صعد الاقليميا فكان مصعده توتيا

والإيغال: المبالغة في الدخول والذهاب وانصلت: مضى وسبق.

فَكِّرْ -يَا مُفَضَّلُ- فِي هَذَا النَّبَاتِ، وَمَا فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ الْمَآرِبِ، فَالثِّمَارُ لِلْغِذَاءِ، وَالْأَتْبَانُ لِلْعَلَفِ، وَالْحَطَبُ لِلْوُقُودِ، وَالْخَشَبُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ النِّجَارَةِ، وَغَيْرِهَا، وَاللِّحَاءُ وَالْوَرَقُ وَالْأُصُولُ وَالْعُرُوقُ وَالصُّمُوغُ لِضُرُوبٍ مِنَ الْمَنَافِعِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كُنَّا نَجِدُ الثِّمَارَ الَّتِي نَغْتَذِي بِهَا مَجْمُوعَةً عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَمْ تَكُنْ تَنْبُتُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَغْصَانِ الْحَامِلَةِ لَهَا، كَمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْنَا مِنَ الْخَلَلِ فِي مَعَاشِنَا؟ وَإِنْ كَانَ الْغِذَاءُ مَوْجُوداً، فَإِنَّ الْمَنَافِعَ بِالْخَشَبِ وَالْحَطَبِ وَالْأَتْبَانِ -وَسَائِرِ مَا عَدَدْنَاهُ- كَثِيرَةٌ، عَظِيمٌ قَدْرُهَا، جَلِيلٌ مَوْقِعُهَا، هَذَا مَعَ مَا فِي النَّبَاتِ مِنَ التَّلَذُّذِ بِحُسْنِ مَنْظَرِهِ، وَنَضَارَتِهِ الَّتِي لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنْ مَنَاظِرِ الْعَالَمِ وَمَلَاهِيهِ.

بيان: لحاء الشجرة -بالكسر-: قشرها.

فَكِّرْ -يَا مُفَضَّلُ- فِي هَذَا الرَّيْعِ الَّذِي جُعِلَ فِي الزَّرْعِ، فَصَارَتِ الْحَبَّةُ الْوَاحِدَةُ تُخَلِّفُ مِائَةَ حَبَّةٍ، وَأَكْثَرَ وَأَقَلَّ، وَكَانَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَبَّةُ تَأْتِي بِمِثْلِهَا، فَلِمَ صَارَتْ تَرِيعُ هَذَا الرَّيْعَ إِلَّا لِيَكُونَ فِي الْغَلَّةِ مُتَّسَعٌ لِمَا يُرَدُّ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْبَذْرِ، وَمَا يَتَقَوَّتُ الزُّرَّاعُ إِلَىٰ إِدْرَاكِ زَرْعِهَا الْمُسْتَقْبَلِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ الْمَلِكَ لَوْ أَرَادَ عِمَارَةَ بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ كَانَ السَّبِيلُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُعْطِيَ أَهْلَهُ مَا يَبْذُرُونَهُ فِي أَرْضِهِمْ، وَمَا يَقُوتُهُمْ إِلَىٰ إِدْرَاكِ زَرْعِهِمْ.

جيداً ورسوبه قليميا.

فَانْظُرْ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا الْمِثَالَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ ، فَصَارَ الزَّرْعُ يَرِيعُ هَذَا الرَّيْعَ لِيَفِيَ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْقُوتِ وَالزِّرَاعَةِ ، وَكَذَلِكَ الشَّجَرُ وَالنَّبْتُ وَالنَّخْلُ يَرِيعُ الرَّيْعَ الْكَثِيرَ ، فَإِنَّكَ تَرَى الْأَصْلَ الْوَاحِدَ حَوْلَهُ مِنْ فِرَاخِهِ أَمْراً عَظِيماً ، فَلِمَ كَانَ كَذَلِكَ إِلَّا لِيَكُونَ فِيهِ مَا يَقْطَعُهُ النَّاسُ وَيَسْتَعْمِلُونَهُ فِي مَآرِبِهِمْ ، وَمَا يُرَدُّ فَيُغْرَسُ فِي الْأَرْضِ ، وَلَوْ كَانَ الْأَصْلُ مِنْهُ يَبْقَىٰ مُنْفَرِداً لَا يُفْرِخُ وَلَا يَرِيعُ ، لَمَا أَمْكَنَ أَنْ يُقْطَعَ مِنْهُ شَيْءٌ لِعَمَلٍ ، وَلَا لِغَرْسٍ ، ثُمَّ كَانَ إِنْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ انْقَطَعَ أَصْلُهُ فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ خَلَفٌ .

تَأَمَّلْ نَبَاتَ هَذِهِ الْحُبُوبِ مِنَ الْعَدَسِ وَالْمَاشِ وَالْبَاقِلَاءِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّهَا تَخْرُجُ فِي أَوْعِيَةٍ مِثْلِ الْخَرَائِطِ لِتَصُونَهَا وَتَحْجُبَهَا مِنَ الْآفَاتِ إِلَىٰ أَنْ تَشْتَدَّ وَتَسْتَحْكِمَ ، كَمَا قَدْ تَكُونُ الْمَشِيمَةُ عَلَى الْجَنِينِ لِهَذَا الْمَعْنَىٰ بِعَيْنِهِ ، فَأَمَّا الْبُرُّ ـ وَمَا أَشْبَهَهُ ـ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مُدْرَجاً فِي قُشُورٍ صِلَابٍ ، عَلَىٰ رُءُوسِهَا مِثَالُ الْأَسِنَّةِ مِنَ السُّنْبُلِ لِيَمْنَعَ الطَّيْرَ مِنْهُ لِيَتَوَفَّرَ عَلَى الزُّرَّاعِ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ قَدْ يَنَالُ الطَّيْرُ مِنَ الْبُرِّ وَالْحُبُوبِ ؟

قِيلَ لَهُ: بَلَىٰ ، عَلَىٰ هَذَا قُدِّرَ الْأَمْرُ فِيهَا ؛ لِأَنَّ الطَّيْرَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ فِيمَا تُخْرِجُ الْأَرْضُ حَظّاً ، وَلَكِنْ حُصِّنَتِ الْحُبُوبُ بِهَذِهِ الْحُجُبِ لِئَلَّا يَتَمَكَّنَ الطَّيْرُ مِنْهَا كُلَّ التَّمَكُّنِ ، فَيَعْبَثَ فِيهَا ، وَيُفْسِدَ الْفَسَادَ الْفَاحِشَ ، فَإِنَّ الطَّيْرَ لَوْ صَادَفَ الْحَبَّ بَارِزاً لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَحُولُ دُونَهُ لَأَكَبَّ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَنْسِفَهُ أَصْلاً ، فَكَانَ يَعْرِضُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ

يَبْشَمَ الطَّيْرُ فَيَمُوتَ، وَيَخْرُجَ الزَّرَّاعُ مِنْ زَرْعِهِ صِفراً، فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْوَقَايَاتُ لِتَصُونَهُ، فَيَنَالَ الطَّائِرُ مِنْهُ شَيْئاً يَسِيراً يَتَقَوَّتُ بِهِ، وَيَبْقىٰ أَكْثَرُهُ لِلْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ أَوْلىٰ بِهِ، إِذْ كَانَ هُوَ الَّذِي كَدَحَ فِيهِ وَشَقِيَ بِهِ، وَكَانَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ.

تَأَمَّلِ الْحِكْمَةَ فِي خَلْقِ الشَّجَرِ، وَأَصْنَافِ النَّبَاتِ، فَإِنَّهَا لَمَّا كَانَتْ تَحْتَاجُ إِلَى الْغِذَاءِ الدَّائِمِ كَحَاجَةِ الْحَيَوَانِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا أَفْوَاهٌ كَأَفْوَاهِ الْحَيَوَانِ، وَلَا حَرَكَةٌ تَنْبَعِثُ بِهَا لِتَنَاوُلِ الْغِذَاءِ، جُعِلَتْ أُصُولُهَا مَرْكُوزَةً فِي الْأَرْضِ لِتَنْزِعَ مِنْهَا الْغِذَاءَ، فَتُؤَدِّيَهُ إِلَى الْأَغْصَانِ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْوَرَقِ وَالثَّمَرِ، فَصَارَتِ الْأَرْضُ كَالْأُمِّ الْمُرَبِّيَةِ لَهَا، وَصَارَتْ أُصُولُهَا الَّتِي هِيَ كَالْأَفْوَاهِ مُلْتَقِمَةً لِلْأَرْضِ[1] لِتَنْزِعَ مِنْهَا الْغِذَاءَ كَمَا يُرْضِعُ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ أُمَّهَاتُهَا.

أَلَا تَرىٰ إِلىٰ عَمَدِ الْفَسَاطِيطِ وَالْخِيَمِ كَيْفَ تُمَدُّ بِالْأَطْنَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِتَثْبُتَ مُنْتَصِبَةً فَلَا تَسْقُطَ وَلَا تَمِيلَ، فَهَكَذَا تَجِدُ النَّبَاتَ كُلَّهُ لَهُ عُرُوقٌ مُنْتَشِرَةٌ فِي الْأَرْضِ، مُمْتَدَّةٌ إِلىٰ كُلِّ جَانِبٍ لِتُمْسِكَهُ وَتُقِيمَهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ كَيْفَ كَانَ يَثْبُتُ هَذَا النَّخْلُ الطِّوَالُ، وَالدَّوْحُ الْعِظَامُ فِي الرِّيحِ الْعَاصِفِ.

فَانْظُرْ إِلىٰ حِكْمَةِ الْخِلْقَةِ كَيْفَ سَبَقَتْ حِكْمَةَ الصِّنَاعَةِ فَصَارَتِ الْحِيلَةُ الَّتِي تَسْتَعْمِلُهَا الصُّنَّاعُ فِي ثَبَاتِ الْفَسَاطِيطِ وَالْخِيَمِ مُتَقَدِّمَةً فِي خَلْقِ

(١) التقم الطعام: ابتلعه أو في مهلة.

الشَّجَرِ؛ لِأَنَّ خَلْقَ الشَّجَرِ قَبْلَ صَنْعَةِ الْفَسَاطِيطِ وَالْخِيَمِ، أَلَا تَرىٰ عَمَدَهَا وَعِيدَانَهَا مِنَ الشَّجَرِ، فَالصِّنَاعَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْخِلْقَةِ.

بيان: «يَنْسِفَه» -بالكسر- أي يقلعه، وبشم الحيوان بشماً من باب تعب، اتخم من كثرة الأكل. والكدح: العمل والسعي، والشقا: الشدّة والعسر، شقي كرضي، «وَالدَّوْح» -بفتح الدال وسكون الواو-: جمع الدوحة، وهي الشجرة العظيمة.

تَأَمَّلْ -يَا مُفَضَّلُ- خَلْقَ الْوَرَقِ، فَإِنَّكَ تَرىٰ فِي الْوَرَقَةِ شِبْهَ الْعُرُوقِ مَبْثُوثَةً فِيهَا أَجْمَعَ، فَمِنْهَا غِلَاظٌ مُمْتَدَّةٌ فِي طُولِهَا وَعَرْضِهَا، وَمِنْهَا دِقَاقٌ تَتَخَلَّلُ الْغِلَاظَ، مَنْسُوجَةٌ نَسْجاً دَقِيقاً مُعْجِماً، لَوْ كَانَ مِمَّا يُصْنَعُ بِالْأَيْدِي كَصَنْعَةِ الْبَشَرِ لَمَا فُرِغَ مِنْ وَرَقِ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي عَامٍ كَامِلٍ، وَلَاحتِيجَ إِلىٰ آلَاتٍ وَحَرَكَةٍ وَعِلَاجٍ وَكَلَامٍ، فَصَارَ يَأْتِي مِنْهُ فِي أَيَّامٍ قَلَائِلَ مِنَ الرَّبِيعِ مَا يَمْلَأُ الْجِبَالَ وَالسَّهْلَ وَبِقَاعَ الْأَرْضِ كُلَّهَا بِلَا حَرَكَةٍ وَلَا كَلَامٍ، إِلَّا بِالْإِرَادَةِ النَّافِذَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالْأَمْرِ الْمُطَاعِ، وَاعْرِفْ مَعَ ذَلِكَ الْعِلَّةَ فِي تِلْكَ الْعُرُوقِ الدِّقَاقِ، فَإِنَّهَا جُعِلَتْ تَتَخَلَّلُ الْوَرَقَةَ بِأَسْرِهَا لِتَسْقِيَهَا، وَتُوصِلَ الْمَاءَ إِلَيْهَا، بِمَنْزِلَةِ الْعُرُوقِ الْمَبْثُوثَةِ فِي الْبَدَنِ لِتُوصِلَ الْغِذَاءَ إِلىٰ كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا، وَفِي الْغِلَاظِ مِنْهَا مَعْنىً آخَرُ، فَإِنَّهَا تُمْسِكُ الْوَرَقَةَ بِصَلَابَتِهَا وَمَتَانَتِهَا لِئَلَّا تَنْهَتِكَ وَتَتَمَزَّقَ، فَتَرَى الْوَرَقَةَ شَبِيهَةً بِوَرَقَةٍ مَعْمُولَةٍ بِالصَّنْعَةِ، مِنْ خِرَقٍ قَدْ جُعِلَتْ فِيهَا عِيدَانٌ مَمْدُودَةٌ فِي طُولِهَا وَعَرْضِهَا لِتَتَمَاسَكَ فَلَا تَضْطَرِبَ، فَالصِّنَاعَةُ تَحْكِي الْخِلْقَةَ، وَإِنْ كَانَتْ لَا تُدْرِكُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ.

فَكِّرْ فِي هَذَا الْعَجَمِ وَالنَّوىٰ وَالْعِلَّةِ فِيهِ، فَإِنَّهُ جُعِلَ فِي جَوْفِ الثَّمَرَةِ لِيَقُومَ مَقَامَ الْغَرْسِ إِنْ عَاقَ دُونَ الْغَرْسِ عَائِقٌ، كَمَا يُحْرَزُ الشَّيْءُ النَّفِيسُ الَّذِي تَعْظُمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، فَإِنْ حَدَثَ عَلَى الَّذِي فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مِنْهُ حَادِثٌ وُجِدَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، ثُمَّ بَعْدُ يُمْسِكُ بِصَلَابَتِهِ رَخَاوَةَ الثِّمَارِ وَرِقَّتَهَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَشَدَّخَتْ وَتَفَسَّخَتْ، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ الْفَسَادُ، وَبَعْضُهُ يُؤْكَلُ وَيُسْتَخْرَجُ دُهْنُهُ فَيُسْتَعْمَلُ مِنْهُ ضُرُوبٌ مِنَ الْمَصَالِحِ، وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مَوْضِعُ الْإِرْبِ فِي الْعَجَمِ وَالنَّوىٰ.

فَكِّرِ الْآنَ فِي هَذَا الَّذِي تَجِدُهُ فَوْقَ النَّوَاةِ مِنَ الرَّطْبَةِ، وَفَوْقَ الْعَجَمِ مِنَ الْعِنَبَةِ، فَمَا الْعِلَّةُ فِيهِ؟ وَلِمَاذَا يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْهَيْئَةِ؟ وَقَدْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ ذَلِكَ مَا لَيْسَ فِيهِ مَأْكَلٌ، كَمِثْلِ مَا يَكُونُ فِي السَّرْوِ وَالدُّلْبِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَلِمَ صَارَ يَخْرُجُ فَوْقَهُ هَذِهِ الْمَطَاعِمُ اللَّذِيذَةُ إِلَّا لِيَسْتَمْتِعَ بِهَا الْإِنْسَانُ.

فَكِّرْ فِي ضُرُوبٍ مِنَ التَّدْبِيرِ فِي الشَّجَرِ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ يَمُوتُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَوْتَةً، فَيَحْتَبِسُ الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ فِي عُودِهِ، وَيَتَوَلَّدُ فِيهِ مَوَادُّ الثِّمَارِ، ثُمَّ تَحْيَا وَتَنْتَشِرُ فَتَأْتِيكَ بِهَذِهِ الْفَوَاكِهِ نَوْعاً بَعْدَ نَوْعٍ كَمَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ أَنْوَاعَ الْأَطْبِخَةِ(١) الَّتِي تُعَالَجُ بِالْأَيْدِي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، فَتَرَى الْأَغْصَانَ فِي الشَّجَرِ تَتَلَقَّاكَ بِثِمَارِهَا حَتَّىٰ كَأَنَّهَا تُنَاوِلُكَهَا عَنْ يَدٍ، وَتَرَى الرَّيَاحِينَ تَلَقَّاكَ

---

(١) وفي نسخة: كما تقدّم إليك أنواع الأخبصة.

فِي أَفْنَانِهَا كَأَنَّهَا تَجِيئُكَ بِأَنْفُسِهَا، فَلِمَنْ هَذَا التَّقْدِيرُ إِلَّا لِمُقَدِّرٍ حَكِيمٍ؟ وَمَا الْعِلَّةُ فِيهِ إِلَّا تَفْكِيهُ الْإِنْسَانِ بِهَذِهِ الثِّمَارِ وَالْأَنْوَارِ (١)، وَالْعَجَبُ مِنْ أُنَاسٍ جَعَلُوا مَكَانَ الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ جُحُودَ الْمُنْعِمِ بِهَا.

اعْتَبِرْ بِخَلْقِ الرُّمَّانَةِ، وَمَا تَرَىٰ فِيهَا مِنْ أَثَرِ الْعَمْدِ وَالتَّدْبِيرِ، فَإِنَّكَ تَرَىٰ فِيهَا كَأَمْثَالِ التِّلَالِ مِنْ شَحْمٍ مَرْكُومٍ فِي نَوَاحِيهَا، وَحَبّاً مَرْصُوفاً رَصْفاً كَنَحْوِ مَا يُنْضَدُ بِالْأَيْدِي (٢)، وَتَرَى الْحَبَّ مَقْسُوماً أَقْسَاماً، وَكُلَّ قِسْمٍ مِنْهَا مَلْفُوفاً بِلَفَائِفَ مِنْ حُجُبٍ مَنْسُوجَةٍ أَعْجَبَ النَّسْجِ وَأَلْطَفَهُ، وَقِشْرَةٌ يَضُمُّ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَمِنَ التَّدْبِيرِ فِي هَذِهِ الصَّنْعَةِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَشْوُ الرُّمَّانَةِ مِنَ الْحَبِّ وَحْدَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَبَّ لَا يَمُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، فَجُعِلَ ذَلِكَ الشَّحْمُ خِلَالَ الْحَبِّ لِيَمُدَّهُ بِالْغِذَاءِ.

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ أُصُولَ الْحَبِّ مَرْكُوزَةٌ فِي ذَلِكَ الشَّحْمِ، ثُمَّ لُفَّ بِتِلْكَ اللَّفَائِفِ لِتَضُمَّهُ وَتُمْسِكَهُ فَلَا يَضْطَرِبَ، وَغُشِيَ فَوْقَ ذَلِكَ بِالْقِشْرَةِ الْمُسْتَحْصِنَةِ لِيَصُونَهُ وَيُحْصِنَهُ مِنَ الْآفَاتِ، فَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ وَهِيَ وَصْفُ الرُّمَّانِ، وَفِيهِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا لِمَنْ أَرَادَ الْإِطْنَابَ وَالتَّذَرُّعَ فِي الْكَلَامِ، وَلَكِنْ فِيمَا ذَكَرْتُ لَكَ كِفَايَةٌ فِي الدَّلَالَةِ وَالاعْتِبَارِ.

بيان: قوله عليه السلام: «مُعْجَماً» لعلّ المراد شدّة ارتباطها.

قال الفيروزآباديّ: باب معجم ـ كمكرم ـ: مقفل، انتهى، ويحتمل أن

---

(١) وفي نسخة: تفكّه الإنسان بهذه الثمار والأنوار.
(٢) أي كنحو ما يضمّ بعضه إلى بعض متّسقاً بالأيدي.

يكون كناية عن خفائها كقوله صلّى اللّه عليه وآله: «صلاة النهار عجماء».

وقوله عليه السلام: «إِنْ عَاقَ دُونَ الْغَرْسِ» أي غرس الأغصان «عَائِقٌ» تغرس النوى بدلها، والشدخ: الكسر والغمز، والمشدخ: هو بسر يغمز وييبس للشتاء، و«الدُّلْب» -بالضمّ-: الصنار [1].

قوله عليه السلام: «فَيَحْتَبِسُ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيَّةَ» يدلّ على أنّ الحرارة الغريزيّة لا يختصّ بالحيوان، بل يوجد في النبات أيضاً، كما صرّح به جماعة من المحقّقين، ويقال: رصفت الحجارة في البناء رصفاً أي ضممت بعضها إلى بعض. واستحصف: استحكم، «وَالتَّذَرُّعَ» كثرة الكلام، والإفراط فيه.

فَكِّرْ -يَا مُفَضَّلُ- فِي حَمْلِ الْيَقْطِينِ الضَّعِيفِ مِثْلَ هَذِهِ الثِّمَارِ الثَّقِيلَةِ مِنَ الدُّبَّاءِ وَالْقِثَّاءِ وَالْبِطِّيخِ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ، فَإِنَّهُ حِينَ قُدِّرَ أَنْ يَحْتَمِلَ مِثْلَ هَذِهِ الثِّمَارَ جُعِلَ نَبَاتُهُ مُنْبَسِطاً عَلَى الْأَرْضِ، وَلَوْ كَانَ يَنْتَصِبُ قَائِماً كَمَا يَنْتَصِبُ الزَّرْعُ وَالشَّجَرُ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَ مِثْلَ هَذِهِ الثِّمَارِ الثَّقِيلَةِ، وَلَيَنْقَصِفُ قَبْلَ إِدْرَاكِهَا وَانْتِهَائِهَا إِلَىٰ غَايَتِهَا.

فَانْظُرْ كَيْفَ صَارَ يَمْتَدُّ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ لِيُلْقِيَ عَلَيْهَا ثِمَارَهَا فَتَحْمِلَهَا عَنْهُ، فَتَرَى الْأَصْلَ مِنَ الْقَرْعِ وَالْبِطِّيخِ مُفْتَرِشاً لِلْأَرْضِ، ثِمَارُهُ مَبْثُوثَةٌ عَلَيْهَا وَحَوَالَيْهِ، كَأَنَّهُ هِرَّةٌ مُمْتَدَّةٌ وَقَدِ اكْتَنَفَتْهَا أَجْرَاؤُهَا لِتَرْضِعَ مِنْهَا.

وَانْظُرْ كَيْفَ صَارَتِ الْأَصْنَافُ تُوَافِي فِي وَقْتِ الْمُشَاكِلِ لَهَا مِنْ حَمَارَّةِ

---

(١) الصنار معرّب چنار.

الصَّيْفِ ، وَوَقْدَةِ الْحَرِّ ، فَتَلَقَّاهَا النُّفُوسُ بِانْشِرَاحٍ ، وَتَشَوُّقٍ إِلَيْهَا ، وَلَوْ كَانَتْ تُوَافِي فِي الشِّتَاءِ لَوَافَقَتْ مِنَ النَّاسِ كَرَاهَةً لَهَا ، وَاقْشِعْرَاراً مِنْهَا ، مَعَ مَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْمَضَرَّةِ لِلْأَبْدَانِ أَلَا تَرىٰ أَنَّهُ رُبَّمَا أَدْرَكَ شَيْءٌ مِنَ الْخِيَارِ فِي الشِّتَاءِ ، فَيَمْتَنِعُ النَّاسُ مِنْ أَكْلِهِ إِلّا الشَّرِهَ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ مِنْ أَكْلِ مَا يَضُرُّهُ وَلْيَسْتَوْخِمْ مَغَبَّتَهُ.

توضيح: قال الفيروزآباديّ: اليقطين: ما لا ساق له من النبات ونحوه. والقصف: الكسر.

وقال الجوهريّ: الجِرو والجُرو والجَرو: ولد الكلب والسباع ، والجمع أُجرٍ ، وأصله أجرو على أفعل ، وجراء ، وجمع الجراء أجرية ، والجرو والجروة: الصغير من القثّاء ، انتهى. والحمارّة ـ بتخفيف الميم وتشديد الراء ، وقد يخفّف في الشعر ـ: شدّة الحرّ. وفي الأساس: ما لي أراك تشرح إلى كلّ رتبة ، وهو إظهار الرغبة إليها ، وفيه: هو شره العين: يطمع في كلّ ما يراه يرمي نفسه عليه ويتمنّاه ، انتهى. واستوخمه: لم يجده مريئاً موافقاً. والمغبّة: العاقبة.

فَكِّرْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ فِي النَّخْلِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا صَارَ فِيهِ إِنَاثٌ يَحْتَاجُ إِلَى التَّلْقِيحِ (١) ، جُعِلَتْ فِيهِ ذُكُورَةٌ لِلِّقَاحِ مِنْ غَيْرِ غِرَاسٍ ، فَصَارَ الذَّكَرُ مِنَ النَّخْلِ بِمَنْزِلَةِ الذَّكَرِ مِنَ الْحَيَوَانِ الَّذِي يُلْقِحُ الْإِنَاثَ لِتَحْمِلَ وَهُوَ لَا يَحْمِلُ.

تَأَمَّلْ خِلْقَةَ الْجِذْعِ (٢) كَيْفَ هُوَ ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ كَالْمَنْسُوجِ نَسْجاً مِنْ غَيْرِ

---

(١) التلقيح في النخل: وضع طلع الذكور في الإناث.

(٢) الجذع: ساق النخلة.

خُيُوطٍ مَمْدُودَةٍ كَالسَّدىٰ ، وَأُخْرىٰ مَعَهُ مُعْتَرِضَةٌ كَاللُّحْمَةِ (١) كَنَحْوِ مَا يُنْسَجُ بِالْأَيْدِي ، وَذٰلِكَ لِيَشْتَدَّ وَيَصْلُبَ وَلَا يَنْقَصِفَ مِنْ حَمْلِ الْقِنْوَانِ (٢) الثَّقِيلَةِ ، وَهَزِّ الرِّيَاحِ الْعَوَاصِبِ إِذَا صَارَ نَخْلَةً ، وَلِيَتَهَيَّأَ لِلسُّقُوفِ وَالْجُسُورِ ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يُتَّخَذُ مِنْهُ إِذَا صَارَ جِذْعاً ، وَكَذٰلِكَ تَرَى الْخَشَبَ مِثْلَ النَّسْجِ فَإِنَّكَ تَرىٰ بَعْضَهُ مُدَاخِلاً بَعْضاً طُولاً وَعَرْضاً كَتَدَاخُلِ أَجْزَاءِ اللَّحْمِ ، وَفِيهِ مَعَ ذٰلِكَ مَتَانَةٌ لِيَصْلُحَ لِمَا يُتَّخَذُ مِنْهُ مِنَ الْآلَاتِ ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْتَحْصَفاً (٣) كَالْحِجَارَةِ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي السُّقُوفِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْخَشَبَةُ ، كَالْأَبْوَابِ وَالْأَسِرَّةِ وَالتَّوَابِيتِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ ، وَمِنْ جَسِيمِ الْمَصَالِحِ فِي الْخَشَبِ أَنَّهُ يَطْفُو عَلَى الْمَاءِ ، فَكُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُ هٰذَا مِنْهُ ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ يَعْرِفُ جَلَالَةَ الْأَمْرِ فِيهِ ، فَلَوْلَا هٰذِهِ الْخَلَّةُ كَيْفَ كَانَتْ هٰذِهِ السُّفُنُ وَالْأَطْرَافُ تَحْمِلُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ مِنَ الْحَمُولَةِ؟ وَأَنَّىٰ كَانَ يَنَالُ النَّاسُ هٰذَا الْوَفْقَ (٤) ، وَخِفَّةَ الْمَؤُونَةِ فِي حَمْلِ التِّجَارَاتِ مِنْ بَلَدٍ إِلىٰ بَلَدٍ ، وَكَانَتْ تَعْظُمُ الْمَؤُونَةُ عَلَيْهِمْ فِي حَمْلِهَا حَتّىٰ يُلْقىٰ كَثِيرٌ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ مَفْقُوداً ، أَصْلاً أَوْ عُسْراً ، وُجُودُهُ.

فَكِّرْ فِي هٰذِهِ الْعَقَاقِيرِ ، وَمَا خُصَّ بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنَ الْعَمَلِ فِي

---

(١) السدى من الثوب: ما مدّ من خيوطه ، وهو خلاف اللحمة ، واللحمة: ما نسج عرضاً ، وهو خلاف سداه.

(٢) القنوان: جمع القنا ، والقنى والقنو ـ بكسر القاف وضمّها ـ: العذق ، وهو من النخل كالعنقود من العنب.

(٣) أي مستحكماً ، والحصيف: كلّ محكم لا خلل فيه.

(٤) في نسخة: هذا الرفق.

بَعْضِ الْأَدْوَاءِ ، فَهَذَا يَغُورُ فِي الْمَفَاصِلِ فَيَسْتَخْرِجُ الْفُضُولَ الْغَلِيظَةَ مِثْلَ الشَّيْطَرَجِ (١) ، وَهَذَا يَنْزِفُ الْمِرَّةَ السَّوْدَاءَ مِثْلَ الْأَفْتِيمُونِ (٢) ، وَهَذَا يَنْفِي الرِّيَاحَ مِثْلَ السَّكْبِينَجِ ، وَهَذَا يُحَلِّلُ الْأَوْرَامَ ، وَأَشْبَاهِ هَذَا مِنْ أَفْعَالِهَا ، فَمَنْ جَعَلَ هَذِهِ الْقُوَىٰ فِيهَا إِلّا مَنْ خَلَقَهَا لِلْمَنْفَعَةِ ؟ وَمَنْ فَطَّنَ النَّاسَ بِهَا إِلّا مَنْ جَعَلَ هَذَا فِيهَا ؟ وَمَتَىٰ كَانَ يُوقَفُ عَلَىٰ هَذَا مِنْهَا بِالْعَرَضِ وَالاتِّفَاقِ كَمَا قَالَ قَائِلُونَ ؟ وَهَبِ الْإِنْسَانُ فَطَنَ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِذِهْنِهِ ، وَلَطِيفِ رَوِيَّتِهِ ، وَتَجَارِبِهِ ، فَالْبَهَائِمُ كَيْفَ فَطَنَتْ لَهَا حَتَّىٰ صَارَ بَعْضُ السِّبَاعِ يَتَدَاوَىٰ مِنْ جِرَاحَةٍ إِنْ أَصَابَتْهُ بِبَعْضِ الْعَقَاقِيرِ فَيَبْرَأُ ؟ وَبَعْضُ الطَّيْرِ يَحْتَقِنُ مِنَ الْحُصْرِ يُصِيبُهُ بِمَاءِ الْبَحْرِ فَيَسْلَمُ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا كَثِيرٌ.

وَلَعَلَّكَ تُشَكِّكُ فِي هَذَا النَّبَاتِ النَّابِتِ فِي الصَّحَارِي وَالْبَرَارِي حَيْثُ لَا أُنْسَ وَلَا أَنِيسَ ، فَتَظُنُّ أَنَّهُ فَضْلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ طُعْمٌ لِهَذِهِ الْوُحُوشِ ، وَحَبُّهُ عَلَفٌ لِلطَّيْرِ ، وَعُودُهُ وَأَفْنَانُهُ حَطَبٌ ، فَيَسْتَعْمِلُهُ النَّاسُ ، وَفِيهِ بَعْدُ أَشْيَاءُ تُعَالَجُ بِهِ الْأَبْدَانُ ، وَأُخْرَىٰ تُدْبَغُ بِهِ الْجُلُودُ ، وَأُخْرَىٰ تُصْبَغُ بِهِ الْأَمْتِعَةُ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْمَصَالِحِ.

أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَخَسَّ النَّبَاتِ وَأَحْقَرَهُ هَذَا الْبَرْدِيُّ (٣) وَمَا أَشْبَهَهَا ،

---

(١) وفي كتب الطبّ أنّه يزيل الطحال أكلاً وضماداً أيضاً ، وتعليقه على الأُذن الوجعة يسكّن وجعها.

(٢) وله منافع أُخرى معدودة في كتب الطبّ كإسهاله البلغم والصفراء ، ونفعه من الصرع ، والتشنّج الامتلائيّ ، والنفخ ، وأصحاب السرطان ، والجرب ، وغير ذلك ، كما أنّ للسكبينج منافع أُخرى مبيّنة في محلّه.

(٣) البردي : نبت رخو ، ينبت في ديار المصر كثيراً ، يمضغ أصله كقصب السكر ، ويتّخذ

فَفِيهَا مَعَ هَذَا مِنْ ضُرُوبِ الْمَنَافِعِ ، فَقَدْ يُتَّخَذُ مِنَ الْبَرْدِيِّ الْقَرَاطِيسُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةُ ، وَالْحُصُرُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا كُلُّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ ، وَلَيُعْمَلُ مِنْهُ الْغُلُفُ الَّتِي يُوقىٰ بِهَا الْأَوَانِي ، وَيُجْعَلُ حَشْواً بَيْنَ الظُّرُوفِ فِي الْأَسْفَاطِ [١] لِكَيْلَا تَعِيبَ وَتَنْكَسِرَ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْمَنَافِعِ .

فَاعْتَبِرْ بِمَا تَرىٰ مِنْ ضُرُوبِ الْمَآرِبِ فِي صَغِيرِ الْخَلْقِ وَكَبِيرِهِ ، وَبِمَا لَهُ قِيمَةٌ وَمَا لَا قِيمَةَ لَهُ .

وَأَخَسُّ مِنْ هَذَا وَأَحْقَرُهُ الزِّبْلُ وَالْعَذِرَةُ الَّتِي اجْتَمَعَتْ فِيهَا الْخَسَاسَةُ وَالنَّجَاسَةُ مَعاً ، وَمَوْقِعُهَا مِنَ الزُّرُوعِ وَالْبُقُولِ وَالْخُضَرِ أَجْمَعُ الْمَوْقِعِ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ ، حَتّىٰ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْخُضَرِ لَا يَصْلُحُ وَلَا يَزْكُو إِلَّا بِالزِّبْلِ وَالسَّمَادِ الَّذِي يَسْتَقْذِرُهُ النَّاسُ ، وَيَكْرَهُونَ الدُّنُوَّ مِنْهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مَنْزِلَةُ الشَّيْءِ عَلىٰ حَسَبِ قِيمَتِهِ ، بَلْ هُمَا قِيمَتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ بِسُوقَيْنِ ، وَرُبَّمَا كَانَ الْخَسِيسُ فِي سُوقِ الْمُكْتَسَبِ نَفِيساً فِي سُوقِ الْعِلْمِ ، فَلَا تَسْتَصْغِرِ الْعِبْرَةَ فِي الشَّيْءِ لِصِغَرِ قِيمَتِهِ ، فَلَوْ فَطَنُوا طَالِبُو الْكِيمِيَاءِ لِمَا فِي الْعَذِرَةِ لَاشْتَرَوْهَا بِأَنْفَسِ الْأَثْمَانِ وَغَالَوْا بِهَا .

قَالَ الْمُفَضَّلُ: وَحَانَ وَقْتُ الزَّوَالِ ، فَقَامَ مَوْلَايَ إِلَى الصَّلَاةِ وَقَالَ: بَكِّرْ إِلَيَّ غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَانْصَرَفْتُ وَقَدْ تَضَاعَفَ سُرُورِي بِمَا عَرَّفَنِيهِ ،

منه القرطاس ، وقيل : له ورق كخوص النخل ، فارسيّه نوخ.

(١) جمع السفط : وعاء كالقفة أو الجوالق.

مُبْتَهِجاً بِمَا آتَانِيهِ، حَامِداً لِلَّهِ عَلىٰ مَا مَنَحَنِيهِ، فَبِتُّ لَيْلَتِي مَسْرُوراً.

بيان: قوله عليه السلام: «لِيَصْلُحَ» بيان لما يتحصّل ممّا مرّ لا للمتانة فقط، والنزف: النزح.

قوله عليه السلام: «هَبِ الْإِنْسَانُ» أي سلّمنا أنّه كذلك، و«الْحُصْر» ـ بالضمّ ـ: اعتقال البطن، «وَالسُّوقَةُ» ـ بالضمّ ـ: الرعية للواحد والجمع، والمذكّر والمؤنّث، و«الْغُلُف» ـ بضمّة وبضمّتين، وكركع ـ: جمع غلاف، و«الزِّبْل» ـ بالكسر ـ: السرقين.

وقال الفيروزآباديّ: السماد: السرقين برماد، وقال الجزريّ: هو ما يطرح في أُصول الزرع والخضر من العذرة والزبل ليجود نباته.

أقول: يدلّ ظاهرا على جواز استعمال العذرات النجسة في ذلك، وربّما يستدلّ به على تطهير الاستحالة.

الْمَجْلِسُ الرَّابِعُ:

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ بَكَّرْتُ إِلىٰ مَوْلَايَ، فَاسْتُوذِنَ لِي فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: مِنَّا التَّحْمِيدُ وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّعْظِيمُ وَالتَّقْدِيسُ لِلاسْمِ الْأَقْدَمِ، وَالنُّورِ الْأَعْظَمِ، الْعَلِيِّ الْعَلَّامِ، ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَمُنْشِئِ الْأَنَامِ، وَمُفْنِي الْعَوَالِمِ وَالدُّهُورِ، وَصَاحِبِ السِّرِّ الْمَسْتُورِ، وَالْغَيْبِ الْمَحْظُورِ، وَالاسْمِ الْمَخْزُونِ، وَالْعِلْمِ الْمَكْنُونِ.

وَصَلَوَاتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلىٰ مُبَلِّغِ وَحْيِهِ، وَمُؤَدِّي رِسَالَتِهِ، الَّذِي ابْتَعَثَهُ بَشِيراً

وَنَذِيراً ، ﴿ وَداعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً ﴾ (١) ، ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (٢) ، فَعَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ مِنْ بَارِئِهِ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ ، وَالتَّحِيَّاتُ الزَّاكِيَاتُ النَّامِيَاتُ ، وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَالرَّحْمَةُ وَالْبَرَكَاتُ فِي الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ أَبَدَ الْآبِدِينَ ، وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ ، وَهُمْ أَهْلُهُ وَمُسْتَحِقُّهُ.

قَدْ شَرَحْتُ لَكَ يَا مُفَضَّلُ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى الْخَلْقِ ، وَالشَّوَاهِدِ عَلىٰ صَوَابِ التَّدْبِيرِ وَالْعَمْدِ فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ ، وَأَنَا أَشْرَحُ لَكَ الْآنَ الْآفَاتِ الْحَادِثَةَ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ الَّتِي اتَّخَذَهَا أُنَاسٌ مِنَ الْجُهَّالِ ذَرِيعَةً إِلىٰ جُحُودِ الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ وَالْعَمْدِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَمَا أَنْكَرَتِ الْمُعَطِّلَةُ وَالْمَنَانِيَّةُ (٣) مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْمَصَائِبِ ، وَمَا أَنْكَرُوهُ مِنَ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ ، وَمَا قَالَهُ أَصْحَابُ الطَّبَائِعِ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ كَوْنَ الْأَشْيَاءِ بِالْعَرَضِ وَالاتِّفَاقِ لِيَتَّسِعَ ذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ ﴿ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٤) .

اتَّخَذَ أُنَاسٌ مِنَ الْجُهَّالِ هَذِهِ الْآفَاتِ الْحَادِثَةَ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ ، كَمِثْلِ الْوَبَاءِ وَالْيَرَقَانِ (٥) وَالْبَرْدِ وَالْجَرَادِ ، ذَرِيعَةً إِلىٰ جُحُودِ الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ

(١) سورة الأحزاب: ٤٦.
(٢) سورة الأنفال: ٤٢.
(٣) الظاهر: المانويّة.
(٤) سورة التوبة: ٣٠. سورة المنافقون: ٤.
(٥) اليرقان: مرض معروف يصيب الناس ويسبّب اصفرار الجلد ، وآفة للزرع ، أو دود

وَالْخَالِقِ، فَيُقَالُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ: إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ خَالِقٌ وَمُدَبِّرٌ فَلِمَ لَا يَكُونُ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا وَأَفْظَعُ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَسْقُطَ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَهْوِيَ الْأَرْضُ فَتَذْهَبَ سُفْلاً، وَتَتَخَلَّفَ الشَّمْسُ عَنِ الطُّلُوعِ أَصْلاً، وَتَجِفَّ الْأَنْهَارُ وَالْعُيُونُ حَتَّىٰ لَا يُوجَدَ مَاءٌ لِلشَّفَةِ، وَتَرْكُدَ الرِّيحُ حَتَّىٰ تُحَمَّ الْأَشْيَاءُ وَتَفْسُدَ، وَيَفِيضَ مَاءُ الْبَحْرِ عَلَى الْأَرْضِ فَيُغْرِقَهَا، ثُمَّ هَذِهِ الْآفَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْوَبَاءِ وَالْجَرَادِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مَا بَالُهَا لَا تَدُومُ وَتَمْتَدُّ حَتَّىٰ تَجْتَاحَ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ، بَلْ تَحْدُثُ فِي الْأَحَايِينِ ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ تُرْفَعَ، أَفَلَا تَرَىٰ أَنَّ الْعَالَمَ يُصَانُ وَيُحْفَظُ مِنْ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي لَوْ حَدَثَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا كَانَ فِيهِ بَوَارُهُ، وَيُلْذَعُ (١) أَحْيَاناً بِهَذِهِ الْآفَاتِ الْيَسِيرَةِ لِتَأْدِيبِ النَّاسِ وَتَقْوِيمِهِمْ، ثُمَّ لَا تَدُومُ هَذِهِ الْآفَاتُ، بَلْ تَكْشِفُ عَنْهُمْ عِنْدَ الْقُنُوطِ مِنْهُمْ، فَتَكُونُ وُقُوعُهَا بِهِمْ مَوْعِظَةً، وَكَشْفُهَا عَنْهُمْ رَحْمَةً، وَقَدْ أَنْكَرَتِ الْمُعَطِّلَةُ مَا أَنْكَرَتِ الْمَنَانِيَّةُ (٢) مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْمَصَائِبِ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ، فَكِلَاهُمَا يَقُولُ: إِنْ كَانَ لِلْعَالَمِ خَالِقٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ فَلِمَ يُحْدِثُ فِيهِ هَذِهِ الْأُمُورَ الْمَكْرُوهَةَ؟ وَالْقَائِلُ بِهَذَا الْقَوْلِ يَذْهَبُ بِهِ إِلَىٰ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَيْشُ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا صَافِياً مِنْ كُلِّ كَدَرٍ، وَلَوْ كَانَ هَكَذَا كَانَ الْإِنْسَانُ سَيَخْرُجُ مِنَ الْأَشَرِ وَالْعُتُوِّ إِلَىٰ مَا لَا

يسطو على الزرع، ولعلّ المراد المعنى الثاني لذكره قبل ذلك.

(١) يلذع ـ بالذال المعجمة والعين المهملة ـ: يوجع ويؤلم، وفي بعض النسخ: يلدغ ـ بالدال المهملة والغين المعجمة ـ أي يلسع.

(٢) كذا في النسخ، والظاهر: المانويّة.

يَصْلُحُ فِي دِينٍ وَدُنْيَا، كَالَّذِي تَرىٰ كَثِيراً مِنَ الْـمُتْرَفِينَ، وَمَـنْ نَشَأَ فِـي الْجِدَةِ وَالْأَمْنِ يَخْرُجُونَ إِلَيْهِ، حَتّىٰ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَـنْسىٰ أَنَّـهُ بَشَـرٌ، أَوْ أَنَّـهُ مَرْبُوبٌ، أَوْ أَنَّ ضَرَراً يَمَسُّهُ، أَوْ أَنَّ مَكْرُوهاً يَنْزِلُ بِهِ، أَوْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَرْحَمَ ضَعِيفاً، أَوْ يُوَاسِيَ فَقِيراً، أَوْ يَرْثِيَ لِـمُبْتَلىً (١)، أَوْ يَـتَحَنَّنَ عَـلىٰ ضَعِيفٍ، أَوْ يَتَعَطَّفَ عَلىٰ مَكْرُوبٍ، فَإِذَا عَضَّتْهُ الْمَكَارِهُ وَوَجَدَ مَضَضَهَا اتَّعَظَ، وَأَبْصَرَ كَثِيراً مِمَّا كَانَ جَهِلَهُ وَغَفَلَ عَنْهُ، وَرَجَعَ إِلىٰ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ، وَالْمُنْكِرُونَ لِهَذِهِ الْأُمُـورِ الْـمُوذِيَةِ بِـمَنْزِلَةِ الصِّـبْيَانِ الَّـذِينَ يَذُمُّونَ الْأَدْوِيَةَ الْمُرَّةَ الْبَشِعَةَ، وَيَتَسَخَّطُونَ مِنَ الْمَنْعِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ الضَّارَّةِ، وَيَتَكَرَّهُونَ الْأَدَبَ وَالْعَمَلَ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يَتفَرَّغُوا لِلَّهْوِ وَالْبِطَالَةِ، وَيَـنَالُوا كُلَّ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ، وَلَا يَعْرِفُونَ مَا تُؤَدِّيهِمْ إِلَيْهِ الْبِطَالَةُ مِنْ سُوءِ النُّشُوءِ وَالْعَادَةِ، وَمَا تُعْقِبُهُمُ الْأَطْعِمَةُ اللَّذِيذَةُ الضَّارَّةُ مِنَ الْأَدْوَاءِ وَالْأَسْقَامِ، وَمَا لَهُمْ فِي الْأَدَبِ مِنَ الصَّلَاحِ، وَفِي الْأَدْوِيَةِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ، وَإِنْ شَابَ ذَلِكَ بَعْضُ الْكَرَاهَةِ.

فَإِنْ قَالُوا: وَلِمَ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ مَعْصُوماً مِنَ الْمَسَاوِي حَتّىٰ لَا يَحْتَاجَ إِلىٰ أَنْ يَلْذَعَهُ بِهَذِهِ الْمَكَارِهِ؟

قِيلَ: إِذاً كَانَ يَكُونُ غَيْرَ مَـحْمُودٍ عَـلىٰ حَسَـنَةٍ يَأْتِـيهَا، وَلَا مُسْـتَحِقٍّ لِلثَّوَابِ عَلَيْهَا.

---

(١) أي يرقّ ويرحم له.

فَإِنْ قَالُوا: وَمَا كَانَ يَضُرُّهُ أَنْ لَا يَكُونَ مَحْمُوداً عَلَى الْحَسَنَاتِ، مُسْتَحِقّاً لِلثَّوَابِ بَعْدَ أَنْ يَصِيرَ إِلىٰ غَايَةِ النَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ؟

قِيلَ لَهُمْ: اعْرِضُوا عَلَى امْرِئٍ صَحِيحِ الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ أَنْ يَجْلِسَ مُنْعَماً وَيُكْفىٰ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِلَا سَعْيٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ، فَانْظُرُوا هَلْ تَقْبَلُ نَفْسُهُ ذَلِكَ، بَلْ سَتَجِدُونَهُ بِالْقَلِيلِ مِمَّا يَنَالُهُ بِالسَّعْيِ وَالْحَرَكَةِ أَشَدَّ اغْتِبَاطاً وَسُرُوراً مِنْهُ بِالْكَثِيرِ مِمَّا يَنَالُهُ بِغَيْرِ الاسْتِحْقَاقِ، وَكَذَلِكَ نَعِيمُ الْآخِرَةِ أَيْضاً يَكْمُلُ لِأَهْلِهِ بِأَنْ يَنَالُوهُ بِالسَّعْيِ فِيهِ وَالاسْتِحْقَاقِ لَهُ، فَالنِّعْمَةُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي هَذَا الْبَابِ مُضَاعَفَةٌ، بِأَنْ أُعِدَّ لَهُ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ عَلىٰ سَعْيِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَجُعِلَ لَهُ السَّبِيلُ إِلىٰ أَنْ يَنَالَ بِسَعْيٍ وَاسْتِحْقَاقٍ فَيَكْمُلَ لَهُ السُّرُورُ وَالاغْتِبَاطُ بِمَا يَنَالُهُ مِنْهُ.

فَإِنْ قَالُوا: أَوَلَيْسَ قَدْ يَكُونُ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَرْكَنُ إِلىٰ مَا نَالَ مِنْ خَيْرٍ وَإِنْ كَانَ لَا يَسْتَحِقُّهُ، فَمَا الْحُجَّةُ فِي مَنْعِ مَنْ رَضِيَ أَنْ يَنَالَ نَعِيمَ الْآخِرَةِ عَلىٰ هَذِهِ الْجُمْلَةِ (١) ؟

قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا بَابٌ لَوْ صَحَّ لِلنَّاسِ لَخَرَجُوا إِلىٰ غَايَةِ الْكَلْبِ وَالضَّرَاوَةِ عَلَى الْفَوَاحِشِ، وَانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ، فَمَنْ كَانَ يَكُفُّ نَفْسَهُ عَنْ فَاحِشَةٍ، أَوْ يَتَحَمَّلُ الْمَشَقَّةَ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ، لَوْ وَثِقَ بِأَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى النَّعِيمِ لَا مَحَالَةَ، أَوْ مَنْ كَانَ يَأْمَنُ عَلىٰ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ مِنَ النَّاسِ، لَوْ لَمْ

(١) وفي نسخة: على هذه الخلّة.

يَخَافُوا الْحِسَابَ وَالْعِقَابَ ، فَكَانَ ضَرَرُ هَذَا الْبَابِ سَيَنَالُ النَّاسَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ تَعْطِيلُ الْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ مَعاً ، وَمَوْضِعٌ لِلطَّعْنِ عَلَى التَّدْبِيرِ بِخِلَافِ الصَّوَابِ ، وَوَضْعُ الْأُمُورِ غَيْرَ مَوَاضِعِهَا ، وَقَدْ يَتَعَلَّقُ هَؤُلَاءِ بِالْآفَاتِ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ فَتَعُمُّ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ ، أَوْ يُبْتَلَىٰ بِهَا الْبَرُّ وَيَسْلَمُ الْفَاجِرُ مِنْهَا ، فَقَالُوا: كَيْفَ يَجُوزُ هَذَا فِي تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ؟ وَمَا الْحُجَّةُ فِيهِ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ هَذِهِ الْآفَاتِ وَإِنْ كَانَتْ تَنَالُ الصَّالِحَ وَالطَّالِحَ جَمِيعاً ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذَلِكَ صَلَاحاً لِلصِّنْفَيْنِ كِلَيْهِمَا ، أَمَّا الصَّالِحُونَ فَإِنَّ الَّذِي يُصِيبُهُمْ مِنْ هَذَا يَرُدُّهُمْ(١) نِعَمَ رَبِّهِمْ عِنْدَهُمْ فِي سَالِفِ أَيَّامِهِمْ ، فَيَحْدُوهُمْ ذَلِكَ عَلَى الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ ، وَأَمَّا الطَّالِحُونَ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا إِذَا نَالَهُمْ كَسَرَ شِرَّتَهُمْ ، وَرَدَعَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشِ ، وَكَذَلِكَ يَجْعَلُ لِمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ مِنَ الصِّنْفَيْنِ صَلَاحاً فِي ذَلِكَ ، أَمَّا الْأَبْرَارُ فَإِنَّهُمْ يَغْتَبِطُونَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَاحِ ، وَيَزْدَادُونَ فِيهِ رَغْبَةً وَبَصِيرَةً ، وَأَمَّا الْفُجَّارُ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ رَأْفَةَ رَبِّهِمْ(٢) ، وَتَطَوُّلَهُ عَلَيْهِمْ بِالسَّلَامَةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ(٣) ، فَيَحُضُّهُمْ ذَلِكَ عَلَى الرَّأْفَةِ بِالنَّاسِ ، وَالصَّفْحِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ.

وَلَعَلَّ قَائِلاً يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْآفَاتِ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ فَمَا

---

(١) كذا في النسخ ، والظاهر: يذكرهم.

(٢) وفي نسخة: فإنّهم يعرفون رحمة ربّهم.

(٣) وفي نسخة: من غير استحقاق.

قَوْلُكَ فِيمَا يُبْتَلَوْنَ بِهِ فِي أَبْدَانِهِمْ فَيَكُونُ فِيهِ تَلَفُهُمْ، كَمِثْلِ الْحَرَقِ وَالْغَرَقِ وَالسَّيْلِ وَالْخَسْفِ؟

فَيُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي هَذَا أَيْضاً صَلَاحاً لِلصِّنْفَيْنِ جَمِيعاً، أَمَّا الْأَبْرَارُ، فَلِمَا لَهُمْ فِي مُفَارَقَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الرَّاحَةِ مِنْ تَكَالِيفِهَا، وَالنَّجَاةِ مِنْ مَكَارِهِهَا، وَأَمَّا الْفُجَّارُ، فَلِمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ تَمْحِيصِ أَوْزَارِهِمْ، وَحَبْسِهِمْ عَنِ الازْدِيَادِ مِنْهَا.

وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ الْخَالِقَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ قَدْ يَصْرِفُ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَى الْخِيَرَةِ وَالْمَنْفَعَةِ، فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا قَطَعَتِ الرِّيحُ شَجَرَةً، أَوْ قَطَعَتْ نَخْلَةً، أَخَذَهَا الصَّانِعُ الرَّفِيقُ، وَاسْتَعْمَلَهَا فِي ضُرُوبٍ مِنَ الْمَنَافِعِ، فَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْمُدَبِّرُ الْحَكِيمُ فِي الْآفَاتِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالنَّاسِ فِي أَبْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَيُصَيِّرُهَا جَمِيعاً إِلَى الْخِيَرَةِ وَالْمَنْفَعَةِ.

فَإِنْ قَالَ: وَلِمَ يَحْدُثُ عَلَى النَّاسِ؟ قِيلَ لَهُ: لِكَيْلَا يَرْكَنُوا إِلَى الْمَعَاصِي مِنْ طُولِ السَّلَامَةِ، فَيُبَالِغَ الْفَاجِرُ فِي رُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَيَفْتُرَ الصَّالِحُ عَنِ الاجْتِهَادِ فِي الْبِرِّ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً يَغْلِبَانِ عَلَى النَّاسِ فِي حَالِ الْخَفْضِ (١) وَالدَّعَةِ (٢)، وَهَذِهِ الْحَوَادِثُ الَّتِي تَحْدُثُ عَلَيْهِمْ تَرْدَعُهُمْ (٣)، وَتُنَبِّهُهُمْ عَلَىٰ مَا فِيهِ رُشْدُهُمْ، فَلَوْ أُخْلُوا مِنْهُمَا لَغَلَوْا فِي

---

(١) خفض العيش: سهل وكان هنيئاً.

(٢) الراحة وخفض العيش.

(٣) وفي نسخة: وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تروّعهم.

الطُّغْيَانِ وَالْمَعْصِيَةِ، كَمَا عَلَى النَّاسِ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ حَتّىٰ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْبَوَارُ بِالطُّوفَانِ، وَتَطْهِيرِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ، وَمِمَّا يَنْتَقِدُهُ الْجَاحِدُونَ لِلْعَمْدِ وَالتَّقْدِيرِ الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ، فَإِنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلىٰ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مُخَلَّدِينَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، مُبَرَّءِينَ مِنَ الْآفَاتِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُسَاقَ هَذَا الْأَمْرُ إِلىٰ غَايَتِهِ فَيُنْظَرَ مَا مَحْصُولُهُ، أَ فَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ دَخَلَ الْعَالَمَ وَيَدْخُلُهُ يَبْقَوْنَ وَلَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ؟ أَ لَمْ تَكُنِ الْأَرْضُ تَضِيقُ بِهِمْ حَتّىٰ تُعْوِزَهُمُ الْمَسَاكِنُ وَالْمَزَارِعُ وَالْمَعَاشُ، فَإِنَّهُمْ وَالْمَوْتُ يَفْنِيهِمْ أَوَّلاً أَوَّلاً؟ يَتَنَافَسُونَ فِي الْمَسَاكِنِ وَالْمَزَارِعِ حَتّىٰ يَنْشَبَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُرُوبُ، وَيُسْفَكَ فِيهِمُ الدِّمَاءُ، فَكَيْفَ كَانَتْ تَكُونُ حَالُهُمْ لَوْ كَانُوا يُولَدُونَ وَلَا يَمُوتُونَ؟ وَكَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْحِرْصُ وَالشَّرَهُ وَقَسَاوَةُ الْقُلُوبِ؟ فَلَوْ وَثِقُوا بِأَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ لَمَا قَنِعَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ يَنَالُ، وَلَا أَفْرَجَ لِأَحَدٍ عَنْ شَيْءٍ يَسْأَلُهُ، وَلَا سَلَا عَنْ شَيْءٍ مِمَّا يَحْدُثُ عَلَيْهِ، ثُمَّ كَانُوا يَمَلُّونَ الْحَيَاةَ وَكُلَّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، كَمَا قَدْ يَمَلُّ الْحَيَاةَ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ حَتّىٰ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ وَالرَّاحَةَ مِنَ الدُّنْيَا.

فَإِنْ قَالُوا: إِنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمُ الْمَكَارِهُ وَالْأَوْصَابُ حَتّىٰ لَا يَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، وَلَا يَشْتَاقُوا إِلَيْهِ، فَقَدْ وَصَفْنَا مَا كَانَ يُخْرِجُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْعُتُوِّ وَالْأَشَرِ الْحَامِلِ لَهُمْ عَلىٰ مَا فِيهِ فَسَادُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَإِنْ قَالُوا: إِنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَوَالَدُوا كَيْلَا تَضِيقَ عَنْهُمُ الْمَسَاكِنُ

وَالْمَعَاشِ.

قِيلَ لَهُمْ: إِذاً كَانَ يَحْرُمُ أَكْثَرُ هَذَا الْخَلْقِ دُخُولَ الْعَالَمِ، وَالاسْتِمْتَاعَ بِنِعَمِ اللَّهِ وَمَوَاهِبِهِ فِي الدَّارَيْنِ جَمِيعاً إِذَا لَمْ يَدْخُلِ الْعَالَمَ إِلَّا قَرْنٌ وَاحِدٌ لَا يَتَوَالَدُونَ وَلَا يَتَنَاسَلُونَ.

فَإِنْ قَالُوا: كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْلُقَ فِي ذَلِكَ الْقَرْنِ الْوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ مِثْلَ مَا خَلَقَ وَيَخْلُقُ إِلَى انْقِضَاءِ الْعَالَمِ.

يُقَالُ لَهُمْ: رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَىٰ مَا ذَكَرْنَا مِنْ ضِيقِ الْمَسَاكِنِ وَالْمَعَاشِ عَنْهُمْ، ثُمَّ لَوْ كَانُوا لَا يَتَوَالَدُونَ وَلَا يَتَنَاسَلُونَ لَذَهَبَ مَوْضِعُ الْأُنْسِ بِالْقَرَابَاتِ وَذَوِي الْأَرْحَامِ، وَالانْتِصَارِ بِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَمَوْضِعُ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ، وَالسُّرُورِ بِهِمْ، فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ الْأَوْهَامُ سِوَىٰ مَا جَرَىٰ بِهِ التَّدْبِيرُ خَطَأٌ وَسَفَاهٌ مِنَ الرَّأْيِ وَالْقَوْلِ.

وَلَعَلَّ طَاعِناً يَطْعُنُ عَلَى التَّدْبِيرِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ فَيَقُولُ: كَيْفَ يَكُونُ هَاهُنَا تَدْبِيرٌ وَنَحْنُ نَرَى النَّاسَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ عَزَّ بَزَّ، فَالْقَوِيُّ يَظْلِمُ وَيَغْصِبُ، وَالضَّعِيفُ يُظْلَمُ وَيَسْأَمُ الْخَسْفَ، وَالصَّالِحُ فَقِيرٌ مُبْتَلَىً، وَالْفَاسِقُ مُعَافَىً مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ رَكِبَ فَاحِشَةً أَوِ انْتَهَكَ مُحَرَّماً لَمْ يُعَاجَلْ بِالْعُقُوبَةِ، فَلَوْ كَانَ فِي الْعَالَمِ تَدْبِيرٌ لَجَرَتِ الْأُمُورُ عَلَى الْقِيَاسِ الْقَائِمِ، فَكَانَ الصَّالِحُ هُوَ الْمَرْزُوقَ، وَالطَّالِحُ هُوَ الْمَحْرُومَ، وَكَانَ الْقَوِيُّ يُمْنَعُ مِنْ ظُلْمِ الضَّعِيفِ، وَالْمُتَهَتِّكُ لِلْمَحَارِمِ يُعَاجَلُ بِالْعُقُوبَةِ.

فَيُقَالُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ: إِنَّ هَذَا لَوْ كَانَ هَكَذَا لَذَهَبَ مَوْضِعُ الْإِحْسَانِ الَّذِي فُضِّلَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ، وَحَمْلِ النَّفْسِ عَلَى الْبِرِّ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ احْتِسَاباً لِلثَّوَابِ، وَثِقَةً بِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنْهُ، وَلَصَارَ النَّاسُ بِمَنْزِلَةِ الدَّوَابِّ الَّتِي تُسَاسُ[1] بِالْعَصَا وَالْعَلَفِ، وَيُلْمَعُ لَهَا بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَاعَةً فَسَاعَةً فَتَسْتَقِيمُ عَلىٰ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَعْمَلُ عَلىٰ يَقِينٍ بِثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ، حَتّىٰ كَانَ هَذَا يُخْرِجُهُمْ عَنْ حَدِّ الْإِنْسِيَّةِ إِلىٰ حَدِّ الْبَهَائِمِ، ثُمَّ لَا يَعْرِفُ مَا غَابَ، وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا عَلَى الْحَاضِرِ، وَكَانَ يَحْدُثُ مِنْ هَذَا أَيْضاً أَنْ يَكُونَ الصَّالِحُ إِنَّمَا يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ لِلرِّزْقِ وَالسَّعَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيَكُونَ الْمُمْتَنِعُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِنَّمَا يَعِفُّ عَنْ ذَلِكَ لِتَرَقُّبِ عُقُوبَةٍ تَنْزِلُ بِهِ مِنْ سَاعَتِهِ، حَتّىٰ يَكُونَ أَفْعَالُ النَّاسِ كُلُّهَا تَجْرِي عَلَى الْحَاضِرِ، لَا يَشُوبُهَا شَيْءٌ مِنَ الْيَقِينِ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا يَسْتَحِقُّونَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَالنَّعِيمَ الدَّائِمَ فِيهَا، مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي ذَكَرَهَا الطَّاعِنُ مِنَ الْغِنىٰ وَالْفَقْرِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْبَلَاءِ، لَيْسَتْ بِجَارِيَةٍ عَلىٰ خِلَافِ قِيَاسِهِ، بَلْ قَدْ تَجْرِي عَلىٰ ذَلِكَ أَحْيَاناً، وَالْأَمْرُ الْمَفْهُومُ فَقَدْ تَرىٰ كَثِيراً مِنَ الصَّالِحِينَ يُرْزَقُونَ الْمَالَ لِضُرُوبٍ مِنَ التَّدْبِيرِ، وَكَيْلَا يَسْبِقَ إِلىٰ قُلُوبِ النَّاسِ أَنَّ الْكُفَّارَ هُمُ الْمَرْزُوقُونَ، وَالْأَبْرَارَ هُمُ الْمَحْرُومُونَ، فَيُؤْثِرُوا الْفِسْقَ عَلَى الصَّلَاحِ، وَتَرىٰ كَثِيراً مِنَ الْفُسَّاقِ يُعَاجَلُونَ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا تَفَاقَمَ طُغْيَانُهُمْ، وَعَظُمَ ضَرَرُهُمْ عَلَى النَّاسِ وَعَلىٰ أَنْفُسِهِمْ، كَمَا عُوجِلَ فِرْعَوْنُ بِالْغَرَقِ،

---

(١) ساس الدواب أي قام عليها وراضها.

وَبُخْتَنَصَّرُ بِالتِّيهِ ، وَبُلَيْس بِالْقَتْلِ ، وَإِنْ أُمْهِلَ بَعْضُ الْأَشْرَارِ بِالْعُقُوبَةِ ، وَأُخِّرَ بَعْضُ الْأَخْيَارِ بِالثَّوَابِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ لِأَسْبَابٍ تَخْفىٰ عَلَى الْعِبَادِ ، لَمْ يَكُنْ هَذَا مِمَّا يُبْطِلُ التَّدْبِيرَ ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا قَدْ يَكُونُ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ ، وَلَا يُبْطِلُ تَدْبِيرَهُمْ ، بَلْ يَكُونُ تَأْخِيرُهُمْ مَا أَخَّرُوهُ ، أَوْ تَعْجِيلُهُمْ مَا عَجَّلُوهُ ، دَاخِلاً فِي صَوَابِ الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَإِذَا كَانَتِ الشَّوَاهِدُ تَشْهَدُ ، وَقِيَاسُهُمْ يُوجِبُ أَنَّ لِلْأَشْيَاءِ خَالِقاً حَكِيماً قَادِراً ، فَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يُدَبِّرَ خَلْقَهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ فِي قِيَاسِهِمْ أَنْ يَكُونَ الصَّانِعُ يُهْمِلُ صَنْعَتَهُ إِلَّا بِإِحْدىٰ ثَلَاثِ خِلَالٍ : إِمَّا عَجْزٍ ، وَإِمَّا جَهْلٍ ، وَإِمَّا شَرَارَةٍ ، وَكُلُّ هَذِهِ مُحَالٌ فِي صَنْعَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَعَالىٰ ذِكْرُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَاجِزَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ الْجَلِيلَةِ الْعَجِيبَةِ ، وَالْجَاهِلَ لَا يَهْتَدِي لِمَا فِيهَا مِنَ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ ، وَالشِّرِيرَ لَا يَتَطَاوَلُ لِخَلْقِهَا وَإِنْشَائِهَا ، وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْخَلَائِقِ يُدَبِّرُهَا لَا مَحَالَةَ ، وَإِنْ كَانَ لَا تُدْرَكُ كُنْهُ ذَلِكَ التَّدْبِيرِ وَمَخَارِجُهُ ، فَإِنَّ كَثِيراً مِنْ تَدْبِيرِ الْمُلُوكِ لَا تَفْهَمُهُ الْعَامَّةُ ، وَلَا تَعْرِفُ أَسْبَابَهُ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ دَخْلَةَ أَمْرِ الْمُلُوكِ وَأَسْرَارَهُمْ ، فَإِذَا عُرِفَ سَبَبُهُ وُجِدَ قَائِماً عَلَى الصَّوَابِ ، وَالشَّاهِدُ الْمِحْنَةُ ، وَلَوْ شَكَكْتَ فِي بَعْضِ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَطْعِمَةِ فَيَتَبَيَّنُ لَكَ مِنْ جِهَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَنَّهُ حَارٌّ أَوْ بَارِدٌ ، أَلَمْ تَكُنْ سَتَقْضِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَتَنْفِي الشَّكَّ فِيهِ عَنْ نَفْسِكَ ؟ فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ لَا يَقْضُونَ عَلَى الْعَالَمِ بِالْخَالِقِ وَالتَّدْبِيرِ مَعَ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ الْكَثِيرَةِ ، وَأَكْثَرُ مِنْهَا مَا لَا يُحْصىٰ كَثْرَةً ، لَوْ كَانَ نِصْفُ الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ مُشْكِلاً صَوَابُهُ

لَمَا كَانَ مِنْ حَزْمِ الرَّأْيِ ، وَسَمْتِ الْأَدَبِ ، أَنْ يُقْضىٰ عَلَى الْعَالَمِ بِالْإِهْمَالِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي النِّصْفِ الْآخَرِ ، وَمَا يَظْهَرُ فِيهِ مِنَ الصَّوَابِ وَالْإِتْقَانِ مَا يَرْدَعُ الْوَهْمَ عَنِ التَّسَرُّعِ إِلىٰ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ، فَكَيْفَ وَكُلُّ مَا كَانَ فِيهِ إِذَا فُتِّشَ وُجِدَ عَلىٰ غَايَةِ الصَّوَابِ ، حَتّىٰ لَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ شَيْءٌ إِلّا وُجِدَ مَا عَلَيْهِ الْخِلْقَةُ أَصَحَّ وَأَصْوَبَ مِنْهُ.

بيان : قوله عليه السلام : « لِلاسْمِ الْأَقْدَمِ » لعلّ المراد بالاسم المسمّى (١) ، أو المراد الاسم الذي أظهره وأثبته في اللوح قبل سائر الأسماء ، أو المراد الاسم الذي يخصّ الذات فهو أسبق الأسماء في الاعتبار وأشرفها كما يظهر من الآثار.

قوله : « وَالْغَيْبِ الْمَحْظُورِ » أي الممنوع عن غيره تعالى إلّا من ارتضاه لذلك.

قوله : « بِالْعَرَض » قال الفيروزآباديّ : عرض الشيء : ظهر ، والعرض أن يموت الإنسان من غير علّة. والاجتياح : الاستيصال.

---

(١) المراد بالاسم هو المسمّى لكن لا كما ذكره رحمه اللّه ، وأراد بالمسمّى الذات ، بل كما تدلّ عليه الأخبار الآتية في أبواب الأسماء الحسنى تحكي عن المصداق المناسب لها ، ونفس المصداق اسم للذات عزّت أسماؤه ، وأنّ الأسماء الملفوظة في الحقيقة أسماء الأسماء ، لكنّه رحمه اللّه عدّ هذه الأخبار من المتشابهات ، ولذلك تكلّف في أمثال هذه الموارد بما تكلّف ؛ وأمّا المعنيان الآخران فواضح الفساد ، كيف والامام عليه السلام يوصف هذا الاسم بقوله : ذي الجلال والإكرام ... بعد عطف قوله : والنور الأعظم عليه ؛ فتأمّل فيه (الطباطبائي).
قلت : لله عز وجل أسماء لفظية وأسماء تكوينية ، والمراد بالإسم الأقدم الثاني لا الأول ، ومن انتزاع الأسماء اللفظية لله تعالى من الأسماء التكوينية توهم المتصوفة وبعض العرفاء أن الأسماء اللفظية هي اسم الأسم ، وللتفصيل في كيفية الانتزاع راجع كتاب « حقيقة الأسماء الحسنىٰ ».

قوله عليه السلام: «وَيُلْذَع» يقال: لذعته النار أي أحرقته، ولذعه بلسانه أي أوجعه بكلام، وفي بعض النسخ بإهمال الأوّل وإعجام الثاني، من لدغ العقرب، ويقال: رثيت لفلان أي رققت له. والمضض ـ محرّكة ـ: وجع المصيبة.

قوله عليه السلام: «إِذاً كَانَ يَكُونُ غَيْرَ مَحْمُودٍ» يمكن أن يقرأ إذا بالتنوين وبدونها، وعلى الثاني يكون خبر كان محذوفاً، أي إذا كان الإنسان كذلك.

ثمّ اعلم أنّه ينبغي أن تحمل العصمة المأخوذة في السؤال على غير المعنى المشهور الذي سيأتي تحقيقه في باب عصمة الأئمّة عليهم السلام، بل المراد العصمة بمعنى الإلجاء الذي لم يبق معه اختيار، ولذا فرّع عليه السلام عليه عدم استحقاق الثواب، وإلّا فالعصمة التي اتّصفت بها الأنبياء والأئمّة عليهم السلام لا ينافي ذلك، كما سنحقّقه في مقامه إن شاء اللّه تعالى، ويمكن أن يقال على تقدير أن يكون المراد هذا المعنى أيضاً بأنّه إذا صار هذا عامّاً في جميع البشر لا يتأتّى في بعض الموادّ التي لا تستحقّ ذلك من نفوس الأشرار والفجّار إلّا بالإلجاء الرافع للاستحقاق.

قوله عليه السلام: «إِلىٰ غَايَةِ الْكَلْبِ وَالضَّرَاوَةِ» قال الجوهريّ: دفعت عنك كلب فلان أي شرّه وأذاه، والكلب أيضاً شبيه بالجنون، وقال: ضري الكلب بالصيد ضراوة أي تعوّد.

أقول: لمّا كان السؤال مبنيّاً على فرض العصمة ظاهراً فتصحيح هذا الجواب في غاية الإشكال، وخطر بالبال وجوه:

الأوّل: أن لا يكون السؤال مبنيّاً على فرض العصمة، بل يكون المراد أنّه لمّا ذكرت أنّ العصمة تنافي الاستحقاق فنقول: لِم لم يبذل لهم الثواب على أي حال بأن يكلّفهم العمل ليستحقّوا الثواب إن أرادوا استحقاقه وإلّا أعطاهم من غير استحقاق؛ إذ كثير من الناس يطلبون النعيم بغير استحقاق، فلا يكون عليهم في الدنيا والآخرة سخط على المخالفة، وعلى هذا الجواب ظاهر الانطباق على السؤال، كما لا يخفى.

الثاني: أن يكون السؤال مبنيّاً على فرض العصمة في بعضهم، وهم الذين يطلبون الثواب ولا يريدون استحقاقه، كما هو ظاهر السياق، ويكون حاصل الجواب أنّه لو كان المجبور على الخيرات مثاباً فمقتضى العدل أن يكون غير المجبور الطالب للخير والاستحقاق غير معاقب على حال، وإلّا لكان له الحجّة على ربّه بأنّك لم تعصمني كما عصمت غيري ومنعت عنّي اللطف بالبلايا والصوارف عن المعاصي في الدنيا ثمّ تعذّبني على المعاصي.

فعلى هذا، فلو علم غير المعصومين ذلك لدعتهم الدواعي النفسانيّة إلى غاية الفساد، وهذا وجه وجيه لكن يحتاج إلى طيّ بعض المقدّمات.

الثالث: أن يكون السؤال مبنيّاً على ذلك الفرض أيضاً لكن يكون الجواب مبنيّاً على أنّه قد يستلزم المحال نقيضه؛ إذ الكلام في هذا النوع من الخلق المسمّى بالإنسان، الذي اقتضت الحكمة أن يكون قد ركّبت فيه أنواع الشهوات والدواعي، فلو فرضته على غير تلك الحالة لكان من قبيل فرض الشيء إنساناً وملكاً، وهما لا يجتمعان، فعلى هذا يلزمه أيضاً لفرض كونه إنساناً أن يدعوه عدم خوف العقاب والفراغ إلى الأشر

والبطر وأنواع المعاصي، وحاصله يرجع إلى تغيير الجواب الأوّل إلى جواب آخر لا يرد عليه السؤال على غاية اللطف والدقّة.

والردع: الكفّ والمنع، وقوله: «يَغْتَبِطُون» على البناء للفاعل من الاغتباط، وهو حسن الحال، بحيث يتمنّى غيره حاله، والحض: الحثّ والتحريص، وتمحيص الأوزار: تنقيصها، أو إزالتها.

قوله عليه السلام: «فَإِنْ قَالَ: وَلِمَ يَحْدُثُ عَلَى النَّاسِ؟ أقول: لمّا كان آخر الكلام موهماً لأن هذه الأُمور بعد حدوثها يصيّرها اللّه تعالى إلى الحكمة والصلاح سأل ثانياً: ما السبب في أصل الحدوث حتّى يحتاج إلى أن يجعله اللّه صلاحاً، ويحتمل أن يكون مراده أنّا علمنا أنّ في وجودها صلاحاً، فهل في عدمها فساد؟ والجواب على التقديرين ظاهر.

وقال الفيروزآباديّ: عوز الشيء ـ كفرح ـ لم يوجد، وأعوزه الشيء: احتاج إليه، والدهر: أحوجه.

وقال: تناشبوا تضاموا وتعلّق بعضهم ببعض، ونشبه الأمر كلزم زنة ومعنى، وقال: أفرجوا عن الطريق، والقتيل انكشفوا، وعن المكان تركوه، انتهى.

والمراد هنا عدم التخلية بين أحد وبين ما يريده قوله عليه السلام: «وَلَا سَلَا عَنْ شَيْءٍ» أي لا ينسى ويتسلّى عن شيء من المصائب؛ إذ بتذكّر الموت تزول شدّة المحن، من قولهم: سلا عن الشيء أي نسيه.

وقال الجوهريّ: بزه يبزه بزّاً: سلبه، وفي المثل: من عزّ بزّ، أي من غلب أخذ السلب، وقال: سامه خسفاً، وخسفاً ـ بالضمّ ـ أي أولاه ذلّاً،

وقال الفيروزآباديّ : لمع بيده : أشار ، وقال : تفاقم الأمر : عظم .

قوله عليه السلام : « وَبُخْتَنَصَّرُ بِالتِّيهِ » ، أقول : لعلّه إشارة إلى ما ذكره جماعة من المؤرّخين أنّ ملكاً من الملائكة لطم « بُخت نُصّر » لطمة ومسخه وصار في الوحش في صورة أسد ، وهو مع ذلك يعقل ما يفعله الإنسان ثمّ ردّه اللّه تعالى إلى صورة الإنس ، وأعاد إليه ملكه ، فلمّا عاد إلى ملكه أراد قتل دانيال فقتله اللّه على يد واحد من غلمانه .

وقيل في سبب قتله : أنّ اللّه أرسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه ، فكان لا يقرّ ولا يسكن حتّى يدقّ رأسه ، فمات من ذلك .

« وَبُلْبَيْسُ » غير معروف عند المؤرّخين ، والتطاول هنا مبالغة في الطول ، بمعنى الفضل والإحسان ، ودخلة الرجل ـ مثلّثة ـ : نيّته ومذهبه ، وجمع أمره وبطانته .

قوله عليه السلام : « وَالشَّاهِدُ الْمِحْنَة » أي بالشاهد يمكن امتحان الغائب .

وَاعْلَمْ ـ يَا مُفَضَّلُ ـ أَنَّ اسْمَ هٰذَا الْعَالَمِ بِلِسَانِ الْيُونَانِيَّةِ الْجَارِي الْمَعْرُوفِ عِنْدَهُمْ قوسموس (١) ، وَتَفْسِيرُهُ الزِّينَةُ ، وَكَذٰلِكَ سَمَّتْهُ الْفَلَاسِفَةُ وَمَنِ ادَّعَى الْحِكْمَةَ ، أَفَكَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهٰذَا الاسْمِ إِلّا لِمَا رَأَوْا فِيهِ مِنَ التَّقْدِيرِ وَالنِّظَامِ ، فَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يُسَمُّوهُ تَقْدِيراً وَنِظَاماً حَتّىٰ سَمَّوْهُ زِينَةً لِيُخْبِرُوا أَنَّهُ مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوَابِ وَالْإِتْقَانِ عَلىٰ غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ .

---

(١) وفي نسخة : فرسموس .

أَعْجَبُ - يَا مُفَضَّلُ - مِنْ قَوْمٍ لَا يَقْضُونَ صِنَاعَةَ الطِّبِّ بِالْخَطَإِ وَهُمْ يَرَوْنَ الطَّبِيبَ يُخْطِئُ، وَيَقْضُونَ عَلَى الْعَالَمِ بِالْإِهْمَالِ وَلَا يَرَوْنَ شَيْئاً مِنْهُ مُهْمَلاً، بَلْ أَعْجَبُ مِنْ أَخْلَاقِ مَنِ ادَّعَى الْحِكْمَةَ حَتَّىٰ جَهِلُوا مَوَاضِعَهَا فِي الْخَلْقِ، فَأَرْسَلُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِالذَّمِّ لِلْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، بَلِ الْعَجَبُ مِنَ الْمَخْذُولِ مَانِي حِينَ ادَّعىٰ عِلْمَ الْأَسْرَارِ وَعَمِيَ عَنْ دَلَائِلِ الْحِكْمَةِ فِي الْخَلْقِ، حَتَّىٰ نَسَبَهُ إِلَى الْخَطَإِ، وَنَسَبَ خَالِقَهُ إِلَى الْجَهْلِ، تَبَارَكَ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ.

وَأَعْجَبُ مِنْهُمْ جَمِيعاً الْمُعَطِّلَةُ الَّذِينَ رَامُوا أَنْ يُدْرَكَ بِالْحِسِّ مَا لَا يُدْرَكُ بِالْعَقْلِ، فَلَمَّا أَعْوَزَهُمْ[1] ذَلِكَ خَرَجُوا إِلَى الْجُحُودِ وَالتَّكْذِيبِ، فَقَالُوا: وَلِمَ لَا يُدْرَكُ بِالْعَقْلِ؟ قِيلَ: لِأَنَّهُ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْعَقْلِ، كَمَا لَا يُدْرِكُ الْبَصَرُ مَا هُوَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ، فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ حَجَراً يَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ عَلِمْتَ أَنَّ رَامِياً رَمىٰ بِهِ، فَلَيْسَ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الْبَصَرِ، بَلْ مِنْ قِبَلِ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ هُوَ الَّذِي يُمَيِّزُهُ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الْحَجَرَ لَا يَذْهَبُ عُلُوّاً مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، أَفَلَا تَرىٰ كَيْفَ وَقَفَ الْبَصَرُ عَلىٰ حَدِّهِ فَلَمْ يَتَجَاوَزْهُ؟ فَكَذَلِكَ يَقِفُ الْعَقْلُ عَلىٰ حَدِّهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ فَلَا يَعْدُوهُ، وَلَكِنْ يَعْقِلُهُ بِعَقْلٍ أَقَرَّ أَنَّ فِيهِ نَفْساً وَلَمْ يُعَايِنْهَا، وَلَمْ يُدْرِكْهَا بِحَاسَّةٍ مِنَ الْحَوَاسِّ، وَعَلىٰ حَسَبِ هَذَا أَيْضاً نَقُولُ: إِنَّ الْعَقْلَ يَعْرِفُ الْخَالِقَ مِنْ جِهَةٍ تُوجِبُ عَلَيْهِ الْإِقْرَارَ، وَلَا يَعْرِفُهُ بِمَا يُوجِبُ لَهُ الْإِحَاطَةَ بِصِفَتِهِ.

---

(١) أعوزه أي أعجزه وصعب عليه نيله.

فَإِنْ قَالُوا: فَكَيْفَ يُكَلَّفُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ مَعْرِفَتَهُ بِالْعَقْلِ اللَّطِيفِ وَلَا يُحِيطُ بِهِ؟

قِيلَ لَهُمْ: إِنَّمَا كُلِّفَ الْعِبَادُ مِنْ ذَلِكَ مَا فِي طَاقَتِهِمْ أَنْ يَبْلُغُوهُ، وَهُوَ أَنْ يُوقِنُوا بِهِ، وَيَقِفُوا عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَلَمْ يُكَلَّفُوا الْإِحَاطَةَ بِصِفَتِهِ، كَمَا أَنَّ الْمَلِكَ لَا يُكَلِّفُ رَعِيَّتَهُ أَنْ يَعْلَمُوا أَطَوِيلٌ هُوَ أَمْ قَصِيرٌ، أَبْيَضُ هُوَ أَمْ أَسْمَرُ(١)، وَإِنَّمَا يُكَلِّفُهُمُ الْإِذْعَانَ بِسُلْطَانِهِ، وَالانْتِهَاءَ إِلَىٰ أَمْرِهِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ رَجُلاً لَوْ أَتَىٰ بَابَ الْمَلِكِ فَقَالَ: اعْرِضْ عَلَيَّ نَفْسَكَ حَتَّىٰ أَتَقَصَّىٰ مَعْرِفَتَكَ(٢) وَإِلَّا لَمْ أَسْمَعْ لَكَ، كَانَ قَدْ أَحَلَّ نَفْسَهُ الْعُقُوبَةَ، فَكَذَا الْقَائِلُ إِنَّهُ لَا يُقِرُّ بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ حَتَّىٰ يُحِيطَ بِكُنْهِهِ مُتَعَرِّضٌ لِسَخَطِهِ.

فَإِنْ قَالُوا: أَوَلَيْسَ قَدْ نَصِفُهُ فَنَقُولُ: هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، الْجَوَادُ الْكَرِيمُ؟

قِيلَ لَهُمْ: كُلُّ هَذِهِ صِفَاتُ إِقْرَارٍ وَلَيْسَتْ صِفَاتِ إِحَاطَةٍ، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ حَكِيمٌ وَلَا نَعْلَمُ بِكُنْهِ ذَلِكَ مِنْهُ(٣)، وَكَذَلِكَ قَدِيرٌ وَجَوَادٌ وَسَائِرُ صِفَاتِهِ، كَمَا قَدْ نَرَى السَّمَاءَ وَلَا نَدْرِي مَا جَوْهَرُهَا، وَنَرَى الْبَحْرَ وَلَا نَدْرِي أَيْنَ مُنْتَهَاهُ، بَلْ فَوْقَ هَذَا الْمِثَالِ بِمَا لَا نِهَايَةَ لَهُ؛ لِأَنَّ الْأَمْثَالَ كُلَّهَا تَقْصُرُ عَنْهُ وَلَكِنَّهَا تَقُودُ الْعَقْلَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ.

---

(١) السمرة: لون بين السواد والبياض.

(٢) تقصّى واستقصى المسألة: بلغ النهاية في البحث عنها.

(٣) وفي نسخة: ولا نحيط بكنه ذلك منه.

فَإِنْ قَالُوا: وَلِمَ يُخْتَلَفُ فِيهِ؟

قِيلَ لَهُمْ: لِقِصَرِ الْأَوْهَامِ عَنْ مَدىٰ عَظَمَتِهِ[1] ، وَتَعَدِّيهَا أَقْدَارَهَا فِي طَلَبِ مَعْرِفَتِهِ، وَأَنَّهَا تَرُومُ الْإِحَاطَةَ بِهِ وَهِيَ تَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ وَمَا دُونَهُ، فَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الشَّمْسُ الَّتِي تَرَاهَا تَطْلُعُ عَلَى الْعَالَمِ، وَلَا يُوقَفُ عَلىٰ حَقِيقَةِ أَمْرِهَا، وَلِذَلِكَ كَثُرَتِ الْأَقَاوِيلُ فِيهَا، وَاخْتَلَفَتِ الْفَلَاسِفَةُ الْمَذْكُورُونَ فِي وَصْفِهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ فَلَكٌ أَجْوَفُ، مَمْلُوٌّ نَاراً، لَهُ فَمٌ يَجِيشُ بِهَذَا الْوَهَجِ وَالشُّعَاعِ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ سَحَابَةٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ جِسْمٌ زُجَاجِيٌّ يُقْبِلُ نَارِيَّةً فِي الْعَالَمِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْهِ شُعَاعَهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ صَفْوٌ لَطِيفٌ يَنْعَقِدُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ أَجْزَاءٌ كَثِيرَةٌ مُجْتَمِعَةٌ مِنَ النَّارِ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مِنْ جَوْهَرٍ خَامِسٍ سِوَى الْجَوَاهِرِ الْأَرْبَعِ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي شَكْلِهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ بِمَنْزِلَةِ صَفِيحَةٍ عَرِيضَةٍ، وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ كَالْكُرَةِ الْمُدَحْرَجَةِ، وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِهَا، فَزَعَمَ بَعْضُهُمْ: أَنَّهَا مِثْلُ الْأَرْضِ سَوَاءً، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ أَعْظَمُ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَالَ أَصْحَابُ الْهَنْدَسَةِ: هِيَ أَضْعَافُ الْأَرْضِ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ مَرَّةً، فَفِي اخْتِلَافِ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ مِنْهُمْ فِي الشَّمْسِ دَلِيلٌ عَلىٰ أَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ

(١) المدى: الغاية والمنتهى.

أَمْرِهَا، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الشَّمْسُ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الْبَصَرُ وَيُدْرِكُهَا الْحِسُّ قَدْ عَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنِ الْوُقُوفِ عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا، فَكَيْفَ مَا لَطُفَ عَنِ الْحِسِّ، وَاسْتَتَرَ عَنِ الْوَهْمِ؟

فَإِنْ قَالُوا: وَلِمَ اسْتَتَرَ؟

قِيلَ لَهُمْ: لَمْ يَسْتَتِرْ بِحِيلَةٍ يَخْلُصُ إِلَيْهَا كَمَنْ يَحْتَجِبُ عَنِ النَّاسِ بِالْأَبْوَابِ وَالسُّتُورِ، وَإِنَّمَا مَعْنَىٰ قَوْلِنَا: اسْتَتَرَ أَنَّهُ لَطُفَ عَنْ مَدَىٰ مَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، كَمَا لَطُفَتِ النَّفْسُ وَهِيَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَارْتَفَعَتْ عَنْ إِدْرَاكِهَا بِالنَّظَرِ.

فَإِنْ قَالُوا: وَلِمَ لَطُفَ؟ ـ وَتَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً ـ كَانَ ذَلِكَ خَطَأً مِنَ الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِالَّذِي هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُبَايِناً لِكُلِّ شَيْءٍ، مُتَعَالِياً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَإِنْ قَالُوا: كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ مُبَايِناً لِكُلِّ شَيْءٍ مُتَعَالِياً؟

قِيلَ لَهُمْ: الْحَقُّ الَّذِي تُطْلَبُ مَعْرِفَتُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْأَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ: فَأَوَّلُهَا أَنْ يُنْظَرَ أَمَوْجُودٌ هُوَ أَمْ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ؟ وَالثَّانِي: أَنْ يُعْرَفَ مَا هُوَ فِي ذَاتِهِ وَجَوْهَرِهِ؟ وَالثَّالِثُ: أَنْ يُعْرَفَ كَيْفَ هُوَ، وَمَا صِفَتُهُ؟ وَالرَّابِعُ: أَنْ يُعْلَمَ لِمَاذَا هُوَ؟ وَلِأَيَّةِ عِلَّةٍ؟ فَلَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ شَيْءٌ يُمْكِنُ الْمَخْلُوقَ أَنْ يَعْرِفَهُ مِنَ الْخَالِقِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، غَيْرُ أَنَّهُ مَوْجُودٌ فَقَطْ.

فَإِذَا قُلْنَا: كَيْفَ؟ وَمَا هُوَ؟ فَمُمْتَنِعٌ عِلْمُ كُنْهِهِ، وَكَمَالُ الْمَعْرِفَةِ بِهِ، وَأَمَّا

لِمَاذَا هُوَ فَسَاقِطٌ فِي صِفَةِ الْخَالِقِ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِعِلَّةٍ لَهُ، ثُمَّ لَيْسَ عِلْمُ الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ يُوجِبُ لَهُ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ، كَمَا أَنَّ عِلْمَهُ بِوُجُودِ النَّفْسِ لَا يُوجِبُ أَنْ يَعْلَمَ مَا هِيَ، وَكَيْفَ هِيَ، وَكَذَلِكَ الْأُمُورُ الرُّوحَانِيَّةُ اللَّطِيفَةُ.

فَإِنْ قَالُوا: فَأَنْتُمُ الْآنَ تَصِفُونَ مِنْ قُصُورِ الْعِلْمِ عَنْهُ وَصْفاً حَتَّىٰ كَأَنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ.

قِيلَ لَهُمْ: هُوَ كَذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ إِذَا رَامَ الْعَقْلُ مَعْرِفَةَ كُنْهِهِ وَالْإِحَاطَةَ بِهِ، وَهُوَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ إِذَا اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِالدَّلَائِلِ الشَّافِيَةِ، فَهُوَ مِنْ جِهَةٍ كَالْوَاضِحِ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَهُوَ مِنْ جِهَةٍ كَالْغَامِضِ لَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ، وَكَذَلِكَ الْعَقْلُ أَيْضاً ظَاهِرٌ بِشَوَاهِدَ وَمَسْتُورٌ بِذَاتِهِ.

فَأَمَّا أَصْحَابُ الطَّبَائِعِ فَقَالُوا: إِنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَفْعَلُ شَيْئاً لِغَيْرِ مَعْنىً، وَلَا تَتَجَاوَزُ عَمَّا فِيهِ تَمَامُ الشَّيْءِ فِي طَبِيعَتِهِ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْحِكْمَةَ تَشْهَدُ بِذَلِكَ(١).

فَقِيلَ لَهُمْ: فَمَنْ أَعْطَى الطَّبِيعَةَ هَذِهِ الْحِكْمَةَ؟ وَالْوُقُوفَ عَلَىٰ حُدُودِ الْأَشْيَاءِ بِلَا مُجَاوَزَةٍ لَهَا؟ وَهَذَا قَدْ تَعْجِزُ عَنْهُ الْعُقُولُ بَعْدَ طُولِ التَّجَارِبِ، فَإِنْ أَوْجَبُوا لِلطَّبِيعَةِ الْحِكْمَةَ وَالْقُدْرَةَ عَلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ فَقَدْ أَقَرُّوا بِمَا

(١) وفي نسخة: وزعموا أنّ المحنّة تشهد بذلك.

أَنْكَرُوا؛ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ صِفَاتُ الْخَالِقِ ، وَإِنْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ هَذَا لِلطَّبِيعَةِ ، فَهَذَا وَجْهُ الْخَلْقِ يَهْتِفُ بِأَنَّ الْفِعْلَ لِلْخَالِقِ الْحَكِيمِ ، وَقَدْ كَانَ مِنَ الْقُدَمَاءِ طَائِفَةٌ أَنْكَرُوا الْعَمْدَ وَالتَّدْبِيرَ فِي الْأَشْيَاءِ ، وَزَعَمُوا أَنَّ كَوْنَهَا بِالْعَرَضِ وَالاتِّفَاقِ ، وَكَانَ مِمَّا احْتَجُّوا بِهِ هَذِهِ الْآفَاتُ الَّتِي تَكُونُ عَلىٰ غَيْرِ مَجْرَى الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ(١) ، كَالْإِنْسَانِ يُولَدُ نَاقِصاً أَوْ زَائِداً إِصْبَعاً ، أَوْ يَكُونُ الْمَوْلُودُ مُشَوَّهاً (٢) مُبَدَّلَ الْخَلْقِ ، فَجَعَلُوا هَذَا دَلِيلاً عَلىٰ أَنَّ كَوْنَ الْأَشْيَاءِ لَيْسَ بِعَمْدٍ وَتَقْدِيرٍ ، بَلْ بِالْعَرَضِ كَيْفَ مَا اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ ، وَقَدْ كَانَ أَرَسْطَاطَالِيسُ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي يَكُونُ بِالْعَرَضِ وَالاتِّفَاقِ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَأْتِي فِي الْفَرْطِ مَرَّةً لِأَعْرَاضٍ تَعْرِضُ لِلطَّبِيعَةِ فَتُزِيلُهَا عَنْ سَبِيلِهَا ، وَلَيْسَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ الْجَارِيَةِ عَلىٰ شَكْلٍ وَاحِدٍ جَرْياً دَائِماً مُتَتَابِعاً .

وَأَنْتَ - يَا مُفَضَّلُ - تَرىٰ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ أَنْ يَجْرِيَ أَكْثَرَ ذَلِكَ عَلىٰ مِثَالٍ وَمِنْهَاجٍ وَاحِدٍ كَالْإِنْسَانِ يُولَدُ وَلَهُ يَدَانِ وَرِجْلَانِ وَخَمْسُ أَصَابِعَ ، كَمَا عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنَ النَّاسِ ، فَأَمَّا مَا يُولَدُ عَلىٰ خِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لِعِلَّةٍ تَكُونُ فِي الرَّحِمِ ، أَوْ فِي الْمَادَّةِ الَّتِي يَنْشَأُ مِنْهَا الْجَنِينُ ، كَمَا يَعْرِضُ فِي الصِّنَاعَاتِ حِينَ يَتَعَمَّدُ الصَّانِعُ الصَّوَابَ فِي صَنْعَتِهِ فَيَعُوقُ دُونَ ذَلِكَ(٣)

---

(١) في نسخة : التي تلد على مجرى العرف والعادة ... .
(٢) أي مقبّحاً.
(٣) عاقه يعوقه عن كذا: صرفه وثبّطه وأخّره عنه، والعائق: كلّ ما عاقك وشغلك.

عَائِقٌ فِي الْأَدَاةِ ، أَوْ فِي الْآلَةِ الَّتِي يَعْمَلُ فِيهَا الشَّيْءَ ، فَقَدْ يَحْدُثُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي أَوْلَادِ الْحَيَوَانِ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي وَصَفْنَا ، فَيَأْتِي الْوَلَدُ زَائِداً أَوْ نَاقِصاً أَوْ مُشَوَّهاً ، وَيَسْلَمُ أَكْثَرُهَا ، فَيَأْتِي سَوِيّاً لَا عِلَّةَ فِيهِ ، فَكَمَا أَنَّ الَّذِي يُحْدِثُ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ الْأَعْرَاضَ (١) لِعِلَّةٍ فِيهِ لَا تُوجِبُ عَلَيْهَا جَمِيعاً الْإِهْمَالَ وَعَدَمَ الصَّانِعِ ، كَذَلِكَ مَا يَحْدُثُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَفْعَالِ الطَّبِيعِيَّةِ لِعَائِقٍ يَدْخُلُ عَلَيْهَا لَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُهَا بِالْعَرَضِ وَالاتِّفَاقِ ، فَقَوْلُ مَنْ قَالَ فِي الْأَشْيَاءِ : إِنَّ كَوْنَهَا بِالْعَرَضِ وَالاتِّفَاقِ مِنْ قِبَلِ أَنَّ شَيْئاً مِنْهَا يَأْتِي عَلَىٰ خِلَافِ الطَّبِيعَةِ بِعَرَضٍ لَهُ خَطَأٌ وَخَطَلٌ .

فَإِنْ قَالُوا : وَلِمَ صَارَ مِثْلُ هَذَا يَحْدُثُ فِي الْأَشْيَاءِ ؟

قِيلَ لَهُمْ : لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ كَوْنُ الْأَشْيَاءِ بِاضْطِرَارٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سِوَاهُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُونَ ، بَلْ هُوَ تَقْدِيرٌ وَعَمْدٌ مِنْ خَالِقٍ حَكِيمٍ ؛ إِذْ جَعَلَ الطَّبِيعَةَ تَجْرِي أَكْثَرَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَجْرىً وَمِنْهَاجٍ مَعْرُوفٍ ، وَيَزُولُ أَحْيَاناً عَنْ ذَلِكَ لِأَعْرَاضٍ تَعْرِضُ لَهَا ، فَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهَا مُصَرَّفَةٌ مُدَبَّرَةٌ فَقِيرَةٌ إِلَىٰ إِبْدَاءِ الْخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ فِي بُلُوغِ غَايَتِهَا ، وَإِتْمَامِ عَمَلِهَا ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢) .

يَا مُفَضَّلُ ! خُذْ مَا آتَيْتُكَ ، وَاحْفَظْ مَا مَنَحْتُكَ ، وَكُنْ لِرَبِّكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، وَلِآلَائِهِ مِنَ الْحَامِدِينَ ، وَلِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْمُطِيعِينَ ، فَقَدْ شَرَحْتُ

---

(١) وفي نسخة : للأعْرَاض .

(٢) سورة المؤمنون : ١٤ .

لَكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى الْخَلْقِ، وَالشَّوَاهِدِ عَلىٰ صَوَابِ التَّدْبِيرِ وَالْعَمْدِ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ، وَجُزْءاً مِنْ كُلٍّ، فَتَدَبَّرْهُ، وَفَكِّرْ فِيهِ، وَاعْتَبِرْ بِهِ.

فَقُلْتُ: بِمَعُونَتِكَ يَا مَوْلَايَ أَقْوىٰ عَلىٰ ذَلِكَ، وَأُبَلِّغُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلىٰ صَدْرِي فَقَالَ: احْفَظْ بِمَشِيَّةِ اللَّهِ، وَلَا تَنْسَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَخَرَرْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ، فَلَمَّا أَفَقْتُ قَالَ: كَيْفَ تَرىٰ نَفْسَكَ يَا مُفَضَّلُ؟ فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَغْنَيْتُ بِمَعُونَةِ مَوْلَايَ وَتَأْيِيدِهِ عَنِ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبْتُهُ، وَصَارَ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيَّ كَأَنَّمَا أَقْرَؤُهُ مِنْ كَفِّي، وَلِمَوْلَايَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَمُسْتَحِقُّهُ، فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ! فَرِّغْ قَلْبَكَ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ ذِهْنَكَ وَعَقْلَكَ وَطُمَأْنِينَتَكَ، فَسَأُلْقِي إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا وَفِيهِمَا مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِهِ، وَأَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ وَصُفُوفِهِمْ وَمَقَامَاتِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ إِلىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ، وَسَائِرِ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلىٰ وَمَا تَحْتَ الثَّرىٰ، حَتّىٰ يَكُونَ مَا وَعَيْتَهُ جُزْءاً مِنْ أَجْزَاءٍ، انْصَرِفْ إِذَا شِئْتَ مُصَاحَباً مَكْلُوءاً (١)، فَأَنْتَ مِنَّا بِالْمَكَانِ الرَّفِيعِ، وَمَوْضِعُكَ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْضِعُ الْمَاءِ مِنَ الصَّدىٰ، وَلَا تَسْأَلَنَّ عَمَّا وَعَدْتُكَ حَتّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِ مَوْلَايَ بِمَا لَمْ يَنْصَرِفْ أَحَدٌ بِمِثْلِهِ.

---

(١) أي محفوظاً.

بيان: جاش البحر والقدر وغيرهما يجيش جيشاً: غلا.

قوله عليه السلام: «وَقَالَ أَصْحَابُ الْهَنْدَسَةِ» أقول: المشهور بين متأخّريهم أنّ جرم الشمس مائة وستّة وستّون مثلاً وربع وثمن لجرم الأرض، وما ذكره عليه السلام لعلّه كان مذهب قدمائهم، مع أنّه قريب من المشهور، والاختلاف بين قدمائهم ومتأخّريهم في أمثال ذلك كثير.

قوله عليه السلام: «الْحَقُّ الَّذِي» أي الأُمور الحقّة الثابتة التي تطلب معرفتها من بين الأشياء، وفي بعض النسخ: لحقّ، أي ما يحقّ وينبغي أن تطلب معرفته من أحوال الأشياء هو أربعة أوجه.

وقال الجوهريّ: قولهم لقيته في الفرط بعد الفرط إي الحين بعد الحين، والصدى -بالفتح-: العطش.

ثمّ اعلم أنّ بعض تلك الفقرات تومئ إلى تجرّد النفس، والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم أجمعين (١).

---

(١) بل إلى وجود أُمور أُخرى غير النفس مجرّدة كما يشعر به قوله: وكذلك الأُمور الروحانيّة اللطيفة، ومنه يظهر أنّ وصف شيء بأنّه روحانيّ أو لطيف في الأخبار يشعر بتجرّده (الطباطبائي).

باب ٥: الخبر المرويّ عن المفضّل بن عمر في التوحيد المشتهر بالإهليلجة (١)

(١٥٤٢) ١ ـ حَدَّثَنِي مُحْرِزُ بْنُ سَعِيدٍ النَّحْوِيُّ بِدِمَشْقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُسْهِرٍ (٢) بِالرَّمْلَةِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كَتَبَ الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ الْجُعْفِيُّ إِلىٰ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ يُعْلِمُهُ أَنَّ أَقْوَاماً ظَهَرُوا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ يَجْحَدُونَ الرُّبُوبِيَّةَ، وَيُجَادِلُونَ عَلىٰ ذَلِكَ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ، وَيَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ فِيمَا ادَّعَوْا بِحَسَبِ مَا احْتَجَّ بِهِ عَلىٰ غَيْرِهِمْ، فَكَتَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ، وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِطَاعَتِهِ، وَأَوْجَبَ لَنَا بِذَلِكَ رِضْوَانَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَصَلَ كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ مَا ظَهَرَ فِي مِلَّتِنَا، وَذَلِكَ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْإِلْحَادِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، قَدْ كَثُرَتْ عِدَّتُهُمْ، وَاشْتَدَّتْ خُصُومَتُهُمْ، وَتَسْأَلُ أَنْ أَصْنَعَ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَالنَّقْضِ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ، كِتَاباً عَلىٰ نَحْوِ مَا رَدَدْتُ عَلىٰ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالاخْتِلَافِ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى النِّعَمِ السَّابِغَةِ، وَالْحُجَجِ الْبَالِغَةِ، وَالْبَلَاءِ الْمَحْمُودِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، فَكَانَ مِنْ نِعَمِهِ الْعِظَامِ، وَآلَائِهِ الْجِسَامِ، الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا تَقْرِيرُهُ قُلُوبَهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَخْذُهُ

---

(١) وفي الباب حديث واحد، الأهليلجة: شجر ينبت في الهند وكابل والصين، وهي ثمرة على هيئة حب الصنوبر الكبار.

(٢) وفي نسخة: محمّد بن أبي مشتهر.

مِيثَاقَهُمْ بِمَعْرِفَتِهِ ، وَإِنْزَالُهُ عَلَيْهِمْ كِتَاباً فِيهِ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ، مِنْ أَمْرَاضِ الْخَوَاطِرِ وَمُشْتَبِهَاتِ الْأُمُورِ ، وَلَمْ يَدَعْ لَهُمْ وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ حَاجَةً إِلَىٰ مَنْ سِوَاهُ ، وَاسْتَغْنَىٰ عَنْهُمْ ﴿ وَكانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً ﴾ (١) .

وَلَعَمْرِي مَا أُتِيَ الْجُهَّالُ مِنْ قِبَلِ رَبِّهِمْ ، وَإِنَّهُمْ لَيَرَوْنَ الدَّلَالاتِ الْوَاضِحَاتِ ، وَالْعَلَامَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِي خَلْقِهِمْ ، وَمَا يُعَايِنُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصُّنْعَ الْعَجِيبَ الْمُتْقَنَ الدَّالَّ عَلَى الصَّانِعِ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ فَتَحُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَبْوَابَ الْمَعَاصِي ، وَسَهَّلُوا لَهَا سَبِيلَ الشَّهَوَاتِ ، فَغَلَبَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ، وَاسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ بِظُلْمِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ .

وَالْعَجَبُ مِنْ مَخْلُوقٍ يَزْعَمُ أَنَّ اللَّهَ يَخفىٰ عَلىٰ عِبَادِهِ وَهُوَ يَرىٰ أَثَرَ الصُّنْعِ فِي نَفْسِهِ بِتَرْكِيبٍ يَبْهَرُ عَقْلَهُ ، وَتَأْلِيفٍ يُبْطِلُ حُجَّتَهُ (٢) ، وَلَعَمْرِي لَوْ تَفَكَّرُوا فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْعِظَامِ لَعَايَنُوا مِنْ أَمْرِ التَّرْكِيبِ الْبَيِّنِ ، وَلُطْفِ التَّدْبِيرِ الظَّاهِرِ ، وَوُجُودِ الْأَشْيَاءِ مَخْلُوقَةً بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ ، ثُمَّ تَحَوُّلِهَا مِنْ طَبِيعَةٍ إِلىٰ طَبِيعَةٍ ، وَصَنِيعَةٍ بَعْدَ صَنِيعَةٍ ، مَا يَدُلُّهُمْ ذَلِكَ عَلَى الصَّانِعِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْهَا مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَثَرُ تَدْبِيرٍ وَتَرْكِيبٍ يَدُلُّ عَلىٰ أَنَّ لَهُ خَالِقاً مُدَبِّراً ، وَتَأْلِيفٌ بِتَدْبِيرٍ يَهْدِي إِلىٰ وَاحِدٍ حَكِيمٍ ، وَقَدْ وَافَانِي كِتَابُكَ وَرَسَمْتُ لَكَ كِتَاباً كُنْتُ نَازَعْتُ فِيهِ بَعْضَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ مِنْ أَهْلِ الْإِنْكَارِ ،

---

(١) سورة النساء : ١٣١ .

(٢) وفي نسخة : وتأليف يُبطل جحوده .

وَذلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَحْضُرُنِي طَبِيبٌ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ يُنَازِعُنِي فِي رَأْيِهِ ، وَيُجَادِلُنِي عَلىٰ ضَلَالَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْماً يَدُقُّ إِهْلِيلَجَةً لِيَخْلِطَهَا دَوَاءً احْتَجْتُ[1] إِلَيْهِ مِنْ أَدْوِيَتِهِ ؛ إِذْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُنَازِعُنِي فِيهِ مِنِ ادِّعَائِهِ أَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ شَجَرَةٌ تَنْبُتُ ، وَأُخْرىٰ تَسْقُطُ ، نَفْسٌ تُولَدُ وَأُخْرَى تَتْلَفُ ، وَزَعَمَ أَنَّ انْتِحَالِي الْمَعْرِفَةَ لِلَّهِ تَعَالىٰ دَعْوىٰ لَا بَيِّنَةَ لِي عَلَيْهَا ، وَلَا حُجَّةَ لِي فِيهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ أَخَذَهُ الْآخِرُ عَنِ الأوّل ، وَالْأَصْغَرُ عَنِ الْأَكْبَرِ ، وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ وَالْمُؤْتَلِفَةَ ، وَالْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ ، إِنَّمَا تُعْرَفُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ نَظَرِ الْعَيْنِ ، وَسَمْعِ الْأُذُنِ ، وَشَمِّ الْأَنْفِ ، وَذَوْقِ الْفَمِ ، وَلَمْسِ الْجَوَارِحِ ، ثُمَّ قَادَ[2] مَنْطِقَهُ عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي وَضَعَهُ فَقَالَ : لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ مِنْ حَوَاسِّي عَلىٰ خَالِقٍ يُؤَدِّي إِلىٰ قَلْبِي إِنْكَاراً لِلَّهِ تَعَالىٰ .

ثُمَّ قَالَ : أَخْبِرْنِي بِمَ تَحْتَجُّ فِي مَعْرِفَةِ رَبِّكَ الَّذِي تَصِفُ قُدْرَتَهُ وَرُبُوبِيَّتَهُ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِالدَّلَالاتِ الْخَمْسِ الَّتِي وَصَفْتُ لَكَ ؟

قُلْتُ : بِالْعَقْلِ الَّذِي فِي قَلْبِي ، وَالدَّلِيلِ الَّذِي أَحْتَجُّ بِهِ فِي مَعْرِفَتِهِ.

قَالَ : فَأَنّىٰ يَكُونُ مَا تَقُولُ ؟ وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً بِغَيْرِ

---

(١) وفي نسخة : احتاج.
(٢) قاد الدابّة : مشى أمامها آخذاً بقيادها.

الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ ، فَهَلْ عَايَنْتَ رَبَّكَ بِبَصَرٍ ، أَوْ سَمِعْتَ صَوْتَهُ بِأُذُنٍ ، أَوْ شَمِمْتَهُ بِنَسِيمٍ ، أَوْ ذُقْتَهُ بِفَمٍ ، أَوْ مَسِسْتَهُ بِيَدٍ ، فَأَدّىٰ ذَلِكَ الْمَعْرِفَةَ إِلىٰ قَلْبِكَ ؟

قُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَنْكَرْتَ اللَّهَ وَجَحَدْتَهُ (١) لِأَنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تُحِسُّهُ بِحَوَاسِّكَ الَّتِي تَعْرِفُ بِهَا الْأَشْيَاءَ ، وَأَقْرَرْتُ أَنَا بِهِ ، هَلْ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدُنَا صَادِقاً وَالْآخَرُ كَاذِباً ؟ قَالَ : لَا .

قُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَكَ ، فَهَلْ يُخَافُ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا أُخَوِّفُكَ بِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ ؟

قَالَ : لَا .

قُلْتُ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ كَمَا أَقُولُ ، وَالْحَقُّ فِي يَدِي ، أَلَسْتُ قَدْ أَخَذْتُ فِيمَا كُنْتُ أُحَاذِرُ مِنْ عِقَابِ الْخَالِقِ بِالثِّقَةِ ، وَأَنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ بِجُحُودِكَ وَإِنْكَارِكَ فِي الْهَلَكَةِ ؟

قَالَ : بَلىٰ .

قُلْتُ : فَأَيُّنَا أَوْلىٰ بِالْحَزْمِ ، وَأَقْرَبُ مِنَ النَّجَاةِ ؟

قَالَ : أَنْتَ ، إِلَّا أَنَّكَ مِنْ أَمْرِكَ عَلَى ادِّعَاءٍ وَشُبْهَةٍ ، وَأَنَا عَلىٰ يَقِينٍ وَثِقَةٍ ، لِأَنِّي لَا أَرىٰ حَوَاسِّيَ الْخَمْسَ أَدْرَكَتْهُ ، وَمَا لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسِّي فَلَيْسَ عِنْدِي بِمَوْجُودٍ .

(١) وفي نسخة : إذا أنكرت اللّه وجحدته .

قُلْتُ: إِنَّهُ لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسُّكَ عَنْ إِدْرَاكِ اللَّهِ أَنْكَرْتَهُ، وَأَنَا لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسِّي عَنْ إِدْرَاكِ اللَّهِ تَعَالىٰ صَدَّقْتُ بِهِ.

قَالَ: وَكَيْفَ ذٰلِكَ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ جَرىٰ فِيهِ أَثَرُ تَرْكِيبٍ لَجِسْمٌ، أَوْ وَقَعَ عَلَيْهِ بَصَرٌ لَلَوْنٌ، فَمَا أَدْرَكَتْهُ الْأَبْصَارُ، وَنَالَتْهُ الْحَوَاسُّ، فَهُوَ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُشْبِهُ الْخَلْقَ، وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ يَنْتَقِلُ بِتَغْيِيرٍ وَزَوَالٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَشْبَهَ التَّغْيِيرَ وَالزَّوَالَ فَهُوَ مِثْلُهُ، وَلَيْسَ الْمَخْلُوقُ كَالْخَالِقِ، وَلَا الْمُحْدَثُ كَالْمُحْدِثِ.

شرح: قوله عليه السلام: «وَالْبَلَاءِ الْمَحْمُودِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ» أي النعمة التي يحمدها ويقرّ بها الخاصّ والعامّ لنا، وهو العلم، أو النعم التي شملت الخاصّ والعامّ كما سيفصّله عليه السلام بعد ذلك.

قوله عليه السلام: «مَا أُتِيَ الْجُهَّالُ» أي ما أتاهم الضرر والهلاك إلّا من قِبلهم، قال الفيروزآباديّ: أُتِيَ -كعني-: أشرف عليه العدوّ، وقال الجزريّ: في حديث أبي هريرة في العَدْوىٰ: «أنّى قلت أُتِيتَ» أي دهيت وتغيّر عليك حسك فتوهّمت ما ليس بصحيح صحيحاً.

قوله عليه السلام: «اسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ» أي غلب واستولى.

قوله عليه السلام: «وَصَنِيعَةٍ» أي إحسان، ويحتمل أن يراد بها هنا الخلقة المصنوعة.

قوله عليه السلام: «لَجِسْم» بفتح اللام أي البتّة هو جسم، وكذا قوله: «لَلَوْن»، ويدلّ على أنّ التركيب الخارجيّ إنّما يكون في الجسم، وأن المبصر بالذات هو اللون.

قوله عليه السلام: «أَشْبَهَ التَّغْيِيرَ» أي المتغيّر، أو ذا التغيير بتقدير مضاف.

متن: قَالَ: إِنَّ هَذَا لَقَوْلٌ، وَلَكِنِّي لَمُنْكِرٌ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسِّي فَتُؤَدِّيَهُ إِلىٰ قَلْبِي.

فَلَمَّا اعْتَصَمَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَلَزِمَ هَذِهِ الْحُجَّةَ قُلْتُ: أَمَّا إِذَا أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَعْتَصِمَ بِالْجَهَالَةِ، وَتَجْعَلَ الْمُحَاجَزَةَ حُجَّةً، فَقَدْ دَخَلْتَ فِي مِثْلِ مَا عِبْتَ، وَامْتَثَلْتَ مَا كَرِهْتَ، حَيْثُ قُلْتَ: إِنِّي اخْتَرْتُ الدَّعْوىٰ لِنَفْسِي؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسِّي عِنْدِي لَا شَيْءٍ.

قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: لِأَنَّكَ نَقَمْتَ عَلَيَّ الادِّعَاءَ، وَدَخَلْتَ فِيهِ فَادَّعَيْتَ أَمْراً لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً، وَلَمْ تَقُلْهُ عِلْماً، فَكَيْفَ اسْتَجَزْتَ لِنَفْسِكَ الدَّعْوىٰ فِي إِنْكَارِكَ اللَّهَ، وَدَفْعِكَ أَعْلَامَ النُّبُوَّةِ وَالْحُجَّةَ الْوَاضِحَةَ، وَعِبْتَهَا عَلَيَّ، أَخْبِرْنِي هَلْ أَحَطْتَ بِالْجِهَاتِ كُلِّهَا وَبَلَغْتَ مُنْتَهَاهَا؟

قَالَ: لَا.

قُلْتُ: فَهَلْ رَقِيتَ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَرىٰ؟ أَوِ انْحَدَرْتَ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلىٰ، فَجُلْتَ فِي أَقْطَارِهَا [1]، أَوْ هَلْ خُضْتَ فِي غَمَرَاتِ الْبُحُورِ [2]،

---

(١) وفي نسخة: فدرت في أقطارها.
(٢) وفي نسخة: هل غصت في غمرات البحور.

وَاخْتَرَقْتَ نَوَاحِيَ الْهَوَاءِ فِيمَا فَوْقَ السَّمَاءِ ، وَتَحْتَهَا إِلَى الْأَرْضِ ، وَمَا أَسْفَلَ مِنْهَا فَوَجَدْتَ ذَلِكَ خَلَاءً مِنْ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ عَالِمٍ بَصِيرٍ ؟ قَالَ : لَا .

قُلْتُ : فَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الَّذِي أَنْكَرَهُ قَلْبُكَ هُوَ فِي بَعْضِ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسُّكَ ، وَلَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُكَ ؟

قَالَ : لَا أَدْرِي ، لَعَلَّ فِي بَعْضِ مَا ذَكَرْتَ مُدَبِّراً ، وَمَا أَدْرِي لَعَلَّهُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ .

قُلْتُ : أَمَّا إِذْ خَرَجْتَ مِنْ حَدِّ الْإِنْكَارِ إِلىٰ مَنْزِلَةِ الشَّكِّ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَخْرُجَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ .

قَالَ : فَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَيَّ الشَّكُّ لِسُؤَالِكَ إِيَّايَ عَمَّا لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمِي ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُ عَلَيَّ الْيَقِينُ بِمَا لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسِّي ؟

قُلْتُ : مِنْ قِبَلِ إِهْلِيلَجَتِكَ هَذِهِ .

قَالَ : ذَاكَ إِذاً أَثْبَتُ لِلْحُجَّةِ ؛ لِأَنَّهَا مِنْ آدَابِ الطِّبِّ الَّذِي أُذْعِنُ بِمَعْرِفَتِهِ (١) .

قُلْتُ : إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ آتِيَكَ بِهِ مِنْ قِبَلِهَا لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْهَا لَأَتَيْتُكَ مِنْ قِبَلِهِ (٢) ؛ لِأَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَثَرَ تَرْكِيبٍ وَحِكْمَةٍ ، وَشَاهِداً يَدُلُّ عَلَى الصَّنْعَةِ الدَّالَّةِ عَلىٰ مَنْ صَنَعَهَا وَلَمْ

---

(١) وفي نسخة : لأنها من أداة الطبّ الذي أدّعى معرفته .
(٢) وفي نسخة : لا نبأتك من قِبله .

تَكُنْ شَيْئاً ، وَيُهْلِكُهَا حَتّىٰ لَا تَكُونَ شَيْئاً .

قُلْتُ : فَأَخْبِرْنِي هَلْ ترىٰ هَذِهِ إِهْلِيلَجَةً ؟

قَالَ : نَعَمْ .

قُلْتُ : أَفترىٰ غَيْبَ مَا فِي جَوْفِهَا ؟

قَالَ : لَا .

قُلْتُ : أَفَتَشْهَدُ أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَوَاةٍ وَلَا تَرَاهَا ؟

قَالَ : مَا يُدْرِينِي لَعَلَّ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ .

قُلْتُ : أَفَتَرىٰ أَنَّ خَلْفَ هَذَا الْقِشْرِ مِنْ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةِ غَائِبٌ لَمْ تَرَهُ مِنْ لَحْمٍ ، أَوْ ذِي لَوْنٍ ؟

قَالَ : مَا أَدْرِي لَعَلَّ مَا ثَمَّ غَيْرُ ذِي لَوْنٍ وَلَا لَحْمٍ .

قُلْتُ : أَفَتَقِرُّ أَنَّ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةَ الَّتِي تُسَمِّيهَا النَّاسُ بِالْهِنْدِ مَوْجُودَةٌ لاجْتِمَاعِ أَهْلِ الاخْتِلَافِ مِنَ الْأُمَمِ عَلَىٰ ذِكْرِهَا ؟

قَالَ : مَا أَدْرِي لَعَلَّ مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ بَاطِلٌ .

قُلْتُ : أَفَتَقِرُّ أَنَّ الْإِهْلِيلَجَةَ فِي أَرْضٍ تَنْبُتُ ؟

قَالَ : تِلْكَ الْأَرْضُ وَهَذِهِ وَاحِدَةٌ ، وَقَدْ رَأَيْتُهَا .

قُلْتُ : أَفَمَا تَشْهَدُ بِحُضُورِ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةِ عَلىٰ وُجُودِ مَا غَابَ مِنْ أَشْبَاهِهَا ؟ قَالَ : مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا إِهْلِيلَجَةٌ غَيْرُهَا .

فَلَمَّا اعْتَصَمَ بِالْجَهَالَةِ قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةِ، أَتُقِرُّ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ شَجَرَةٍ، أَوْ تَقُولُ إِنَّهَا هَكَذَا وُجِدَتْ؟

قَالَ: لَا، بَلْ مِنْ شَجَرَةٍ خَرَجَتْ.

قُلْتُ: فَهَلْ أَدْرَكَتْ حَوَاسُّكَ الْخَمْسُ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ؟

قَالَ: لَا.

قُلْتُ: فَمَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ أَقْرَرْتَ بِوُجُودِ شَجَرَةٍ لَمْ تُدْرِكْهَا حَوَاسُّكَ؟

قَالَ: أَجَلْ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: إِنَّ الْإِهْلِيلَجَةَ وَالْأَشْيَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ (١) شَيْءٌ لَمْ تَزَلْ تُدْرَكُ، فَهَلْ عِنْدَكَ فِي هَذَا شَيْءٌ تَرُدُّ بِهِ قَوْلِي؟

قُلْتُ: نَعَمْ، أَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةِ، هَلْ كُنْتَ عَايَنْتَ شَجَرَتَهَا وَعَرَفْتَهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةُ فِيهَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَهَلْ كُنْتَ تُعَايِنُ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةَ؟

قَالَ: لَا.

قُلْتُ: أَفَمَا تَعْلَمُ أَنَّكَ كُنْتَ عَايَنْتَ الشَّجَرَةَ وَلَيْسَ فِيهَا الْإِهْلِيلَجَةُ، ثُمَّ عُدْتَ إِلَيْهَا فَوَجَدْتَ فِيهَا الْإِهْلِيلَجَةَ، أَفَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهَا مَا لَمْ تَكُنْ؟

قَالَ: مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُنْكِرَ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ فِيهَا مُتَفَرِّقَةً.

---

(١) وفي نسخة: والأشياء المؤتلفة.

قُلْتُ: فَأَخبِرْنِي هَلْ رَأَيْتَ تِلْكَ الْإِهْلِيلَجَةَ الَّتِي تَنْبُتُ مِنْهَا شَجَرَةُ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةِ قَبْلَ أَنْ تُغْرَسَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَهَلْ يَحْتَمِلُ عَقْلُكَ أَنَّ الشَّجَرَةَ الَّتِي تَبْلُغُ أَصْلُهَا وَعُرُوقُهَا وَفُرُوعُهَا وَلِحَاؤُهَا، وَكُلُّ ثَمَرَةٍ جُنِيَتْ(١)، وَوَرَقَةٍ سَقَطَتْ، أَلْفَ أَلْفِ رِطْلٍ كَانَتْ كَامِنَةً فِي هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةِ؟

قَالَ: مَا يَحْتَمِلُ هَذَا الْعَقْلُ، وَلَا يَقْبَلُهُ الْقَلْبُ.

قُلْتُ: أَقْرَرْتَ أَنَّهَا حَدَثَتْ فِي الشَّجَرَةِ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ، فَهَلْ تَقْدِرُ أَنْ تُقَرِّرَنِي بِذَلِكَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، أَرَأَيْتَ أَنِّي إِنْ أَرَيْتُكَ تَدْبِيراً، أَتُقِرُّ أَنَّ لَهُ مُدَبِّراً وَتَصْوِيراً أَنَّ لَهُ مُصَوِّراً؟

قَالَ: لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.

قُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةَ لَحْمٌ رَكِبَ عَلَىٰ عَظْمٍ فَوُضِعَ فِي جَوْفٍ مُتَّصِلٍ(٢) بِغُصْنٍ مُرَكَّبٍ عَلَىٰ سَاقٍ، يَقُومُ عَلَىٰ أَصْلٍ فَيَقْوَىٰ بِعُرُوقٍ مِنْ تَحْتِهَا عَلَىٰ جِرْمٍ مُتَّصِلٍ بَعْضٌ بِبَعْضٍ؟

---

(١) جنى الثمر: تناوله من شجرته.

(٢) وفي نسخة: موضوع على جرم متّصل.

قَالَ: بَلىٰ.

قُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةَ مُصَوَّرَةٌ بِتَقْدِيرٍ وَتَخْطِيطٍ وَتَأْلِيفٍ وَتَرْكِيبٍ وَتَفْصِيلٍ مُتَدَاخِلٍ بِتَأْلِيفِ شَيْءٍ فِي بَعْضِ شَيْءٍ، بِهِ طَبَقٌ بَعْدَ طَبَقٍ، وَجِسْمٌ عَلىٰ جِسْمٍ، وَلَوْنٌ مَعَ لَوْنٍ أَبْيَضَ فِي صُفْرَةٍ، وَلَيِّنٌ عَلىٰ شَدِيدٍ(١)، فِي طَبَائِعَ مُتَفَرِّقَةٍ، وَطَرَائِقَ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَجْزَاءٍ مُؤْتَلِفَةٍ، مَعَ لِحَاءٍ تَسْقِيهَا، وَعُرُوقٍ يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ، وَوَرَقٍ يَسْتُرُهَا وَتَقِيهَا مِنَ الشَّمْسِ أَنْ تُحْرِقَهَا، وَمِنَ الْبَرْدِ أَنْ يُهْلِكَهَا، وَالرِّيحِ أَنْ تَذْبِلَهَا(٢)؟

قَالَ: أَفَلَيْسَ لَوْ كَانَ الْوَرَقُ مُطَبِّقاً عَلَيْهَا كَانَ خَيْراً لَهَا؟!

قُلْتُ: اللَّهُ أَحْسَنُ تَقْدِيراً لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا رِيحٌ يَرُوحُهَا، وَلَا بَرْدٌ يُشَدِّدُهَا، وَلَعَفِنَتْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا حَرُّ الشَّمْسِ لَمَا نَضِجَتْ، وَلَكِنْ شَمْسٌ مَرَّةً، وَرِيحٌ مَرَّةً، وَبَرْدٌ مَرَّةً، قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ بِقُوَّةٍ لَطِيفَةٍ، وَدَبَّرَهُ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ.

قَالَ: حَسْبِي مِنَ التَّصْوِيرِ، فَسِّرْ لِيَ التَّدْبِيرَ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّكَ تَرَيْنَهُ؟

قُلْتُ: أَرَأَيْتَ الْإِهْلِيلَجَةَ قَبْلَ أَنْ تَعْقِدَ إِذْ هِيَ فِي قِمَعِهَا مَاءً بِغَيْرِ نَوَاةٍ، وَلَا لَحْمٍ، وَلَا قِشْرٍ، وَلَا لَوْنٍ، وَلَا طَعْمٍ، وَلَا شِدَّةٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

---

(١) في نسخة: ولين مع لين، ولين على شدّة.
(٢) ذيل النبات: قل ماؤه وذهبت نضارته.

قُلْتُ: أَرَأَيْتَ لَوْ لَمْ يَرْفُقِ الْخَالِقُ ذَلِكَ الْمَاءَ الضَّعِيفَ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الْخَرْدَلَةِ فِي الْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَلَمْ يُقَوِّهِ بِقُوَّتِهِ، وَيُصَوِّرْهُ بِحِكْمَتِهِ، وَيُقَدِّرْهُ بِقُدْرَتِهِ، هَلْ كَانَ ذَلِكَ الْمَاءُ يَزِيدُ عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ فِي قِمَعِهِ غَيْرَ مَجْمُوعٍ بِجِسْمٍ وَقِمَعٍ وَتَفْصِيلٍ، فَإِنْ زَادَ زَادَ مَاءً مُتَرَاكِباً غَيْرَ مُصَوَّرٍ، وَلَا مُخَطَّطٍ، وَلَا مُدَبَّرٍ بِزِيَادَةِ أَجْزَاءٍ، وَلَا تَأْلِيفِ أَطْبَاقٍ؟

قَالَ: قَدْ أَرَيْتَنِي مِنْ تَصْوِيرِ شَجَرَتِهَا، وَتَأْلِيفِ خِلْقَتِهَا، وَحَمْلِ ثَمَرَتِهَا، وَزِيَادَةِ أَجْزَائِهَا، وَتَفْصِيلِ تَرْكِيبِهَا، أَوْضَحَ الدَّلَالاتِ، وَأَظْهَرَ الْبَيِّنَةِ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الصَّانِعِ، وَلَقَدْ صَدَقْتَ بِأَنَّ الْأَشْيَاءَ مَصْنُوعَةٌ، وَلَكِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّ الْإِهْلِيلَجَةَ وَالْأَشْيَاءَ صَنَعَتْ أَنْفُسَهَا؟

قُلْتُ: أَوَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ وَالْإِهْلِيلَجَةِ حَكِيمٌ عَالِمٌ بِمَا عَايَنْتَ مِنْ قُوَّةِ تَدْبِيرِهِ؟

قَالَ: بَلَىٰ.

قُلْتُ: فَهَلْ يَنْبَغِي لِلَّذِي هُوَ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ حَدَثاً؟ قَالَ: لَا.

قُلْتُ: أَفَلَسْتَ قَدْ رَأَيْتَ الْإِهْلِيلَجَةَ حِينَ حَدَثَتْ، وَعَايَنْتَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ شَيْئاً ثُمَّ هَلَكَ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ شَيْئاً؟

قَالَ: بَلَىٰ، وَإِنَّمَا أَعْطَيْتُكَ أَنَّ الْإِهْلِيلَجَةَ حَدَثَتْ وَلَمْ أُعْطِكَ أَنَّ الصَّانِعَ لَا يَكُونُ حَادِثاً لَا يَخْلُقُ نَفْسَهُ.

قُلْتُ: أَلَمْ تُعْطِنِي أَنَّ الْحَكِيمَ الْخَالِقَ لَا يَكُونُ حَدَثاً، وَزَعَمْتَ أَنَّ

الْإِهْلِيلَجَةَ حَدَثَتْ ، فَقَدْ أَعْطَيْتَنِي أَنَّ الْإِهْلِيلَجَةَ مَصْنُوعَةٌ ، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ صَانِعُ الْإِهْلِيلَجَةِ ، وَإِنْ رَجَعْتَ إِلىٰ أَنْ تَقُولَ إِنَّ الْإِهْلِيلَجَةَ صَنَعَتْ نَفْسَهَا ، وَدَبَّرَتْ خَلْقَهَا ، فَمَا زِدْتَ أَنْ أَقْرَرْتَ بِمَا أَنْكَرْتَ ، وَوَصَفْتَ صَانِعاً مُدَبِّراً أَصَبْتَ صِفَتَهُ ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَعْرِفْهُ فَسَمَّيْتَهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ.

قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ ؟

قُلْتُ: لِأَنَّكَ أَقْرَرْتَ بِوُجُودِ حَكِيمٍ لَطِيفٍ مُدَبِّرٍ ، فَلَمَّا سَأَلْتُكَ مَنْ هُوَ ، قُلْتَ: الْإِهْلِيلَجَةُ ، قَدْ أَقْرَرْتَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَكِنَّكَ سَمَّيْتَهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، وَلَوْ عَقَلْتَ وَفَكَّرْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّ الْإِهْلِيلَجَةَ أَنْقَصُ قُوَّةً مِنْ أَنْ تَخْلُقَ نَفْسَهَا ، وَأَضْعَفُ حِيلَةً مِنْ أَنْ تُدَبِّرَ خَلْقَهَا.

قَالَ: هَلْ عِنْدَكَ غَيْرُ هٰذَا ؟

قُلْتُ: نَعَمْ ، أَخْبِرْنِي عَنْ هٰذِهِ الْإِهْلِيلَجَةِ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّهَا صَنَعَتْ نَفْسَهَا ، وَدَبَّرَتْ أَمْرَهَا ، كَيْفَ صَنَعَتْ نَفْسَهَا صَغِيرَةَ الْخِلْقَةِ ، صَغِيرَةَ الْقُدْرَةِ ، نَاقِصَةَ الْقُوَّةِ ، لَا تَمْتَنِعُ أَنْ تُكْسَرَ وَتُعْصَرَ وَتُؤْكَلَ ؟ وَكَيْفَ صَنَعَتْ نَفْسَهَا مَفْضُولَةً ، مَأْكُولَةً ، مُرَّةً ، قَبِيحَةَ الْمَنْظَرِ ، لَا بَهَاءَ لَهَا ، وَلَا مَاءَ ؟

قَالَ: لِأَنَّهَا لَمْ تَقْوَ إِلَّا عَلىٰ مَا صَنَعَتْ نَفْسَهَا ، أَوْ لَمْ تَصْنَعْ إِلَّا مَا هَوِيَتْ.

قُلْتُ: أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ إِلَّا التَّمَادِيَ فِي الْبَاطِلِ فَأَعْلِمْنِي مَتىٰ خَلَقَتْ نَفْسَهَا ، وَدَبَّرَتْ خَلْقَهَا ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ أَوْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ؟ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ الْإِهْلِيلَجَةَ خَلَقَتْ نَفْسَهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ فَإِنَّ هٰذَا لَمِنْ أَبْيَنِ الْمُحَالِ ، كَيْفَ تَكُونُ

مَوْجُودَةً مَصْنُوعَةً ثُمَّ تَصْنَعُ نَفْسَهَا مَرَّةً أُخرىٰ؟ فَيَصِيرُ كَلَامُكَ إِلىٰ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مَرَّتَيْنِ، وَلَئِنْ قُلْتَ: إِنَّهَا خَلَقَتْ نَفْسَهَا، وَدَبَّرَتْ خَلْقَهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ، إِنَّ هَذَا مِنْ أَوْضَحِ الْبَاطِلِ، وَأَبْيَنِ الْكَذِبِ؛ لِأَنَّهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، فَكَيْفَ يَخْلُقُ لَا شَيْءَ شَيْئاً؟ وَكَيْفَ تَعِيبُ قَوْلِي إِنَّ شَيْئاً يَصْنَعُ لَا شَيْئاً، وَلَا تَعِيبُ قَوْلَكَ إِنَّ لَا شَيْءَ يَصْنَعُ لَا شَيْئاً، فَانْظُرْ أَيَّ الْقَوْلَيْنِ أَوْلىٰ بِالْحَقِّ؟

قَالَ: قَوْلُكَ.

قُلْتُ: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ؟

قَالَ: قَدْ قَبِلْتُهُ، وَاسْتَبَانَ لِي حَقُّهُ وَصِدْقُهُ بِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ وَالْإِهْلِيلَجَةَ لَمْ يَصْنَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ، وَلَمْ يُدَبِّرْنَ خَلْقَهُنَّ، وَلَكِنَّهُ تَعْرِضُ لِي أَنَّ الشَّجَرَةَ هِيَ الَّتِي صَنَعَتِ الْإِهْلِيلَجَةَ لِأَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْهَا.

قُلْتُ: فَمَنْ صَنَعَ الشَّجَرَةَ؟

قَالَ: الْإِهْلِيلَجَةُ الْأُخْرىٰ.

قُلْتُ: اجْعَلْ لِكَلَامِكَ غَايَةً أَنْتَهِي إِلَيْهَا، فَإِمَّا أَنْ تَقُولَ: هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَيُقْبَلُ مِنْكَ، وَإِمَّا أَنْ تَقُولَ: الْإِهْلِيلَجَةُ فَنَسْأَلُكَ؟

قَالَ: سَلْ.

قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِهْلِيلَجَةِ، هَلْ تَنْبُتُ مِنْهَا الشَّجَرَةُ إِلَّا بَعْدَ مَا مَاتَتْ

وَبَلِيَتْ وَبَادَتْ؟ قَالَ: لَا.

قُلْتُ: إِنَّ الشَّجَرَةَ بَقِيَتْ بَعْدَ هَلَاكِ الْإِهْلِيلَجَةِ مِائَةَ سَنَةٍ فَمَنْ كَانَ يَحْمِيهَا، وَيَزِيدُ فِيهَا، وَيُدَبِّرُ خَلْقَهَا، وَيُرَبِّيهَا، وَيُنْبِتُ وَرَقَهَا، مَا لَكَ بُدٌّ مِنْ أَنْ تَقُولَ: هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، وَلَئِنْ قُلْتَ: الْإِهْلِيلَجَةُ وَهِيَ حَيَّةٌ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكَ وَتُبْلىٰ، وَتَصِيرَ تُرَاباً، وَقَدْ رَبَّتِ الشَّجَرَةَ وَهِيَ مَيْتَةٌ، إِنَّ هٰذَا الْقَوْلَ مُخْتَلِفٌ.

قَالَ: لَا أَقُولُ ذٰلِكَ.

قُلْتُ: أَفَتُقِرُّ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ أَمْ قَدْ بَقِيَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ؟

قَالَ: إِنِّي مِنْ ذٰلِكَ عَلىٰ حَدٍّ وُقُوفٍ، مَا أَتَخَلَّصُ إِلىٰ أَمْرٍ يَنْفُذُ لِي فِيهِ الْأَمْرُ.

قُلْتُ: أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ إِلَّا الْجَهَالَةَ، وَزَعَمْتَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْحَوَاسِّ، فَإِنِّي أُخْبِرُكَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَوَاسِّ دَلَالَةٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ، وَلَا فِيهَا مَعْرِفَةٌ إِلَّا بِالْقَلْبِ، فَإِنَّهُ دَلِيلُهَا، وَمُعَرِّفُهَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَدَّعِي أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا بِهَا.

شرح: قوله عليه السلام: «وَامْتَثَلْتَ» قال الفيروزآباديّ: امتثل طريقته: تبعها فلم يعدها.

قوله: «نَقَمْتَ عَلَيَّ» أي عبت وكرهت.

قوله: «مِنْ لَحْمٍ» قال الفيروزآباديّ: لحم كلّ شيء: لبّه. قوله: «تِلْكَ

الْأَرْض» أي أشار إلى الأرض وقال: أقرّ بوجود هذه الأرض التي أرى. والإهليلجة الواحدة التي في يدي.

قوله: «كَانَتْ فِيهَا مُتَفَرِّقَةً» لعلّه اختار مذهب أنكساغورس، ومن تبعه من الدهريّة القائلين بالكمون والبروز، وأنّ كلّ شيء كامن، ويومئ إليه جوابه.

قوله عليه السلام: «فِي قِمَعِهَا» قال الفيروزآباديّ: القمع ـ محرّكة ـ: بثرة تخرج في أُصول الأشفار، وقال: القمع ـ بالفتح والكسر، وكعنب ـ: ما التزق بأسفل التمرة والبسرة ونحوهما، انتهى.

وعلى التقديرين استعير لما يبدو من الإهليلجة ابتداء في شجرها من القشرة الرقيقة الصغيرة التي فيها ماء، والأوّل أبلغ.

قوله عليه السلام: «غَيْرَ مَجْمُوعٍ بِجِسْم» أي هل كان يزيد بغير أن يضمّ إليه جسم آخر من خارج، أوّ قمع آخر مثله، أو بغير قمعه أي قلعه، وتفصيله أي تفريقه ليدخل فيه شيء، أو يضمّ إلى شيء.

قوله عليه السلام: «فَإِنْ زَادَ» أي فإن سلم أنّه كان يمكن أن يزيد بطبيعته بغير ما ذكر كانت زيادته ماء متراكباً بعضه فوق بعض فقط، كما كان أوّلاً لا بتخطيط وتصوير وتدبير وتأليف؛ إذ يحكم العقل بديهة أنّ مثل تلك الأفاعيل المختلفة المنطبقة على قانون الحكمة لا تصدر عن طبيعة عادمة للشعور والإرادة.

قوله عليه السلام: «فَهَلْ يَنْبَغِي» إشارة إلى ما يحكم به الوجدان من أن من كان على هذا المبلغ من العلم والحكمة والتدبير لا يكون ممكناً محدثاً محتاجاً في العلم وسائر الأمور إلى غيره، إلّا أن يفيض عليه من

العالم بالذات ، وهو إقرار بالصانع .

قوله : « وَلَمْ أُعْطِكَ » غفل الهنديّ عمّا كان يلزم من اعترافيه .

قوله عليه السلام : « وَإِنْ رَجَعْتَ » أي إن قلت : إنّ الصانع القديم الحكيم هو طبيعة الإهليلجة صنعت هذا الشخص منها فقد أقررت بالصانع وسمّيته الطبيعة ؛ إذ هي غير حكيم ولا ذات إرادة ، فقد أقررت بالصانع ، وأخطأت في التسمية ، أو المراد أنّك بعد الاعتراف بالخالق الحكيم القديم لو قلت إنّه هذه الإهليلجة ، فقد أقررت بما أنكرت ، أي نقضت قولك الأوّل وقلت بالنقيضين ، ولا محمل لتصحيحه إلّا أن تقول : سمّيت ما أقررت به بهذا الاسم ، وهذا لا يضرّنا بعد ما تيسّر لنا من إقرارك ، ويحتمل أن يكون هذا كلاماً على سبيل الاستظهار في المجادلة ، أي إن تنزّلنا عمّا أقررت به من قِدم الحكيم وحدوث الإهليلجة يكفينا إقرارك بكون الخالق حكيماً ؛ إذ معلوم أنّها ليست كذلك ، فقد سمّيت الصانع الحكيم بهذا الاسم .

قوله عليه السلام : « مَفْضُولَةً » إذ ظاهر أنّ كثيراً من المخلوقات أفضل وأشرف منها .

قوله عليه السلام : « هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا » أي لا بدّ أن يكون مربّيها هو خالقها ، فإن قلت : إنّ الخالق والمربّي واحد ، وهي الإهليلجة ، خلقت عند كونها حيّة وربت بعد موتها فالقول مختلف ؛ إذ خلقها تدريجيّ وعند خلق أي مقدار من الشجرة لا بدّ من انقلاب بعضها شجرة ، فلم تكن الإهليلجة باقية بعد تمام خلق ذلك المقدار والخلق والتربية ممزوجان لا يصلح القول بكونها حيّة عند أحدهما ميّتة عند الآخر .

ويحتمل أن يكون المراد أنّ القول بأنّ الخالق والمربّي واحد، والقول بأنّ الإهليلجة بعد موتها ربت متنافيان؛ لأنّ موتها عبارة عن استحالتها بشيء آخر، فالمربّي شيء آخر سوى الإهليلجة، وفي بعض النسخ: وقد رأيت الشجرة.

قوله: «مَا أَتَخَلَّصُ» أي ما أصل إلى أمر يجري فيه أمري أي حكمي، ويمكنني أن أحكم بصحّته.

ثم لمّا علم عليه السلام أنّ سبب توقّفه اقتصاره على حكم الحواسّ بيّن عليه السلام أنّ الحواس داخلة تحت حكم العقل، ولا بدّ من الرجوع إلى العقل في معرفة الأشياء.

متن: فَقَالَ: أَمَّا إِذْ نَطَقْتَ بِهَذَا فَمَا أَقْبَلُ مِنْكَ إِلّا بِالتَّخْلِيصِ وَالتَّفَحُّصِ مِنْهُ بِإِيضَاحٍ وَبَيَانٍ وَحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ.

قُلْتُ: فَأَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ رُبَّمَا ذَهَبَ الْحَوَاسُّ أَوْ بَعْضُهَا، وَدَبَّرَ الْقَلْبُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِيهَا الْمَضَرَّةُ وَالْمَنْفَعَةُ مِنَ الْأُمُورِ الْعَلَانِيَةِ وَالْخَفِيَّةِ، فَأَمَرَ بِهَا وَنَهىٰ، فَنَفَذَ فِيهَا أَمْرُهُ، وَصَحَّ فِيهَا قَضَاؤُهُ.

قَالَ: إِنَّكَ تَقُولُ فِي هَذَا قَوْلاً يُشْبِهُ الْحُجَّةَ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ تُوضِحَهُ لِي غَيْرَ هَذَا الْإِيضَاحِ.

قُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْقَلْبَ يَبْقىٰ بَعْدَ ذَهَابِ الْحَوَاسِّ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ يَبْقىٰ بِغَيْرِ دَلِيلٍ عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا الْحَوَاسُّ.

قُلْتُ: أَفَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الطِّفْلَ تَضَعُهُ أُمُّهُ مُضْغَةً لَيْسَ تَدُلُّهُ الْحَوَاسُّ عَلىٰ شَيْءٍ، يُسْمَعُ وَلَا يُبْصَرُ وَلَا يُذَاقُ وَلَا يُلْمَسُ وَلَا يُشَمُّ؟

قَالَ: بَلىٰ.

قُلْتُ: فَأَيَّةُ الْحَوَاسِّ دَلَّتْهُ عَلىٰ طَلَبِ اللَّبَنِ إِذَا جَاعَ، وَالضَّحِكِ بَعْدَ الْبُكَاءِ إِذَا رَوِيَ مِنَ اللَّبَنِ؟ وَأَيُّ حَوَاسِّ سِبَاعِ الطَّيْرِ وَلَاقِطِ الْحَبِّ مِنْهَا دَلَّهَا عَلىٰ أَنْ تُلْقِيَ بَيْنَ أَفْرَاخِهَا اللَّحْمَ وَالْحَبَّ، فَتَهْوىٰ سِبَاعُهَا إِلَى اللَّحْمِ، وَالْآخَرُونَ إِلَى الْحَبِّ؟ وَأَخْبِرْنِي عَنْ فِرَاخِ طَيْرِ الْمَاءِ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ فِرَاخَ طَيْرِ الْمَاءِ إِذَا طُرِحَتْ فِيهِ سَبَحَتْ، وَإِذَا طُرِحَتْ فِيهِ فِرَاخُ طَيْرِ الْبَرِّ غَرِقَتْ، وَالْحَوَاسُّ وَاحِدَةٌ، فَكَيْفَ انْتَفَعَ بِالْحَوَاسِّ طَيْرُ الْمَاءِ وَأَعَانَتْهُ عَلَى السِّبَاحَةِ وَلَمْ تَنْتَفِعْ طَيْرُ الْبَرِّ فِي الْمَاءِ بِحَوَاسِّهَا؟ وَمَا بَالُ طَيْرِ الْبَرِّ إِذَا غَمَسْتَهَا فِي الْمَاءِ سَاعَةً مَاتَتْ؟ وَإِذَا أَمْسَكْتَ طَيْرَ الْمَاءِ عَنِ الْمَاءِ سَاعَةً مَاتَتْ؟ فَلَا أَرَى الْحَوَاسَّ فِي هَذَا إِلَّا مُنْكَسِراً عَلَيْكَ، وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ إِلَّا مِنْ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ جَعَلَ لِلْمَاءِ خَلْقاً، وَلِلْبَرِّ خَلْقاً، أَمْ أَخْبِرْنِي مَا بَالُ الذَّرَّةِ الَّتِي لَا تُعَايِنُ الْمَاءَ قَطُّ تُطْرَحُ فِي الْمَاءِ فَتَسْبَحُ، وَتَلْقَى الْإِنْسَانَ ابْنَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ أَقْوَى الرِّجَالِ وَأَعْقَلِهِمْ لَمْ يَتَعَلَّمِ السِّبَاحَةَ فَيَغْرَقُ؟ كَيْفَ لَمْ يَدُلَّهُ عَقْلُهُ وَلُبُّهُ وَتَجَارِبُهُ وَبَصَرُهُ بِالْأَشْيَاءِ مَعَ اجْتِمَاعِ حَوَاسِّهِ وَصِحَّتِهَا أَنْ يُدْرِكَ ذَلِكَ بِحَوَاسِّهِ كَمَا أَدْرَكَتْهُ الذَّرَّةُ؟ إِنْ كَانَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْقَلْبَ الَّذِي هُوَ مَعْدِنُ

الْعَقْلِ فِي الصَّبِيِّ الَّذِي وَصَفْتُ وَغَيْرِهِ مِمَّا سَمِعْتَ مِنَ الْحَيَوَانِ هُوَ الَّذِي يُهَيِّجُ الصَّبِيَّ إِلىٰ طَلَبِ الرَّضَاعِ ، وَالطَّيْرَ اللاقِطَ عَلىٰ لَقْطِ الْحَبِّ ، وَالسِّبَاعَ عَلَى ابْتِلَاعِ اللَّحْمِ ؟

قَالَ : لَسْتُ أَجِدُ الْقَلْبَ يَعْلَمُ شَيْئاً إِلّا بِالْحَوَاسِّ .

قُلْتُ : أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ إِلّا النُّزُوعَ إِلَى الْحَوَاسِّ فَإِنَّا لَنَقْبَلُ نُزُوعَكَ إِلَيْهَا بَعْدَ رَفْضِكَ لَهَا ، وَنُجِيبُكَ فِي الْحَوَاسِّ حَتّىٰ يَتَقَرَّرَ عِنْدَكَ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ إِلّا الظَّاهِرَ مِمَّا هُوَ دُونَ الرَّبِّ الْأَعْلىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ ، فَأَمَّا مَا يَخْفىٰ وَلَا يَظْهَرُ فَلَيْسَتْ تَعْرِفُهُ ، وَذٰلِكَ أَنَّ خَالِقَ الْحَوَاسِّ جَعَلَ لَهَا قَلْباً احْتَجَّ بِهِ عَلَى الْعِبَادِ ، وَجَعَلَ لِلْحَوَاسِّ الدَّلَالاتِ عَلَى الظَّاهِرِ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ ، فَنَظَرَتِ الْعَيْنُ إِلىٰ خَلْقٍ مُتَّصِلٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، فَدَلَّتِ الْقَلْبَ عَلىٰ مَا عَايَنَتْ ، وَتَفَكَّرَ الْقَلْبُ حِينَ دَلَّتْهُ الْعَيْنُ عَلىٰ مَا عَايَنَتْ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَارْتِفَاعِهَا فِي الْهَوَاءِ بِغَيْرِ عَمَدٍ يُرىٰ ، وَلَا دَعَائِمَ تُمْسِكُهَا ، لَا تُؤَخَّرُ مَرَّةً فَتَنْكَشِطَ ، وَلَا تُقَدَّمُ أُخْرىٰ فَتَزُولَ ، وَلَا تَهْبِطُ مَرَّةً فَتَدْنُوَ ، وَلَا تَرْتَفِعُ أُخْرىٰ فَتَنْأىٰ (١) ، لَا تَتَغَيَّرُ لِطُولِ الْأَمَدِ ، وَلَا تَخْلَقُ (٢) لاخْتِلَافِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَلَا تَتَدَاعىٰ مِنْهَا نَاحِيَةٌ ، وَلَا يَنْهَارُ مِنْهَا طَرَفٌ مَعَ مَا عَايَنَتْ مِنَ النُّجُومِ الْجَارِيَةِ السَّبْعَةِ الْمُخْتَلِفَةِ بِمَسِيرِهَا

(١) أي فتبعد، وفي نسخة: فتنأى فلا ترى.
(٢) أي لا تبلى ولا ترثّ.

لِدَوَرَانِ الْفَلَكِ، وَتَنَقُّلِهَا فِي الْبُرُوجِ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، وَشَهْراً بَعْدَ شَهْرٍ، وَسَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، مِنْهَا السَّرِيعُ وَمِنْهَا الْبَطِيءُ، وَمِنْهَا الْمُعْتَدِلُ السَّيْرِ، ثُمَّ رُجُوعُهَا وَاسْتِقَامَتُهَا وَأَخْذُهَا عَرْضاً وَطُولاً، وَخُنُوسُهَا عِنْدَ الشَّمْسِ وَهِيَ مُشْرِقَةٌ، وَظُهُورُهَا إِذَا غَرَبَتْ، وَجَرَى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي الْبُرُوجِ دَائِبَيْنِ، لَا يَتَغَيَّرَانِ فِي أَزْمِنَتِهِمَا وَأَوْقَاتِهِمَا، يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ يَعْرِفُ بِحِسَابٍ مَوْضُوعٍ، وَأَمْرٍ مَعْلُومٍ بِحِكْمَةٍ، يَعْرِفُ ذَوُو الْأَلْبَابِ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حِكْمَةِ الْإِنْسِ، وَلَا تَفْتِيشِ الْأَوْهَامِ، وَلَا تَقْلِيبِ التَّفَكُّرِ، فَعَرَفَ الْقَلْبُ حِينَ دَلَّتْهُ الْعَيْنُ عَلَىٰ مَا عَايَنَتْ أَنَّ لِذَلِكَ الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْأَمْرِ الْعَجِيبِ صَانِعاً يُمْسِكُ السَّمَاءَ الْمُنْطَبِقَةَ أَنْ تَهْوِيَ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَنَّ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ وَالنُّجُومَ فِيهَا خَالِقُ السَّمَاءِ، ثُمَّ نَظَرَتِ الْعَيْنُ إِلَىٰ مَا اسْتَقَلَّهَا مِنَ الْأَرْضِ فَدَلَّتِ الْقَلْبَ عَلَىٰ مَا عَايَنَتْ، فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِعَقْلِهِ أَنَّ مُمْسِكَ الْأَرْضِ الْمُمْتَدَّةِ[1] أَنْ تَزُولَ، أَوْ تَهْوِيَ فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ يَرَى الرِّيشَةَ يُرْمىٰ بِهَا فَتَسْقُطُ مَكَانَهَا، وَهِيَ فِي الْخِفَّةِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، هُوَ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ الَّتِي فَوْقَهَا، وَأَنَّهُ لَوْلَا ذَلِكَ لَخَسَفَتْ بِمَا عَلَيْهَا مِنْ ثِقْلِهَا، وَثِقْلِ الْجِبَالِ وَالْأَنَامِ وَالْأَشْجَارِ وَالْبُحُورِ وَالرِّمَالِ، فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِدَلَالَةِ الْعَيْنِ أَنَّ مُدَبِّرَ الْأَرْضِ هُوَ مُدَبِّرُ السَّمَاءِ، ثُمَّ سَمِعَتِ الْأُذُنُ صَوْتَ الرِّيَاحِ الشَّدِيدَةِ الْعَاصِفَةِ، وَاللَّيِّنَةِ الطَّيِّبَةِ، وَعَايَنَتِ الْعَيْنُ مَا يُقْلَعُ مِنْ عِظَامِ الشَّجَرِ، وَيُهْدَمُ

(١) وفي نسخة: أنّ ممسك الأرض الممهّدة.

مِنْ وَثِيقِ الْبُنْيَانِ ، وَتُسْفِي [(١)] مِنْ ثِقَالِ الرِّمَالِ ، تُخَلِّي مِنْهَا نَاحِيَةً وَتَصُبُّهَا فِي أُخْرىٰ ، بِلَا سَائِقٍ تُبْصِرُهُ الْعَيْنُ ، وَلَا تَسْمَعُهُ الْأُذُنُ ، وَلَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ ، وَلَيْسَتْ مُجَسَّدَةً تُلْمَسُ ، وَلَا مَحْدُودَةً تُعَايَنُ ، فَلَمْ تَزِدِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَسَائِرُ الْحَوَاسِّ عَلىٰ أَنْ دَلَّتِ الْقَلْبَ أَنَّ لَهَا صَانِعاً ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ يُفَكِّرُ بِالْعَقْلِ الَّذِي فِيهِ فَيَعْرِفُ أَنَّ الرِّيحَ لَمْ تَتَحَرَّكْ مِنْ تِلْقَائِهَا ، وَأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ هِيَ الْمُتَحَرِّكَةَ لَمْ تَكْفُفْ عَنِ التَّحَرُّكِ ، وَلَمْ تَهْدِمْ طَائِفَةً وَتُعْفِي أُخْرىٰ [(٢)] ، وَلَمْ تَقْلَعْ شَجَرَةً وَتَدَعُ أُخْرىٰ إِلىٰ جَنْبِهَا ، وَلَمْ تَصُبَّ أَرْضاً ، وَتَنْصَرِفُ عَنْ أُخْرىٰ ، فَلَمَّا تَفَكَّرَ الْقَلْبُ فِي أَمْرِ الرِّيحِ عَلِمَ أَنَّ لَهَا مُحَرِّكاً هُوَ الَّذِي يَسُوقُهَا حَيْثُ يَشَاءُ ، وَيُسَكِّنُهَا إِذَا شَاءَ ، وَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهَا عَمَّنْ يَشَاءُ ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَلْبُ إِلىٰ ذَلِكَ وَجَدَهَا مُتَّصِلَةً بِالسَّمَاءِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ ، فَعَرَفَ أَنَّ الْمُدَبِّرَ الْقَادِرَ عَلىٰ أَنْ يُمْسِكَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ هُوَ خَالِقُ الرِّيحِ ، وَمُحَرِّكُهَا إِذَا شَاءَ ، وَمُمْسِكُهَا كَيْفَ شَاءَ ، وَمُسَلِّطُهَا عَلىٰ مَنْ يَشَاءُ .

وَكَذَلِكَ دَلَّتِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ الْقَلْبَ عَلىٰ هَذِهِ الزَّلْزَلَةِ ، وَعَرَفَ ذَلِكَ بِغَيْرِهِمَا مِنْ حَوَاسِّهِ حِينَ حَرَّكَتْهُ ، فَلَمَّا دَلَّ الْحَوَاسُّ عَلىٰ تَحْرِيكِ هَذَا الْخَلْقِ الْعَظِيمِ مِنَ الْأَرْضِ فِي غِلَظِهَا وَثِقْلِهَا ، وَطُولِهَا وَعَرْضِهَا ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثِقْلِ الْجِبَالِ وَالْمِيَاهِ وَالْأَنَامِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا تَتَحَرَّكُ فِي نَاحِيَةٍ وَلَمْ

---

(١) سفت وأسفت الريح التراب : ذرّته أو حملته .

(٢) عفت الريح المنزل : درسته ومحته ، ويمكن أن يكون من أعفى إعفاء أي تركه .

تَتَحَرَّكُ فِي نَاحِيَةٍ أُخرىٰ (١) ، وَهِيَ مُلْتَحِمَةٌ جَسَداً وَاحِداً ، وَخَلْقاً مُتَّصِلاً ، بِلَا فَصْلٍ وَلَا وَصْلٍ ، تَهْدِمُ نَاحِيَةً وَتَخْسِفُ بِهَا ، وَتُسَلِّمُ أُخْرىٰ ، فَعِنْدَهَا عَرَفَ الْقَلْبُ أَنَّ مُحَرِّكَ مَا حُرِّكَ مِنْهَا هُوَ مُمْسِكُ مَا أُمْسِكَ مِنْهَا ، وَهُوَ مُحَرِّكُ الرِّيحِ وَمُمْسِكُهَا ، وَهُوَ مُدَبِّرُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّ الْأَرْضَ لَوْ كَانَتْ هِيَ الْمُزَلْزِلَةَ لِنَفْسِهَا لَمَا تَزَلْزَلَتْ ، وَلَمَا تَحَرَّكَتْ ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي دَبَّرَهَا وَخَلَقَهَا ، حَرَّكَ مِنْهَا مَا شَاءَ .

ثُمَّ نَظَرَتِ الْعَيْنُ إِلَى الْعَظِيمِ مِنَ الْآيَاتِ مِنَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ الدُّخَانِ لَا جَسَدَ لَهُ يُلْمَسُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، يَتَخَلَّلُ الشَّجَرَةَ فَلَا يُحَرِّكُ مِنْهَا شَيْئاً ، وَلَا يَهْصِرُ مِنْهَا غُصْناً ، وَلَا يَعْلَقُ مِنْهَا بِشَيْءٍ يَعْتَرِضُ الرُّكْبَانُ ، فَيَحُولُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مِنْ ظُلْمَتِهِ وَكَثَافَتِهِ ، وَيَحْتَمِلُ مِنْ ثِقْلِ الْمَاءِ وَكَثْرَتِهِ مَا لَا يُقْدَرُ عَلىٰ صِفَتِهِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الصَّوَاعِقِ الصَّادِعَةِ ، وَالْبُرُوقِ اللَّامِعَةِ ، وَالرَّعْدِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْجَلِيدِ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ صِفَتَهُ ، وَلَا تَهْتَدِي الْقُلُوبُ إِلىٰ كُنْهِ عَجَائِبِهِ ، فَيَخْرُجُ مُسْتَقِلّاً فِي الْهَوَاءِ ، يَجْتَمِعُ بَعْدَ تَفَرُّقِهِ (٢) ، وَيَلْتَحِمُ بَعْدَ تَزَايُلِهِ ، تُفَرِّقُهُ الرِّيَاحُ (٣) مِنَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا إِلىٰ حَيْثُ تَسُوقُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّهَا ، يَسْفُلُ مَرَّةً وَيَعْلُو أُخْرىٰ ، مُتَمَسِّكٌ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ الْكَثِيرِ الَّذِي إِذَا أَزْجَاهُ (٤)

---

(١) وفي نسخة: وإنّها تحرّك ناحية وتمسّك عن أُخرى.

(٢) وفي نسخة: ينفجر بعد تمسّكه.

(٣) وفي نسخة: تصفقه الرياح.

(٤) أزجاه أي دفعه برفق.

صَارَتْ مِنْهُ الْبُحُورُ يَمُرُّ عَلَى الْأَرَاضِي الْكَثِيرَةِ، وَالْبُلْدَانِ الْمُتَنَائِيَةِ، لَا تَنْقُصُ مِنْهُ نُقْطَةٌ (١) حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ إِلَىٰ مَا لَا يُحصىٰ مِنَ الْفَرَاسِخِ، فَيُرْسِلَ مَا فِيهِ قَطْرَةً بَعْدَ قَطْرَةٍ، وَسَيْلاً بَعْدَ سَيْلٍ مُتَتَابِعٌ عَلىٰ رِسْلِهِ، حَتَّىٰ يَنْقَعَ الْبِرَكُ (٢)، وَتَمْتَلِئَ الْفِجَاجُ، وَتَعْتَلِيَ الْأَوْدِيَةُ بِالسُّيُولِ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ، غَاصَّةً بِسُيُولِهَا، مُصَمِّخَةَ الْآذَانِ لِدَوِيِّهَا وَهَدِيرِهَا (٣)، فَتَحْيَا بِهَا الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ، فَتُصْبِحُ مُخْضَرَّةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُغْبَرَّةً، وَمُعْشِبَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُجْدِبَةً، قَدْ كُسِيَتْ أَلْوَاناً مِنْ نَبَاتِ عُشْبٍ، نَاضِرَةٍ زَاهِرَةٍ مُزَيَّنَةٍ مَعَاشاً لِلنَّاسِ وَالْأَنْعَامِ، فَإِذَا أَفْرَغَ الْغَمَامُ مَاءَهُ أَقْلَعَ وَتَفَرَّقَ وَذَهَبَ حَيْثُ لَا يُعَايَنُ، وَلَا يُدْرىٰ أَيْنَ تَوَارىٰ، فَأَدَّتِ الْعَيْنُ ذَلِكَ إِلَى الْقَلْبِ، فَعَرَفَ الْقَلْبُ أَنَّ ذَلِكَ السَّحَابَ لَوْ كَانَ بِغَيْرِ مُدَبِّرٍ، وَكَانَ مَا وَصَفْتُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، مَا احْتَمَلَ نِصْفَ ذَلِكَ مِنَ الثِّقْلِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُهُ لِمَا احْتَمَلَهُ أَلْفَيْ فَرْسَخٍ أَوْ أَكْثَرَ وَلَأَرْسَلَهُ فِيمَا هُوَ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمَا أَرْسَلَهُ قَطْرَةً بَعْدَ قَطْرَةٍ، بَلْ كَانَ يُرْسِلُهُ إِرْسَالاً، فَكَانَ يَهْدِمُ الْبُنْيَانَ، وَيُفْسِدُ النَّبَاتَ، وَلَمَا جَازَ إِلىٰ بَلَدٍ وَتَرَكَ آخَرَ دُونَهُ.

فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِأَعْلَامِ الْمُنِيرَةِ الْوَاضِحَةِ أَنَّ مُدَبِّرَ الْأُمُورِ وَاحِدٌ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً لَكَانَ فِي طُولِ هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَبَدِ وَالدَّهْرِ اخْتِلَافٌ فِي

(١) وفي نسخة: لا تقطر منه قطرة.
(٢) بكسر الباء وفتح الراء: جمع بركة، مستنقع الماء، الحوض.
(٣) وفي نسخة: ومصمّمة الآذان لدويّها وهديرها.

التَّدْبِيرِ ، وَتَنَاقُضٌ فِي الْأُمُورِ ، وَلَتَأَخَّرَ بَعْضٌ ، وَتَقَدَّمَ بَعْضٌ ، وَلَكَانَ تَسَفَّلَ بَعْضُ مَا قَدْ عَلَا ، وَلَعَلَا بَعْضُ مَا قَدْ سَفَلَ ، وَلَطَلَعَ شَيْءٌ وَغَابَ ، فَتَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهِ ، أَوْ تَقَدَّمَ مَا قَبْلَهُ ، فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِذَلِكَ أَنَّ مُدَبِّرَ الْأَشْيَاءِ مَا غَابَ مِنْهَا وَمَا ظَهَرَ ، هُوَ اللَّهُ الأَوّل خَالِقُ السَّمَاءِ وَمُمْسِكُهَا ، وَفَارِشُ الْأَرْضِ وَدَاحِيهَا ، وَصَانِعُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِمَّا عَدَدْنَا ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُحْصَ.

وَكَذَلِكَ عَايَنَتِ الْعَيْنُ اخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ دَائِبَيْنِ ، جَدِيدَيْنِ لَا يَبْلَيَانِ فِي طُولِ كَرِّهِمَا ، وَلَا يَتَغَيَّرَانِ لِكَثْرَةِ اخْتِلَافِهِمَا ، وَلَا يَنْقُصَانِ عَنْ حَالِهِمَا ، النَّهَارُ فِي نُورِهِ وَضِيَائِهِ ، وَاللَّيْلُ فِي سَوَادِهِ وَظُلْمَتِهِ ، يَلِجُ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَىٰ غَايَةٍ مَحْدُودَةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ عَلَىٰ مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَمَجْرىً وَاحِدٍ ، مَعَ سُكُونِ مَنْ يَسْكُنُ فِي اللَّيْلِ ، وَانْتِشَارِ مَنْ يَنْتَشِرُ فِي اللَّيْلِ ، وَانْتِشَارِ مَنْ يَنْتَشِرُ فِي النَّهَارِ ، وَسُكُونِ مَنْ يَسْكُنُ فِي النَّهَارِ.

ثُمَّ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ ، وَحُلُولُ أَحَدِهِمَا بِعَقِبِ الْآخَرِ ، حَتَّىٰ يَكُونَ الْحَرُّ بَرْداً وَالْبَرْدُ حَرّاً فِي وَقْتِهِ وَإِبَّانِهِ ، فَكُلُّ هَذَا مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ الْقَلْبُ عَلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِعَقْلِهِ أَنَّ مُدَبِّرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْوَاحِدُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ آلِهَةٌ مَعَهُ سُبْحَانَهُ لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ [1] ، وَلَفَسَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلىٰ صَاحِبِهِ.

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

وَكَذَلِكَ سَمِعَتِ الْأُذُنُ مَا أَنْزَلَ الْمُدَبِّرُ مِنَ الْكُتُبِ تَصْدِيقاً لِمَا أَدْرَكَتْهُ الْقُلُوبُ بِعُقُولِهَا ، وَتَوْفِيقِ اللَّهِ إِيَّاهَا ، وَمَا قَالَهُ مَنْ عَرَفَهُ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ بِلَا وَلَدٍ وَلَا صَاحِبَةٍ وَلَا شَرِيكٍ ، فَأَدَّتِ الْأُذُنُ مَا سَمِعَتْ مِنَ اللِّسَانِ بِمَقَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى الْقَلْبِ.

شرح: قوله عليه السلام: «رُبَّمَا ذَهَبَ الْحَوَاسُّ» إمّا بالنوم ـ كما سيأتي ـ أو بآفة ، فإنّ العقل لا محالة يدلّه على أن يشير إلى بعض ما يصلحه ، ويطلب ما يقيمه بأيّ وجه كان ، على أنّ ذهاب الحواسّ الخمس لا ينافي بقاء النطق.

قوله عليه السلام: «إِلّا النُّزُوعَ إِلَى الْحَوَاسِّ» أي الاشتياق إليها.

والحاصل: أنّا نوافقك ونستدلّ لك بما تدلّ عليه الحواسّ وإن كنت رفضتها وتركتها وسلّمت فيما مضى كونها معزولة عن بعض الأشياء فنقول: إنّ حكم العقل بوجود الصانع إنّما هو من جهة ما دلّته الحواسّ عليه ممّا نشاهده من آثار صنعه تعالى.

قوله عليه السلام: «فَتَنْكَشِطَ» الانكشاط: الانكشاف، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ ﴾ (١) أي قلعت كما يقلع السقف.

ولعلّ المراد بالتأخّر تأخّر ما يحاذي رؤوسنا بحيث يرى ما وراءه ، وبالتقدّم أن يتحرّك جميعها حركة أينيّة حتّى يخرج من بينها.

ويحتمل أن يكون المراد فيهما معاً ، أمّا الأوّل أو الثاني ، ويكون التعبير عن أحدهما بالانكشاط ، وعن الآخر بالزوال لمحض تفنّن

بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ سورة المؤمنون: ٩١.

(١) سورة التكوير: ١١.

العبارة ، وعلى التقادير المراد بالزوال الزوال عنّا وعن محاذاتنا .

قوله عليه السلام : « وَلَا تَتَدَاعىٰ » قال الجوهريّ : تداعت الحيطان للخراب أي تهادمت . وقال : انهار أي انهدم .

قوله عليه السلام : « ثُمَّ رُجُوعُهَا » إشارة إلى ما يعرض للمتحيّرة من الرجعة والاستقامة والإقامة .

وقوله عليه السلام : « وَأَخْذُهَا عَرْضاً وَطُولاً » إشارة إلى كونها تارة عن جنوب المعدل ، وتارة عن شمالها ، وكون بعضها تارة عن جنوب منطقة البروج ، وتارة عن شمالها ، وإلى حركة المائل في السفليين ، وعرض الوراب ، والانحراف والاستواء فيهما (١) ، وإلى ميل الذروة والحضيض في المتحيّرة ، وخنوسها : غيبتها واستتارها تحت شعاع الشمس .

قوله عليه السلام : « الْمُنْطَبِقَة » أي المحيطة بجميع الخلق ، وفي بعض النسخ : المظلّة ، و« اسْتَقَلَّهَا » أي حملها ورفعها .

قوله عليه السلام : « مُتَّصِلَةً بِالسَّمَاءِ » أي داخلة في ذلك النظام شبيهة بها فيه .

قوله عليه السلام : « يُلْمَسُ بِشَيْءٍ » لعلّ المراد الاصطكاك الذي يحصل منه صوت ، وفي بعض النسخ : كشيء ، ويحتمل أن يكون تصحيف يشبه بشيء .

وقال الفيروزآباديّ : الهصر : الجذب ، والإمالة ، والكسر ، والدفع ، والإدناء ، وعطف شيء رطب كغصن ونحوه وكسره من غير بينونة ، وقال : « الْجَلِيد » ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد ، انتهى .

---

(١) في نسخة : وعرض الوراب والانحراف والالتواء فيهما .

وقوله عليه السلام: «أَزْجَاهُ» أي دفعه.

والرسل ـ بالكسر ـ: التأنّي والرفق، و«يَنْقَعَ» بالياء على المعلوم، أو بالتاء على المجهول، و«الْبِرَكَ» ـ كعنب ـ: جمع بركة، وهي معروفة، و«الْفِجَاجِ» ـ بالضمّ ـ: الطريق الواسع بين جبلين، وبالكسر جمع الفجّ بمعناه، والاعتلاء: الارتفاع.

وقوله عليه السلام: «غَاصَّةً» أي ممتلئة والمصمّخة لعلّها مشتقّة من الصماخ، أي تؤذّي الصماخ، والأظهر مصمّمة.

قوله عليه السلام: «مِنْ نَبَاتٍ» بالإضافة على أن يكون مصدراً، أو بالتنوين ليكون «عُشْبٍ» بدل بعض له، والإقلاع عن الأمر: الكفّ عنه، والكرّ: الرجوع.

قوله عليه السلام: «مَعَ سُكُونِ مَنْ يَسْكُنُ فِي اللَّيْلِ» أي جعل في معظم المعمورة طول كلّ منهما وقصره على حدّ محدود لا يتجاوزه، لئلّا تفوت مصلحة كلّ منهما من السكون في الليل، والانتشار في النهار، ويحتمل أن يكون إشارة إلى أصل الحكمة في حصول الليل والنهار.

قوله عليه السلام: «وَانْتِشَارِ مَنْ يَنْتَشِرُ فِي اللَّيْلِ» كالخفّاش والبعوضة، وسائر ما ينتشر في الليل من الهوام، وكالخائف والمسافر الذي تصلحه حركة الليل.

قوله: «لَذَهَبَ» أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كلّ إله منهم بما خلقه، واستبدّ به، وامتاز ملكه عن ملك الآخرين، ووقع بينهم التجاذب والتغالب، كما هو حال ملوك الدنيا؛ إذ يستحيل كونهما واجبين كاملين، وهذا شأن الناقص، ويحتمل أن يكون الغرض نفي الآلهة الناقصة

الممكنة التي جعلوها شريكاً للواجب تعالى شأنه ، وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد .

وفي بعض النسخ هكذا: ولعلا بعضهم على بعض ، ولأفسد كل واحد منهم على صاحبه ، وكذلك سمعت الأذن ما أنزل أنزل الله من كتبه على ألسن أنبيائه تصديقاً لما أدركته العقول بتوفيق اللّه إيّاها ، وعونه لها ، إذا أرادت ما عنده أنّه الأوّل لا شبيه له ، ولا مثل له ، ولا ضدّ له ، ولا تحيط به العيون ، ولا تدركه الأوهام كيف هو ؛ لأنّه لا كيف له ، وإنّما الكيف للمكيّف المخلوق المحدود المحدث غير أنا نوقن أنّه معروف بخلقه ، موجود بصنعه ، فتبارك اللّه وتعالى اسمه ، لا شريك له ، فعرف القلب بعقله أنّه لو كان معه شريك كان ضعيفاً ناقصاً ، ولو كان ناقصاً ما خلق الإنسان ، ولاختلفت التدابير ، وانتقضت الأُمور مع النقص الذي يوصف به الأرباب المتفرّدون ، والشركاء المتعانتون .

متن: فَقَالَ: قَدْ أَتَيْتَنِي مِنْ أَبْوَابٍ لَطِيفَةٍ بِمَا لَمْ يَأْتِنِي بِهِ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، إِلّا أَنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي مِنْ تَرْكِ مَا فِي يَدِي إِلّا الْإِيضَاحُ وَالْحُجَّةُ الْقَوِيَّةُ بِمَا وَصَفْتَ لِي وَفَسَّرْتَ .

قُلْتُ: أَمَّا إِذَا حَجَبْتَ عَنِ الْجَوَابِ (١) ، وَاخْتَلَفَ مِنْكَ الْمَقَالُ ، فَسَيَأْتِيكَ مِنَ الدَّلَالَةِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ خَاصَّةً مَا يَسْتَبِينُ لَكَ أَنَّ الْحَوَاسَّ لَا تَعْرِفُ شَيْئاً إِلّا بِالْقَلْبِ ، فَهَلْ رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ أَنَّكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ حَتّىٰ وَصَلَتْ لَذَّةُ ذَلِكَ إِلىٰ قَلْبِكَ ؟

---

(١) في نسخة: أمّا إذ حجبت عن الجواب.

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَهَلْ رَأَيْتَ أَنَّكَ تَضْحَكُ وَتَبْكِي، وَتَجُولُ فِي الْبُلْدَانِ الَّتِي لَمْ تَرَهَا وَالَّتِي قَدْ رَأَيْتَهَا، حَتَّىٰ تَعْلَمَ مَعَالِمَ مَا رَأَيْتَ مِنْهَا؟

قَالَ: نَعَمْ، مَا لَا أُحْصِي.

قُلْتُ: هَلْ رَأَيْتَ أَحَداً مِنْ أَقَارِبِكَ ـ مِنْ أَخٍ، أَوْ أَبٍ، أَوْ ذِي رَحِمٍ ـ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَعْلَمَهُ وَتَعْرِفَهُ كَمَعْرِفَتِكَ إِيَّاهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ؟

قَالَ: أَكْثَرَ مِنَ الْكَثِيرِ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي أَيُّ حَوَاسِّكَ أَدْرَكَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فِي مَنَامِكَ حَتَّىٰ دَلَّتْ قَلْبَكَ عَلَىٰ مُعَايَنَةِ الْمَوْتَىٰ، وَكَلَامِهِمْ، وَأَكْلِ طَعَامِهِمْ، وَالْجَوَلَانِ فِي الْبُلْدَانِ، وَالضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؟

قَالَ: مَا أَقْدِرُ أَنْ أَقُولَ لَكَ أَيُّ حَوَاسِّي أَدْرَكَ ذَلِكَ، أَوْ شَيْئاً مِنْهُ، وَكَيْفَ تُدْرِكُ وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ؟

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي حَيْثُ اسْتَيْقَظْتَ، أَلَسْتَ قَدْ ذَكَرْتَ الَّذِي رَأَيْتَ فِي مَنَامِكَ تَحْفَظُهُ، وَتَقُصُّهُ بَعْدَ يَقَظَتِكَ عَلَىٰ إِخْوَانِكَ لَا تَنْسَىٰ مِنْهُ حَرْفاً؟

قَالَ: إِنَّهُ كَمَا تَقُولُ، وَرُبَّمَا رَأَيْتُ الشَّيْءَ فِي مَنَامِي، ثُمَّ لَا أُمْسِي حَتَّىٰ أَرَاهُ فِي يَقَظَتِي كَمَا رَأَيْتُهُ فِي مَنَامِي.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي أَيُّ حَوَاسِّكَ قَرَّرَتْ عِلْمَ ذَلِكَ فِي قَلْبِكَ حَتَّىٰ ذَكَرْتَهُ

بَعْدَ مَا اسْتَيْقَظْتَ؟

قَالَ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا دَخَلَتْ فِيهِ الْحَوَاسُّ.

قُلْتُ: أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ حَيْثُ بَطَلَتِ الْحَوَاسُّ فِي هَذَا أَنَّ الَّذِي عَايَنَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ وَحَفِظَهَا فِي مَنَامِكَ قَلْبُكَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ الْعَقْلَ الَّذِي احْتَجَّ بِهِ عَلَى الْعِبَادِ؟

قَالَ: إِنَّ الَّذِي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي لَيْسَ بِشَيْءٍ، إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ الَّذِي يُعَايِنُهُ صَاحِبُهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ، لَا يَشُكُّ فِيهِ أَنَّهُ مَاءٌ، فَإِذَا انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَكَانِهِ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً، فَمَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي فَبِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ.

قُلْتُ: كَيْفَ شَبَّهْتَ السَّرَابَ بِمَا رَأَيْتَ فِي مَنَامِكَ مِنْ أَكْلِكَ الطَّعَامَ الْحُلْوَ وَالْحَامِضَ، وَمَا رَأَيْتَ مِنَ الْفَرَحِ وَالْحَزَنِ؟

قَالَ: لِأَنَّ السَّرَابَ حَيْثُ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مَوْضِعِهِ صَارَ لَا شَيْءَ، وَكَذَلِكَ صَارَ مَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي حِينَ انْتَبَهْتُ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي إِنْ أَتَيْتُكَ بِأَمْرٍ وَجَدْتَ لَذَّتَهُ فِي مَنَامِكَ، وَخَفَقَ لِذَلِكَ قَلْبُكَ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ لَكَ؟

قَالَ: بَلَىٰ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي هَلِ احْتَلَمْتَ قَطُّ حَتَّىٰ قَضَيْتَ فِي امْرَأَةٍ نَهْمَتَكَ[1]، عَرَفْتَهَا أَمْ لَمْ تَعْرِفْهَا؟

(١) قضى منه نهمته أي شهوته.

قَالَ: بَلىٰ ، مَا لَا أُحْصِيهِ.

قُلْتُ: أَلَسْتَ وَجَدْتَ لِذَلِكَ لَذَّةً عَلىٰ قَدْرِ لَذَّتِكَ فِي يَقَظَتِكَ ، فَتَنْتَبِهَ وَقَدْ أَنْزَلْتَ الشَّهْوَةَ حَتّىٰ تَخْرُجَ مِنْكَ بِقَدْرِ مَا تَخْرُجُ مِنْكَ فِي الْيَقَظَةِ؟ هَذَا كَسْرٌ لِحُجَّتِكَ فِي السَّرَابِ.

قَالَ: مَا يَرَى الْمُحْتَلِمُ فِي مَنَامِهِ شَيْئاً إِلّا مَا كَانَتْ حَوَاسُّهُ دَلَّتْ عَلَيْهِ فِي الْيَقَظَةِ.

قُلْتُ: مَا زِدْتَ عَلىٰ أَنْ قَوَّيْتَ مَقَالَتِي وَزَعَمْتَ أَنَّ الْقَلْبَ يَعْقِلُ الْأَشْيَاءَ وَيَعْرِفُهَا بَعْدَ ذَهَابِ الْحَوَاسِّ وَمَوْتِهَا ، فَكَيْفَ أَنْكَرْتَ أَنَّ الْقَلْبَ يَعْرِفُ الْأَشْيَاءَ وَهُوَ يَقْظَانُ مُجْتَمِعَةٌ لَهُ حَوَاسُّهُ؟ وَمَا الَّذِي عَرَّفَهُ إِيَّاهَا بَعْدَ مَوْتِ الْحَوَاسِّ وَهُوَ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ؟ وَلَكُنْتَ حَقِيقاً أَنْ لَا تُنْكِرَ لَهُ الْمَعْرِفَةَ وَحَوَاسُّهُ حَيَّةٌ مُجْتَمِعَةٌ إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الامْرَأَةِ بَعْدَ ذَهَابِ حَوَاسِّهِ حَتّىٰ نَكَحَهَا وَأَصَابَ لَذَّتَهُ مِنْهَا ، فَيَنْبَغِي لِمَنْ يَعْقِلُ ـ حَيْثُ وَصَفَ الْقَلْبَ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِالْأَشْيَاءِ وَالْحَوَاسُّ ذَاهِبَةٌ ـ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ الْقَلْبَ مُدَبِّرُ الْحَوَاسِّ ، وَمَالِكُهَا ، وَرَائِسُهَا (١) ، وَالْقَاضِي عَلَيْهَا ، فَإِنَّهُ مَا جَهِلَ الْإِنْسَانُ مِنْ شَيْءٍ فَمَا يَجْهَلُ أَنَّ الْيَدَ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْعَيْنِ أَنْ تَقْلَعَهَا ، وَلَا عَلَى اللِّسَانِ أَنْ تَقْطَعَهُ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ يَقْدِرُ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَاسِّ أَنْ يَفْعَلَ بِشَيْءٍ مِنَ الْجَسَدِ شَيْئاً بِغَيْرِ إِذْنِ الْقَلْبِ وَدَلَالَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ

(١) الرائس: الوالي ، في مقابلة المرءوس للمستولّى عليه.

جَعَلَ الْقَلْبَ مُدَبِّراً لِلْجَسَدِ، بِهِ يَسْمَعُ، وَبِهِ يُبْصِرُ، وَهُوَ الْقَاضِي وَالْأَمِيرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَتَقَدَّمُ الْجَسَدُ إِنْ هُوَ تَأَخَّرَ، وَلَا يَتَأَخَّرُ إِنْ هُوَ تَقَدَّمَ، وَبِهِ سَمِعَتِ الْحَوَاسُّ، وَأَبْصَرَتْ إِنْ أَمَرَهَا ائْتَمَرَتْ، وَإِنْ نَهَاهَا انْتَهَتْ، وَبِهِ يَنْزِلُ الْفَرَحُ وَالْحَزَنُ، وَبِهِ يَنْزِلُ الْأَلَمُ، إِنْ فَسَدَ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَاسِّ بَقِيَ عَلَىٰ حَالِهِ، وَإِنْ فَسَدَ الْقَلْبُ ذَهَبَ جَمِيعاً حَتَّىٰ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ.

قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّكَ لَا تَتَخَلَّصُ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدْ جِئْتَ بِشَيْءٍ لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ رَدِّهِ.

قُلْتُ: وَأَنَا أُعْطِيكَ تَصَادِيقَ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ، وَمَا رَأَيْتَ فِي مَنَامِكَ فِي مَجْلِسِكَ السَّاعَةَ.

قَالَ: افْعَلْ، فَإِنِّي قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

قُلْتُ: أَخْبِرْنِي هَلْ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْ تِجَارَةٍ، أَوْ صِنَاعَةٍ، أَوْ بِنَاءٍ، أَوْ تَقْدِيرِ شَيْءٍ، وَتَأْمُرُ بِهِ إِذَا أَحْكَمْتَ تَقْدِيرَهُ فِي ظَنِّكَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَهَلْ أَشْرَكْتَ قَلْبَكَ فِي ذَلِكَ الْفِكْرِ شَيْئاً مِنْ حَوَاسِّكَ؟

قَالَ: لَا.

قُلْتُ: أَفَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أَخْبَرَكَ بِهِ قَلْبُكَ حَقٌّ؟ قَالَ: الْيَقِينُ هُوَ، فَزِدْنِي مَا يُذْهِبُ الشَّكَّ عَنِّي، وَيُزِيلُ الشُّبَهَ مِنْ قَلْبِي.

شرح: خفق القلب: اضطرابه، والنهمة: بلوغ الهمّة في الشيء، والنهم ـبالتحريك ـ: إفراط الشهوة في الطعام.

أقول: قد عرفت أنّ القلب يطلق في مصطلح الأخبار على النفس الناطقة، ولمّا كان السائل منكراً لإدراك ما سوى الحواسّ الظاهرة نبّهه عليه السلام على خطائه بمدركات الحواسّ الباطنة التي هي آلات النفس.

أَقُولُ: ذَكَرَ السَّيِّدُ ابْنُ طَاوُسٍ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي كِتَابِ النُّجُومِ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ جُمْلَةً لَيْسَتْ فِيمَا عِنْدَنَا مِنَ النُّسَخِ، فَلْنَذْكُرْهَا:

قُلْتُ: أَخْبِرْنِي هَلْ يَعْرِفُ أَهْلُ بِلَادِكَ عِلْمَ النُّجُومِ؟

قَالَ: إِنَّكَ لَغَافِلٌ عَنْ عِلْمِ أَهْلِ بِلَادِي بِالنُّجُومِ.

قُلْتُ: وَمَا بَلَغَ مِنْ عِلْمِهِمْ بِهَا؟

فَقَالَ: إِنَّا نُخْبِرُكَ عَنْ عِلْمِهِمْ بِخَصْلَتَيْنِ تَكْتَفِي بِهِمَا عَمَّا سِوَاهُمَا.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي، وَلَا تُخْبِرْنِي إِلَّا بِحَقٍّ.

قَالَ: بِدِينِي لَا أُخْبِرُكَ إِلَّا بِحَقٍّ وَبِمَا عَايَنْتُ.

قُلْتُ: هَاتِ.

قَالَ: أَمَّا إِحْدَى الْخَصْلَتَيْنِ: فَإِنَّ مُلُوكَ الْهِنْدِ لَا يَتَّخِذُونَ إِلَّا الْخِصْيَانَ، قُلْتُ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مُنَجِّماً حَاسِباً، فَإِذَا أَصْبَحَ أَتَى بَابَ الْمَلِكِ فَقَاسَ الشَّمْسَ وَحَسَبَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا يَحْدُثُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ،

وَمَا حَدَثَ فِي لَيْلَتِهِ الَّتِي كَانَ فِيهَا ، فَإِنْ كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِ قَارَفَتْ شَيْئاً يَكْرَهُهُ أَخْبَرَهُ فقَالَ: فُلَانٌ قَارَفَ كَذَا وَكَذَا مَعَ فُلَانَةَ ، وَيَحْدُثُ فِي هَـذَا الْيَوْمِ كَذَا وَكَذَا.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْخَصْلَةِ الْأُخْرىٰ؟

قَالَ: قَوْمٌ بِالْهِنْدِ بِمَنْزِلَةِ الْخَنَّاقِينَ عِنْدَكُمْ ، يَقْتُلُونَ النَّاسَ بِلَا سِلَاحٍ وَلَا خَنْقٍ ، وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ.

قُلْتُ: وَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟

قَالَ: يَخْرُجُونَ مَعَ الرِّفْقَةِ وَالتُّجَّارِ بِقَدْرِ مَا فِيهَا مِنَ الرَّجَّالَةِ ، فَيَمْشُونَ مَعَهُمْ أَيَّاماً لَيْسَ مَعَهُمْ سِلَاحٌ ، وَيُحَدِّثُونَ الرِّجَالَ وَيَحْسُبُونَ حِسَابَ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ ، فَإِذَا عَرَفَ أَجْمَعُهُمْ مَوْضِعَ النَّفْسِ مِنْ صَاحِبِهِ وَكَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ الَّذِي حَسَبَ بِهِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، فَيَقَعُ جَمِيعُ التُّجَّارِ مَوْتىٰ.

قُلْتُ: إِنَّ هَذَا أَرْفَعُ مِنَ الْبَابِ الأوّل إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقّاً؟

قَالَ: أَحْلِفُ لَكَ بِدِينِي أَنَّهُ حَقٌّ ، وَلَرُبَّمَا رَأَيْتُ بِبِلَادِ الْـهِنْدِ قَـدْ أُخِـذَ بَعْضُهُمْ وَأُمِرَ بِقَتْلِهِ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ هَذَا حَتَّى اطَّلَعُوا عَلَيْهِ؟

قَالَ: بِحِسَابِ النُّجُومِ.

قُلْتُ: فَمَا سَمِعْتُ كَهَذَا عِلْماً قَطُّ، وَمَا أَشُكُّ أَنَّ وَاضِعَهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، فَأَخْبِرْنِي مَنْ وَضَعَ هَذَا الْعِلْمَ الدَّقِيقَ الَّذِي لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا بِالْعُقُولِ، وَلَا بِالْفِكْرِ؟

قَالَ: حِسَابُ النُّجُومِ وَضَعَتْهُ الْحُكَمَاءُ، وَتَوَارَثَهُ النَّاسُ (١).

متن: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي هَلْ يَعْلَمُ أَهْلُ بِلَادِكَ عِلْمَ النُّجُومِ؟ قَالَ: إِنَّكَ لَغَافِلٌ عَنْ عِلْمِ أَهْلِ بِلَادِي بِالنُّجُومِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ.

قُلْتُ: أَخْبِرْنِي كَيْفَ وَقَعَ عِلْمُهُمْ بِالنُّجُومِ وَهِيَ مِمَّا لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا بِالْفِكْرِ؟

قَالَ: حِسَابٌ وَضَعَتْهُ الْحُكَمَاءُ وَتَوَارَثَتْهُ النَّاسُ، فَإِذَا سَأَلْتَ الرَّجُلَ مِنْهُمْ عَنْ شَيْءٍ قَاسَ الشَّمْسَ، وَنَظَرَ فِي مَنَازِلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمَا لِلطَّالِعِ مِنَ النُّحُوسِ، وَمَا لِلْبَاطِنِ مِنَ السُّعُودِ، ثُمَّ يَحْسُبُ وَلَا يُخْطِئُ، وَيُحْمَلُ إِلَيْهِ الْمَوْلُودُ فَيَحْسُبُ لَهُ، وَيُخْبِرُ بِكُلِّ عَلَامَةٍ فِيهِ بِغَيْرِ مُعَايَنَةٍ، وَمَا هُوَ مُصِيبُهُ إِلَىٰ يَوْمِ يَمُوتُ.

قُلْتُ: كَيْفَ دَخَلَ الْحِسَابُ فِي مَوَالِيدِ النَّاسِ؟

قَالَ: لِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِنَّمَا يُولَدُونَ بِهَذِهِ النُّجُومِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ هَذَا الْحِسَابُ، فَمِنْ ثَمَّ لَا يُخْطِئُ إِذَا عَلِمَ السَّاعَةَ وَالْيَوْمَ وَالشَّهْرَ وَالسَّنَةَ

---

(١) إلى هنا انتهى ما يختصّ به كتاب النجوم، ويشترك سائر النسخ من قوله: فإذا سألت الرجل منهم ....

الَّتِي يُولَدُ فِيهَا الْمَوْلُودُ.

قُلْتُ: لَقَدْ تَوَصَّفْتَ عِلْماً عَجِيباً (١) لَيْسَ فِي عِلْمِ الدُّنْيَا أَدَقُّ مِنْهُ وَلَا أَعْظَمُ إِنْ كَانَ حَقّاً كَمَا ذَكَرْتَ، يُعْرَفُ بِهِ الْمَوْلُودُ الصَّبِيُّ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْعَلَامَاتِ، وَمُنْتَهىٰ أَجَلِهِ، وَمَا يُصِيبُهُ فِي حَيَاتِهِ، أَوَلَيْسَ هَذَا حِسَاباً تُولَدُ بِهِ جَمِيعُ أَهْلِ الدُّنْيَا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ؟

قَالَ: لَا أَشُكُّ فِيهِ.

قُلْتُ: فَتَعَالَ نَنْظُرْ بِعُقُولِنَا كَيْفَ عَلِمَ النَّاسُ هَذَا الْعِلْمَ؟ وَهَلْ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ لِبَعْضِ النَّاسِ إِذَا كَانَ جَمِيعُ النَّاسِ يُولَدُونَ بِهَذِهِ النُّجُومِ؟ وَكَيْفَ عَرَفَهَا بِسُعُودِهَا وَنُحُوسِهَا، وَسَاعَاتِهَا وَأَوْقَاتِهَا، وَدَقَائِقِهَا وَدَرَجَاتِهَا، وَبَطِيئِهَا وَسَرِيعِهَا، وَمَوَاضِعِهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَمَوَاضِعِهَا تَحْتَ الْأَرْضِ، وَدَلَالَتِهَا عَلىٰ غَامِضِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي وَصَفْتَ فِي السَّمَاءِ، وَمَا تَحْتَ الْأَرْضِ، فَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْبُرُوجِ فِي السَّمَاءِ، وَبَعْضَهَا تَحْتَ الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ السَّبْعَةُ، مِنْهَا تَحْتَ الْأَرْضِ، وَمِنْهَا فِي السَّمَاءِ، فَمَا يَقْبَلُ عَقْلِي أَنَّ مَخْلُوقاً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ قَدَرَ عَلىٰ هَذَا؟

قَالَ: وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ هَذَا؟

قُلْتُ: إِنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ إِنَّمَا يَتَوَالَدُونَ بِهَذِهِ النُّجُومِ، فَأَرَى الْحَكِيمَ الَّذِي وَضَعَ هَذَا الْحِسَابَ بِزَعْمِكَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الدُّنْيَا،

---

(١) وفي نسخة: لقد وصفت علماً عجيباً.

وَلَا شَكَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَنَّهُ وُلِدَ بِبَعْضِ هَذِهِ النُّجُومِ وَالسَّاعَاتِ وَالْحِسَابِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ إِلّا أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَكِيمَ لَمْ يُولَدْ بِهَذِهِ النُّجُومِ كَمَا وُلِدَ سَائِرُ النَّاسِ.

قَالَ: وَهَلْ هَذَا الْحَكِيمُ إِلّا كَسَائِرِ النَّاسِ؟

قُلْتُ: أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَدُلَّكَ عَقْلُكَ عَلىٰ أَنَّهَا قَدْ خُلِقَتْ قَبْلَ هَذَا الْحَكِيمِ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّهُ وَضَعَ هَذَا الْحِسَابَ؟ وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّهُ وُلِدَ بِبَعْضِ هَذِهِ النُّجُومِ، قَالَ: بَلىٰ.

قُلْتُ: فَكَيْفَ اهْتَدىٰ لِوَضْعِ هَذِهِ النُّجُومِ؟ وَهَلْ هَذَا الْعِلْمُ إِلّا مِنْ مُعَلِّمٍ كَانَ قَبْلَهُمَا، وَهُوَ الَّذِي أَسَّسَ هَذَا الْحِسَابَ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّهُ أَسَاسُ الْمَوْلُودِ، وَالْأَسَاسُ أَقْدَمُ مِنَ الْمَوْلُودِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّهُ وَضَعَ هَذَا إِنَّمَا يَتْبَعُ أَمْرَ مُعَلِّمٍ هُوَ أَقْدَمُ مِنْهُ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ مَوْلُوداً بِبَعْضِ هَذَا النُّجُومِ، وَهُوَ الَّذِي أَسَّسَ هَذِهِ الْبُرُوجَ الَّتِي وُلِدَ بِهَا غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَوَاضِعُ الْأَسَاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَقْدَمَ مِنْهَا، هَبْ أَنَّ هَذَا الْحَكِيمَ عُمِّرَ مُذْ كَانَتِ الدُّنْيَا عَشَرَةَ أَضْعَافٍ، هَلْ كَانَ نَظَرُهُ فِي هَذِهِ النُّجُومِ إِلّا كَنَظَرِكَ إِلَيْهَا مُعَلَّقَةً فِي السَّمَاءِ؟ أَوَتَرَاهُ كَانَ قَادِراً عَلَى الدُّنُوِّ مِنْهَا وَهِيَ فِي السَّمَاءِ حَتّىٰ يَعْرِفَ مَنَازِلَهَا وَمَجَارِيَهَا، نُحُوسَهَا وَسُعُودَهَا، وَدَقَائِقَهَا، وَبِأَيَّتِهَا تَكْسِفُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَبِأَيَّتِهَا يُولَدُ كُلُّ مَوْلُودٍ، وَأَيُّهَا السَّعْدُ وَأَيُّهَا النَّحْسُ، وَأَيُّهَا الْبَطِيءُ وَأَيُّهَا السَّرِيعُ، ثُمَّ يَعْرِفُ بَعْدَ ذَلِكَ سُعُودَ سَاعَاتِ النَّهَارِ

وَنُحُوسَهَا ، وَأَيُّهَا السَّعْدُ وَأَيُّهَا النَّحْسُ ، وَكَمْ سَاعَةٍ يَمْكُثُ كُلُّ نَجْمٍ مِنْهَا تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَفِي أَيِّ سَاعَةٍ تَغِيبُ ، وَأَيِّ سَاعَةٍ تَطْلُعُ ، وَكَمْ سَاعَةً يَمْكُثُ طَالِعاً ، وَفِي أَيِّ سَاعَةٍ تَغِيبُ ، وَكَمِ اسْتَقَامَ لِرَجُلٍ حَكِيمٍ كَمَا زَعَمْتَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ السَّمَاءِ مِمَّا لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْفِكْرُ ، وَلَا يَخْطُرُ عَلَى الْأَوْهَامِ ؟ وَكَيْفَ اهْتَدىٰ أَنْ يَقِيسَ الشَّمْسَ حَتّىٰ يَعْرِفَ فِي أَيِّ بُرْجٍ ؟ وَفِي أَيِّ بُرْجِ الْقَمَرُ ؟ وَفِي أَيِّ بُرْجٍ مِنَ السَّمَاءِ هَذِهِ السَّبْعَةُ السُّعُودُ وَالنُّحُوسُ ؟ وَمَا الطَّالِعُ مِنْهَا وَمَا الْبَاطِنُ ؟ وَهِيَ مُعَلَّقَةٌ فِي السَّمَاءِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، لَا يَرَاهَا إِذَا تَوَارَتْ بِضَوْءِ الشَّمْسِ ، إِلَّا أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ هَذَا الْحَكِيمَ الَّذِي وَضَعَ هَذَا الْعِلْمَ قَدْ رَقِيَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا الْعَالِمَ لَمْ يَقْدِرْ عَلىٰ هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا بِمَنْ فِي السَّمَاءِ ؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ عِلْمِ أَهْلِ الْأَرْضِ .

قَالَ : مَا بَلَغَنِي أَنَّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ رَقِيَ إِلَى السَّمَاءِ .

قُلْتُ : فَلَعَلَّ هَذَا الْحَكِيمَ فَعَلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَبْلُغْكَ ؟

قَالَ : وَلَوْ بَلَغَنِي مَا كُنْتُ مُصَدِّقاً .

قُلْتُ : فَأَنَا أَقُولُ قَوْلَكَ ، هَبْهُ رَقِيَ إِلَى السَّمَاءِ ، هَلْ كَانَ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَجْرِيَ مَعَ كُلِّ بُرْجٍ مِنْ هَذِهِ الْبُرُوجِ ، وَنَجْمٍ مِنْ هَذِهِ النُّجُومِ ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ إِلىٰ حَيْثُ يَغِيبُ ، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى الْآخَرِ حَتّىٰ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتّىٰ يَأْتِيَ عَلىٰ آخِرِهَا ، فَإِنَّ مِنْهَا مَا يَقْطَعُ السَّمَاءَ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَمِنْهَا مَا

يَقْطَعُ دُونَ ذَلِكَ ، وَهَلْ كَانَ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَجُولَ فِي أَقْطَارِ السَّمَاءِ حَتّىٰ يَعْرِفَ مَطَالِعَ السُّعُودِ مِنْهَا وَالنُّحُوسِ ، وَالْبَطِيءَ وَالسَّرِيعَ ، حَتّىٰ يُحْصِيَ ذَلِكَ ؟ أَوْ هَبْهُ قَدَرَ عَلىٰ ذَلِكَ حَتّىٰ فَرَغَ مِمَّا فِي السَّمَاءِ ، هَلْ كَانَ يَسْتَقِيمُ لَهُ حِسَابُ مَا فِي السَّمَاءِ حَتّىٰ يُحْكِمَ حِسَابَ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَحْتَهَا ؟ وَأَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ مِثْلَ مَا قَدْ عَايَنَ فِي السَّمَاءِ ؛ لِأَنَّ مَجَارِيَهَا تَحْتَ الْأَرْضِ عَلىٰ غَيْرِ مَجَارِيهَا فِي السَّمَاءِ ؟ فَلَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ عَلىٰ إِحْكَامِ حِسَابِهَا ، وَدَقَائِقِهَا وَسَاعَاتِهَا ، إِلّا بِمَعْرِفَةِ مَا غَابَ عَنْهُ تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْهَا ؛ لِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ أَيَّ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ يَطْلُعُ طَالِعُهَا ، وَكَمْ يَمْكُثُ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَأَيَّةَ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ يَغِيبُ غَائِبُهَا ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَايِنُهَا ، وَلَا مَا طَلَعَ مِنْهَا ، وَلَا مَا غَابَ ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْعَالِمُ بِهَا وَاحِداً ، وَإِلّا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحِسَابِ .

أَلَا تَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ الْحَكِيمَ قَدْ دَخَلَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرَضِينَ وَالْبِحَارِ فَسَارَ مَعَ النُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي مَجَارِيهَا عَلىٰ قَدْرِ مَا سَارَ فِي السَّمَاءِ حَتّىٰ عَلِمَ الْغَيْبَ مِنْهَا ؟ وَعَلِمَ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ عَلىٰ قَدْرِ مَا عَايَنَ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ ؟

قَالَ : وَهَلْ أَرَيْتَنِي أَجَبْتُكَ إِلىٰ أَنَّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ رَقِيَ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَرَ عَلىٰ ذَلِكَ حَتّىٰ أَقُولَ : إِنَّهُ دَخَلَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرَضِينَ وَالْبُحُورِ ؟

قُلْتُ: فَكَيْفَ وَقَعَ هَذَا الْعِلْمُ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّ الْحُكَمَاءَ مِنَ النَّاسِ وَضَعُوهُ؟ وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَوْلُودُونَ بِهِ؟ وَكَيْفَ عَرَفُوا ذَلِكَ الْحِسَابَ وَهُوَ أَقْدَمُ مِنْهُمْ؟

أقول: في نسخة السيّد ابن طاوس هاهنا زيادة.

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُلْتُ لَكَ: إِنَّ الْبُرُوجَ لَمْ تَزَلْ، وَهِيَ الَّتِي خَلَقَتْ أَنْفُسَهَا عَلَىٰ هَذَا الْحِسَابِ، مَا الَّذِي تَرُدُّ عَلَيَّ (١)؟

قُلْتُ: أَسْأَلُكَ كَيْفَ يَكُونُ بَعْضُهَا سَعْداً وَبَعْضُهَا نَحْساً؟ وَبَعْضُهَا مُضِيئاً وَبَعْضُهَا مُظْلِماً؟ وَبَعْضُهَا صَغِيراً وَبَعْضُهَا كَبِيراً؟

قَالَ: كَذَلِكَ أَرَادَتْ أَنْ تَكُونَ بِمَنْزِلَةِ النَّاسِ، فَإِنَّ بَعْضَهُمْ جَمِيلٌ وَبَعْضَهُمْ قَبِيحٌ، وَبَعْضَهُمْ قَصِيرٌ وَبَعْضَهُمْ طَوِيلٌ، وَبَعْضَهُمْ أَبْيَضُ وَبَعْضَهُمْ أَسْوَدُ، وَبَعْضَهُمْ صَالِحٌ وَبَعْضَهُمْ طَالِحٌ.

قُلْتُ: فَالْعَجَبُ مِنْكَ إِنِّي أُرَاوِدُكَ مُنْذُ الْيَوْمِ عَلَىٰ أَنْ تُقِرَّ بِصَانِعٍ فَلَمْ تُجِبْنِي إِلَىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ كَانَ الْآنَ أَقْرَرْتَ بِأَنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ؟

قَالَ: لَقَدْ بَهَتَّنِي بِمَا لَمْ يَسْمَعِ النَّاسُ مِنِّي.

قُلْتُ: أَفَمُنْكِرٌ أَنْتَ لِذَلِكَ؟

قَالَ: أَشَدَّ إِنْكَارٍ.

---

(١) في نسخة: ما الذي يرد على.

قُلْتُ: فَمَنْ خَلَقَ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ إِنْ كَانَ النَّاسُ وَالنُّجُومُ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ؟ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَقُولَ: إِنَّهُنَّ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، أَوْ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ، أَفَتَقُولُ: إِنَّهَا مِنْ خَلْقِ النَّاسِ؟

قَالَ: لَا.

قُلْتُ: فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهَا خَالِقٌ، أَوْ هِيَ خَلَقَتْ أَنْفُسَهَا؟ فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهَا مِنْ خَلْقِ النَّاسِ أَقْرَرْتَ أَنَّ لَهَا خَالِقاً، فَإِنْ قُلْتَ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا خَالِقٌ فَقَدْ صَدَقْتَ، وَمَا أَعْرَفَنَا بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتَ: إِنَّهُنَّ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ فَقَدْ أَعْطَيْتَنِي فَوْقَ مَا طَلَبْتُ مِنْكَ مِنَ الْإِقْرَارِ بِصَانِعٍ.

ثُمَّ قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي بَعْضُهُنَّ قَبْلَ بَعْضٍ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ، أَمْ كَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟ فَإِنْ قُلْتَ: بَعْضُهُنَّ قَبْلَ بَعْضٍ، فَأَخْبِرْنِي السَّمَاوَاتُ وَمَا فِيهِنَّ وَالنُّجُومُ قَبْلَ الْأَرْضِ وَالْإِنْسِ وَالذَّرِّ خُلِقْنَ، أَمْ بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْأَرْضَ قَبْلُ، أَفَلَا تَرَىٰ قَوْلَكَ: إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَمْ تَزَلْ قَدْ بَطَلَ حَيْثُ كَانَتِ السَّمَاءُ بَعْدَ الْأَرْضِ؟

قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنْ أَقُولُ: مَعاً جَمِيعاً خُلِقْنَ.

قُلْتُ: أَفَلَا تَرَىٰ أَنَّكَ قَدْ أَقْرَرْتَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ شَيْئاً قَبْلَ أَنْ خُلِقْنَ، وَقَدْ أَذْهَبْتَ حُجَّتَكَ فِي الْأَزَلِيَّةِ.

قَالَ: إِنِّي لَعَلَىٰ حَدِّ وُقُوفٍ مَا أَدْرِي مَا أُجِيبُكَ فِيهِ، لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الصَّانِعَ إِنَّمَا سُمِّيَ صَانِعاً لِصِنَاعَتِهِ، وَالصِّنَاعَةُ غَيْرُ الصَّانِعِ، وَالصَّانِعُ غَيْرُ

الصِّنَاعَةِ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ لِلرَّجُلِ الْبَانِي لِصِنَاعَتِهِ: الْبَنَّاءُ، وَالْبِنَاءُ غَيْرُ الْبَانِي، وَالْبَانِي غَيْرُ الْبِنَاءِ، وَكَذَلِكَ الْحَارِثُ غَيْرُ الْحَرْثِ، وَالْحَرْثُ غَيْرُ الْحَارِثِ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ: إِنَّ النَّاسَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ، فَبِكَمَالِهِمْ خَلَقُوهَا أَرْوَاحَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ وَصُوَرَهُمْ وَأَنْفَاسَهُمْ، أَمْ خَلَقَ بَعْضَ ذَلِكَ غَيْرُهُمْ؟

قَالَ: بِكَمَالِهِمْ لَمْ يَخْلُقْ ذَلِكَ، وَلَا شَيْئاً مِنْهُمْ غَيْرُهُمْ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي الْحَيَاةُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ أَمِ الْمَوْتُ؟

قَالَ: أَوَتَشُكُّ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ، وَلَا أَبْغَضُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ؟

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي مَنْ خَلَقَ الْمَوْتَ الَّذِي يُخْرِجُ أَنْفُسَهُمُ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّهُمْ خَلَقُوهَا، فَإِنَّكَ لَا تُنْكِرُ أَنَّ الْمَوْتَ غَيْرُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَذْهَبُ بِالْحَيَاةِ؟ فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ غَيْرُهُمْ، فَإِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْحَيَاةَ، وَلَئِنْ قُلْتَ: هُمُ الَّذِينَ خَلَقُوا الْمَوْتَ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّ هَذَا لَمُحَالٌ مِنَ الْقَوْلِ، وَكَيْفَ خَلَقُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ إِنْ كَانُوا كَمَا زَعَمْتَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ، هَذَا مَا يُسْتَنْكَرُ مِنْ ضَلَالِكَ إِنْ تَزْعُمْ أَنَّ النَّاسَ قَدَرُوا عَلَىٰ خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ بِكَمَالِهِمْ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ، وَخَلَقُوا مَا يَكْرَهُونَ لِأَنْفُسِهِمْ.

قَالَ: مَا أَجِدُ وَاحِداً مِنَ الْقَوْلَيْنِ يَنْقَادُ لِي، وَلَقَدْ قَطَعْتَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الْغَايَةِ

الَّتِي كُنْتُ أُرِيدُهَا.

قُلْتُ: دَعْنِي، فَإِنَّ مِنَ الدُّخُولِ فِي أَبْوَابِ الْجَهَالاتِ مَا لَا يَنْقَادُ مِنَ الْكَلَامِ، وَإِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنْ مُعَلِّمِ هَذَا الْحِسَابِ الَّذِي عَلَّمَ أَهْلَ الْأَرْضِ عِلْمَ هَذِهِ النُّجُومِ الْمُعَلَّقَةِ فِي السَّمَاءِ.

أقول: رجعنا إلى ما في النسخ المشهورة.

قَالَ: مَا أَجِدُ يَسْتَقِيمُ أَنْ أَقُولَ: إِنَّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَضَعَ عِلْمَ هَذِهِ النُّجُومِ الْمُعَلَّقَةِ فِي السَّمَاءِ.

قُلْتُ: فَلَا بُدَّ لَكَ أَنْ تَقُولَ: إِنَّمَا عَلَّمَهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمُدَبِّرُهُمَا.

قَالَ: إِنْ قُلْتُ هَذَا فَقَدْ أَقْرَرْتُ لَكَ بِإِلَهِكَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ.

قُلْتُ: أَمَّا أَنَّكَ فَقَدْ أَعْطَيْتَنِي أَنَّ حِسَابَ هَذِهِ النُّجُومِ حَقٌّ، وَأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ وُلِدُوا بِهَا.

قَالَ: الشَّكُّ فِي غَيْرِ هَذَا.

قُلْتُ: وَكَذَلِكَ أَعْطَيْتَنِي أَنَّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَغِيبَ مَعَ هَذِهِ النُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي الْمَغْرِبِ حَتَّى يَعْرِفَ مَجَارِيَهَا، وَيَطْلُعَ مَعَهَا إِلَى الْمَشْرِقِ.

قَالَ: الطُّلُوعُ إِلَى السَّمَاءِ دُونَ هَذَا.

قُلْتُ: فَلَا أَرَاكَ تَجِدُ بُدّاً مِنْ أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ الْمُعَلِّمَ لِهَذَا مِنَ السَّمَاءِ.

قَالَ: لَئِنْ قُلْتُ: أَنْ لَيْسَ لِهَذَا الْحِسَابِ مُعَلِّمٌ لَقَدْ قُلْتُ إِذاً غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَئِنْ زَعَمْتُ أَنَّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَّمَ مَا فِي السَّمَاءِ وَمَا تَحْتَ الْأَرْضِ لَقَدْ أَبْطَلْتُ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ عِلْمِ مَا وَصَفْتُ لَكَ مِنْ حَالِ هَذِهِ النُّجُومِ وَالْبُرُوجِ بِالْمُعَايَنَةِ وَالدُّنُوِّ مِنْهَا (١)، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ أَهْلِ الدُّنْيَا لَا يَكُونُ عِنْدَنَا إِلَّا بِالْحَوَاسِّ، وَمَا يُدْرَكُ عِلْمُ هَذِهِ النُّجُومِ الَّتِي وَصَفْتُ بِالْحَوَاسِّ لِأَنَّهَا مُعَلَّقَةٌ فِي السَّمَاءِ، وَمَا زَادَتِ الْحَوَاسُّ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا حَيْثُ تَطْلُعُ وَحَيْثُ تَغِيبُ، فَأَمَّا حِسَابُهَا وَدَقَائِقُهَا، وَنُحُوسُهَا وَسُعُودُهَا، وَبَطِيئُهَا وَسَرِيعُهَا، وَخُنُوسُهَا وَرُجُوعُهَا، فَأَنَّىٰ تُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، أَوْ يُهْتَدَىٰ إِلَيْهَا بِالْقِيَاسِ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي لَوْ كُنْتَ مُتَعَلِّماً مُسْتَوْصِفاً لِهَذَا الْحِسَابِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَسْتَوْصِفَهُ وَتَتَعَلَّمَهُ أَمْ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ؟

قَالَ: مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ إِذْ كَانَتِ النُّجُومُ مُعَلَّقَةً فِيهَا، حَيْثُ لَا يَعْلَمُهَا أَهْلُ الْأَرْضِ.

قُلْتُ: فَافْهَمْ، وَأَدِقَّ النَّظَرَ، وَنَاصِحْ نَفْسَكَ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ حَيْثُ كَانَ جَمِيعُ أَهْلِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يُولَدُونَ بِهَذِهِ النُّجُومِ عَلَىٰ مَا وَصَفْتَ فِي النُّحُوسِ وَالسُّعُودِ، أَنَّهُنَّ كُنَّ قَبْلَ النَّاسِ؟

---

(١) وفي نسخة: فأمّا الدنوّ.

قَالَ: مَا أَمْتَنِعُ أَنْ أَقُولَ هَذَا.

قُلْتُ: أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قَوْلَكَ: إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا وَلَا يَزَالُونَ قَدِ انْكَسَرَ عَلَيْكَ (١) حَيْثُ كَانَتِ النُّجُومُ قَبْلَ النَّاسِ فَالنَّاسُ حَدَثٌ بَعْدَهَا، وَلَئِنْ كَانَتِ النُّجُومُ خُلِقَتْ قَبْلَ النَّاسِ مَا تَجِدُ بُدّاً مِنْ أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَهُمْ.

قَالَ: وَلِمَ تَزْعُمُ أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَهُمْ؟

قُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنِ الْأَرْضُ جَعَلَ اللَّهُ لِخَلْقِهِ فِرَاشاً وَمِهَاداً مَا اسْتَقَامَ النَّاسُ، وَلَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْأَنَامِ، وَلَا قَدَرُوا أَنْ يَكُونُوا فِي الْهَوَاءِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ.

قَالَ: وَمَاذَا يُغْنِي عَنْهُمُ الْأَجْنِحَةُ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مَعِيشَةٌ.

قُلْتُ: فَفِي شَكٍّ أَنْتَ مِنْ أَنَّ النَّاسَ حَدَثٌ بَعْدَ الْأَرْضِ وَالْبُرُوجِ؟

قَالَ: لَا، وَلَكِنْ عَلَى الْيَقِينِ مِنْ ذَلِكَ.

قُلْتُ: آتِيكَ أَيْضاً بِمَا تُبْصِرُهُ؟

قَالَ: ذَلِكَ أَنْفَىٰ (٢) لِلشَّكِّ عَنِّي.

قُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ هَذِهِ النُّجُومُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ هَذَا الْفَلَكُ؟ قَالَ: بَلَىٰ.

---

(١) وفي نسخة: قد أنكر عليك.

(٢) وفي نسخة: قال: ذلك أنقى للشكّ عنّي.

قُلْتُ: أَفَلَيْسَ قَدْ كَانَ أَسَاساً لِهَذِهِ النُّجُومِ؟

قَالَ: بَلىٰ.

قُلْتُ: فَمَا أَرىٰ هَذِهِ النُّجُومَ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّهَا مَوَالِيدُ النَّاسِ إِلّا وَقَدْ وُضِعَتْ بَعْدَ هَذَا الْفَلَكِ؛ لِأَنَّهُ بِهِ تَدُورُ الْبُرُوجُ، وَتَسْفُلُ مَرَّةً وَتَصْعَدُ أُخْرىٰ؟

قَالَ: قَدْ جِئْتَ بِأَمْرٍ وَاضِحٍ لَا يُشْكِلُ عَلىٰ ذِي عَقْلٍ أَنَّ الْفَلَكَ الَّذِي تَدُورُ بِهِ النُّجُومُ هُوَ أَسَاسُهَا الَّذِي وُضِعَ لَهَا؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا جَرَتْ بِهِ.

قُلْتُ: أَقْرَرْتَ أَنَّ خَالِقَ النُّجُومِ الَّتِي يُولَدُ بِهَا النَّاسُ سُعُودُهُمْ وَنُحُوسُهُمْ هُوَ خَالِقُ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ خَلَقَهَا لَمْ يَكُنْ ذَرْءٌ؟

قَالَ: مَا أَجِدُ بُدّاً مِنْ إِجَابَتِكَ إِلىٰ ذَلِكَ.

قُلْتُ أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ يَدُلَّكَ عَقْلُكَ عَلىٰ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلىٰ خَلْقِ السَّمَاءِ إِلّا الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَالذَّرْءَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ، وَأَنَّهُ لَوْلَا السَّمَاءُ وَمَا فِيهَا لَهَلَكَ ذَرْءُ الْأَرْضِ؟

شرح: «أَنْ يَكُونَ لِبَعْضِ النَّاسِ» أي هذا العلم.

اعلم أنّ كلامه واحتجاجه عليه السلام مبنيّ على أحد أمرين:

الأوّل: ما يحكم به الوجدان من أنّ العلم بدقائق حركات هذه الكواكب، وخواصّ آثارها، والمناسبة بينها وبين ما هي علامة لحدوثها، لا يتأتّى إلّا لخالقها الذي جعلها كذلك، أو مَن ينتهي علمه

إليه ، ومعلوم أنّ ما هو الحقّ من هذه العلوم إنّما وصل إلى الخلق من الأنبياء ، كما اعترفوا به ، ولمّا لم يحيطوا بجميع ذلك ، وضاع عنهم بعض ما استفادوا من الأنبياء عليهم السلام أيضاً ، فلذا ترى الرياضيين يتحيرون في بعض الحركات التي لا تستقيم على أُصولهم ويسمّونها ما لا ينحلّ ، وترى المنجّمين يخطئون في كثير من أحكامهم لذلك .

ثم ذكر عليه السلام على سبيل التنزّل أنّه لو سلّمنا أنّه يمكن أن يتيسّر ذلك لمخلوق من البشر فلا يتأتّى ذلك إلّا لمن كان معها في حركاتها ، ويعاشرها مدّة طويلة ، ليعلم كيفيّة حركاتها ، وجرّب بكثرة المعاشرة خواصّها وآثارها .

والثاني : أن يكون المراد أنّك إذا اعترفت أنّ كلّ الخلق يولدون بهذه النجوم فلا يكون أحد منهم علّة لها ولآثارها لتقدّمها عليهم ، ولا شكّ في أنّه لا بدّ من حكيم عالم بجميع الأُمور ، قادر عليها ، أسّس ذلك الأساس ، وبنى عليها تلك الآثار والأحكام التي أمكن للخلق بها استعلام ما لم يأتِ من الأُمور ، فقد أقررت بالصانع ، فهو أوّل عالم بهذا العلم لا الحكيم الذي تزعم أنّه يولد بتلك النجوم (١) .

ويحتمل أن يكون المقصود من الكلام الإشارة إلى كلا الدليلين ، كما لا يخفى بعد التأمّل قوله عليه السلام : « وَمَوَاضِعِهَا مِنَ السَّمَاءِ » أي عند كونها فوق الأرض « وَمَوَاضِعِهَا تَحْتَ الْأَرْضِ » أي بعد غروبها واستتارها عنّا بالأرض .

---

(١) وبعبارة أُخرى : إنّك بعد ما اعترفت بأنّ جميع الناس يولدون بهذه النجوم ولم يمكن أن يولد أحد من أهل الأرض إلّا بهذه النجوم لأنها علّته ، فقد اعترفت بأنّ واضع هذه النجوم غير أهل الدنيا لأنهم معلولون لها ، وهذا تسليم وإذعان منك بالصانع تعالى .

قوله: «إِلّا بِمَنْ فِي السَّمَاءِ» أي بمن أحاط علمه وقدرته وحكمه بالسماء وما فيها.

قوله عليه السلام: «فَأَنَا أَقُولُ قَوْلَكَ» أي أنا أعتقد ما قلت من أنّ الحكماء الذين تزعمهم عالمين به لم يرقوا إلى السماء، أو أعتقد أنّه لا يمكنهم أن يرقوا إلى السماء بأنفسهم بدون تعلّق إرادة الربّ تعالى به، ومع ذلك فإن سلّمناه فلا يكفي محض الصعود للإحاطة بذلك.

قوله عليه السلام: «مَعَ كُلِّ بُرْجٍ» أي فيه، أو بالحركة السريعة.

قوله عليه السلام: «فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً» وهو زحل، وهو أبطأ السيّارات، وإنّما لم يتعرّض عليه السلام للثوابت مع كونها أبطأ؛ لأنّ مبنى أحكامهم على السيّارات.

قوله عليه السلام: «لِأَنَّ مَجَارِيَهَا تَحْتَ الْأَرْضِ» لما ذكر عليه السلام سابقاً سيره مع الكواكب من الطلوع إلى الغروب، أشار عليه السلام هاهنا إلى أنّه لا يكفي ذلك للعلم بجميع الحركات حتّى يسير معها بعد الغروب، فيحاذي ما تحت الأرض من البحار، والمواضع المظلمة بالبخارات، أو يسير مع سائر الكواكب عند كون الشمس فوق الأرض حتّى يحاذي ما تحتها الظلمة.

ثمّ بيّن عليه السلام الحاجة إلى ذلك بأنّه لا تكفي الإحاطة ببعض مسيرها للعلم بحركاتها؛ لأنّ حركاتها الخاصّة عندهم مختلفة بالنسبة إلى مركز العالم بسبب التداوير والأفلاك الخارجة المراكز وغيرها، فتارة تسرع وتارة تبطئ، فلا تتأتّى مقايسة بعض حركاتها ببعض.

قوله عليه السلام: «كَيْفَ يَكُونُ بَعْضُهَا سَعْداً» أي يرجع قولك إلى

أنّها مع صفاتها وجدت من غير صانع ، فكيف صار بعضها هكذا ، وبعضها هكذا ، فترجّح هذه الأحوال الممكنة وحصولها من غير علّة ممّا يحكم العقل باستحالته ، أو المراد أنّها لو كانت خالقة لأنفسها لكان كلّ منها يختار لنفسه أفضل الأحوال وأشرفها ، فكان جميعها على حالة واحدة هي أفضل الأحوال ، وهذا أظهر .

ثمّ لمّا لم يفهم السائل ذلك غير الكلام ، وصرفه إلى ما هو أوضح .

وقوله عليه السلام : « قَدْ أَقْرَرْتَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ شَيْئاً » ، إمّا مبنيّ على أنّ الصنع والخلق لا يتعلّقان إلّا بالحادث ، أو على ما كان ظاهر كلام السائل أنّ لوجودها مبدأ .

ثمّ إنّ السائل لمّا تفطّن بفساد كون الشيء صانعاً لنفسه رجع وأقرّ بأنّ العقل يحكم بديهة بأنّ المصنوع غير الصانع ، والباني غير البنّاء ، وما ذكره عليه السلام من أنّ خالق الحياة والموت لا بدّ أن يكون واحداً ممّا يحكم به الوجدان ، مع أنّ الظاهر من خالق الحياة من يكون مستقلّاً فيه ، والموت ليس إلّا رفع الحياة ، فلو كان مستنداً إلى غيره لم يكن خالق الحياة مستقلّاً فيه .

قوله عليه السلام : « دُونَ هَذَا » أي أنا أنكر الصعود إلى السماء الذي هو أسهل ممّا ذكرت ، فكيف أقرّ به ؟ أو المراد أنّ الصعود إلى السماء أسهل عليَّ من الإقرار بما ذكرت .

قوله عليه السلام : « أَنَّهُنَّ كُنَّ قَبْلَ النَّاسِ » أي بالعلّيّة والسببيّة كما ظنّ السائل ، أو بالزمان ، أي تقدّمها على كلّ شخص ، أو على الجميع بناء على لزوم التقدّم على كلّ من الأشخاص التقدّم على الجميع كما قيل ، أو

على أنّه عليه السلام كان يعلم أنّ السائل كان قائلاً بذلك، فذكّره عليه السلام إلزاماً عليه كما اعترف به، وعلى الأوّل يكون المراد بقوله: «لَمْ يَزَالُوا وَلَا يَزَالُونَ» عدم استنادهم إلى علّة.

وعلى الثاني فالمراد إمّا قِدم مادّتهم أو صورهم أيضاً بناء على القول بالكمون، وعلى الثالث فالمراد قِدم نوعهم.

قوله عليه السلام: «بَعْدَ هَذَا الْفَلَكِ» أي هي محتاجة إلى الفلك، والفلك متقدّمة عليها بالعلّيّة، فلا يصحّ كون النجوم علّة لها للزوم الدور.

قوله عليه السلام: «لَمْ يَكُنْ ذَرْءٌ» أي مذروء ومخلوق من الإنس.

ثمّ اعلم أنّ حاصل استدلاله على ما ظهر لهذا القاصر هو أنّه عليه السلام لمّا قرّر السائل سالفاً على أنّ النجوم ليست خالقة لأنفسها، وآنفاً على أنّها ليست مخلوقة للناس، وغيرها ممّا يحدث بزعمه بتأثيرها لتأخّرها عنها، وعلى أنّ الأرض أيضاً متقدّمة على ما عليها من الخلق، فلا تكون مخلوقة لما عليها، وعلى أنّ الفلك لتقدّمه على النجوم المتقدّمة على الناس لا يجوز كونه مخلوقاً لشيء منها، استدلّ عليه السلام هاهنا على أنّه لا بدّ أن يكون خالق السماء والأرض، وما في السماء من الشمس والقمر والنجوم، وما على الأرض من الخلق، واحداً.

أمّا اتّحاد خالق الأرض والنجوم فيمكن تقريره بوجهين:

الأوّل: أنّ الناس محتاجون إلى الأرض كما عرفت، وظاهر أنّها من أعظم مصالحهم، فالوجدان الصحيح يحكم بأنّ من خلق شيئاً يعدّ له ما يصلحه، ويهيئ له ما سيحتاج إليه، فظهر أنّه لا بدّ أن يكون خالق الناس

وخالق الأرض واحداً ، والناس بزعمك مخلوقون للنجوم ، ولزمك القول بوجود خالق للنجوم ، فلا بدّ من القول بكون الأرض منسوبة إلى خالق النجوم ، إمّا بلا واسطة ، أو بواسطة النجوم ، أو غيرها ، فثبت المطلوب.

الثاني : أنّا نرى التلازم بين الناس والأرض لحكم العقل بأنّ كلّاً منهما يرتفع عند ارتفاع الآخر ؛ إذ الظاهر أنّ غاية خلق الأرض هو الإنسان ونحوه ، وهم محتاجون في أُمورهم إليها ، وقد تقرّر أنّ المتلازمين إمّا أن يكون أحدهما علّة للآخر ، أو كلّ منهما معلول علّة ثالثة ، ولا يجوز أن يكون الناس عللاً للأرض لما عرفت ، ولا معلولة لها لانتسابها عندك إلى النجوم ، فلا بدّ من أن يكونا معلولي علّة واحدة ، وبأحد هذين التقريرين يثبت اتّحاد خالق السماء وخالق هذه الأُمور السابقة لاحتياج ما على الأرض من الخلق إلى السماء وما فيها من النجوم ، وإليه أشار عليه السلام بقوله : « وَأَنَّهُ لَوْلَا السَّمَاءُ وَمَا فِيهَا لَهَلَكَ ذَرْءُ الْأَرْضِ » هذا ما أحاط به نظري العاثر ، وسيأتي في تضاعيف كلامه عليه السلام توضيح ما قلناه ، والتصريح ببعض ما قرّرناه ، واللّه يعلم وحججه عليهم السلام حقائق كلامهم ، ودقائق مرامهم.

ثمّ لا يتوهّم متوهّم من كلامه عليه السلام أنّ للنجوم تأثيراً ، فإنّه ظاهر أنّه عليه السلام إنّما ذكرها إلزاماً عليه ، ومماشاة معه لإتمام الحجّة عليه (١) ، بل لا يمكن الاستدلال على سعودها ونحوسها ، وكونها

---

(١) ما ذكره رحمه اللّه بمعنى التأثير بنحو الاستقلال حقّ ، وأمّا أصل التأثير بمعنى وجود رابطة السببيّة والمسبّبيّة بين هذه الأشياء فهو ممّا بنى عليه كلامه عليه السلام من أوّله إلى آخره كما هو ظاهر (الطباطبائي).

علامات للكائنات أيضاً بهذا الوجه ، لكن ظاهره أنّ لها سعادة ونحوسة ، وأنّها علامات ، وسيأتي القول في ذلك مفصّلاً في كتاب السماء والعالم.

متن : قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ، لِأَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَنِي بِحُجَّةٍ ظَهَرَتْ لِعَقْلِي ، وَانْقَطَعَتْ بِهَا حُجَّتِي ، وَمَا أَرىٰ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ وَاضِعُ هَذَا الْحِسَابِ ، وَمُعَلِّمُ هَذِهِ النُّجُومِ ، وَاحِداً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ؛ لِأَنَّهَا فِي السَّمَاءِ ، وَلَا مَعَ ذَلِكَ يَعْرِفُ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْهَا إِلَّا مُعَلِّمُ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْهَا ، وَلَكِنْ لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ سَقَطَ أَهْلُ الْأَرْضِ عَلىٰ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى اتَّفَقَ حِسَابُهُمْ عَلىٰ مَا رَأَيْتَ مِنَ الدِّقَّةِ وَالصَّوَابِ ، فَإِنِّي لَوْ لَمْ أَعْرِفْ مِنْ هَذَا الْحِسَابِ مَا أَعْرِفُهُ لَأَنْكَرْتُهُ ، وَلَأَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ بَاطِلٌ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ فَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ.

قُلْتُ : فَأَعْطِنِي مَوْثِقاً إِنْ أَنَا أَعْطَيْتُكَ مِنْ قِبَلِ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةِ الَّتِي فِي يَدِكَ ، وَمَا تَدَّعِي مِنَ الطِّبِّ الَّذِي هُوَ صِنَاعَتُكَ وَصِنَاعَةُ آبَائِكَ ، حَتّىٰ يَتَّصِلَ الْإِهْلِيلَجَةُ وَمَا يُشْبِهُهَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ بِالسَّمَاءِ ، لَتُذْعِنَنَّ بِالْحَقِّ ، وَلَتُنْصِفَنَّ مِنْ نَفْسِكَ.

قَالَ : ذَلِكَ لَكَ.

قُلْتُ : هَلْ كَانَ النَّاسُ عَلىٰ حَالٍ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الطِّبَّ وَمَنَافِعَهُ مِنْ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةِ وَأَشْبَاهِهَا ؟

قَالَ : نَعَمْ.

قُلْتُ: فَمِنْ أَيْنَ اهْتَدَوْا لَهُ؟

قَالَ: بِالتَّجْرِبَةِ، وَطُولِ الْمُقَايَسَةِ.

قُلْتُ: فَكَيْفَ خَطَرَ عَلىٰ أَوْهَامِهِمْ حَتّىٰ هَمُّوا بِتَجْرِبَتِهِ؟ وَكَيْفَ ظَنُّوا أَنَّهُ مَصْلَحَةٌ لِلْأَجْسَادِ وَهُمْ لَا يَرَوْنَ فِيهِ إِلّا الْمَضَرَّةَ؟ أَوْ كَيْفَ عَزَمُوا عَلىٰ طَلَبِ مَا لَا يَعْرِفُونَ مِمَّا لَا تَدُلُّهُمْ عَلَيْهِ الْحَوَاسُّ؟

قَالَ: بِالتَّجَارِبِ.

قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ وَاضِعِ هَذَا الطِّبِّ، وَوَاصِفِ هَذِهِ الْعَقَاقِيرِ الْمُتَفَرِّقَةِ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، هَلْ كَانَ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الَّذِي وَضَعَ ذَلِكَ، وَدَلَّ عَلىٰ هَذِهِ الْعَقَاقِيرِ، رَجُلاً حَكِيماً مِنْ بَعْضِ أَهْلِ هَذِهِ الْبُلْدَانِ؟

قَالَ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، وَأَنْ يَكُونَ رَجُلاً حَكِيماً وَضَعَ ذَلِكَ وَجَمَعَ عَلَيْهِ الْحُكَمَاءُ، فَنَظَرُوا فِي ذَلِكَ، وَفَكَّرُوا فِيهِ بِعُقُولِهِمْ.

قُلْتُ: كَأَنَّكَ تُرِيدُ الْإِنْصَافَ مِنْ نَفْسِكَ، وَالْوَفَاءَ بِمَا أُعْطِيتَ مِنْ مِيثَاقِكَ، فَأَعْلِمْنِي كَيْفَ عَرَفَ الْحَكِيمُ ذَلِكَ؟ وَهَبْهُ قَدْ عَرَفَ بِمَا فِي بِلَادِهِ مِنَ الدَّوَاءِ وَالزَّعْفَرَانِ الَّذِي بِأَرْضِ فَارِسَ، أَتَرَاهُ اتَّبَعَ جَمِيعَ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَذَاقَهُ شَجَرَةً شَجَرَةً حَتّىٰ ظَهَرَ عَلىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ؟ وَهَلْ يَدُلُّكَ عَقْلُكَ عَلىٰ أَنَّ رِجَالاً حُكَمَاءَ قَدَرُوا عَلىٰ أَنْ يَتَّبِعُوا جَمِيعَ بِلَادِ فَارِسَ وَنَبَاتِهَا شَجَرَةً شَجَرَةً حَتّىٰ عَرَفُوا ذَلِكَ بِحَوَاسِّهِمْ، وَظَهَرُوا عَلىٰ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا خِلْطُ بَعْضِ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي لَمْ تُدْرِكْ حَوَاسُّهُمْ شَيْئاً مِنْهَا؟

وَهَبْهُ أَصَابَ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدَ بَحْثِهِ عَنْهَا ، وَتَتَبُّعِهِ جَمِيعَ شَجَرِ فَارِسَ وَنَبَاتِهَا كَيْفَ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ دَوَاءٌ حَتَّىٰ يَضُمَّ إِلَيْهِ الْإِهْلِيلَجَ مِنَ الْهِنْدِ ، وَالْمَصْطَكَىٰ مِنَ الرُّومِ ، وَالْمِسْكَ مِنَ التُّبَّتِ ، وَالدَّارْصِينِيَّ مِنَ الصِّينِ ، وَخُصىٰ بِيدَسْتَرَ مِنَ التُّرْكِ ، وَالْأَفْيُونَ مِنْ مِصْرَ ، وَالصَّبِرَ مِنَ الْيَمَنِ (١) ، وَالْبُورَقَ (٢) مِنْ إرمنية إِرْمِينِيَّةَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاطِ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ ؟ وَكَيْفَ عَرَفَ أَنَّ بَعْضَ تِلْكَ الْأَدْوِيَةِ وَهِيَ عَقَاقِيرُ مُخْتَلِفَةٌ يَكُونُ الْمَنْفَعَةُ بِاجْتِمَاعِهَا ، وَلَا يَكُونُ مَنْفَعَتُهَا فِي الْحَالَاتِ بِغَيْرِ اجْتِمَاعٍ ؟ أَمْ كَيْفَ اهْتَدىٰ لِمَنَابِتِ هَـٰذِهِ الْأَدْوِيَةِ وَهِيَ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَعَقَاقِيرُ مُتَبَايِنَةٌ فِي بُلْدَانٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، فَمِنْهَا عُرُوقٌ وَمِنْهَا لِحَاءٌ (٣) ، وَمِنْهَا وَرَقٌ ، وَمِنْهَا ثَمَرٌ ، وَمِنْهَا عَصِيرٌ ، وَمِنْهَا مَائِعٌ ، وَمِنْهَا صَمْغٌ ، وَمِنْهَا دُهْنٌ ، وَمِنْهَا مَا يُعْصَرُ وَيُطْبَخُ ، وَمِنْهَا مَا يُعْصَرُ وَلَا يُطْبَخُ ، مِمَّا سُمِّيَ بِلُغَاتٍ شَتَّىٰ لَا يَصْلَحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا يَصِيرُ دَوَاءً إِلَّا بِاجْتِمَاعِهَا ، وَمِنْهَا مَرَائِرُ السِّبَاعِ وَالدَّوَابِّ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ ، وَأَهْلُ هَـٰذِهِ الْبُلْدَانِ مَعَ ذَلِكَ مُتَعَادُونَ مُخْتَلِفُونَ مُتَفَرِّقُونَ بِاللُّغَاتِ ، مُتَغَالِبُونَ بِالْمُنَاصَبَةِ (٤) ، وَمُتَحَارِبُونَ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ ، أَفَتَرىٰ ذَلِكَ الْحَكِيمَ تَتَبَّعَ هَذِهِ الْبُلْدَانَ حَتَّىٰ عَرَفَ كُلَّ لُغَةٍ ، وَطَافَ كُلَّ وَجْهٍ ، وَتَتَبَّعَ هَذِهِ الْعَقَاقِيرَ مَشْرِقاً وَمَغْرِباً ، آمِناً صَحِيحاً لَا

(١) الصبر ـ وزان كتف ـ : عصارة شجر مرّ.
(٢) البورق ـ بالفتح ـ معرّب بوره : شيء يتكوّن مثل الملح في شطوط الأنهار والمياه.
(٣) اللحاء : قشر العود أو الشجر.
(٤) في نسخة : متقلّبون بالمناصبة.

يَخَافُ وَلَا يَمْرَضُ ، سَلِيماً لَا يَعْطَبُ ، حَيّاً لَا يَمُوتُ ، هَادِياً لَا يَضِلُّ ، قَاصِداً لَا يَجُورُ(١) ، حَافِظاً لَا يَنْسىٰ ، نَشِيطاً لَا يَمَلُّ ، حَتّىٰ عَرَفَ وَقْتَ أَزْمِنَتِهَا ، وَمَوَاضِعَ مَنَابِتِهَا ، مَعَ اخْتِلَاطِهَا ، وَاخْتِلَافِ صِفَاتِهَا ، وَتَبَايُنِ أَلْوَانِهَا ، وَتَفَرُّقِ أَسْمَائِهَا ، ثُمَّ وَضَعَ مِثَالَهَا عَلىٰ شِبْهِهَا وَصِفَتِهَا ، ثُمَّ وَصَفَ كُلَّ شَجَرَةٍ بِنَبَاتِهَا وَوَرَقِهَا وَثَمَرِهَا ، وَرِيحِهَا وَطَعْمِهَا ؟ أَمْ هَلْ كَانَ لِهَذَا الْحَكِيمِ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ جَمِيعَ أَشْجَارِ الدُّنْيَا ، وَبُقُولِهَا وَعُرُوقِهَا ، شَجَرَةً شَجَرَةً ، وَوَرَقَةً وَرَقَةً ، شَيْئاً شَيْئاً ، فَهَبْهُ وَقَعَ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي أَرَادَ ، فَكَيْفَ دَلَّتْهُ حَوَاسُّهُ عَلىٰ أَنَّهَا تُصْلِحُ لِدَوَاءٍ وَالشَّجَرُ مُخْتَلِفٌ ، مِنْهُ الْحُلْوُ وَالْحَامِضُ ، وَالْمُرُّ وَالْمَالِحُ ؟

وَإِنْ قُلْتَ : يَسْتَوْصِفُ فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ ، وَيَعْمَلُ بِالسُّؤَالِ ، فَأَنّىٰ يَسْأَلُ عَمَّا لَمْ يُعَايِنْ ؟ وَلَمْ يُدْرِكْهُ بِحَوَاسِّهِ ؟ أَمْ كَيْفَ يَهْتَدِي إِلىٰ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ؟ وَهُوَ يُكَلِّمُهُ بِغَيْرِ لِسَانِهِ وَبِغَيْرِ لُغَتِهِ ، وَالْأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ ، فَهَبْهُ فَعَلَ كَيْفَ عَرَفَ مَنَافِعَهَا وَمَضَارَّهَا ، وَتَسْكِينَهَا وَتَهْيِيجَهَا ، وَبَارِدَهَا وَحَارَّهَا ، وَحُلْوَهَا وَمَرَارَتَهَا ، وَحَرَافَتَهَا (٢) ، وَلَيِّنَهَا وَشَدِيدَهَا (٣) ، فَلَئِنْ قُلْتَ : بِالظَّنِّ إِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُدْرَكُ وَلَا يُعْرَفُ بِالطَّبَائِعِ وَالْحَوَاسِّ ، وَلَئِنْ قُلْتَ بِالتَّجْرِبَةِ وَالشُّرْبِ ،لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَمُوتَ فِي أَوَّلِ مَا شَرِبَ

---

(١) في نسخة : قاصداً لا يجوز.

(٢) الحرافة : طعم يلذع اللسان بحرارته.

(٣) في نسخة : ولينها ويابسها.

وَجَرَّبَ تِلْكَ الْأَدْوِيَةَ بِجَهَالَتِهِ بِهَا، وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِمَنَافِعِهَا، وَمَضَارِّهَا وَأَكْثَرُهَا السَّمُّ الْقَاتِلُ، وَلَئِنْ قُلْتَ: بَلْ طَافَ فِي كُلِّ بَلَدٍ، وَأَقَامَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، يَتَعَلَّمُ لُغَاتِهِمْ، وَيُجَرِّبُ بِهِمْ أَدْوِيَتَهُمْ، تُقْتَلُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ مِنْهُمْ، مَا كَانَ لِتَبْلُغَ مَعْرِفَتُهُ الدَّوَاءَ الْوَاحِدَ إِلَّا بَعْدَ قَتْلِ قَوْمٍ كَثِيرٍ، فَمَا كَانَ أَهْلُ تِلْكَ الْبُلْدَانِ الَّذِينَ قُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ بِتَجْرِبَتِهِ بِالَّذِينَ يَنْقَادُونَهُ بِالْقَتْلِ، وَلَا يَدْعُونَهُ أَنْ يُجَاوِرَهُمْ، وَهَبْهُ تَرَكُوهُ وَسَلَّمُوا لِأَمْرِهِ، وَلَمْ يَنْهَوْهُ، كَيْفَ قَوِيَ عَلَىٰ خَلْطِهَا، وَعَرَفَ قَدْرَهَا وَوَزْنَهَا، وَأَخَذَ مَثَاقِيلَهَا، وَقَرَطَ قَرَارِيطَهَا؟ وَهَبْهُ تَتَبَّعَ هَذَا كُلَّهُ، وَأَكْثَرُهُ سَمٌّ قَاتِلٌ، إِنْ زِيدَ عَلَىٰ قَدْرِهَا قَتَلَ، وَإِنْ نَقَصَ عَنْ قَدْرِهَا بَطَلَ، وَهَبْهُ تَتَبَّعَ هَذَا كُلَّهُ، وَجَالَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَطَالَ عُمُرُهُ فِيهَا، تَتَبَّعَهُ شَجَرَةً شَجَرَةً، وَبُقْعَةً بُقْعَةً، كَيْفَ كَانَ لَهُ تَتَبُّعُ مَا لَمْ يَدْخُلْ فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَارَةِ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ وَدَوَابِّ الْبَحْرِ؟ هَلْ كَانَ بُدٌّ حَيْثُ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَكِيمَ تَتَبَّعَ عَقَاقِيرَ الدُّنْيَا شَجَرَةً شَجَرَةً، وَثَمَرَةً ثَمَرَةً، حَتَّىٰ جَمَعَهَا كُلَّهَا؟ فَمِنْهَا مَا لَا يُصْلَحُ، وَلَا يَكُونُ دَوَاءٌ إِلَّا بِالْمَرَارِ، هَلْ كَانَ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ جَمِيعَ طَيْرِ الدُّنْيَا وَسِبَاعِهَا وَدَوَابِّهَا دَابَّةً دَابَّةً، وَطَائِراً طَائِراً، يَقْتُلُهَا وَيُجَرِّبُ مَرَارَتَهَا كَمَا بَحَثَ عَنْ تِلْكَ الْعَقَاقِيرِ عَلَىٰ مَا زَعَمْتَ بِالتَّجَارِبِ؟ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فَكَيْفَ بَقِيَتِ الدَّوَابُّ وَتَنَاسَلَتْ، وَلَيْسَتْ بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرَةِ إِذَا قُطِعَتْ شَجَرَةٌ نَبَتَتْ أُخْرَىٰ؟ وَهَبْهُ أَتَىٰ عَلَىٰ طَيْرِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَصْنَعُ بِمَا فِي الْبَحْرِ مِنَ الدَّوَابِّ الَّتِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّبِعَهَا بَحْراً بَحْراً، وَدَابَّةً دَابَّةً، حَتَّىٰ أَحَاطَ بِهِ كَمَا أَحَاطَ بِجَمِيعِ عَقَاقِيرِ الدُّنْيَا الَّتِي

بَحَثَ عَنْهَا حَتّىٰ عَرِفَهَا وَطَلَبَ ذٰلِكَ فِي غَمَرَاتِ الْمَاءِ؟ فَإِنَّكَ مَهْمَا جَهِلْتَ شَيْئاً مِنْ هَذَا فَإِنَّكَ لَا تَجْهَلُ أَنَّ دَوَابَّ الْبَحْرِ كُلَّهَا تَحْتَ الْمَاءِ، فَهَلْ يَدُلُّ الْعَقْلُ وَالْحَوَاسُّ عَلىٰ أَنَّ هَذَا يُدْرَكُ بِالْبَحْثِ وَالتَّجَارِبِ؟

قَالَ: لَقَدْ ضَيَّقْتَ عَلَيَّ الْمَذَاهِبَ، فَمَا أَدْرِي مَا أُجِيبُكَ بِهِ.

قُلْتُ: فَإِنِّي آتِيكَ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ أَوْضَحُ وَأَبْيَنُ مِمَّا اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْعَقَاقِيرَ الَّتِي مِنْهَا الْأَدْوِيَةُ وَالْمَرَارَ مِنَ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ لَا يَكُونُ دَوَاءً إِلَّا بَعْدَ الاجْتِمَاعِ؟

قَالَ: هُوَ كَذَلِكَ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ حَوَاسُّ هَذَا الْحَكِيمِ وَضَعَتْ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ مَثَاقِيلَهَا وَقَرَارِيطَهَا، فَإِنَّكَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ صِنَاعَتَكَ الطِّبُّ، وَأَنْتَ تُدْخِلُ فِي الدَّوَاءِ الْوَاحِدِ مِنَ اللَّوْنِ الْوَاحِدِ زِنَةَ أَرْبَعِمِائَةِ مِثْقَالٍ، وَمِنَ الْآخَرِ مَثَاقِيلَ وَقَرَارِيطَ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ وَدُونَهُ حَتّىٰ يَجِيءَ بِقَدْرٍ وَاحِدٍ مَعْلُومٍ إِذَا سَقَيْتَ مِنْهُ صَاحِبَ الْبِطْنَةِ بِمِقْدَارٍ عَقَدَ بَطْنَهُ، وَإِنْ سَقَيْتَ صَاحِبَ الْقُولَنْجِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ، وَأَلَانَ (١) فَكَيْفَ أَدْرَكَتْ حَوَاسُّهُ عَلىٰ هَذَا، أَمْ كَيْفَ عَرَفَتْ حَوَاسُّهُ أَنَّ الَّذِي يُسْقىٰ لِوَجَعِ الرَّأْسِ لَا يَنْحَدِرُ إِلَى الرِّجْلَيْنِ، وَالانْحِدَارُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنَ الصُّعُودِ، وَالَّذِي يُسْقىٰ لِوَجَعِ الْقَدَمَيْنِ لَا يَصْعَدُ إِلَى الرَّأْسِ، وَهُوَ إِلَى الرَّأْسِ عِنْدَ السُّلُوكِ أَقْرَبُ

---

(١) استطلق البطن: مشى، وألآن أي جعله ليّناً.

مِنْهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ دَوَاءٍ يُسْقىٰ صَاحِبَهُ لِكُلِّ عُضْوٍ لا يَأْخُذُ إِلّا طَرِيقَهُ فِي الْعُرُوقِ الَّتِي تُسْقىٰ لَهُ، وَكُلُّ ذَلِك يَصِيرُ إِلَى الْمَعِدَةِ، وَمِنْهَا يَتَفَرَّقُ؟ أَمْ كَيْفَ لَا يَسْفُلُ مِنْهُ مَا صَعِدَ، وَلَا يَصْعَدُ مِنْهُ مَا انْحَدَرَ؟ أَمْ كَيْفَ عَرَفَتِ الْحَوَاسُّ هَذَا حَتّىٰ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي يَنْبَغِي لِلْأُذُنِ لَا يَنْفَعُ الْعَيْنَ، وَمَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَيْنُ لَا يُغْنِي مِنْ وَجَعِ الْأُذُنِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ يَصِيرُ كُلُّ دَاءٍ مِنْهَا إِلىٰ ذَلِكَ الدَّوَاءِ[1] الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ بِعَيْنِهِ؟ فَكَيْفَ أَدْرَكَتِ الْعُقُولُ وَالْحِكْمَةُ وَالْحَوَاسُّ هَذَا وَهُوَ غَائِبٌ فِي الْجَوْفِ، وَالْعُرُوقُ فِي اللَّحْمِ، وَفَوْقَهُ الْجِلْدُ لَا يُدْرَكُ بِسَمْعٍ وَلَا بِبَصَرٍ، وَلَا بِشَمٍّ وَلَا بِلَمْسٍ وَلَا بِذَوْقٍ؟

قَالَ: لَقَدْ جِئْتَ بِمَا أَعْرِفُهُ[2] إِلّا أَنَّنَا نَقُولُ: إِنَّ الْحَكِيمَ الَّذِي وَضَعَ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ وَأَخْلَاطَهَا كَانَ إِذَا سَقىٰ أَحَداً شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ فَمَاتَ شَقَّ بَطْنَهُ، وَتَتَبَّعَ عُرُوقَهُ، وَنَظَرَ مَجَارِيَ تِلْكَ الْأَدْوِيَةِ، وَأَتَى الْمَوَاضِعَ الَّتِي تِلْكَ الْأَدْوِيَةُ فِيهَا.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الدَّوَاءَ كُلَّهُ إِذَا وَقَعَ فِي الْعُرُوقِ اخْتَلَطَ بِالدَّمِ فَصَارَ شَيْئاً وَاحِداً؟

قَالَ: بَلىٰ.

قُلْتُ: أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَرَجَتْ نَفْسُهُ بَرَدَ دَمُهُ وَجَمَدَ؟

قَالَ: بَلىٰ.

---

(١) في نسخة: يصير كلّ دواء منها إلى ذلك الداء.

(٢) في نسخة: لقد جئت بما أعرف.

قُلْتُ: فَكَيْفَ عَرَفَ ذَلِكَ الْحَكِيمُ دَوَاءَهُ الَّذِي سَقَاهُ لِلْمَرِيضِ بَعْدَ مَا صَارَ غَلِيظاً عَبِيطاً لَيْسَ بِأَمْشَاجٍ، يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِلَوْنٍ فِيهِ غَيْرِ لَوْنِ الدَّمِ؟

قَالَ: لَقَدْ حَمَلْتَنِي عَلَىٰ مَطِيَّةٍ صَعْبَةٍ مَا حُمِلْتُ عَلَىٰ مِثْلِهَا قَطُّ، وَلَقَدْ جِئْتَ بِأَشْيَاءَ لَا أَقْدِرُ عَلَىٰ رَدِّهَا.

شرح: قوله عليه السلام: «خِلْطُ بَعْضِ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ» الخلط ـبالكسرـ: ما يخلط بالشيء، أي ما يدخل في بعض هذه الأدوية المركّبة.

قوله عليه السلام: «ثُمَّ وَضَعَ مِثَالَهَا عَلَىٰ شِبْهِهَا» أي ضمّ كلّما وجد من كلّ نوعٍ إلى مثله؛ لأنّه يشبهه ويوافقه في الصفة، أو ترك الأشياء التي تشبه ما يريده وإن كانت موافقة له في الصفات، فإنّ كثيراً من العقاقير تشتبه بغيرها لاتّفاقهما في كثير من الصفات.

قوله عليه السلام: «فَكَيْفَ بَقِيَتِ» لعلّ المفروض أنّ ذلك كان في مبادي خلق العالم لقِدم ذلك العلم، فيلزم من التجارب الكثيرة فناء الحيوانات لقلّتها في تلك الأزمنة.

قوله عليه السلام: «لَيْسَ بِأَمْشَاجٍ» أي أشياء مختلطة متمايزة.

أقول: كلامه عليه السلام يدلّ على أنّ خواصّ الأدوية وأجناسها ومنافعها ومناسبتها للأمراض إنّما وصل إلى الخلق بإخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولم يصل الخلق إليها بعقولهم وتجاربهم.

متن: قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي مِنْ أَيْنَ عَلِمَ الْعِبَادُ مَا وَصَفْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَنَافِعُ لَهُمْ حَتَّىٰ خَلَطُوهَا، وَتَتَبَّعُوا عَقَاقِيرَهَا فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ

الْمُتَفَرِّقَةِ ، وَعَرَفُوا مَوَاضِعَهَا وَمَعَادِنَهَا فِي الْأَمَاكِنِ الْمُتَبَايِنَةِ ، وَمَا يَصْلُحُ مِنْ عُرُوقِهَا وَزِنَتَهَا مِنْ مَثَاقِيلِهَا وَقَرَارِيطِهَا ، وَمَا يَدْخُلُهَا مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَمِرَارِ السِّبَاعِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ؟

قَالَ: قَدْ أَعْيَيْتُ عَنْ إِجَابَتِكَ (١) لِغُمُوضِ مَسَائِلِكَ ، وَإِلْجَائِكَ إِيَّايَ إِلَىٰ أَمْرٍ لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا بِالتَّشْبِيهِ وَالْقِيَاسِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ وَضَعَ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ وَاضِعٌ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَضَعْ هِيَ أَنْفُسَهَا ، وَلَا اجْتَمَعَتْ حَتَّىٰ جَمَعَهَا غَيْرُهَا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ إِيَّاهَا ، فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ عَلِمَ الْعِبَادُ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ الَّتِي فِيهَا الْمَنَافِعُ حَتَّىٰ خَلَطُوهَا ، وَطَلَبُوا عَقَاقِيرَهَا فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ الْمُتَفَرِّقَةِ ؟

قُلْتُ: إِنِّي ضَارِبٌ لَكَ مَثَلاً ، وَنَاصِبٌ لَكَ دَلِيلاً تَعْرِفُ بِهِ وَاضِعَ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ ، وَالدَّالَّ عَلَىٰ هَذِهِ الْعَقَاقِيرِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَبَانِيَ الْجَسَدِ ، وَوَاضِعَ الْعُرُوقِ الَّتِي يَأْخُذُ فِيهَا الدَّوَاءُ إِلَى الدَّاءِ.

قَالَ: فَإِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَمْ أَجِدْ بُدّاً مِنَ الانْقِيَادِ إِلَىٰ ذَلِكَ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ رَجُلٍ أَنْشَأَ حَدِيقَةً عَظِيمَةً ، وَبَنَىٰ عَلَيْهَا حَائِطاً وَثِيقاً ، ثُمَّ غَرَسَ فِيهَا الْأَشْجَارَ وَالْأَثْمَارَ وَالرَّيَاحِينَ وَالْبُقُولَ ، وَتَعَاهَدَ سَقْيَهَا وَتَرْبِيَتَهَا ، وَوَقَاهَا مَا يَضُرُّهَا حَتَّىٰ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَوْضِعُ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهَا ، فَإِذَا أَدْرَكَتْ أَشْجَارُهَا ، وَأَيْنَعَتْ أَثْمَارُهَا (٢) ، وَاهْتَزَّتْ بُقُولُهَا ،

---

(١) أي قد اعجزت عن إجابتك.

(٢) أينع الثمر: أدرك وطاب ، وحان قطافه ، وفي بعض النسخ: أيفع أثمارها فهو من أيفع

دَفَعْتَ إِلَيْهِ (١) فَسَأَلْتَهُ أَنْ يُطْعِمَكَ لَوْناً مِنَ الثِّمَارِ وَالْبُقُولِ سَمَّيْتَهُ لَهُ ، أَتَرَاهُ كَانَ قَادِراً عَلىٰ أَنْ يَنْطَلِقَ قَاصِداً مُسْتَمِرّاً لَا يَرْجِعُ ، وَلَا يَهْوِي إِلىٰ شَيْءٍ يَمُرُّ بِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَالْبُقُولِ حَتّىٰ يَأْتِيَ الشَّجَرَةَ الَّتِي سَأَلْتَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ بِثَمَرِهَا ، وَالْبَقْلَةَ الَّتِي طَلَبْتَهَا حَيْثُ كَانَتْ مِنْ أَدْنَى الْحَدِيقَةِ ، أَوْ أَقْصَاهَا ، فَيَأْتِيَكَ بِهَا ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ لَوْ قَالَ لَكَ صَاحِبُ الْحَدِيقَةِ حَيْثُ سَأَلْتَهُ الثَّمَرَةَ: ادْخُلِ الْحَدِيقَةَ فَخُذْ حَاجَتَكَ ، فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلىٰ ذَلِكَ ، هَلْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تَنْطَلِقَ قَاصِداً ، لَا تَأْخُذُ يَمِيناً وَلَا شِمَالاً ، حَتّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَى الشَّجَرَةِ فَتَجْتَنِيَ مِنْهَا ؟

قَالَ: وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلىٰ ذَلِكَ وَلَا عِلْمَ لِي فِي أَيِّ مَوَاضِعِ الْحَدِيقَةِ هِيَ ؟

قُلْتُ: أَفَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لِتُصِيبَهَا دُونَ أَنْ تَهْجُمَ عَلَيْهَا بِتَعَسُّفٍ وَجَوَلَانٍ فِي جَمِيعِ الْحَدِيقَةِ حَتّىٰ تَسْتَدِلَّ عَلَيْهَا بِبَعْضِ حَوَاسِّكَ بَعْدَ مَا تَتَصَفَّحُ فِيهَا مِنَ الشَّجَرَةِ شَجَرَةً شَجَرَةً ، وَثَمَرَةً ثَمَرَةً ، حَتّىٰ تَسْقُطَ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي تَطْلُبُ بِبَعْضِ حَوَاسِّكَ أَنْ تَأْتِيَهَا ، وَإِنْ لَمْ تَرَهَا انْصَرَفْتَ ؟

قَالَ: وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلىٰ ذَلِكَ وَلَمْ أُعَايِنْ مَغْرِسَهَا حَيْثُ غُرِسَتْ ، وَلَا مَنْبِتَهَا حَيْثُ نَبَتَتْ ، وَلَا ثَمَرَتَهَا حَيْثُ طَلَعَتْ ؟

الغلام ، ترعرع وناهز البلوغ.

(١) في نسخة: ذهبت إليه.

قُلْتُ: فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ يَدُلَّكَ عَقْلُكَ حَيْثُ عَجزَتْ حَوَاسُّكَ عَنْ إِدْرَاكِ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي غَرَسَ هَذَا الْبُسْتَانَ الْعَظِيمَ فِيمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَغَرَسَ فِيهِ هَذِهِ الْأَشْجَارَ وَالْبُقُولَ هُوَ الَّذِي دَلَّ الْحَكِيمَ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّهُ وَضَعَ الطِّبَّ عَلىٰ تِلْكَ الْعَقَاقِيرِ وَمَوَاضِعِهَا فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْتَدِلَّ بِعَقْلِكَ عَلىٰ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَمَّاهَا، وَسَمّىٰ بَلْدَتَهَا، وَعَرَفَ مَوَاضِعَهَا كَمَعْرِفَةِ صَاحِبِ الْحَدِيقَةِ الَّذِي سَأَلْتَهُ الثَّمَرَةَ، وَكَذَلِكَ لَا يَسْتَقِيمُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْغَارِسُ وَالدَّالُّ عَلَيْهَا إِلّا الدَّالَّ عَلىٰ مَنَافِعِهَا وَمَضَارِّهَا، وَقَرَارِيطِهَا وَمَثَاقِيلِهَا.

قَالَ: إِنَّ هَذَا لَكَمَا تَقُولُ.

قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ خَالِقُ الْجَسَدِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْعَصَبِ وَاللَّحْمِ وَالْأَمْعَاءِ وَالْعُرُوقِ الَّتِي يَأْخُذُ فِيهَا الْأَدْوِيَةُ إِلَى الرَّأْسِ وَإِلَى الْقَدَمَيْنِ، وَإِلىٰ مَا سِوىٰ ذَلِكَ، غَيْرَ خَالِقِ الْحَدِيقَةِ وَغَارِسِ الْعَقَاقِيرِ، هَلْ كَانَ يَعْرِفُ زِنَتَهَا وَمَثَاقِيلَهَا وَقَرَارِيطَهَا، وَمَا يَصْلُحُ لِكُلِّ دَاءٍ مِنْهَا، وَمَا كَانَ يَأْخُذُ فِي كُلِّ عِرْقٍ؟

قَالَ: وَكَيْفَ يَعْرِفُ ذَلِكَ، أَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ؟ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ هَذَا إِلّا الَّذِي غَرَسَ الْحَدِيقَةَ، وَعَرَفَ كُلَّ شَجَرَةٍ وَبَقْلَةٍ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ.

قُلْتُ: أَفَلَيْسَ كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ وَاحِداً؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ اثْنَيْنِ

أَحَدُهُمَا خَالِقُ الدَّوَاءِ ، وَالْآخَرُ خَالِقُ الْجَسَدِ وَالدَّاءِ ، لَمْ يَهْتَدِ غَارِسُ الْعَقَاقِيرِ لِإِيصَالِ دَوَائِهِ إِلَى الدَّاءِ الَّذِي بِالْجَسَدِ مِمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ ، وَلَا اهْتَدىٰ خَالِقُ الْجَسَدِ إِلىٰ عِلْمِ مَا يُصْلِحُ ذَلِكَ الدَّاءَ مِنْ تِلْكَ الْعَقَاقِيرِ ، فَلَمَّا كَانَ خَالِقُ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ وَاحِداً أَمْضَى الدَّوَاءَ فِي الْعُرُوقِ الَّتِي بَرَأَ وَصَوَّرَ إِلَى الدَّاءِ الَّذِي عَرَفَ وَوَضَعَ ، فَعَلِمَ مِزَاجَهَا مِنْ حَرِّهَا وَبَرْدِهَا ، وَلَيِّنِهَا وَشَدِيدِهَا ، وَمَا يَدْخُلُ فِي كُلِّ دَوَاءٍ مِنْهُ مِنَ الْقَرَارِيطِ وَالْمَثَاقِيلِ ، وَمَا يَصْعَدُ إِلَى الرَّأْسِ مِنْهَا وَمَا يَهْبِطُ إِلَى الْقَدَمَيْنِ مِنْهَا ، وَمَا يَتَفَرَّقُ مِنْهُ فِيمَا سِوىٰ ذَلِكَ ؟

قَالَ : لَا أَشُكُّ فِي هَذَا ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَالِقُ الْجَسَدِ غَيْرَ خَالِقِ الْعَقَاقِيرِ لَمْ يَهْتَدِ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلىٰ مَا وَصَفْتَ .

قُلْتُ : فَإِنَّ الَّذِي دَلَّ الْحَكِيمَ الَّذِي وَصَفْتَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَلَطَ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ ، وَدَلَّ عَلىٰ عَقَاقِيرِهَا الْمُتَفَرِّقَةِ فِيمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَوَضَعَ هَذَا الطِّبَّ عَلىٰ مَا وَصَفْتُ لَكَ ، هُوَ صَاحِبُ الْحَدِيقَةِ فِيمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَهُوَ بَانِي الْجَسَدِ ، وَهُوَ دَلَّ الْحَكِيمَ بِوَحْيٍ مِنْهُ عَلىٰ صِفَةِ كُلِّ شَجَرَةٍ ، وَبَلَدِهَا ، وَمَا يَصْلُحُ مِنْهَا مِنَ الْعُرُوقِ وَالثِّمَارِ وَالدُّهْنِ وَالْوَرَقِ وَالْخَشَبِ وَاللِّحَاءِ ، وَكَذَلِكَ دَلَّهُ عَلىٰ أَوْزَانِهَا مِنْ مَثَاقِيلِهَا وَقَرَارِيطِهَا ، وَمَا يَصْلُحُ لِكُلِّ دَاءٍ مِنْهَا ، وَكَذَلِكَ هُوَ خَالِقُ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ الَّتِي فِي مِرَارِهَا الْمَنَافِعُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي تِلْكَ الْأَدْوِيَةِ ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ

غَيْرَ خَالِقِهَا لَمْ يَدْرِ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ مِرَارِهَا وَمَا يَضُرُّ، وَمَا يَدْخُلُ مِنْهَا فِي الْعَقَاقِيرِ، فَلَمَّا كَانَ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ وَاحِداً دَلَّ عَلىٰ مَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ مِنْهَا، فَسَمَّاهُ بِاسْمِهِ حَتّىٰ عُرِفَ، وَتُرِكَ مَا لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ مِنْهَا، فَمِنْ ثَمَّ عَلِمَ الْحَكِيمُ أَيَّ السِّبَاعِ وَالدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ فِيهِ الْمَنَافِعُ، وَأَيُّهَا لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ، وَلَوْلَا أَنَّ خَالِقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ دَلَّهُ عَلَيْهَا مَا اهْتَدىٰ بِهَا.

قَالَ: إِنَّ هٰذَا لَكَمَا تَقُولُ، وَقَدْ بَطَلَتِ الْحَوَاسُّ وَالتَّجَارِبُ عِنْدَ هٰذِهِ الصِّفَاتِ.

قُلْتُ: أَمَّا إِذَا صَحَّتْ نَفْسُكَ فَتَعَالَ نَنْظُرْ بِعُقُولِنَا، وَنَسْتَدِلَّ بِحَوَاسِّنَا، هَلْ كَانَ يَسْتَقِيمُ لِخَالِقِ هَذِهِ الْحَدِيقَةِ، وَغَارِسِ هَذِهِ الْأَشْجَارِ، وَخَالِقِ هَذِهِ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ، وَالنَّاسِ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لِمَنَافِعِهِمْ، أَنْ يَخْلُقَ هَذَا الْخَلْقَ، وَيَغْرِسَ هَذَا الْغَرْسَ فِي أَرْضِ غَيْرِهِ مِمَّا إِذَا شَاءَ مَنَعَهُ ذٰلِكَ؟

قَالَ: مَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ الَّتِي خُلِقَتْ فِيهَا الْحَدِيقَةُ الْعَظِيمَةُ، وَغُرِسَتْ فِيهِ الْأَشْجَارُ، إِلَّا لِخَالِقِ هَذَا الْخَلْقِ، وَمِلْكَ يَدِهِ.

قُلْتُ: فَقَدْ أَرَى الْأَرْضَ أَيْضاً لِصَاحِبِ الْحَدِيقَةِ لاتِّصَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ.

قَالَ: مَا فِي هَذَا شَكٌّ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي وَنَاصِحْ نَفْسَكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْحَدِيقَةَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْخِلْقَةِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْإِنْسِ وَالدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ وَالشَّجَرِ وَالْعَقَاقِيرِ وَالثِّمَارِ

وَغَيْرِهَا لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا شُرْبُهَا وَرِيُّهَا مِنَ الْمَاءِ الَّذِي لَا حَيَاةَ لِشَيْءٍ إِلَّا بِهِ؟

قَالَ: بَلىٰ.

قُلْتُ: أَفَتَرَى الْحَدِيقَةَ وَمَا فِيهَا مِنَ الذَّرْءِ خَالِقُهَا وَاحِدٌ، وَخَالِقَ الْمَاءِ غَيْرَهُ، يَحْبِسُهُ عَنْ هَذِهِ الْحَدِيقَةِ إِذَا شَاءَ، وَيُرْسِلُهُ إِذَا شَاءَ، فَيُفْسِدُ عَلىٰ خَالِقِ الْحَدِيقَةِ؟

قَالَ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خَالِقُ هَذِهِ الْحَدِيقَةِ، وَذَارِئُ هَذَا الذَّرْءِ الْكَثِيرِ، وَغَارِسُ هَذِهِ الْأَشْجَارِ، إِلَّا الْمُدَبِّرَ الأوّل، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَاءُ لِغَيْرِهِ، وَإِنَّ الْيَقِينَ عِنْدِي لَهُوَ إِنَّ الَّذِي يُجْرِي هَذِهِ الْمِيَاهَ مِنْ أَرْضِهِ وَجِبَالِهِ لَغَارِسُ هَذِهِ الْحَدِيقَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَلِيقَةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمَاءُ لِغَيْرِ صَاحِبِ الْحَدِيقَةِ لَهَلَكَ الْحَدِيقَةُ وَمَا فِيهَا، وَلَكِنَّهُ خَالِقُ الْمَاءِ قَبْلَ الْغَرْسِ وَالذَّرْءِ، وَبِهِ اسْتَقَامَتِ الْأَشْيَاءُ وَصَلَحَتْ.

قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ الْمِيَاهِ الْمُنْفَجِرَةِ فِي الْحَدِيقَةِ مَغِيضٌ (١) لِمَا يَفْضُلُ مِنْ شُرْبِهَا يَحْبِسُهُ عَنِ الْحَدِيقَةِ أَنْ يَفِيضَ عَلَيْهَا، أَلَيْسَ كَانَ يَهْلِكُ مَا فِيهَا مِنَ الْخَلْقِ عَلىٰ حَسَبِ مَا كَانُوا يَهْلِكُونَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَاءٌ؟ قَالَ: بَلىٰ، وَلَكِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّ هَذَا الْبَحْرَ لَيْسَ لَهُ حَابِسٌ، وَأَنَّهُ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ.

قُلْتُ: أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَعْطَيْتَنِي أَنَّهُ لَوْلَا الْبَحْرُ، وَمَغِيضُ الْمِيَاهِ إِلَيْهِ،

---

(١) المغيض: مجتمع الماء ومدخله في الأرض، وفي نسخة: المفيض بالفاء، وكذا فيما يأتي بعده.

لَهَلَكَتِ الْحَدِيقَةُ؟

قَالَ: أَجَلْ.

قُلْتُ: فَإِنِّي أُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ بِمَا تَسْتَيْقِنُ بِأَنَّ خَالِقَ الْبَحْرِ هُوَ خَالِقُ الْحَدِيقَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَلِيقَةِ، وَأَنَّهُ جَعَلَهُ مَغِيضاً لِمِيَاهِ الْحَدِيقَةِ مَعَ مَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ لِلنَّاسِ.

قَالَ: فَاجْعَلْنِي مِنْ ذَلِكَ عَلَىٰ يَقِينٍ كَمَا جَعَلْتَنِي مِنْ غَيْرِهِ.

قُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ فُضُولَ مَاءِ الدُّنْيَا يَصِيرُ فِي الْبَحْرِ؟

قَالَ: بَلَىٰ.

قُلْتُ: فَهَلْ رَأَيْتَهُ زَائِداً قَطُّ فِي كَثْرَةِ الْمَاءِ، وَتَتَابُعِ الْأَمْطَارِ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ؟ أَوْ هَلْ رَأَيْتَهُ نَاقِصاً فِي قِلَّةِ الْمِيَاهِ، وَشِدَّةِ الْحَرِّ، وَشِدَّةِ الْقَحْطِ؟

قَالَ: لَا.

قُلْتُ: أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَدُلَّكَ عَقْلُكَ عَلَىٰ أَنَّ خَالِقَهُ وَخَالِقَ الْحَدِيقَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَلِيقَةِ، وَاحِدٌ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَضَعَ لَهُ حَدّاً لَا يُجَاوِزُهُ لِكَثْرَةِ الْمَاءِ وَلَا لِقِلَّتِهِ، وَأَنَّ مِمَّا يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ مَا أَقُولُ أَنَّهُ يَقْبَلُ بِالْأَمْوَاجِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ يُشْرِفُ عَلَى السَّهْلِ وَالْجَبَلِ، فَلَوْ لَمْ تُقْبَضْ أَمْوَاجُهُ، وَلَمْ تُحْبَسْ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي أُمِرَتْ بِالاحْتِبَاسِ فِيهَا، لَأَطْبَقَتْ عَلَى الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِذَا

انْتَهَتْ عَلىٰ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَنْتَهِي إِلَيْهَا ذَلَّتْ أَمْوَاجُهُ، وَخَضَعَ إِشْرَافُهُ؟

قَالَ: إِنَّ ذٰلِكَ لَكَمَا وَصَفْتَ، وَلَقَدْ عَايَنْتُ مِنْهُ كُلَّ الَّذِي ذَكَرْتَ، وَلَقَدْ أَتَيْتَنِي بِبُرْهَانٍ وَدَلَالَاتٍ، وَمَا أَقْدِرُ عَلىٰ إِنْكَارِهَا وَلَا جُحُودِهَا لِبَيَانِهَا.

قُلْتُ: وَغَيْرَ ذٰلِكَ سَآتِيكَ بِهِ مِمَّا تَعْرِفُ اتِّصَالَ الْخَلْقِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ، وَأَنَّ ذٰلِكَ مِنْ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ عَالِمٍ قَدِيرٍ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ عَامَّةَ الْحَدِيقَةِ لَيْسَ شُرْبُهَا مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْعُيُونِ؟ وَأَنَّ أَعْظَمَ مَا يَنْبُتُ فِيهَا مِنَ الْعَقَاقِيرِ وَالْبُقُولِ الَّتِي فِي الْحَدِيقَةِ، وَمَعَاشِ مَا فِيهَا مِنَ الدَّوَابِّ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ مِنَ الْبَرَارِي الَّتِي لَا عُيُونَ لَهَا وَلَا أَنْهَارَ، إِنَّمَا يَسْقِيهِ السَّحَابُ؟

قَالَ: بَلىٰ.

قُلْتُ: أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَدُلَّكَ عَقْلُكَ، وَمَا أَدْرَكْتَ بِالْحَوَاسِّ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِهَا، أَنَّهُ لَوْ كَانَ السَّحَابُ الَّذِي يَحْتَمِلُ مِنَ الْمِيَاهِ إِلَى الْبُلْدَانِ، وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي لَا تَنَالُهَا مَاءُ الْعُيُونِ وَالْأَنْهَارِ، وَفِيهَا الْعَقَاقِيرُ وَالْبُقُولُ وَالشَّجَرُ وَالْأَنْعَامُ، لِغَيْرِ صَاحِبِ الْحَدِيقَةِ لَأَمْسَكَهُ عَنِ الْحَدِيقَةِ إِذَا شَاءَ، وَلَكَانَ خَالِقُ الْحَدِيقَةِ مِنْ بَقَاءِ خَلِيقَتِهِ الَّتِي ذَرَأَ وَبَرَأَ عَلىٰ غَرُورٍ وَوَجَلٍ، خَائِفاً عَلىٰ خَلِيقَتِهِ أَنْ يَحْبِسَ صَاحِبُ الْمَطَرِ الْمَاءَ الَّذِي لَا حَيَاةَ لِلْخَلِيقَةِ إِلَّا بِهِ؟

قَالَ: إِنَّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ لَوَاضِحٌ مُتَّصِلٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ

يَكُونَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْحَدِيقَةَ وَهَذِهِ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا الْخَلِيقَةَ، وَخَلَقَ لَهَا هَذَا الْمَغِيضَ، وَأَنْبَتَ فِيهَا هَذِهِ الثِّمَارَ الْمُخْتَلِفَةَ، إِلَّا خَالِقَ السَّمَاءِ، وَالسَّحَابِ يُرْسِلُ مِنْهَا مَا شَاءَ مِنَ الْمَاءِ إِذَا شَاءَ أَنْ يَسْقِيَ الْحَدِيقَةَ، وَيُحْيِيَ مَا فِي الْحَدِيقَةِ مِنَ الْخَلِيقَةِ وَالْأَشْجَارِ وَالدَّوَابِّ وَالْبُقُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي بِحُجَّةٍ أَزْدَادُ بِهَا يَقِيناً، وَأَخْرُجُ بِهَا مِنَ الشَّكِّ.

قُلْتُ: فَإِنِّي آتِيكَ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ قِبَلِ إِهْلِيلَجَتِكَ، وَاتِّصَالِهَا بِالْحَدِيقَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَّصِلَةِ بِأَسْبَابِ السَّمَاءِ، لِتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ بِتَدْبِيرِ عَلِيمٍ حَكِيمٍ.

قَالَ: وَكَيْفَ تَأْتِينِي بِمَا يُذْهِبُ عَنِّي الشَّكَّ مِنْ قِبَلِ الْإِهْلِيلَجَةِ؟

قُلْتُ: فِيمَا أُرِيكَ فِيهَا مِنْ إِتْقَانِ الصُّنْعِ، وَأَثَرِ التَّرْكِيبِ الْمُؤَلَّفِ، وَاتِّصَالِ مَا بَيْنَ عُرُوقِهَا إِلَىٰ فُرُوعِهَا، وَاحْتِيَاجِ بَعْضِ ذَلِكَ إِلَىٰ بَعْضٍ حَتَّىٰ يَتَّصِلَ بِالسَّمَاءِ.

قَالَ: إِنْ أَرَيْتَنِي ذَلِكَ لَمْ أَشُكَّ.

قُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْإِهْلِيلَجَةَ نَابِتَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ عُرُوقَهَا مُؤَلَّفَةٌ إِلَىٰ أَصْلٍ، وَأَنَّ الْأَصْلَ مُتَعَلِّقٌ بِسَاقٍ مُتَّصِلٍ بِالْغُصُونِ، وَالْغُصُونُ مُتَّصِلَةٌ بِالْفُرُوعِ، وَالْفُرُوعُ مَنْظُومَةٌ بِالْأَكْمَامِ وَالْوَرَقِ، وَمَلْبَسُ ذَلِكَ كُلِّهِ الْوَرَقُ، وَيَتَّصِلُ جَمِيعُهُ بِظِلٍّ يَقِيهِ حَرَّ الزَّمَانِ وَبَرْدَهُ؟

قَالَ: أَمَّا الْإِهْلِيلَجَةُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لِيَ اتِّصَالُ لِحَائِهَا، وَمَا بَيْنَ عُرُوقِهَا، وَبَيْنَ وَرَقِهَا وَمَنْبِتِهَا مِنَ الْأَرْضِ، فَأَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَهَا وَاحِدٌ لَا يَشْرَكُهُ فِي خَلْقِهَا غَيْرُهُ، لِإِتْقَانِ الصُّنْعِ، وَاتِّصَالِ الْخَلْقِ، وَائْتِلَافِ التَّدْبِيرِ، وَإِحْكَامِ التَّقْدِيرِ.

قُلْتُ: إِنْ أَرَيْتُكَ التَّدْبِيرَ مُؤْتَلِفاً بِالْحِكْمَةِ وَالْإِتْقَانَ، مُعْتَدِلاً بِالصَّنْعَةِ، مُحْتَاجاً بَعْضُهُ إِلىٰ بَعْضٍ، مُتَّصِلاً بِالْأَرْضِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ الْإِهْلِيلَجَةُ فِي الْحَالاتِ كُلِّهَا، أَتُقِرُّ بِخَالِقِ ذٰلِكَ؟

قَالَ: إِذَنْ لَا أَشُكَّ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ.

قُلْتُ: فَافْهَمْ وَافْقَهْ مَا أَصِفُ لَكَ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْضَ مُتَّصِلَةٌ بِإِهْلِيلَجَتِكَ، وَإِهْلِيلَجَتَكَ مُتَّصِلَةٌ بِالتُّرَابِ، وَالتُّرَابَ مُتَّصِلٌ بِالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْحَرَّ وَالْبَرْدَ مُتَّصِلَانِ بِالْهَوَاءِ، وَالْهَوَاءَ مُتَّصِلٌ بِالرِّيحِ، وَالرِّيحَ مُتَّصِلَةٌ بِالسَّحَابِ، وَالسَّحَابَ مُتَّصِلٌ بِالْمَطَرِ، وَالْمَطَرَ مُتَّصِلٌ بِالْأَزْمِنَةِ، وَالْأَزْمِنَةَ مُتَّصِلَةٌ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مُتَّصِلَتَانِ بِدَوَرَانِ الْفَلَكِ، وَالْفَلَكَ مُتَّصِلٌ بِمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، صَنْعَةً ظَاهِرَةً، وَحِكْمَةً بَالِغَةً، وَتَأْلِيفَ مُتْقِنٍ، وَتَدْبِيرَ مُحْكِمٍ، مُتَّصِلٌ كُلُّ هٰذَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يَقُومُ بَعْضُهُ إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا يَتَأَخَّرُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنْ وَقْتِهِ، وَلَوْ تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهِ لَهَلَكَ جَمِيعُ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَنَامِ وَالنَّبَاتَاتِ؟

قَالَ: إِنَّ هٰذِهِ لَهِيَ الْعَلَامَاتُ الْبَيِّنَاتُ، وَالدَّلَالَاتُ الْوَاضِحَاتُ، الَّتِي يَجْرِي مَعَهَا أَثَرُ التَّدْبِيرِ بِإِتْقَانِ الْخَلْقِ، وَالتَّأْلِيفِ مَعَ إِتْقَانِ الصُّنْعِ، لَكِنِّي

لَسْتُ أَدْرِي لَعَلَّ مَا تَرَكْتَ غَيْرُ مُتَّصِلٍ بِمَا ذَكَرْتَ؟

قُلْتُ: وَمَا تَرَكْتُ؟

قَالَ: النَّاسَ.

قُلْتُ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ مُتَّصِلٌ بِالنَّاسِ سَخَّرَهُ لَهَا الْمُدَبِّرُ الَّذِي أَعْلَمْتُكَ أَنَّهُ إِنْ تَأَخَّرَ شَيْءٌ مِمَّا عَدَّدْتُ عَلَيْكَ هَلَكَتِ الْخَلِيقَةُ، وَبَادَ جَمِيعُ مَا فِي الْحَدِيقَةِ، وَذَهَبَتِ الإِهْلِيلَجَةُ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ فِيهَا مَنَافِعَ النَّاسِ؟

قَالَ: فَهَلْ تَقْدِرُ أَنْ تُفَسِّرَ لِي هَذَا الْبَابَ عَلَىٰ مَا لَخَّصْتَ لِي غَيْرَهُ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، أُبَيِّنُ لَكَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ إِهْلِيلَجَتِكَ حَتَّىٰ تَشْهَدَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مُسَخَّرٌ لِبَنِي آدَمَ.

قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاءَ سَقْفاً مَرْفُوعاً، وَلَوْلَا ذَلِكَ اغْتَمَّ خَلْقُهُ لِقُرْبِهَا، وَأَحْرَقَتْهُمُ الشَّمْسُ لِدُنُوِّهَا، وَخَلَقَ لَهُمْ شُهُباً وَنُجُوماً يُهْتَدَىٰ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لِمَنَافِعِ النَّاسِ، وَنُجُوماً يُعْرَفُ بِهَا أَصْلُ الْحِسَابِ فِيهَا الدَّلَالَاتُ عَلَىٰ إِبْطَالِ الْحَوَاسِّ، وَوُجُودِ مُعَلِّمِهَا الَّذِي عَلَّمَهَا عِبَادَهُ مِمَّا لَا يُدْرَكُ عِلْمُهَا بِالْعُقُولِ، فَضْلاً عَنِ الْحَوَاسِّ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهَا الْأَوْهَامُ، وَلَا يَبْلُغُهَا الْعُقُولُ إِلَّا بِهِ؛ لِأَنَّهُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الَّذِي دَبَّرَهَا، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً يَسْبَحَانِ[1] فِي فَلَكٍ، يَدُورُ بِهِمَا دَائِبَيْنِ، يُطْلِعُهُمَا تَارَةً

---

(١) سبح في الماء وبالماء: عام وانبسط فيه، ويستعار لمرّ النجوم وجري الفرس، وما شاكل.

وَيُوْفِلُهُمَا أُخرىٰ ، فَبَنىٰ عَلَيْهِ الْأَيَّامَ وَالشُّهُورَ وَالسِّنِينَ الَّتِي هِيَ مِنْ سَبَبِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، وَالرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ ، أَزْمِنَةٌ مُخْتَلِفَةَ الْأَعْمَالِ ، أَصْلُهَا اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اللَّذَيْنِ لَوْ كَانَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا سَرْمَداً عَلَى الْعِبَادِ لَمَا قَامَتْ لَهُمْ مَعَايِشُ أَبَداً ، فَجَعَلَ مُدَبِّرُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَخَالِقُهَا النَّهَارَ مُبْصِراً ، وَاللَّيْلَ سَكَناً ، وَأَهْبَطَ فِيهِمَا الْحَرَّ وَالْبَرْدَ مُتَبَايِنَيْنِ ، لَوْ دَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا بِغَيْرِ صَاحِبِهِ مَا نَبَتَتْ شَجَرَةٌ ، وَلَا طَلَعَتْ ثَمَرَةٌ ، وَلَهَلَكَتِ الْخَلِيقَةُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُتَّصِلٌ بِالرِّيحِ الْمُصَرَّفَةِ فِي الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ ، بَارِدَةٌ تُبَرِّدُ أَنْفَاسَهُمْ ، وَحَارَّةٌ تَلْقَحُ أَجْسَادَهُمْ ، وَتَدْفَعُ الْأَذىٰ عَنْ أَبْدَانِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ ، وَرُطُوبَةٌ تُرَطِّبُ طَبَائِعَهُمْ ، وَيُبُوسَةٌ تُنَشِّفُ رُطُوبَاتِهِمْ ، وَبِهَا يَأْتَلِفُ الْمُفْتَرِقُ ، وَبِهَا يَتَفَرَّقُ الْغَمَامُ الْمُطَبِّقُ حَتَّىٰ يَنْبَسِطَ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ مُدَبِّرُهُ ، فَـ ﴿ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ ﴾ (١) بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ، لِمَعَاشٍ مَفْهُومٍ ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ ، وَآجَالٍ مَكْتُوبَةٍ ، وَلَوِ احْتُبِسَ عَنْ أَزْمِنَتِهِ وَوَقْتِهِ هَلَكَتِ الْخَلِيقَةُ ، وَيَبِسَتِ الْحَدِيقَةُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْمَطَرَ فِي أَيَّامِهِ وَوَقْتِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي خَلَقَهَا لِبَنِي آدَمَ ، وَجَعَلَهَا فَرْشاً وَمِهَاداً (٢) ، وَحَبَسَهَا أَنْ تَزُولَ بِهِمْ ، وَجَعَلَ الْجِبَالَ لَهَا أَوْتَاداً (٣) ، وَجَعَلَ فِيهَا يَنَابِيعَ تَجْرِي فِي الْأَرْضِ بِمَا تُنْبِتُ فِيهَا ، لَا تَقُومُ الْحَدِيقَةُ وَالْخَلِيقَةُ إِلَّا بِهَا ، وَلَا يُصْلِحُونَ إِلَّا عَلَيْهَا ، مَعَ

---

(١) سورة الروم: ٤٨.

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً ﴾ سورة النبأ: ٦.

(٣) إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾ سورة النبأ: ٧.

الْبِحَارِ الَّتِي يَرْكَبُونَهَا، وَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهَا حِلْيَةً يَلْبَسُونَهَا [١]، وَلَحْماً طَرِيّاً وَغَيْرَهُ يَأْكُلُونَهُ، فَعُلِمَ أَنَّ إِلٰهَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَاحِدٌ حَيٌّ قَيُّومٌ مُدَبِّرٌ حَكِيمٌ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرَهُ لَاخْتَلَفَتِ الْأَشْيَاءُ، وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ نَظِيرُ الْأَرْضِ، الَّتِي أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْهَا حَبّاً ﴿ وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدائِقَ غُلْباً * وَفاكِهَةً وَأَبّاً ﴾ [٢] بِتَدْبِيرٍ مُؤَلَّفٍ مُبَيَّنٍ، بِتَصْوِيرِ الزَّهْرَةِ وَالثَّمَرَةِ حَيَاةً لِبَنِي آدَمَ، وَمَعَاشاً يَقُومُ بِهِ أَجْسَادُهُمْ، وَتَعِيشُ بِهَا أَنْعَامُهُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِي أَصْوافِهَا وَأَوْبارِهَا وَأَشْعارِهَا أَثاثاً وَمَتاعاً إِلى حِينٍ [٣]، وَالانْتِفَاعِ بِهَا، وَالْبَلَاغِ عَلىٰ ظُهُورِهَا مَعَاشاً لَهُمْ، لَا يَحْيَوْنَ إِلَّا بِهِ، وَصَلَاحاً لَا يَقُومُونَ إِلَّا عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ مَا جَهِلْتَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَلَا تَجْهَلْ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ شَيْئَانِ: شَيْءٌ يُولَدُ وَشَيْءٌ يَنْبُتُ، أَحَدُهُمَا آكِلٌ وَالْآخَرُ مَأْكُولٌ، وَمِمَّا يَدُلُّكَ عَقْلُكَ أَنَّهُ خَالِقُهُمْ مَا تَرىٰ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَتَهْيِئَةِ جَسَدِهِ لِشَهْوَةِ الطَّعَامِ، وَالْمَعِدَةِ لِتَطْحَنَ الْمَأْكُولَ، وَمَجَارِي الْعُرُوقِ لِصَفْوَةِ الطَّعَامِ، وَهَيَّأَ لَهَا الْأَمْعَاءَ، وَلَوْ كَانَ خَالِقُ الْمَأْكُولِ غَيْرَهُ لَمَا خَلَقَ الْأَجْسَادَ مُشْتَهِيَةً لِلْمَأْكُولِ، وَلَيْسَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ.

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ سورة النحل: ١٤.

(٢) سورة عبس: ٢٨ ـ ٣١.

(٣) إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ ﴾ سورة النحل: ٨٠.

قَالَ: لَقَدْ وَصَفْتَ صِفَةً أَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ لَطِيفٍ قَدِيرٍ عَلِيمٍ، قَدْ آمَنْتُ وَصَدَّقْتُ أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، غَيْرَ أَنِّي أَشُكُّ فِي هَذِهِ السَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا؛ لِأَنَّهَا ضَارَّةٌ غَيْرُ نَافِعَةٍ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ صَارَ عِنْدَكَ أَنَّهَا مِنْ غَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ؟

قَالَ: نَعَمْ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ عَبِيدُهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَخْلُقَ مَا يَضُرُّهُمْ.

قُلْتُ: سَأُبَصِّرُكَ مِنْ هَذَا شَيْئاً تَعْرِفُهُ، وَلَا أُنَبِّئُكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ إِهْلِيلَجَتِكَ هَذِهِ، وَعِلْمِكَ بِالطِّبِّ.

قَالَ: هَاتِ؟

قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُ شَيْئاً مِنَ النَّبْتِ لَيْسَ فِيهِ مَضَرَّةٌ لِلْخَلْقِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: هَذِهِ الْأَطْعِمَةُ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ هَذَا الطَّعَامُ الَّذِي وَصَفْتَ يُغَيِّرُ أَلْوَانَهُمْ، وَيُهَيِّجُ أَوْجَاعَهُمْ، حَتَّىٰ يَكُونَ مِنْهَا الْجُذَامُ وَالْبَرَصُ وَالسِّلَالُ (١) وَالْمَاءُ الْأَصْفَرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْجَاعِ؟

قَالَ: هُوَ كَذَلِكَ.

قُلْتُ: أَمَّا هَذَا الْبَابُ فَقَدِ انْكَسَرَ عَلَيْكَ.

---

(١) السلّ ـ بالكسر ـ في اللغة: الهزال، وفي الطبّ القديم: قرحة في الرئة، وإنّما سمّي المرض به لأنّ من لوازمه هزال البدن، ولأنّ الحمّى الدقّيّة لازمة لهذه القرحة.

قَالَ: أَجَلْ.

قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُ شَيْئاً مِنَ النَّبْتِ لَيْسَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ يُدْخَلُ فِي الْأَدْوِيَةِ الَّتِي يُدْفَعُ بِهَا الْأَوْجَاعُ مِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَالسِّلَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَدْفَعُ الدَّاءَ، وَيُذْهِبُ السُّقْمَ مِمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ لِطُولِ مُعَالَجَتِكَ؟

قَالَ: إِنَّهُ كَذَلِكَ.

قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَدْوِيَةِ عِنْدَكُمْ أَعْظَمُ فِي السَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ، أَلَيْسَ التِّرْيَاقُ؟

قَالَ: نَعَمْ، هُوَ رَأْسُهَا، وَأَوَّلُ مَا يُفْرَغُ إِلَيْهِ عِنْدَ نَهْشِ الْحَيَّاتِ[1]، وَلَسْعِ الْهَوَامِّ، وَشُرْبِ السَّمَائِمِ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْأَدْوِيَةِ الْمُرْتَفِعَةِ، وَالْأَدْوِيَةِ الْمُحْرِقَةِ فِي أَخْلَاطِ التِّرْيَاقِ إِلَّا أَنْ تُطْبَخَ بِالْأَفَاعِي الْقَاتِلَةِ؟

قَالَ: نَعَمْ، هُوَ كَذَلِكَ، وَلَا يَكُونُ التِّرْيَاقُ الْمُنْتَفَعُ بِهِ الدَّافِعُ لِلسَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَقَدِ انْكَسَرَ عَلَيَّ هَذَا الْبَابُ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ خَالِقُ السَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ، وَالْهَوَامِّ الْعَادِيَةِ، وَجَمِيعِ النَّبْتِ وَالْأَشْجَارِ، وَغَارِسُهَا وَمُنْبِتُهَا، وَبَارِئُ الْأَجْسَادِ، وَسَائِقُ الرِّيَاحِ،

---

(١) نهش الحيّة: تناوله بفمه ليعضّه فيؤثّر فيه ولا يجرحه.

وَمُسَخِّرُ السَّحَابِ ، وَأَنَّهُ خَالِقُ الْأَدْوَاءِ الَّتِي تُـهَيِّجُ بِـالْإِنْسَانِ ، كَـالسَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي أَعْضَائِهِ وَعِظَامِهِ ، وَمُسْتَقَرِّ الْأَدْوَاءِ ، وَمَا يُـصْلِحُهَا مِنَ الدَّوَاءِ ، الْعَارِفُ بِالرُّوحِ ، وَمَجْرَى الدَّمِ وَأَقْسَامِهِ فِي الْعُرُوقِ ، وَاتِّصَالِهِ بِالْعَصَبِ وَالْأَعْضَاءِ ، وَالْعَصَبِ وَالْجَسَدِ ، وَأَنَّهُ عَارِفٌ بِـمَا يُـصْلِحُهُ مِـنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، عَالِمٌ بِكُلِّ عُضْوٍ بِمَا فِيهِ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَضَعَ هَذِهِ النُّجُومَ وَحِسَابَهَا ، وَالْعَالِمُ بِهَا ، وَالدَّالُّ عَلَىٰ نُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا ، وَمَا يَكُونُ مِنَ الْمَوَالِيدِ ، وَأَنَّ التَّدْبِيرَ وَاحِدٌ لَمْ يَخْتَلِفْ ، مُتَّصِلٌ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا ، فَبَيِّنْ لِي كَيْفَ ؟

قُلْتَ : هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ .

قُلْتُ : هُوَ الأوّل بِلَا كَيْفٍ ، وَهُوَ الْآخِرُ بِلَا نِهَايَةٍ ، لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ خَـلَقَ الْخَلْقَ وَالْأَشْيَاءَ ، لَا مِنْ شَيْءٍ ، وَلَا كَيْفٍ بِلَا عِلَاجٍ وَلَا مُعَانَاةٍ ، وَلَا فِكْرٍ وَلَا كَيْفٍ ، كَمَا أَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ ، وَإِنَّمَا الْكَيْفُ بِكَيْفِيَّةِ الْمَخْلُوقِ ؛ لِأَنَّهُ الْأَوّل لَا بَدْءَ لَهُ ، وَلَا شِبْهَ ، وَلَا مِثْلَ ، وَلَا ضِدَّ ، وَلَا نِدَّ ، لَا يُدْرَكُ بِبَصَرٍ ، وَلَا يُحَسُّ بِلَمْسٍ ، وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِخَلْقِهِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ .

قَالَ : فَصِفْ لِي قُوَّتَهُ ؟

قُلْتُ : إِنَّمَا سُمِّيَ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ قَوِيّاً لِلْخَلْقِ الْعَظِيمِ الْقَوِيِّ الَّذِي خَلَقَ مِثْلَ الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا مِنْ جِبَالِهَا وَبِحَارِهَا وَرِمَالِهَا وَأَشْجَارِهَا ، وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْخَلْقِ الْمُتَحَرِّكِ مِنَ الْإِنْسِ ، وَمِـنَ الْـحَيَوَانِ ، وَتَـصْرِيفِ الرِّيَـاحِ ،

وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ الْمُثَقَّلِ بِالْمَاءِ الْكَثِيرِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَعِظَمِهِمَا وَعِظَمِ نُورِهِمَا، الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ بُلُوغاً وَلَا مُنْتَهىً، وَالنُّجُومِ الْجَارِيَةِ، وَدَوَرَانِ الْفَلَكِ، وَغِلَظِ السَّمَاءِ، وَعِظَمِ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ، وَالسَّمَاءِ الْمُسَقَّفَةِ فَوْقَنَا رَاكِدَةً فِي الْهَوَاءِ، وَمَا دُونَهَا مِنَ الْأَرْضِ الْمَبْسُوطَةِ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْخَلْقِ الثَّقِيلِ، وَهِيَ رَاكِدَةٌ لَا تَتَحَرَّكُ، غَيْرَ أَنَّهُ رُبَّمَا حُرِّكَ فِيهَا نَاحِيَةٌ، وَالنَّاحِيَةُ الْأُخْرىٰ ثَابِتَةٌ، وَرُبَّمَا خَسَفَ مِنْهَا نَاحِيَةٌ وَالنَّاحِيَةُ الْأُخْرىٰ قَائِمَةٌ، يُرِينَا قُدْرَتَهُ، وَيَدُلُّنَا بِفِعْلِهِ عَلىٰ مَعْرِفَتِهِ، فَلِهَذَا سُمِّيَ قَوِيّاً لَا لِقُوَّةِ الْبَطْشِ الْمَعْرُوفَةِ مِنَ الْخَلْقِ، وَلَوْ كَانَتْ قُوَّتُهُ تُشْبِهُ قُوَّةَ الْخَلْقِ لَوَقَعَ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ، وَكَانَ مُحْتَمِلاً لِلزِّيَادَةِ، وَمَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ كَانَ نَاقِصاً، وَمَا كَانَ نَاقِصاً لَمْ يَكُنْ تَامّاً، وَمَا لَمْ يَكُنْ تَامّاً كَانَ عَاجِزاً ضَعِيفاً، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشَبَّهُ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّهُ قَوِيٌّ لِلْخَلْقِ الْقَوِيِّ، وَكَذَلِكَ قَوْلُنَا: الْعَظِيمُ وَالْكَبِيرُ، وَلَا يُشَبَّهُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

قَالَ: أَفَرَأَيْتَ قَوْلَهُ: سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ؟

قُلْتُ: إِنَّمَا يُسَمّىٰ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِأَنَّهُ لَا يَخْفىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، مِنْ شَخْصٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، أَوْ دَقِيقٍ أَوْ جَلِيلٍ، وَلَا نَصِفُهُ بَصِيراً بِلَحْظِ عَيْنٍ كَالْمَخْلُوقِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ سَمِيعاً لِأَنَّهُ ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا﴾ (١) يَسْمَعُ النَّجْوىٰ، وَدَبِيبَ

(١) سورة المجادلة: ٧.

النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا (١) ، وَخَفقَانَ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ (٢) ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، وَلَا شَيْءٌ مِمَّا أَدْرَكَتْهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ ، وَمَا لَا تُدْرِكُهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ ، مَا جَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَمَا دَقَّ ، وَمَا صَغُرَ وَمَا كَبُرَ ، وَلَمْ نَقُلْ سَمِيعاً بَصِيراً كَالسَّمْعِ الْمَعْقُولِ مِنَ الْخَلْقِ .

وَكَذَلِكَ إِنَّمَا سُمِّيَ عَلِيماً لِأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، عَلِمَ مَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ ، وَمَا لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ ، وَلَمْ نَصِفْ عَلِيماً بِمَعْنَىٰ غَرِيزَةٍ يَعْلَمُ بِهَا كَمَا أَنَّ لِلْخَلْقِ غَرِيزَةً يَعْلَمُونَ بِهَا ، فَهَذَا مَا أَرَادَ مِنْ قَوْلِهِ : عَلِيمٌ ، فَعَزَّ مَنْ جَلَّ عَنِ الصِّفَاتِ ، وَمَنْ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ أَفْعَالِ خَلْقِهِ ، فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَىٰ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا فَصَّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، فَسُبْحَانَهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ .

قَالَ : إِنَّ هَذَا لَكَمَا تَقُولُ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِنَّمَا غَرَضِي أَنْ أَسْأَلَ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ فِيهِ عِنْدَ مُصَرِّفٍ يَسْنَحُ عَنِّي ، فَأَخْبِرْنِي لَعَلِّي أُحْكِمُهُ فَيَكُونَ الْحُجَّةُ ، قَدِ انْشَرَحَتْ لِلْمُتَعَنِّتِ الْمُخَالِفِ ، أَوِ السَّائِلِ الْمُرْتَابِ ، أَوِ الطَّالِبِ الْمُرْتَادِ ، مَعَ مَا فِيهِ لِأَهْلِ الْمُوَافَقَةِ مِنَ الازْدِيَادِ ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ : لَطِيفٌ ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لِلْفِعْلِ ، وَلَكِنْ قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَشْرَحَ لِي ذَلِكَ بِوَصْفِكَ ؟

قُلْتُ : إِنَّمَا سَمَّيْنَاهُ لَطِيفاً لِلْخَلْقِ اللَّطِيفِ ، وَلِعِلْمِهِ بِالشَّيْءِ اللَّطِيفِ مِمَّا

---

(١) الصفا : الحجر الصلد الضخم .

(٢) خفق الطير : ضرب بجناحيه .

خَلَقَ مِنَ الْبَعُوضِ وَالذَّرَّةِ[(١)] ، وَمِمَّا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهُمَا ، لَا يَكَادُ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَالْعُقُولُ لِصِغَرِ خَلْقِهِ ، مِنْ عَيْنِهِ وَسَمْعِهِ وَصُورَتِهِ ، لَا يُعْرَفُ مِنْ ذَلِكَ لِصِغَرِهِ الذَّكَرُ مِنَ الْأُنْثىٰ ، وَلَا الْحَدِيثُ الْمَوْلُودُ مِنَ الْقَدِيمِ الْوَالِدِ[(٢)] ، فَلَمَّا رَأَيْنَا لُطْفَ ذَلِكَ فِي صِغَرِهِ ، وَمَوْضِعَ الْعَقْلِ فِيهِ ، وَالشَّهْوَةَ لِلسِّفَادِ[(٣)] ، وَالْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْحَدَبَ عَلىٰ نَسْلِهِ مِنْ وُلْدِهِ ، وَمَعْرِفَةَ بَعْضِهَا بَعْضاً ، وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي لُجَجِ الْبِحَارِ ، وَأَعْنَانِ السَّمَاءِ ، وَالْمَفَاوِزِ وَالْقِفَارِ ، وَمَا هُوَ مَعَنَا فِي مَنْزِلِنَا ، وَيَفْهَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مِنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَمَا يَفْهَمُ مِنْ أَوْلَادِهَا ، وَنَقْلَهَا الطَّعَامَ إِلَيْهَا وَالْمَاءَ ، عَلِمْنَا أَنَّ خَالِقَهَا لَطِيفٌ ، وَأَنَّهُ لَطِيفٌ بِخَلْقِ اللَّطِيفِ[(٤)] ، كَمَا سَمَّيْنَاهُ قَوِيّاً بِخَلْقِ الْقَوِيِّ.

قَالَ : إِنَّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ لَوَاضِحٌ ، فَكَيْفَ جَازَ لِلْخَلْقِ أَنْ يَتَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالىٰ ؟

قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَبَاحَ لِلنَّاسِ الْأَسْمَاءَ وَوَهَبَهَا لَهُمْ ، وَقَدْ قَالَ الْقَائِلُ مِنَ النَّاسِ لِلْوَاحِدِ وَاحِدٌ ، وَيَقُولُ لِلَّهِ وَاحِدٌ ،

---

(١) الذرّ: صغار النمل.

(٢) هذا تنبيه منه عليه السلام على وجود الحيوانات الحيّة ، والميكروبات المخفيّة عن الأنظار والعقول قبل وجود المكبّرات واختراع الميكروسكوب والمنظار بقرون ، وغير خفيّ أنّ العلم بذلك في أحد عشر قرناً قبل زماننا لم يك يحصل إلّا لذوي النفوس الكاملة والأنظار الثاقبة ، الذين خصهم اللّه من بريّته بفضله ، وأيّدهم بحكمته ، وانتجبهم لولايته من بين خلقه ، وعلّمهم ما لا يعلم غيرهم من عبيده.

(٣) وفي نسخة: والشهوة للبقاء.

(٤) وفي نسخة: لطيف بخلق اللطيف.

وَيَقُولُ قَوِيٌّ وَاللَّهُ تَعَالىٰ قَوِيٌّ، وَيَقُولُ صَانِعٌ وَاللَّهُ صَانِعٌ، وَيَقُولُ رَازِقٌ وَاللَّهُ رَازِقٌ، وَيَقُولُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَاللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ، فَمَنْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ وَاحِدٌ فَهٰذَا لَهُ اسْمٌ وَلَهُ شَبِيهٌ، وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَهُوَ لَهُ اسْمٌ وَلَا شَيْءَ لَهُ شَبِيهٌ، وَلَيْسَ الْمَعْنىٰ وَاحِداً، وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ فَهِيَ دَلَالَتُنَا عَلَى الْمُسَمّىٰ (١)؛ لِأَنَّا قَدْ نَرَى الْإِنْسَانَ وَاحِداً، وَإِنَّمَا نُخْبِرُ وَاحِداً إِذَا كَانَ مُفْرَداً، فَعُلِمَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ بِوَاحِدٍ فِي الْمَعْنىٰ؛ لِأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَجْزَاءَهُ لَيْسَتْ سَوَاءً، وَلَحْمَهُ غَيْرُ دَمِهِ، وَعَظْمَهُ غَيْرُ عَصَبِهِ، وَشَعْرَهُ غَيْرُ ظُفُرِهِ، وَسَوَادَهُ غَيْرُ بَيَاضِهِ، وَكَذٰلِكَ سَائِرُ الْخَلْقِ، وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ فِي الاسْمِ وَلَيْسَ بِوَاحِدٍ فِي الاسْمِ وَالْمَعْنىٰ وَالْخَلْقِ، فَإِذَا قِيلَ لِلَّهِ فَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا وَاحِدَ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَهُوَ، تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ، وَقَوِيٌّ وَعَزِيزٌ، وَحَكِيمٌ وَعَلِيمٌ، فَتَعَالَى اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ: رَؤُوفٌ رَحِيمٌ؟ وَعَنْ رِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ؟ وَغَضَبِهِ وَسَخَطِهِ؟

قُلْتُ: إِنَّ الرَّحْمَةَ وَمَا يَحْدُثُ لَنَا مِنْهَا شَفَقَةٌ، وَمِنْهَا جُودٌ، وَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ ثَوَابُهُ لِخَلْقِهِ، وَالرَّحْمَةَ مِنَ الْعِبَادِ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا يَحْدُثُ فِي الْقَلْبِ: الرَّأْفَةُ وَالرِّقَّةُ لِمَا يُرىٰ بِالْمَرْحُومِ مِنَ الضُّرِّ وَالْحَاجَةِ، وَضُرُوبِ الْبَلَاءِ،

---

(١) وفي الكافي الشريف وكتاب التوحيد في حديث آخر ١١٩/١ : فأما في الأسماء فهي واحدة وهي دالة على المسمى.

وَالْآخَرُ مَا يَحْدُثُ مِنَّا مِنْ بَعْدِ الرَّأْفَةِ وَاللُّطْفِ عَلَى الْمَرْحُومِ، وَالرَّحْمَةُ مِنَّا مَا نَزَلَ بِهِ، وَقَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ: انْظُرْ إِلىٰ رَحْمَةِ فُلَانٍ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْفِعْلَ الَّذِي حَدَثَ عَنِ الرِّقَّةِ الَّتِي فِي قَلْبِ فُلَانٍ، وَإِنَّمَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَعْلِ مَا حَدَثَ عَنَّا مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَأَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ فِي الْقَلْبِ فَهُوَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللَّهِ كَمَا وَصَفَ عَنْ نَفْسِهِ، فَهُوَ رَحِيمٌ لَا رَحْمَةَ رِقَّةٍ.

وَأَمَّا الْغَضَبُ، فَهُوَ مِنَّا إِذَا غَضِبْنَا تَغَيَّرَتْ طَبَائِعُنَا، وَتَرْتَعِدُ ـ أَحْيَاناً ـ مَفَاصِلُنَا، وَحَالَتْ أَلْوَانُنَا، ثُمَّ نَجِيءُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْعُقُوبَاتِ، فَسُمِّيَ غَضَباً، فَهَذَا كَلَامُ النَّاسِ الْمَعْرُوفُ، وَالْغَضَبُ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا فِي الْقَلْبِ، وَأَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ فِي الْقَلْبِ فَهُوَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

وَكَذَلِكَ رِضَاهُ وَسَخَطُهُ وَرَحْمَتُهُ عَلىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ جَلَّ وَعَزَّ، لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مِثْلَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ إِرَادَتِهِ؟

قُلْتُ: إِنَّ الْإِرَادَةَ مِنَ الْعِبَادِ الضَّمِيرُ، وَمَا يَبْدُو بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَالْإِرَادَةُ لِلْفِعْلِ إِحْدَاثُهُ، إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، بِلَا تَعَبٍ، وَلَا كَيْفٍ.

قَالَ: قَدْ بَلَّغْتَ حَسْبُكَ، فَهَذِهِ كَافِيَةٌ لِمَنْ عَقَلَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي هَدَانَا مِنَ الضَّلَالِ، وَعَصَمَنَا مِنْ أَنْ نُشَبِّهَهُ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْ نَشُكَّ فِي عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَلَطِيفِ صُنْعِهِ وَجَبَرُوتِهِ، جَلَّ عَنِ

الْأَشْبَاهِ وَالْأَضْدَادِ، وَتَكَبَّرَ عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ.

شرح: قوله عليه السلام: «دَفَعْتَ إِلَيْهِ» على بناء المجهول، أي دفعتك الحاجة والضرورة إليه، وفي الأساس: دفع فلان إلى فلان انتهى إليه.

قوله عليه السلام: «مَغِيض» ـ هو بفتح الميم وكسر الغين المعجمة ـ: موضع يجري إليه الماء ويغيب، أو يجتمع فيه، وفي الثاني مصدر ميميّ.

قوله عليه السلام: «فِي الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ» أي الشمال والجنوب والصبا والدبور، ويحتمل أن يكون المراد المتغيّرة بسبب الصفات الأربعة التي فسّرها عليه السلام.

قوله عليه السلام: «تَلْقَحُ أَجْسَادَهُمْ» أي تنميها مستعاراً من لقاح الشجر، كما قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [(١)]، وفي أكثر النسخ بالفاء، وهو بمعنى الإحراق، فيكون كناية عن نضجها، و«الْوَدْق» المطر.

قوله: ﴿ وَقَضْباً ﴾ يعني الرطبة، سمّيت بمصدر قضبه: إذا قطعه؛ لأنّها تقضب مرّة بعد أُخرى.

﴿ وَحَدَائِقَ غُلْباً ﴾ أي عظاماً، وصفت به الحدائق لتكاثفها، وكثرة أشجارها، أو لأنّها ذات أشجار غلاظ، مستعار من وصف الرقاب.

﴿ وَأَبّاً ﴾ مرعى، من أبّ إذا أمّ لأنّه يؤمّ وينتجع، أو من أب لكذا: إذا تهيّأ له لأنّه متهيّأ للرعي، وفاكهة يابسة تؤبّ للشتاء.

---

(١) سورة الحجر: ٢٢.

وقال الجوهريّ: الأثاث: متاع البيت، قال الفرّاء: لا واحد له، وقال أبو زيد: الأثاث: المال أجمع: الإبل والغنم والعبيد والمتاع، الواحدة أثاثة، انتهى.

«وَمَتاعاً» أي شيئاً ينتفع به، «إِلى حِينٍ» إلى أن تقضوا منه أوطاركم، أو إلى أن يبلى ويفنى، أو إلى أن تموتوا.

قوله عليه السلام: «وَالانْتِفَاعِ» عطف على «أَصْوافِها»، أو في أصوافها.

قوله عليه السلام: «وَمُسْتَقَرٍّ» اسم مكان معطوف على الأدواء.

قوله عليه السلام: «هُوَ الأوّل بِلَا كَيْفٍ» أي كان أزليّاً من غير اتّصاف بكيفيّة، أو من غير أن تعرف كيفيّة أوّليّته بمقارنة زمان قديم، بل بلا زمان.

قوله عليه السلام: «لَا مِنْ شَيْءٍ، وَلَا كَيْفٍ» أي لا من مادّة، ولا من شبه ومثال وتصوّر وخيال تمثّل فيه كيفيّة الخلق، ثمّ خلق على مثال ذلك كما في المخلوقين.

قوله عليه السلام ثانياً: «وَلَا كَيْفٍ» أي ليس لخلقه وإيجاده كيفيّة كما في المخلوقين من حركة ومزاولة عمل، فكما أنّه لا كيف لذاته لا كيف لإيجاده، وإذا وصف خلقه وإيجاده بالكيف فهو يرجع إلى كيفيّة مخلوقه، فإذا قيل: كيف خلق الأشياء؟ فالمعنى الصحيح له كيف مخلوقاته لا أنّه كيف كان فعله وإيجاده، وإليه أشار عليه السلام بقوله: «وَإِنَّمَا الْكَيْفُ بِكَيْفِيَّةِ الْمَخْلُوقِ».

ثمّ علّل ذلك بأنّ هذه صفات المحدثين، وهو الأوّل لا بدء له ولا

شبه، فكيف يتّصف بها.

قوله عليه السلام: «الَّذِي خَلَقَ» خبر مبتدأ محذوف، أي هو الذي.

وقوله عليه السلام: «وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ» عطف على الخلق العظيم، ويحتمل العطف على قوله: «مِثْلَ الْأَرْضِ».

قوله عليه السلام: «بُلُوغاً وَلَا مُنْتَهىً» لعلّ المراد أنّه لا يبلغ الأبصار إليهما، ولا إلى منتهى نورهما، أو منتهى جسمهما.

قوله عليه السلام: «وَعِظَمِ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ» أي السماء، أو ما عليها من الملائكة.

قوله: «وَلَا يُشَبَّهُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ» على بناء المجهول من باب التفعيل، أي لا يصير إطلاق هذه الأسماء عليه سبباً لأن يظنّ أنّه شبيه بخلقه.

قوله: «إِنَّمَا غَرَضِي» أي غرضي من السؤال أن تجيب عمّا يعرض لي من إشكال يصرفني عن الحقّ.

«يَسْنَحُ» ويظهر «عَنِّي»، وفي بعض النسخ: عن ردّ الجواب فيه عند متعرّف غبي، أي إنّي قد آمنت وأيقنت، وإنّما المقصود من السؤال أن أقدر على أن أُجيب عن سؤال متعرّف غبي، جاهل أحمق، لأهديه إلى الحقّ، وهو أظهر.

و«الْحَدَبَ» العطف والشفقة، ولعلّ المراد بما في أعنان السماء ما يطير في الهواء، وقد مرّ تفسير بعض الفقرات، وسيأتي تفسير بعضها.

باب ٦: التوحيد، ونفي الشريك، ومعنى الواحد والأحد والصمد وتفسير سورة التوحيد[١]

البقرة:

﴿ وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً[٣] يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾[٤].

وقال سبحانه: ﴿ اللَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ ﴾[٦].

آل عمران:

﴿ وَما مِنْ إِلٰهٍ إِلّا اللَّهُ ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ[٨] أَلّا نَعْبُدَ إِلّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً

---

(١) وفي الباب ٢٥ حديثاً.
(٢) سورة البقرة: ١٦٣.
(٣) أي من الأصنام، أو الرؤساء، أو الأعمّ، يحبّونهم أو يعظّمونهم ويصفونهم كتعظيمه تعالى والميل إلى طاعته. قوله: ﴿ أشدّ حبّاً لله ﴾ أي لا تنقطع محبّتهم لله، بخلاف محبّة الأنداد فإنّها لأغراض فاسدة تزول بأدنى سبب (منه رحمه الله).
(٤) سورة البقرة: ١٦٥.
(٥) سورة البقرة: ٢٥٥ * سورة آل عمران: ٢.
(٦) سورة البقرة: ٢٨٤ * سورة النساء: ١٣١ * سورة الحشر: ١ * سورة الصفّ: ١.
(٧) سورة آل عمران: ٦٢ * سورة ص: ٦٥.
(٨) أي لا يختلف فيها الرسل والكتب (منه رحمه الله).

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

النساء:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً * إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلّا إِناثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلّا شَيْطاناً مَرِيداً ﴾ .

وقال: ﴿ وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (٢) .

الأنعام:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَتَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة آل عمران: ٦٤ ، أي ألزمتكم الحجّة فاعترفوا بأنّا مسلمون دونكم ، واعترفوا بأنّكم كافرون بما نطقت به الكتب ، وتطابقت عليه الرسل (منه رحمه اللّه).
(٢) سورة النساء: ٤٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ـ ١١٧ ، ١٣٢.
(٣) سورة الأنعام: ٤٠ و٤١.
(٤) سورة الأنعام: ٥٦.

الأعراف :

﴿ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ ﴾ في مواضع (١) .

يونس :

﴿ وَما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

هود :

﴿ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (٤) .

يوسف :

﴿ ما كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأعراف : ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ * سورة هود : ٥٠، ٦١، ٨٤ * المؤمنون : ٢٣ ، ٣٢.

(٢) سورة يونس : ٦٦.

(٣) سورة يونس : ١٠٤ ـ ١٠٦.

(٤) سورة هود : ٢.

(٥) سورة يوسف : ٣٨.

وقال: ﴿ يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ * ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا إِيّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال: ﴿ وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

الرعد:

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلّا كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلّا فِي ضَلالٍ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهّارُ ﴾ (٣) .

وقال: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتابِ ﴾ (٤) .

وقال: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ

---

(١) سورة يوسف: ٣٩ و ٤٠.
(٢) سورة يوسف: ١٠٦.
(٣) سورة الرعد: ١٤ ـ ١٦.
(٤) سورة الرعد: ٣٠.

قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِما لا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ (١) .

وقال: ﴿ قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ (٢) .

إبراهيم :

﴿ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلٰهٌ واحِدٌ ﴾ (٣) .

النحل :

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاإِلٰهَ إِلّا أَنَا فَاتَّقُونِ * خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَقالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلٰهٌ واحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ واصِباً أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ * وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ * ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ *نَصِيباً مِمّا

---

(١) سورة الرعد: ٣٣.

(٢) سورة الرعد: ٣٦.

(٣) سورة إبراهيم: ٥٢.

(٤) سورة النحل: ٢ و٣.

رَزَقْناهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ ما يَشْتَهُونَ ﴾ (١).

الإسراء:

﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً * وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً * أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً ﴾ (٥).

الكهف:

﴿ فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا

---

(١) سورة النحل: ٥١ ـ ٥٧.
(٢) سورة الإسراء: ٢٢ و٢٣.
(٣) سورة الإسراء: ٣٩.
(٤) سورة الإسراء: ٤٣.
(٥) سورة الاسراء: ٥٦ و٥٧.

إِذاً شَطَطاً * هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ (١) .

وقال اللّه تعالى: ﴿ لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ أَ فَحَسِبَ (٤) الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ (٦) فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ (٧) .

مريم:

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾ (٨) .

---

(١) سورة الكهف: ١٤ و١٥.
(٢) سورة الكهف: ٣٨.
(٣) سورة الكهف: ٤٢.
(٤) مفعول الثاني لـ «حسب» مقدّر، أي نافعهم أو لا أُعذّبهم، أو سدّ «أن يتّخذوا» مسدّ المفعولين (منه رحمه اللّه).
(٥) سورة الكهف: ١٠٢.
(٦) أي يأمل حسن لقائه يخاف سوء لقائه (منه رحمه اللّه).
(٧) سورة الكهف: ١١٠.
(٨) سورة مريم: ٨١ و٨٢.

الأنبياء:

﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (١) * لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ * لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ * وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلّا هُزُواً أَ هذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنّا يُصْحَبُونَ (٤) ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها

---

(١) قوله: هم ينشرون أي الموتى، وهم وإن لم يقروا بذلك لكن يلزم ذلك من ادّعائهم كونها آلهة (منه رحمه الله).

(٢) سورة الأنبياء: ١٩ ـ ٢٥.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٦.

(٤) أي من عذابه، وقوله: لا يستطيعون استينافي لإبطال ما اعتقدوه. ﴿ولا هم منّا يُصْحَبون﴾ أي لا يجارون من عذابنا، ولا يصحبهم منّا نصر (منه رحمه الله).

(٥) سورة الأنبياء: ٤٢ و٤٣.

وارِدُونَ * لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ * لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّما يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

الحجّ:

﴿ حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٢).

وقال: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ (٣).

المؤمنون:

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤).

وقال عزّ وجلّ: ﴿ فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٨ ـ ١٠١، ١٠٨.
(٢) سورة الحجّ: ٣١.
(٣) سورة الحجّ: ٧٣.
(٤) سورة المؤمنون: ٩١ و٩٢.

الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ ﴾ (١) .

الفرقان :

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً ﴾ (٢) .

الشعراء :

﴿ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ (٣) .

النمل :

﴿ اللَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى :﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٥) * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ (٦) وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

---

(١) سورة المؤمنون : ١١٧.
(٢) سورة الفرقان : ٣.
(٣) سورة الشعراء : ٢١٣.
(٤) سورة النمل : ٢٦.
(٥) أي يعدلون عن الحقّ (منه رحمه الله).
(٦) أي جبالاً ثابتة. والبحران : العذب والمالح ، وبحرا فارس والروم (منه رحمه الله).

لا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ (١) فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ (٢).

القصص:

﴿ وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ (٣) رَبَّنا هؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ (٤) * وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥).

---

(١) أي بالنجوم وعلامات الأرض. بين يدي رحمته، أي المطر من السماء والأرض، أي بأسبابها (منه رحمه الله).

(٢) سورة النمل: ٥٩ ـ ٦٤.

(٣) أي حقّ عليهم الوعيد بالعذاب من الجنّ والشياطين، والذين أغووا الخلق من الإنس. ﴿رَبَّنا هؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا﴾ يعنون أتباعهم ﴿ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ﴾ [سورة القصص: ٦٣] أي لم يكونوا يعبدوننا، بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زيفوا عبادتنا، أو لم يعبدونا باستحقاق (منه رحمه الله).

(٤) أي بحيلة لدفع العذاب، أو إلى الحقّ، وقيل: (لو) للتمنّي أي تمنّوا أنّهم كانوا مهتدين (منه رحمه الله).

(٥) سورة القصص: ٦٢ ـ ٦٤، ٨٧ ـ ٨٨.

العنكبوت:

﴿ وَإِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

وقال: عزّ وجلّ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ ﴾ (١).

الروم:

﴿ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ(٢) وَكانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * وَإِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا

(١) سورة العنكبوت: ٨، ٤١ ـ ٤٣.
(٢) أي الشياطين حيث أطاعوهم، وقيل: كانوا يتمثلون ويتخيّلون أنّهم الملائكة فيعبدونهم (منه رحمه الله).
(٣) سورة الروم: ٣١ ـ ٣٥.

يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

لقمان:

﴿ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال: ﴿ وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما ﴾ (٣) .

سبأ:

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ وَما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ كَلّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٥) .

وقال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَ هؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُون * قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الروم: ٤٠.
(٢) سورة لقمان: ١٣.
(٣) سورة لقمان: ١٥.
(٤) سورة سبأ: ٢٢.
(٥) سورة سبأ: ٢٧.
(٦) سورة سبأ: ٤٠ و٤١.

فاطر:

﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (١).

وقال سبحانه:

﴿ وَما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ (٢) سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى (٣) ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ (٤) وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ

---

(١) سورة فاطر: ٣.

(٢) الفرات: هو الذي ينكسر به العطش، والسائغ: الذي يسهل انحداره، والأُجاج: الذي يحرق بملوحته، والمراد بالحلية اللآلي، مواخر: أي تشقّ الماء بجريها (منه رحمه الله).

(٣) الأجل المسمّى مدّة دوره أي منتهاه، أو يوم القيامة. القطمير: لفافة النواة (منه رحمه الله).

(٤) أي على فرض المحال ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع، أو لتبرّيهم منكم ممّا تدعون لهم (منه رحمه الله).

(٥) سورة فاطر: ١٢ ـ ١٤.

عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إلّا غُرُوراً ﴾ (١) .

يس :

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ * لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾ (٢) .

والصافّات :

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفّاً * فَالزَّاجِراتِ زَجْراً * فَالتَّالِياتِ ذِكْراً * إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ * رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبُّ الْمَشارِقِ ﴾ (٣) .

ص :

﴿ وَما مِنْ إِلهٍ إِلّا اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ (٤) .

الزمر :

﴿ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ فَأَنّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة فاطر : ٤٠.
(٢) سورة يس : ٧٤ و٧٥.
(٣) سورة الصافّات : ١ ـ ٥.
أقسم بالملائكة الصافّين في مقام العبوديّة ، الزاجرين لأجرام العلويّة والسفليّة بالتدبير المأمور فيها ، أو الناس عن المعاصي والشياطين عن التعرّض لهم ، التالين آيات اللّه تعالى وأسراره على أنبيائه وأصفيائه ، أو بطوائف العلماء الصافّين في العبادات ، الزاجرين عن الكفر والمعاصي ، التالين آيات اللّه وشرائعه ، أو بنفوس الغزاة الصافّين في الجهاد ، الزاجرين الخيل أو العدوّ ، والتالين ذكر اللّه لا يشغلهم عنه مجاهدة الأعداء (منه قدّس سرّه).
(٤) سورة ص : ٦٥ و٦٦.
(٥) سورة الزمر : ٦.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٤).

المؤمن:

﴿ ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ (٥).

وقال: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٦).

---

(١) سورة الزمر: ٨.
(٢) سورة الزمر: ١٤ و١٥.
(٣) سورة الزمر: ٢٩.
(٤) سورة الزمر: ٦٤ ـ ٦٦.
(٥) سورة غافر: ١٢.
(٦) سورة غافر: ٢٠.

وقال تعالى: ﴿ وَيا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

فصّلت:

﴿ قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: يَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي قالُوا آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ *

---

(١) سورة غافر: ٤١ و٤١.

(٢) سورة غافر: ٦٢ ـ ٨٤.

(٣) سورة فصّلت: ٦ ـ ٩.

(٤) سورة فصّلت: ١٤.

وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ ﴾ (٢) .

حمعسق:

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتى وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ (٣) .

الزخرف:

﴿ وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة فصّلت: ٤٧ و٤٨.
(٢) سورة غافر: ٣٧ و٣٨.
(٣) سورة الشورى: ٩، ١٣.
(٤) سورة الزخرف: ٢٦ و٢٧.
(٥) سورة الزخرف: ٤٥.

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (١).

الجاثية:

﴿ وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ ما كَسَبُوا شَيْئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

محمّد صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا اللَّهُ ﴾ (٣).

ق:

﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَأَلْقِياهُ فِي الْعَذابِ الشَّدِيدِ ﴾ (٤).

الذاريات:

﴿ وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (٥).

الطور:

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦).

---

(١) سورة الزخرف: ٥٧ و٥٨.
(٢) سورة الجاثية: ١٠.
(٣) سورة محمّد: ١٩.
(٤) سورة ق: ٢٦.
(٥) سورة الذاريات: ٥١.
(٦) سورة الطور: ٤٣.

الممتحنة:

﴿ قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١).

الجنّ:

﴿ قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ﴾ (٢).

المزّمّل:

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ (٣).

التوحيد:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (٤).

****

(١٥٤٣) ١ ـ **التوحيد والخصال:** الطّالَقَانِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يَحْيىٰ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْهَيْثَمِ الْبَلَدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمُعَافَى بْنِ عِمْرَانَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحِ بْنِ هَانِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: إِنَّ أَعْرَابِيّاً

---

(١) سورة الممتحنة: ٤.
(٢) سورة الجنّ: ٢٠.
(٣) سورة المزّمّل: ٩.
(٤) سورة التوحيد.

قَامَ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ ! أَتقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ؟ قَالَ: فَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقَالُوا: يَا أَعْرَابِيُّ ! أَمَا تَرىٰ مَا فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَقَسُّمِ الْقَلْبِ (١) ؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ: دَعُوهُ ، فَإِنَّ الَّذِي يُرِيدُهُ الْأَعْرَابِيُّ هُوَ الَّذِي نُرِيدُهُ مِنَ الْقَوْمِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ ! إِنَّ الْقَوْلَ فِي أَنَّ اللَّـهَ وَاحِـدٌ عَـلىٰ أَرْبَـعَةِ أَقْسَـامٍ: فَوَجْهَانِ مِنْهَا لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَوَجْـهَانِ يَـثْبُتَانِ فِـيهِ ، فَأَمَّا اللَّذَانِ لَا يَجُوزَانِ عَلَيْهِ فَقَوْلُ الْقَائِلِ: وَاحِدٌ يَقْصِدُ بِهِ بَابَ الْأَعْدَادِ ، فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ مَا لَا ثَانِيَ لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْأَعْدَادِ ، أَمَا تَرىٰ أَنَّهُ كَفَرَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؟ وَقَوْلُ الْقَائِلِ: هُوَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ ، يُرِيدُ بِهِ النَّوْعَ مِنَ الْجِنْسِ ، فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ وَجَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالىٰ عَنْ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْوَجْهَانِ اللَّذَانِ يَثْبُتَانِ فِيهِ: فَقَوْلُ الْقَائِلِ: هُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَـهُ فِـي الْأَشْيَاءِ شِبْهٌ ، كَذَلِكَ رَبُّنَا ، وَقَوْلُ الْقَائِلِ: إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَـدِيُّ الْـمَعْنىٰ ، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُـودٍ وَلَا عَـقْلٍ وَلَا وَهْـمٍ ، كَـذَلِكَ رَبُّـنَا عَـزَّ وَجَلَّ (٢) .

---

(١) تقسّم الشيء: فرّقه، تقسّمته الهموم أي وزّعت خواطره.

(٢) التوحيد : ٨٤ * الخصال : ٢ .

وسنده مقبول ، ومضمونه صحيح ، محمد بن سعيد البزوري ذكره الخطيب فقال : «كوفي الأصل حدث عن ابن شبة وابن حرب والدوري وروى عنه ابن المنادى وابن شاذان وابن الشخير وابن شاهين» ، وإبراهيم بن الهيثم قال عنه الخطيب أيضاً : «إبراهيم بن الهيثم عندنا ثقة ثبت لا يختلف شيوخنا فيه» ، ووثقه الدارقطني ، أبوه الهيثم مستور لدى العامة .

معاني الأخبار: عبد اللّه بن محمّد بن عبد الوهّاب بن نصر بن عبد الوهّاب بن عطاء بن واصل السنجريّ، عن أبي الحسن أحمد بن محمّد ابن عبد اللّه بن حمزة الشعرانيّ العماريّ ـ من ولد عمّار بن ياسر ـ عن أبي محمّد عبيد اللّه بن يحيى بن عبد الباقي الآذنيّ، عن أبي المقدام بن شريح بن هاني، عن أبيه ... مثله (١).

بيان:: التقسّم: التفرّق، والمعنى الأوّل المنفي هو الوحدة العدديّة، بمعنى أن يكون له ثانٍ من نوعه، والثاني أن يكون المراد به صنفاً من نوع، فإنّ النوع يطلق في اللغة على الصنف، وكذا الجنس على النوع، فإذا قيل لرومي ـ مثلاً ـ: هذا واحد من الناس بهذا المعنى يكون المعنى أنّ صنف هذا صنف من أصناف الناس، أو هذا من صنف من أصنافهم.

ويحتمل أن يكون المراد بالأوّل الذي له ثانٍ في الإلهيّة، وبالثاني الواحد من نوع داخل تحت جنس، فالمراد أنّه يريد به أي بالناس أنّه نوع لهذا الشخص، ويكون ذكر الجنس لبيان أنّ النوع يستلزم الجنس غالباً، فيلزم التركيب من الأجزاء العقليّة، والمعنيان المثبتان الأوّل منهما إشارة إلى نفي الشريك، والثاني منهما إلى نفي التركيب.

وقوله: «فِي وُجُودٍ» أي في الخارج.

(١٥٤٤) ٢ـ **التوحيد ومعاني الأخبار**: أَبِي، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِيَ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ؟ قَالَ: الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ الْأَلْسُنِ

---

(١) معاني الأخبار: ٥.

بِالْوَحْدَانِيَّةِ [١] .

المحاسن: أبي ، عن داود بن القاسم ... مثله [٢] .

(١٥٤٥) ٣ـ**الاحتجاج**: عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مَا مَعْنَى الْأَحَدِ؟ قَالَ: الْمُجْمَعُ عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، أَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [٣] بَعْدَ ذَلِكَ لَهُ شَرِيكٌ وَصَاحِبَةٌ [٤] ؟!

بيان: قوله عليه السلام: «بَعْدَ ذَلِكَ» استفهام على الإنكار ، أي كيف يكون له شريك وصاحبة بعد إجماع القول على خلافه ؟

(١٥٤٦) ٤ـ**التوحيد**: ابْنُ عِصَامٍ وَالدَّقَّاقُ ، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ بْنِ الْحَسَنِ ، جَمِيعاً عَنْ سَهْلٍ ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِيَ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ؟ قَالَ: الَّذِي اجْتِمَاعُ الْأَلْسُنِ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [٥] .

---

(١) التوحيد: ٨٢ * معاني الأخبار: ٥ ، وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات عيون عظام .
(٢) المحاسن: ٣٢٨/٢ .
(٣) سورة العنكبوت: ٦١ .
(٤) الاحتجاج: ٢٣٨/٢ .
(٥) التوحيد: ٨٣ ، وسنده حسن كالصحيح ، سهل من الكبار ، راجع ملحق: ٩ .
الظاهر من مضامين الأحاديث الثلاثة أنّها متّحدة ، وأنّ أبا هاشم الجعفريّ سئل مرّة واحدة عن موضوع واحد ، والاختلاف الذي يتراءى فيها جاء من قِبل الرواة بعد النقل بالمعنى ونقلها

بيان: يحتمل تلك الأخبار وجوهاً:

الأوّل: أن يكون عليه السلام أحال معنى الواحد على ما هو المعروف بين الناس وأعرض عنه، واستدلّ عليه بما جبل عليه جميع العقول من الإذعان بتوحيده.

الثاني: أن يكون المراد به أنّ معنى الواحد هو الذي أقرّ به كلّ ذي عقل إذا صرف عنه الأغراض النفسانيّة.

الثالث: أن يكون هذا اللفظ بحسب الشرع موضوعاً لهذا المعنى مأخوذاً فيه إجماع الألسن (١).

ثمّ الظاهر أن تكون الآية احتجاجاً على مشركي قريش حيث كانوا يقرّون بأنّ الخالق لجميع المخلوقات هو اللّه تعالى، ومع ذلك كانوا

بالتفصيل والإجمال، كما أنّ الظاهر من الحديث الثاني الذي نقل فيها ألفاظ السائل بتمامها أنّ المسئول عنه هو معنى الأحد الواقع في سورة الإخلاص، بل هو صريح في ذلك، لا المعنى الواحد كما في الحديث الأوّل والثالث المنقولين بالمعنى؟ وحاصل السؤال استفهام معنى الأحد، وكأنّه أراد فهم الفرق بينه وبين معنى الواحد، فأجابه عليه السلام بأنّ الأحد هو الذي لا يرى ذوي الألسن والعقول له شريك في وحدته، واجتمعوا باتّصافه بالوحدانيّة دون غيره، ثمّ استشهد عليه السلام لكونه تعالى كذلك بالآية، وأنّ طوائف الناس بأجمعها مذعنة باتّصافه بأنّه خالق السماوات والأرض، وأنّه إلههما دون غيره.
والحاصل: كلّ ما يراه الناس بطوائفه وأصنافه أنّه واحد في ذاته، أو في صفاته، ولم يروا في ذلك له شبيه ونظير فهو المسمّى بالأحد، بخلاف الواحد فإنّه يحتمله وغيره، والأوّل يسمّى بالفارسيّة (يكتا)، والثاني (يك)، والأوّل لا يقع في مراتب الأعداد بخلاف الثاني.
قلت: ليس الحديث من موارد النقل بالمعنى، بل ثمة زيادة في بعض الطرق.
(١) أمّا المعنيان الأوّلان فهما بحسب الدقّة واحد، وهو الذي جبل عليه العقول، ولا تأثير للشهرة العرفيّة في هذه المعاني، وأمّا الثالث فاحتمال فاسد من أصله لا يحمل عليه الأخبار؛ اذ لا معنى لدعوة القرآن إلى الحقيقة الشرعيّة من غير بيان ولا إشارة ألغازاً وتعمية (الطباطبائي).

يعبدون الأصنام ﴿ وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ ﴾ (١) .

ويحتمل أن يكون المراد أنّ غرائز الخلق كلّها مجبولة على الإذعان بتوحيده ، فإذا رجعوا إلى أنفسهم وتركوا العصبيّة والعناد يرون أنفسهم مذعنة بذلك ، وينبّه على ذلك أنّهم عند اضطرارهم في المهالك والمخاوف لا يلجئون إلّا إليه ، كما نبّه تعالى عليه في مواضع من القرآن المجيد .

والأوّل أظهر ، فإنّ للتوحيد ثلاثة معان :

الأوّل : توحيد واجب الوجود .

والثاني : توحيد صانع العالم ، ومدبّر النظام .

والثالث : توحيد الإله ، وهو المستحقّ للعبادة ، وكان مشركو قريش مخالفين في المعنى الثالث .

(١٥٤٧) ٥ـ **الاحتجاج** : عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ : أَنَّهُ سَأَلَ الزِّنْدِيقُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللّهَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ طِينَةٌ مُوذِيَةٌ ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّفَصِّيَ (٢) مِنْهَا إِلّا بِامْتِزَاجِهِ بِهَا ، وَدُخُولِهِ فِيهَا ، فَمِنْ تِلْكَ الطِّينَةِ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ ؟ قَالَ : سُبْحَانَ اللّهِ وَتَعَالىٰ ! مَا أَعْجَزَ إِلَهاً يُوصَفُ بِالْقُدْرَةِ لَا يَسْتَطِيعُ التَّفَصِّيَ مِنَ الطِّينَةِ ، إِنْ كَانَتِ الطِّينَةُ حَيَّةً أَزَلِيَّةً فَكَانَا إِلَهَيْنِ قَدِيمَيْنِ فَامْتَزَجَا وَدَبَّرَا الْعَالَمَ مِنْ أَنْفُسِهِمَا ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ ؟ وَإِنْ كَانَتِ الطِّينَةُ مَيِّتَةً فَلَا بَقَاءَ لِلْمَيِّتِ مَعَ الْأَزَلِيِّ الْقَدِيمِ ،

---

(١) سورة يونس : ١٨ .

(٢) التفصّي : التخلّص .

وَالْمَيِّتُ لَا يَجِيءُ مِنْهُ حَيٌّ (١) ، هَذِهِ مَقَالَةُ الدَّيصَانِيَّةِ أَشَدِّ الزَّنَادِقَةِ قَوْلاً ، وَأَهْمَلِهِمْ مَثَلاً ، نَظَرُوا فِي كُتُبٍ قَدْ صَنَّفَتْهَا أَوَائِلُهُمْ وَحَبَّرُوهَا (٢) لَهُمْ بِأَلْفَاظٍ مُزَخْرَفَةٍ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ ثَابِتٍ ، وَلَا حُجَّةٍ تُوجِبُ إِثْبَاتَ ، مَا ادَّعَوْا كُلَّ ذَلِكَ خِلَافاً عَلَى اللَّهِ وَعَلَىٰ رُسُلِهِ ، وَتَكْذِيباً بِمَا جَاؤُوا بِهِ عَنِ اللَّهِ ، فَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَبْدَانَ ظُلْمَةٌ وَالْأَرْوَاحَ نُورٌ ، وَأَنَّ النُّورَ لَا يَعْمَلُ الشَّرَّ ، وَالظُّلْمَةَ لَا تَعْمَلُ الْخَيْرَ ، فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَلُومُوا أَحَداً عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ ، وَلَا رُكُوبِ حُرْمَةٍ ، وَلَا إِتْيَانِ فَاحِشَةٍ ، وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى الظُّلْمَةِ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فِعْلُهَا ، وَلَا لَهُ أَنْ يَدْعُوَ رَبّاً ، وَلَا يَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ النُّورَ رَبٌّ ، وَالرَّبُّ لَا يَتَضَرَّعُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يَسْتَعِيذُ بِغَيْرِهِ ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَقُولَ : أَحْسَنْتُ وَأَسَأْتُ ؛ لِأَنَّ الْإِسَاءَةَ مِنْ فِعْلِ الظُّلْمَةِ ، وَذَلِكَ فِعْلُهَا ، وَالْإِحْسَانُ مِنَ النُّورِ ، وَلَا يَقُولُ النُّورُ لِنَفْسِهِ : أَحْسَنْتَ يَا مُحْسِنُ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ ثَالِثٌ ، فَكَانَتِ الظُّلْمَةُ عَلَىٰ قِيَاسِ قَوْلِهِمْ أَحْكَمَ فِعْلاً ، وَأَتْقَنَ تَدْبِيراً ، وَأَعَزَّ أَرْكَاناً مِنَ النُّورِ ؛ لِأَنَّ الْأَبْدَانَ مُحْكَمَةٌ ، فَمَنْ صَوَّرَ هَذَا الْخَلْقَ صُورَةً وَاحِدَةً عَلَىٰ نُعُوتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؟ وَكُلَّ شَيْءٍ يُرَىٰ ظَاهِراً مِنَ الظَّهْرِ ، وَالْأَشْجَارِ وَالثِّمَارِ وَالطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِلَهاً ثُمَّ حَبَسَتِ النُّورَ فِي حَبْسِهَا ، وَالدَّوْلَةُ لَهَا ، وَمَا ادَّعَوْا بِأَنَّ الْعَاقِبَةَ سَوْفَ تَكُونُ لِلنُّورِ فَدَعْوَىٰ ، وَيَنْبَغِي عَلَىٰ قِيَاسِ قَوْلِهِمْ أَنْ لَا يَكُونَ لِلنُّورِ فِعْلٌ ؛ لِأَنَّهُ أَسِيرٌ

(١) وفي نسخة : والميّت لا يحيى منه حيّ.

(٢) أي زيّنوها وحسّنوها بألفاظ أباطيل مموّهة.

وَلَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ ، فَلَا فِعْلَ لَهُ وَلَا تَدْبِيرَ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ مَعَ الظُّلْمَةِ تَدْبِيرٌ فَمَا هُوَ بِأَسِيرٍ ، بَلْ هُوَ مُطْلَقٌ عَزِيزٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ ، وَكَانَ أَسِيرَ الظُّلْمَةِ ، فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِي هٰذَا الْعَالَمِ إِحْسَانٌ وَخَيْرٌ مَعَ فَسَادٍ وَشَرٍّ ، فَهٰذَا يَدُلُّ عَلىٰ أَنَّ الظُّلْمَةَ تُحْسِنُ الْخَيْرَ وَتَفْعَلُهُ كَمَا تُحْسِنُ الشَّرَّ وَتَفْعَلُهُ.

فَإِنْ قَالُوا: مُحَالٌ ذٰلِكَ ، فَلَا نُورَ يُثْبَتُ وَلَا ظُلْمَةَ ، وَبَطَلَتْ دَعْوَاهُمْ ، وَيَرْجِعُ الْأَمْرُ إِلىٰ أَنَّ اللّٰهَ وَاحِدٌ ، وَمَا سِوَاهُ بَاطِلٌ ، فَهٰذِهِ مَقَالَةُ مَانِي الزِّنْدِيقِ وَأَصْحَابِهِ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ بَيْنَهُمَا حَكَمٌ ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ الثَّلَاثَةِ الْحَكَمُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْحَاكِمِ إِلَّا مَغْلُوبٌ ، أَوْ جَاهِلٌ ، أَوْ مَظْلُومٌ ، وَهٰذِهِ مَقَالَةُ الْمَدْقُونِيَّةِ(١) ، وَالْحِكَايَةُ عَنْهُمْ تَطُولُ.

قَالَ: فَمَا قِصَّةُ مَانِي ؟ قَالَ: مُتَفَحِّصٌ أَخَذَ بَعْضَ الْمَجُوسِيَّةِ فَشَابَهَا بِبَعْضِ النَّصْرَانِيَّةِ(٢) فَأَخْطَأَ الْمِلَّتَيْنِ ، وَلَمْ يُصِبْ مَذْهَباً وَاحِداً مِنْهُمَا ، وَزَعَمَ أَنَّ الْعَالَمَ دُبِّرَ مِنْ إِلٰهَيْنِ: نُورٍ وَظُلْمَةٍ ، وَأَنَّ النُّورَ فِي حِصَارٍ مِنَ الظُّلْمَةِ ـ عَلىٰ مَا حَكَيْنَا مِنْهُ ـ فَكَذَّبَتْهُ النَّصَارىٰ وَقَبِلَتْهُ الْمَجُوسُ ... الْخَبَرَ(٣).

---

(١) وفي نسخة: وهذه مقالة المرقوبيّة.

(٢) أي زادها ببعض النصرانيّة.

(٣) الاحتجاج : ٢/٩١ * قال الفيروزآباديّ: مجوس ـكصبورـ: رجل صغير الأُذنين وضع ديناً ودعا إليه معرّب (ميج كوش گوش).

توضيح وتحقيق: اعلم أنّه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى إبطال مذاهب ثلاث فرق من الثنويّة، ولنحقّق أصل مذاهبهم ليتّضح ما أفاده عليه السلام في الردّ عليهم.

الأوّل: مذهب الديصانيّة، وهم أصحاب ديصان، وهم أثبتوا أصلين: نوراً وظلاماً، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً، والظلام يفعل الشرّ طبعاً واضطراراً، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور، وما كان من شرّ وضرّ ونتن وقبح فمن الظلام.

وزعموا أنّ النور حيّ عالم قادر حسّاس درّاك، ومنه تكون الحركة والحياة، والظلام ميّت جاهل عاجز جماد موّات، لا فعل لها ولا تمييز.

وزعموا أنّ الشرّ يقع منه طباعاً.

وزعموا أنّ النور جنس واحد، وكذلك الظلام جنس واحد، وأنّ إدراك النور إدراك متّفق، وأنّ سمعه وبصره هو حواسّه، وإنّما قيل: ﴿ سَمِيعٌ بَصِير ﴾ [(١)] لاختلاف التركيب، لا لأنّهما في نفسهما شيئان مختلفان.

وزعموا أنّ اللون هو الطعم، وهو الرائحة، وهو المجسّة [(٢)]، وإنّما وجده لوناً لأنّ الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة، ووجده طعماً لأنّها خالطته بخلاف ذلك الضرب، وكذلك يقول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها ومجسّتها.

وزعموا أنّ النور بياض كلّه، وأنّ الظلمة سواد كلّها.

---

(١) سورة الحجّ: ٦١، ٧٥، سورة لقمان: ٢٨، سورة المجادلة: ١.

(٢) المجسّ والمجسّة: موضع اللمس.

وزعموا أنّ النور لم يزل يلقي الظلمة بأسفل صفيحة منه ، وأنّ الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفيحة منها .

واختلفوا في المزاج والخلاص ، فزعم بعضهم أنّ النور دخل الظلمة ، والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ ، فتأذّى بها وأحبّ أن يرقّقها ويليّنها ثمّ يتخلّص منها ، وليس ذلك لاختلاف جسمها ، ولكن كما أنّ المنشار جنسه حديد وصفيحته لينة وأسنانه خشنة ، فاللّين في النور ، والخشونة في الظلمة ، وهما جنس واحد ، فيلطّف النور بليّنه حتّى يدخل فيما بين تلك الفرج ، فما أمكنه إلّا بتلك الخشونة ، فلا يتصوّر الوصول إلى كمال ووجود إلّا بلين وخشونة .

وقال بعضهم : بل الظلام لمّا احتال حتّى تشبّث بالنور من أسفل صفيحته ودرجه ، فاجتهد النور حتّى يتخلّص منه ، ويدفعها عن نفسه ، اعتمد عليه فلجّج فيه ، وذلك بمنزلة الإنسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه ، فيعتمد على رجله ليخرج ، فيزداد لجوجاً فيه ، فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلّص منه ، والتفرّد بعالمه .

وقال بعضهم : إنّ النور إنّما دخل الظلام اختياراً ليصلحها ويستخرج منه أجزاء صالحة لعالمه ، فلمّا دخل تشبّث به زماناً ، فصار يفعل الجور والقبيح اضطراراً لا اختياراً ، ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلّا الخير المحض ، والحسن البحت (١) وفرق بين الفعل الضروريّ وبين الفعل الاختياريّ .

الثاني : مذهب المانويّة أصحاب ماني الحكيم ، الذي ظهر في زمان

---

(١) البحت : الصرف الخالص .

سابور بن أردشير، وذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة، وكان يقول بنبوّة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوّة موسى عليه السلام.

حكى محمّد بن هارون المعروف بأبي عيسى الورّاق: أنّ الحكيم ماني زعم أنّ العالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنّهما أزليّان لم يزالا ولن يزالا، وأنكر وجود شيء لا من الأصل قديماً، وزعم أنّهما لم يزالا قويّين حسّاسين سميعين بصيرين، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادّان، والخير والشرّ متحاذيان تحاذي الشخص والظل، والنور جوهره حسن فاضل كريم صاف نقيّ، طيّب الريح، حسن المنظر، ونفسه خيّرة كريمة حليمة نافعة عالمة، وفعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام والاتّفاق، وجهته فوق، وأكثرهم على أنّه مرتفع من ناحية الشمال.

وزعم بعضهم أنّه بجنب الظلمة وأجناسه خمسة: أربعة منها أبدان، والخامسة روحها، فالأبدان: النار والريح والنور والماء، وروحها النسيم، وهي تتحرّك في هذه الأبدان، وصفاته حسنة خيّرة طاهرة زكيّة.

وقال بعضهم: كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجوّ، وأرض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض، بل على صورة جرم الشمس، وشعاعها كشعاع الشمس، ورائحتها طيّبة أطيب رائحة، وألوانها ألوان قوس قزح.

وقال بعضهم: ولا شيء إلّا الجسم، والأجسام على ثلاثة أنواع: أرض

النور وهي خمسة ، وهناك جسم آخر ألطف منه وهو الجوّ ، وهو نفس النور ، وجسم آخر ألطف منه وهو النسيم ، وهو روح النور .

قال : ولم يزل يولّد ملائكة وآلهة أولياء ، ليس على سبيل المناكحة ، بل كما يتولّد الحكمة من الحكيم ، والنطق الطيّب من الناطق ، وملك ذلك العالم هو روحه ، ويجمع عالمه الخير والحمد والنور .

وأمّا الظلمة فجوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث ، منتن الريح ، قبيح المنظر ، ونفسها شريرة لئيمة سفيهة ضارّة جاهلة ، وفعلها الشرّ والفساد والضرر والغمّ والتشويش والاختلاف ، وجهتها تحت ، وأكثرهم على أنّها منحطّة من جانب الجنوب .

وزعم بعضهم : أنّها بجنب النور ، وأجناسها خمسة : أربعة منها أبدان ، والخامسة روحها ، فالأبدان هي : الحريق والظلمة والسموم والضباب ، وروحها الدخان ، وهو يتحرّك في هذه الأبدان ، وأمّا صفاتها فهي خبيثة شريرة نجسة دنسة .

وقال بعضهم : كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجوّ ، فأرض الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الأرض ، بل هي أكثف وأصلب ، ورائحتها كريهة أنتن الروائح ، وألوانها السواد .

وقال بعضهم : ولا شيء إلّا الجسم ، والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض الظلمة ، وجسم آخر أظلم منه وهو الدخان ، وجسم آخر أظلم منه وهو السموم .

وقال : ولم يزل تولّد الظلمة شياطين وعفاريت ، لا على سبيل المناكحة ، بل كما يتولّد الحشرات من العفونات القذرة .

قال: وملك ذلك العالم هو روحه، ويجمع عالمه الشرّ والذميمة والظلمة.

ثمّ اختلفت المانويّة في المزاج وسببه، والخلاص وسببه.

قال بعضهم: إنّ النور والظلام امتزجا بالخبط والاتّفاق لا بالقصد والاختيار، وقال أكثرهم: إنّ سبب الامتزاج أنّ أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل، فنظرت الروح فرأت الأبدان على ممازجة النور فأجابتها لإسراعها إلى الشرّ، فلمّا رأى ذلك ملك النور وجّه إليها ملكاً من ملائكته في خمسة أجزاء من أجناسها الخمسة، فاختلطت الخمسة النوريّة بالخمس الظلاميّة، فخالط الدخان النسيم، وإنّما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم، والهلاك والآفات من الدخان، وخالط الحريق النار، والنور الظلمة، والسموم الريح، والضباب الماء، فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور، وما فيه من مضرّة وشرّ وفساد فمن أجناس الظلمة.

فلمّا رأى ملك النور هذه الامتزاج أمر ملكاً من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة ليخلّص أجناس النور من أجناس الظلمة، وإنّما سارت الشمس والنجوم والقمر لاستصفاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة.

هذا ما ذكر الشهرستانيّ من تحقيق مذهبهم مع خرافات أُخر نقلها عنهم.

وقال ابن أبي الحديد: قالت المانويّة: إنّ النور لا نهاية له من جهة فوق، وأمّا من جهة تحت فله نهاية، والظلمة لا نهاية لها من جهة أسفل، وأمّا من جهة فوق فلها نهاية، وكان النور والظلمة هكذا قبل خلق

العالم ، وبينهما فرجة ، وإنّ بعض أجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر إلى الظلمة فأشرقت الظلمة ، فأقبل عالم كثير من النور ، فجاءت الظلمة ليستخلص المأمورين (١) من تلك الأجزاء (٢) ، وطالت الحرب واختلط كثير من أجزاء النور بكثير من أجزاء الظلمة ، فاقتضى حكمة نور الأنوار ، وهو البارئ سبحانه عندهم ، أنّ عمل الأرض من لحوم القتلى ، والجبال من عظامهم ، والبحار من صديدهم (٣) ودمائهم ، والسماء من جلودهم ، وخلق الشمس والقمر وسيّرهما لاستصفاء ما في العالم من أجزاء النور المختلطة بأجزاء الظلمة ، وجعل حول العالم خندقاً خارج الفلك الأعلى يطرح فيه الظلام المستصفى ، فهو لا يزال يزيد ويتضاعف ويكثر في ذلك الخندق ، وهو ظلام صرف قد استصفي نوره.

وأمّا النور المستخلص فيلحق بعد الاستصفاء بعالم الأنوار ، فلا تزال الأفلاك متحرّكة والعالم مستمرّاً إلى أن يتمّ استصفاء النور الممتزج ، وحينئذٍ يبقى من النور الممتزج شيء منعقد باطل لا تقدر النيران على استصفائه ، فعند ذلك تسقط الأجسام العالية ـ وهي الأفلاك ـ على الأجسام السافلة ـ وهي الأرضون ـ وتفور نار تضطرم في تلك الأسافل وهي المسمّاة بجهنّم ، ويكون الاضطرام مقدار ألف وأربعمائة سنة ، فتحلّل بتلك النار تلك الأجزاء المنعقدة من النور الممتزجة بأجزاء الظلمة التي عجز الشمس والقمر عن استصفائها ، فيرتفع إلى عالم الأنوار ويبطل حينئذٍ ويعود النور كلّه إلى حالته الأُولى قبل الامتزاج ، وكذلك

---

(١) كذا في النسخ ، وفي شرح نهج البلاغة : المأسورين.

(٢) وفي نسخة : ليتخلّص المأمورين من تلك الأجزاء.

(٣) الصديد : القيح المختلط بالدم.

الظلمة.

الثالث: المرقوبيّة، أثبتوا أصلين متضادّين: أحدهما النور، والثاني الظلمة، وأثبتوا أصلاً ثالثاً هو المعدّل الجامع، وهو سبب المزاج، فإنّ المتنافرين المتضادّين لا يمتزجان إلّا بجامع، وقالوا: الجامع دون النور في الرتبة وفوق الظلمة، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم.

ومنهم من يقول: الامتزاج إنّما يحصل بين الظلمة والمعدّل؛ إذ هو قريب منها، فامتزج به ليتطيّب به، ويلتذّ ملاذه، فبعث النور إلى العالم الممتزج روحاً مسيحيّة، وهو روح اللّه وابنه تحنّناً على المعدّل السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتّى يخلّصه من حبائل الشياطين، فمن اتّبعه فلم يلامس النساء، ولم يقرب الزهومات، أفلت ونجا، ومن خالفه خسر وهلك. قالوا: وإنّما أثبتنا المعدّل لأنّ النور الذي هو اللّه تعالى لا تجوز عليه مخالطة الشيطان، فإنّ الضدّين يتنافران طبعاً، ويتمانعان ذاتاً ونفساً، فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما؟ فلا بدّ من معدّل تكون منزلته دون النور وفوق الظلام، فيقع المزاج معه، كذا ذكره الشهرستانيّ.

وقال ابن أبي الحديد: قول المجوس هو: أنّ الغرض من خلق العالم أن يتحصّن الخالق جلّ اسمه من العدوّ (١)، وأن يجعل العالم شبكة له ليوقع العدوّ فيه ويجعله في ربط ووثاق، والعدوّ عندهم هو الشيطان، وبعضهم يعتقد قِدمه، وبعضهم حدوثه.

قال قوم منهم: إنّ البارئ عزّ وجلّ استوحش ففكّر فكرة رديّة فتولّد

---

(١) وفي نسخة: أن ينحصر الخالق جل اسمه من العدوّ.

منها الشيطان.

وقال آخرون: بل شكّ شكّاً رديّاً فتولّد الشيطان من شكّه.

وقال آخرون: بل تولّد من عفونة رديّة قديمة.

وزعموا أنّ الشيطان حارب الباريً سبحانه، وكان في الظلمة لم يزل بعيداً عن سلطان الباريً سبحانه، فلم يزل يزحف حتّى رأى النور فوثب وثبة عظيمة فصار في سلطان اللّه تعالى في النور، وأدخل معه البلايا والشرور، فبنى اللّه سبحانه هذه الأفلاك والأرض والعناصر شبكة له، وهو فيها محبوس لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه الأوّل والظلمة فهو أبداً يضطرب، ويرمي الآفات على خلق اللّه سبحانه، فمن أحياه اللّه رماه الشيطان بالموت، ومن أصحّه رماه الشيطان بالسقم، ومن سرّه رماه الشيطان بالحزن والكآبة، فلا يزال كذلك، وكلّ يوم ينتقص سلطانه وقوّته؛ لأنّ اللّه تعالى يحتال له كلّ يوم ويضعفه إلى أن تذهب قوّته كلّها ويخمد ويصير جماداً جامداً هوائيّاً، ويجمع اللّه تعالى أهل الأديان فيعذّبهم بقدر ما يطهّرهم، ويصفّيهم من طاعة الشيطان، ويغسلهم من الأدناس، ثمّ يدخلهم الجنّة، وهي لا أكل فيها ولا شرب ولا تمتّع، ولكنّها موضع لذّة وسرور.

أقول: لمّا عرفت هذه المذاهب السخيفة المزخرفة التي يغني تقريرها عن التعرّض لإبطالها وتزييفها فلنرجع إلى توضيح الخبر.

فنقول يظهر من كلامه عليه السلام أنّ الديصانيّة قالوا بقِدم الطينة، أي الظلمة، وبحدوث الامتزاج، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما نسبه الشهرستانيّ إلى الزروانيّة، حيث قال: زعم بعضهم أنّه كان لم يزل مع

اللّه شيء رديّ ، إمّا فكرة رديّة ، وإمّا عفونة رديّة ، وذلك هو مصدر الشيطان، وزعموا أنّ الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات ، وكان أهلها في خير محض ونعيم خالص ، فلمّا حدث أهرمن حدثت الشرور والآفات والفتن (١) ، وكان بمعزل من السماء ، فاحتال حتّى خرق السماء وصعد (٢) .

ثمّ إنّه استدلّ عليه السلام على إبطال مذهبهم بوجهين :

الأوّل : أنّ قولكم إنّه تعالى كان لم يزل متأذّياً من تلك الطينة ولم يستطع التفصّي منها يستلزم عجزه تعالى ، والعجز نقص يحكم العقل ببراءة صانع مثل هذا النظام عنه ، وأيضاً يوجب الاحتياج إلى من يرفع ويدفع ذلك عنه ، وهو ينافي وجوب الوجود الذي قام البرهان على اتّصاف الصانع تعالى به .

والثاني : أنّه لا يخلو إمّا أن تكون تلك الطينة الأزليّة حيّة عالمة قادرة فيكون كلّ منهما إلهاً واجباً بالذات لما قد ثبت بالعقل والنقل أنّ الممكن لا يكون قديماً ، فإذا حصل العالم من امتزاجها فلا يجوز على شيء من أجزاء العالم الموت والفناء؛ إذ انتفاء المركّب إنّما يكون بانتفاء أحد أجزائه ، والجزءان هنا قديمان. ويحتمل أن يكون هذا إلزاماً عليهم ، حيث أثبتوا الظلمة وجعلوها ميّتة جاهلة عاجزة جماداً لينسبوا إليها الموت والفناء زعماً منهم أنّ مثل هذه الأُمور لا يصدر عن النور الحيّ العالم القادر .

---

(١) وفي نسخة : والآفات والمحن .

(٢) الملل والنحل : ١/٢٣٥ .

وإمّا أن تكون ميّتة أي عادمة للقدرة والعلم والإرادة ، وهذا محال؛ إذ القِدم يستلزم وجوب الوجود ، وهو يستلزم الاتّصاف بالعلم والقدرة وسائر الكمالات ، وإليه أشار عليه السلام بقوله: «فَلَا بَقَاءَ لِلْمَيِّتِ مَعَ الْأَزَلِيِّ الْقَدِيمِ» .

ثمّ أبطل ذلك بوجه آخر وهو: أنّهم ينسبون خلق الموذيات كالحيّات والعقارب والسباع إلى الظلمة ، ولو كانت ميّتة لا يجوز نسبة خلقها إليها؛ إذ العقل يحكم بديهة أنّه يجب أن يكون الصانع أشرف من المصنوع من جميع الجهات ، وكيف يفيض الحياة والعلم والقدرة ممّن لم يكن له حظّ منها ؟!

وأمّا المانويّة فيظهر من كلامه عليه السلام في تقرير مذهبهم غير ما مرّ من نقل الناقلين لمذهبهم ، ولا عبرة بنقلهم ، فإنّهم كثيراً ما ينسبون أشياء إلى جماعة من الشيعة وغيرهم ممّا قد نعلم خلافها ، مع أنّه يحتمل أن يكون كلامهم مرموزاً ، وعلم عليه السلام أنّ مرادهم بالنور الروح ، وبالظلمة الجسد ، والنور هو الربّ تعالى .

ويؤيّده أنّه كان الملعون نصرانيّاً ، ومذهب النصارى في المسيح عليه السلام قريب من ذلك ، ويحتمل أن يكون ما ذكره عليه السلام مذهباً لجماعة من قدمائهم ، ثمّ غيّروه إلى ما نقل عنهم ، وكون النور أسيراً للظلمة يحتمل أن يكون كناية عن عدم استقلاله في التدبير ، ومعارضة أهرمن له في كثير ممّا يريده .

وقد استدلّ عليه السلام على بطلان مذهبهم بوجوه:

الأوّل: أن لا يكون الناس قادرين على ترك الشرور والمساوي

والمعاصي؛ لأنّها من فعل الجسد الذي هو الظلمة، ولا يتأتّى منه الخير، ولا يستحقّ أحد الملامة على الشرّ لكونه مجبوراً عليه، وقد نراهم يلومون الناس على الشرور والمساوي، فهذا دليل على بطلان مذهبهم.

الثاني: أنّهم يستحسنون التضرّع إلى الربّ تعالى وعبادته، والاستعانة به، وأمثال تلك الأعمال فعل الروح الذي هو الربّ بزعمهم، فيكف يعبد نفسه، ويستعين بنفسه ويتضرّع إليها؟ وإن قالوا: إنّه يتضرّع إلى الظلمة فكيف يليق بالربّ أن يستعيذ بغيره؟

الثالث: أنّه يلزم أن لا يجوز أن يقول أحد لأحد: أحسنت، ولا أسأت، وهذا باطل اتّفاقاً وبديهةً، وأمّا بيان الملازمة فلأنّ الحاكم بذلك إمّا النور أو الظلمة؛ إذ المفروض أنّه لا شيء غيرهما، وكلاهما باطلان، أمّا الأوّل فلأن الظاهر من هذا الكلام المغايرة بين المادح والممدوح، والمفروض اتّحادهما، ويحتمل أن يكون هذا منبّهاً على ما يحكم به العقل بديهة من المغايرة بين الأشخاص مع أنّهم يقولون بأنّ أرواح جميع الخلق شخص واحد هو النور وهو الرب تعالى، وهذا قريب من الوحدة التي قالت به الصوفيّة، وأمّا الثاني فلأن الظلمة فعلها الإساءة وتعدها حسنة، فكيف تحكم بقبحها؟

ويمكن تقرير الملازمة بوجه آخر: بأن يقال: ظاهر أنّ التحسين والتشنيع من فعل النور، ولا يتصوّر منه شيء منهما؛ لأنّ المخاطب في «أسأت» هو الظلمة، وهو مجبور على فعل القبيح بزعمهم، فلا يستحقّ اللوم، وهو المراد بقوله: «وَذَلِكَ فِعْلُهَا»، والمخاطب في أحسنت هو النور؛ لأن الحسن فعله، فيتّحد المادح والممدوح.

الرابع: أنّهم يحكمون بأنّ النور هو الربّ تعالى، ويجب على هذا أن يكون أقوى وأحكم وأتقن من الظلمة التي هي مخلوقة، ويلزمهم بمقتضى أقوالهم الفاسدة عكس ذلك؛ لأنّ الأبدان عندهم من فعل الظلمة، ولا نحكم بقدرة الربّ وعلمه وحكمته إلّا بما نشاهد من تلك الأبدان المختلفة، والأشجار والثمار والطيور والدوابّ، ولا نشاهد ممّا يقولون من الأرواح شيئاً فيلزمهم على قياس ذلك أن تكون الظلمة إلهاً قادراً حكيماً عليماً، فقوله عليه السلام: «فَمَنْ صَوَّر» مبتدأ، وقوله: «يَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِلَهاً» خبره، وقوله: «كُلَّ شَيْءٍ» معطوف على قوله: «هَذَا الْخَلْق».

الخامس: قولهم بأنّ النور في حبس الظلمة ينافي القول بربوبيّته؛ لأنّ كونه محبوساً يستلزم عجزه ونقصه، وكلّ منهما ينافي الربوبيّة كما مرّ، وما ادّعوا من أنّه في القيامة يغلب النور عليها، فمع أنّه لا ينفع في دفع الفساد فهو دعوى من غير حجّة، وأيضاً يلزمهم أن لا يكون للنور فعل لأنّه أسير، وإن قالوا بأنّ له أيضاً فعلاً من الخلق والتدبير فليس بأسير؛ لأنّ العقل يحكم بأنّ الخالق المدبّر لا بدّ من أن يكون عزيزاً منيعاً قادراً قاهراً على كلّ من سواه، فلمّا ثبت على قياس قولهم إنّه أسير فيلزمهم بما قرّرنا أن يكون ما في العالم من الإحسان والخير أيضاً من فعل الظلمة، فإن حكموا باستحالة ذلك ـ أي كون الخير من الظلمة ـ فقد بطل أصل كلامهم، وهو الحكم بتوزيع الخلق، وثبت ما قلناه من أنّ الربّ تعالى واحد لا يشاركه ولا يضادّه في ملكه أحد.

وأمّا مذهب المرقوبيّة، فقد بيّن عليه السلام بطلانه، بأنّ القول بالحكم ينافي القول بربوبيّة النور؛ لأنّ الحكم يكون قاهراً والنور

مقهوراً ، وبديهة العقل حاكمة ببطلان كون الربّ مقهوراً ، وأيضاً يلزم أن يكون الحكم أعلم بالحكمة من النور الذي حكمتم أنّه ربّ ، والضرورة قاضية بأنّ الربّ الخالق لمثل هذا الخلق المدبّر لهذا النظام لا يكون جاهلاً.

هذا جملة القول في هذا الخبر على ما ناله فهمي القاصر ، وبسط القول فيه يحتاج إلى كتاب مفرد معمول لذلك ، واللّه الموفق لكلّ خير.

(١٥٤٨) ٦ ـ **تفسير القمّيّ**: ثُمَّ رَدَّ عَلَى الثَّنَوِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا بِإِلَهَيْنِ فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ ﴾ (١) ، قَالَ: لَوْ كَانَ إِلَهَيْنِ كَمَا زَعَمْتُمْ لَكَانَا يَخْلُقَانِ ، فَيَخْلُقُ هَذَا وَلَا يَخْلُقُ هَذَا ، وَيُرِيدُ هَذَا وَلَا يُرِيدُ هَذَا ، وَلَطَلَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْغَلَبَةَ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمَا خَلْقَ إِنْسَانٍ وَأَرَادَ الْآخَرُ خَلْقَ بَهِيمَةٍ ، فَيَكُونُ إِنْسَاناً وَبَهِيمَةً فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ ، فَلَمَّا بَطَلَ هَذَا ثَبَتَ التَّدْبِيرُ وَالصُّنْعُ لِوَاحِدٍ ، وَدَلَّ أَيْضاً التَّدْبِيرُ وَثَبَاتُهُ ، وَقِوَامُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ عَلىٰ أَنَّ الصَّانِعَ وَاحِدٌ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ... الآيَةَ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ أَنَفاً: ﴿ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٢).

بيان: أنفاً ـ بالتحريك ـ أي استنكافاً وتنزّهاً.

---

(١) سورة المؤمنون: ٩١.

(٢) تفسير القمي: ٢/٩٣.

(١٥٤٩) ٧ـ**التوحيد ومعاني الأخبار**: أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسىٰ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ مُحَمَّدٍ (١) ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَسُئِلَ عَنِ الصَّمَدِ ، فَقَالَ : الصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ (٢) .

(١٥٥٠) ٨ـ**التوحيد ومعاني الأخبار**: الدَّقَّاقُ ، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ ، عَنْ عَلّانٍ ، عَنْ سَهْلٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَلِيدٍ ـ وَلَقَبُهُ شَبَابٌ الصَّيْرَفِيُّ ـ عَنْ دَاوُدَ ابْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، مَا الصَّمَدُ ؟ قَالَ : السَّيِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ (٣) فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ (٤) .

(١٥٥١) ٩ـ**التوحيد**: ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ ، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، عَنِ الْمِيثَمِيِّ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيىٰ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : إِنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا : انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ ، فَلَبِثَ ثَلَاثاً لَا يُجِيبُهُمْ ، ثُمَّ نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ إِلىٰ آخِرِهَا ، فَقُلْتُ : مَا الصَّمَدُ ؟ فَقَالَ : الَّذِي لَيْسَ

---

(١) في التوحيد ومعاني الأخبار : الربيع بن مسلم .

(٢) التوحيد : ٩٣ * معاني الأخبار : ٦ .
ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى الربيع بن محمد ـ مسلم ـ .

(٣) صمد إليه : قصده .

(٤) التوحيد : ٩٤ * معاني الأخبار : ٦ * الكافي الشريف : ١/١٢٣ .
ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى سهل وهو كذلك من الكبار راجع ملحق : ٩ ، ومحمد ابن الوليد شباب الصيرفي ضعفه ابن الغضائري ، ويحتمل اتحاده مع محمد بن الوليد البجلي الخزاز وهو ثقة نقي الحديث ، وقد عمّر حتى روى عنه سعد والحميري ، ومن شواهد الاتحاد أن سهل روى عن محمد بن الوليد ، وعن ابن الوليد شباب الصيرفي .

بِمُجَوَّفٍ (١) .

(١٥٥٢) ١٠ ـ **التوحيد** : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسىٰ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي السَّرِيِّ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ الَّتِي يُدْعىٰ بِهَا ، وَتَعَالىٰ فِي عُلُوِّ كُنْهِهِ ، وَاحِدٌ تَوَحَّدَ بِالتَّوْحِيدِ فِي عُلُوِّ تَوْحِيدِهِ (٢) ، ثُمَّ أَجْرَاهُ عَلىٰ خَلْقِهِ ، فَهُوَ وَاحِدٌ صَمَدٌ قُدُّوسٌ يَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَيَصْمِدُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ ، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً (٣) .

إيضاح : « واحد » خبر إن ، والجملتان معترضتان ، أي تطهّرت أسماؤه عن النقائص ، أو كثرت صفات جلاله وعظمته ، أو ثبت ولا يعتريها التغيّر ، وكلمة « في » في قوله : « فِي عُلُوِّ كُنْهِهِ » تعليليّة .

وقوله عليه السلام : « تَوَحَّدَ بِالتَّوْحِيد » أي لم يكن في الأزل أحد يوحّده ، فهو كان يوحّد نفسه ، فكان متفرّداً بالوجود ، متوحّداً بتوحيد نفسه ، ثمّ بعد الخلق عرّفهم نفسه ، وأمرهم أن يوحّدوه ، أو المراد أن توحّده لا يشبه توحّد غيره ، فهو متفرّد بالتوحيد (٤) ، أو كان قبل الخلق

---

(١) التوحيد : ٩٣ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وإسماعيل بن علي هو السندي ، واستظهر المؤلف قدس سره بكونه الميثمي .

(٢) وفي نسخة : في علوّ توحده .

(٣) التوحيد : ٩٣ ، وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، والحسن بن السري ذكره الشيخ والنجاشي في أصحابنا المصنفين ، له كتاب رواه ابن محبوب ، وقد روى عنه يونس وابن مسكان وأبان بن عثمان وجعفر بن بشير وزرارة وعلي بن الحكم ، واعتمد عليه الصدوق ، ووثقه ابن داود ناسباً التوثيق إلى النجاشي .

(٤) وفي نسخة : فهو متفرّد بالتوحيد .

كذلك، وأجرى سائر أنواع التوحيد على خلقه؛ إذ الوحدة تساوق الوجود أو تستلزمه لكن وحداتهم مشوبة بأنواع الكثرة.

(١٥٥٣) ١١ ـ **التوحيد**: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ لِي: قُلْ لِلْعَبَّاسِي يَكُفُّ عَنِ الْكَلَامِ فِي التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهِ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، وَيَكُفُّ عَمَّا يُنْكِرُونَ، وَإِذَا سَأَلُوكَ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقُلْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ * أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾، وَإِذَا سَأَلُوكَ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ فَقُلْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، وَإِذَا سَأَلُوكَ عَنِ السَّمْعِ فَقُلْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) كَلِّمِ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ (٢).

(١٥٥٤) ١٢ ـ **التوحيد**: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْفَقِيهُ الْقُمِّيُّ ثُمَّ الْإِيلَاقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدَانُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ ابْنِ جَعْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي

---

(١) سورة المائدة ٧٦. سورة الأنفال: ٦١. سورة يونس: ٦٥. سورة يوس: ٣٤. سورة الشعراء: ٢٢٠. سورة فصّلت: ٣٦. سورة الدخان: ٦.

(٢) التوحيد: ٩٥.

وسنده إلى محمد بن عبيد صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام، ومحمد بن عبيد لعله الهمداني روى عنه ابن أبي نجران وغيره.

طَالِبٍ بِمَدِينَةِ خُجَنْدَةَ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شُجَاعٍ الْفَرْغَانِيُّ ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ الْقَبْرِيُّ بِمِصْرَ ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ الْبَرْقِيُّ ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ وَهْبِ بْنِ وَهْبٍ الْقُرَشِيِّ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، قَالَ: قُلْ أَيْ أَظْهِرْ مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَنَبَّأْنَاكَ بِهِ ، بِتَأْلِيفِ الْحُرُوفِ الَّتِي قَرَأْنَاهَا لَكَ لِيَهْتَدِيَ بِهَا مَنْ ﴿ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (١) ، وَهُوَ اسْمٌ مُشَارٌ وَمَكْنِيٌّ إِلىٰ غَائِبٍ ، فَالْهَاءُ تَنْبِيهٌ عَنْ مَعْنىً ثَابِتٍ ، وَالْوَاوُ إِشَارَةٌ إِلَى الْغَائِبِ عَنِ الْحَوَاسِّ ، كَمَا أَنَّ قَوْلَكَ هٰذَا إِشَارَةٌ إِلَى الشَّاهِدِ عِنْدَ الْحَوَاسِّ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ نَبَّهُوا عَنْ آلِهَتِهِمْ بِحَرْفِ إِشَارَةِ الشَّاهِدِ الْمُدْرَكِ فَقَالُوا: هَذِهِ آلِهَتُنَا الْمَحْسُوسَةُ الْمُدْرَكَةُ بِالْأَبْصَارِ ، فَأَشِرْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ إِلىٰ إِلَهِكَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ حَتّىٰ نَرَاهُ وَنُدْرِكَهُ ، وَلَا نَأْلَهَ فِيهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فَالْهَاءُ تَثْبِيتٌ لِلثَّابِتِ ، وَالْوَاوُ إِشَارَةٌ إِلَى الْغَائِبِ عَنْ دَرْكِ الْأَبْصَارِ ، وَلَمْسِ الْحَوَاسِّ ، وَاللَّهُ تَعَالىٰ عَنْ ذَلِكَ (٢) ، بَلْ هُوَ مُدْرِكُ الْأَبْصَارِ ، وَمُبْدِعُ الْحَوَاسِّ.

حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ: رَأَيْتُ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ بَدْرٍ بِلَيْلَةٍ ، فَقُلْتُ لَهُ: عَلِّمْنِي شَيْئاً أُنْصَرُ

---

(١) سورة ق: ٣٧.

(٢) وفي نسخة: وأنّه تعالى عن ذلك.

بِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ؟ فَقَالَ: قُلْ: يَا هُوَ ، يَا مَنْ لَا هُوَ إِلَّا هُوَ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَصَصْتُهَا عَلىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ ، عُلِّمْتَ الاسْمَ الْأَعْظَمَ ، وَكَانَ عَلىٰ لِسَانِي يَوْمَ بَدْرٍ ، وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَرَأَ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١) ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: يَا هُوَ يَا مَنْ لَا هُوَ إِلَّا هُوَ ، اغْفِرْ لِي ، وَانْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، وَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ ذٰلِكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَهُوَ يُطَارِدُ(٢) ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مَا هٰذِهِ الْكِنَايَاتُ ؟ قَالَ: اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ، وَعِمَادُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٣) وَأَوَاخِرَ الْحَشْرِ ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلّىٰ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الزَّوَالِ.

قَالَ: وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ: اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي يَأْلَهُ فِيهِ الْخَلْقُ (٤) وَيُؤْلَهُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْمَسْتُورُ عَنْ دَرْكِ الْأَبْصَارِ ، الْمَحْجُوبُ عَنِ الْأَوْهَامِ وَالْخَطَرَاتِ.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ: اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي أَلِهَ الْخَلْقُ عَنْ دَرْكِ مَائِيَّتِهِ ، وَالْإِحَاطَةِ بِكَيْفِيَّتِهِ ، وَيَقُولُ الْعَرَبُ: أَلِهَ الرَّجُلُ: إِذَا تَحَيَّرَ فِي الشَّيْءِ فَلَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْماً ، وَوَلِهَ إِذَا فَزِعَ إِلىٰ شَيْءٍ مِمَّا يَحْذَرُهُ وَيَخَافُهُ ، فَالْإِلٰهُ هُوَ

(١) وفي نسخة: قرأ يوم بدر: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾.
(٢) طارد الأقران: حمل بعضهم على بعض.
(٣) سورة آل عمران: ١٨.
(٤) وفي نسخة: تأله فيه الخلق.

الْمَسْتُورُ عَنْ حَوَاسِّ الْخَلْقِ.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ: الْأَحَدُ: الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّدُ، وَالْأَحَدُ وَالْوَاحِدُ بِمَعْنىً وَاحِدٍ (١)، وَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، وَالتَّوْحِيدُ: الْإِقْرَارُ بِالْوَحْدَةِ، وَهُوَ الانْفِرَادُ، وَالْوَاحِدُ الْمُتَبَايِنُ الَّذِي لَا يَنْبَعِثُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا يَتَّحِدُ بِشَيْءٍ، وَمِنْ ثَمَّ قَالُوا: إِنَّ بِنَاءَ الْعَدَدِ مِنَ الْوَاحِدِ، وَلَيْسَ الْوَاحِدُ مِنَ الْعَدَدِ؛ لِأَنَّ الْعَدَدَ لَا يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ، بَلْ يَقَعُ عَلَى الاثْنَيْنِ، فَمَعْنىٰ قَوْلِهِ: ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أَيِ الْمَعْبُودُ الَّذِي يَأْلَهُ الْخَلْقُ عَنْ إِدْرَاكِهِ، وَالْإِحَاطَةِ بِكَيْفِيَّتِهِ، فَرْدٌ بِإِلَهِيَّتِهِ، مُتَعَالٍ عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ: وَحَدَّثَنِي أَبِي زَيْنُ الْعَابِدِينَ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ قَالَ: الصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَالصَّمَدُ الَّذِي قَدِ انْتَهىٰ سُؤْدُدُهُ، وَالصَّمَدُ الَّذِي لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَالصَّمَدُ الَّذِي لَا يَنَامُ، وَالصَّمَدُ الدَّائِمُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: الصَّمَدُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، الْغَنِيُّ عَنْ غَيْرِهِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: الصَّمَدُ الْمُتَعَالِي عَنِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ، وَالصَّمَدُ الَّذِي لَا يُوصَفُ بِالتَّغَايُرِ.

---

(١) لعلّ المراد أنّ الأحد والواحد اللذان يتّصف بهما اللّه تعالى معناهما واحد، لا مطلقهما حيث يستعمل، أو أنّ الواحد الذي يستعمل في غير باب الأعداد والأجناس مترادف مع الواحد في المعنى، كما تقدّم تفصيل ذلك في الحديث الأوّل، فتأمّل.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ: الصَّمَدُ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ آمِرٌ وَنَاهٍ.

قَالَ: وَسُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ الصَّمَدِ فَقَالَ: الصَّمَدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُ شَيْءٍ (١) ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ (٢) .

(١٥٥٥) ١٣ ـ قَالَ وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ الْقُرَشِيُّ: قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ: الصَّمَدُ الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئاً قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وَالصَّمَدُ الَّذِي أَبْدَعَ الْأَشْيَاءَ فَخَلَقَهَا أَضْدَاداً وَأَشْكَالاً وَأَزْوَاجاً ، وَتَفَرَّدَ بِالْوَحْدَةِ بِلَا ضِدٍّ ، وَلَا شَكْلٍ ، وَلَا مِثْلٍ ، وَلَا نِدٍّ (٣) .

(١٥٥٦) ١٤ ـ قَالَ وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ الْقُرَشِيُّ: وَحَدَّثَنِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ الْبَاقِرِ ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ: أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ كَتَبُوا إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الصَّمَدِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، أَمَّا بَعْدُ: فَلَا تَخُوضُوا فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا تُجَادِلُوا فِيهِ ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ فَسَّرَ الصَّمَدَ (٤) فَقَالَ: ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ

---

(١) أي لا يضنكه ولا يثقل عليه حفظ شيء.

(٢) التوحيد: ٨٩.

(٣) التوحيد: ٩٠ ، بسند متصل إلى وهب بن وهب * معاني الأخبار: ٧.

(٤) وفي نسخة: وأنّ اللّه سبحانه قد فسّر الصمد.

الصَّمَدُ ﴾ ، ثُمَّ فَسَّرَهُ فقَالَ : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ لَمْ يَلِدْ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيفٌ ، كَالْوَلَدِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيفَةِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ، وَلَا شَيْءٌ لَطِيفٌ كَالنَّفْسِ ، وَلَا يَتَشَعَّبُ مِنْهُ الْبَدَاوَاتُ (١) كَالسِّنَةِ وَالنَّوْمِ وَالْخَطْرَةِ ، وَالْهَمِّ ، وَالْحَزَنِ وَالْبَهْجَةِ ، وَالضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، وَالرَّغْبَةِ وَالسَّأْمَةِ ، وَالْجُوعِ وَالشِّبَعِ ، تَعَالىٰ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَأَنْ يَتَوَلَّدَ مِنْهُ شَيْءٌ ، كَثِيفٌ أَوْ لَطِيفٌ ، وَلَمْ يُولَدْ لَمْ يَتَوَلَّدْ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ شَيْءٍ كَمَا تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ الْكَثِيفَةُ مِنْ عَنَاصِرِهَا ، كَالشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ ، وَالدَّابَّةِ مِنَ الدَّابَّةِ ، وَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْمَاءِ مِنَ الْيَنَابِيعِ ، وَالثِّمَارِ مِنَ الْأَشْجَارِ ، وَلَا كَمَا تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ اللَّطِيفَةُ مِنْ مَرَاكِزِهَا ، كَالْبَصَرِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَالسَّمْعِ مِنَ الْأُذُنِ ، وَالشَّمِّ مِنَ الْأَنْفِ ، وَالذَّوْقِ مِنَ الْفَمِ ، وَالْكَلَامِ مِنَ اللِّسَانِ ، وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّمْيِيزِ مِنَ الْقَلْبِ ، وَكَالنَّارِ مِنَ الْحَجَرِ ، لَا بَلْ هُوَ اللَّهُ الصَّمَدُ الَّذِي لَا مِنْ شَيْءٍ ، وَلَا فِي شَيْءٍ ، وَلَا عَلىٰ شَيْءٍ ، مُبْدِعُ الْأَشْيَاءِ وَخَالِقُهَا ، وَمُنْشِئُ الْأَشْيَاءِ بِقُدْرَتِهِ ، يَتَلَاشىٰ مَا خَلَقَ لِلْفَنَاءِ بِمَشِيئَتِهِ ، وَيَبْقىٰ مَا خَلَقَ لِلْبَقَاءِ بِعِلْمِهِ ، فَذَلِكُمُ اللَّهُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، ﴿ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعالِ ﴾ (٢) ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (٣) .

---

(١) البداوات : الآراء المختلفة ، ولعلّه أراد به الحالات المختلفة ، وفي بعض النسخ : البدوات .

(٢) سورة الرعد : ٩ .

(٣) التوحيد : ٩٠ ، بسند متصل إلى وهب .

(١٥٥٧) ١٥ ـ قَالَ وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ الْقُرَشِيُّ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ: قَدِمَ وَفْدٌ مِنْ فِلَسْطِينَ عَلَى الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَسَأَلُوهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الصَّمَدِ ، فَقَالَ تَفْسِيرُهُ فِيهِ: الصَّمَدُ خَمْسَةُ أَحْرُفٍ:

فَالْأَلِفُ دَلِيلٌ عَلىٰ إِنِّيَّتِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، وَذٰلِكَ تَنْبِيهٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى الْغَائِبِ عَنْ دَرْكِ الْحَوَاسِّ.

وَاللَّامُ دَلِيلٌ عَلىٰ إِلٰهِيَّتِهِ بِأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ مُدْغَمَانِ لَا يَظْهَرَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، وَلَا يَقَعَانِ فِي السَّمْعِ ، وَيَظْهَرَانِ فِي الْكِتَابَةِ ، دَلِيلَانِ عَلىٰ أَنَّ إِلٰهِيَّتَهُ لَطِيفَةٌ خَافِيَةٌ ، لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يَقَعُ فِي لِسَانِ وَاصِفٍ ، وَلَا أُذُنِ سَامِعٍ ؛ لِأَنَّ تَفْسِيرَ الْإِلٰهِ هُوَ الَّذِي أَلِهَ الْخَلْقُ عَنْ دَرْكِ مَائِيَّتِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ بِحِسٍّ أَوْ بِوَهْمٍ ، لَا بَلْ هُوَ مُبْدِعُ الْأَوْهَامِ ، وَخَالِقُ الْحَوَاسِّ ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُ ذٰلِكَ عِنْدَ الْكِتَابَةِ ، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلىٰ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَظْهَرَ رُبُوبِيَّتَهُ فِي إِبْدَاعِ الْخَلْقِ ، وَتَرْكِيبِ أَرْوَاحِهِمُ اللَّطِيفَةِ فِي أَجْسَادِهِمُ الْكَثِيفَةِ ، فَإِذَا نَظَرَ عَبْدٌ إِلىٰ نَفْسِهِ لَمْ يَرَ رُوحَهُ ، كَمَا أَنَّ لَامَ الصَّمَدِ لَا تَتَبَيَّنُ ، وَلَا تَدْخُلُ فِي حَاسَّةٍ مِنْ حَوَاسِّهِ الْخَمْسِ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْكِتَابَةِ ظَهَرَ لَهُ مَا خَفِيَ وَلَطُفَ ، فَمَتىٰ تَفَكَّرَ الْعَبْدُ فِي مَاهِيَّةِ(١) الْبَارِئِ وَكَيْفِيَّتِهِ أَلِهَ فِيهِ وَتَحَيَّرَ ، وَلَمْ تُحِطْ فِكْرَتُهُ بِشَيْءٍ يَتَصَوَّرُ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُ الصُّوَرِ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلىٰ خَلْقِهِ ثَبَتَ لَهُ

(١) وفي نسخة: مائية ، والمعنى واحد.

أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُمْ ، وَمُرَكِّبُ أَرْوَاحِهِمْ فِي أَجْسَادِهِمْ.

وَأَمَّا الصَّادُ ، فَدَلِيلٌ عَلىٰ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَادِقٌ ، وَقَوْلُهُ صِدْقٌ ، وَكَلَامُهُ صِدْقٌ ، وَدَعَا عِبَادَهُ إِلَى اتِّبَاعِ الصِّدْقِ بِالصِّدْقِ ، وَوَعَدَ بِالصِّدْقِ دَارَ الصِّدْقِ.

وَأَمَّا الْمِيمُ ، فَدَلِيلٌ عَلىٰ مُلْكِهِ ، وَأَنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ ، وَلَا يَزُولُ مُلْكُهُ.

وَأَمَّا الدَّالُ ، فَدَلِيلٌ عَلىٰ دَوَامِ مُلْكِهِ ، وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَائِمٌ ، تَعَالىٰ عَنِ الْكَوْنِ وَالزَّوَالِ ، بَلْ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مُكَوِّنُ الْكَائِنَاتِ ، الَّذِي كَانَ بِتَكْوِينِهِ كُلُّ كَائِنٍ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: لَوْ وَجَدْتُ لِعِلْمِيَ الَّذِي آتَانِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَمَلَةً لَنَشَرْتُ التَّوْحِيدَ وَالْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالدِّينَ وَالشَّرَائِعَ مِنَ الصَّمَدِ. وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ وَلَمْ يَجِدْ جَدِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَمَلَةً لِعِلْمِهِ حَتّىٰ كَانَ يَتَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ(١) وَيَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَإِنَّ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنِّي عِلْماً جَمّاً. هَاهْ هَاهْ ، أَلَا لَا أَجِدُ مَنْ يَحْمِلُهُ ، أَلَا وَإِنِّي عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، فَـ ﴿ لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ ﴾ (٢).

---

(١) الصعداء: التنفّس الطويل من همّ أو تعب.

(٢) سورة الممتحنة: ١٣.

ثُمَّ قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا وَوَفَّقَنَا لِعِبَادَتِهِ، الْأَحَدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، وَجَنَّبَنَا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ حَمْداً سَرْمَداً، وَشُكْراً وَاصِباً، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ لَهُ وَلَدٌ يَرِثُهُ مُلْكَهُ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَكُونَ لَهُ وَالِدٌ يَشْرَكُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ فَيَعَازَّهُ(١) فِي سُلْطَانِهِ(٢).

بيان: روي في معاني الأخبار ما يتعلّق بتأويل الصمد من هذا الخبر بهذا الإسناد، ثمّ اعلم أنّ تحقيق معنى هو بهذا الوجه غير معروف ولا يبعد أن يكون في أصل الوضع كذلك.

وقوله: «وَلَا نَأْلَهَ» صيغة المتكلّم من أله بمعنى تحيّر، واختلف في لفظ الجلالة، فالمشهور أنّه عربيّ مشتقّ إمّا من أله بمعنى عبد، أو من أله إذا تحيّر؛ إذ العقول تتحيّر في معرفته، أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه؛ لأنّ القلوب تطمئنّ بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته، أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه، وألهه غيره أجاره؛ إذ العابد يفزع إليه وهو يجيره، أو من أله الفصيل: إذا ولع بأُمّه؛ إذ العباد يولعون بالتضرّع إليه في الشدائد، أو من وله: إذا تحيّر وتخبّط عقله، وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها، أو من لاه مصدر لاه يليه ليهاً ولاهاً: إذا احتجب وارتفع؛ لأنّه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار، ومرتفع على كلّ شيء، وعمّا لا يليق به، وقيل: إنّه غير مشتقّ، وهو علم للذات

---

(١) وفي نسخة: فيعاونه في سلطانه.

(٢) التوحيد: ٩٠.

المخصوصة وضع لها ابتداء، وقيل: أصله لاها بالسريانيّة فعرّب بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللام عليه.

وقال الرازيّ: ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد وجوهاً:

أحدها: أنّ الواحد يدخل في العدد، والأحد لا يدخل فيه.

وثانيها: أنّك إذا قلت: فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقال لكنّه يقاومه اثنان بخلاف الأحد.

وثالثها: أنّ الواحد يستعمل في الإثبات، والأحد في النفي، انتهى.

وقوله عليه السلام: «وَمِنْ ثَمَّ» لبيان أنّ الواحد الحقيقيّ هو الذي لا يكون فيه شيء من أنحاء التعدّد؛ لأنّ الوحدة تقابل العدد.

ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في معنى الصمد، فقيل: إنّه فعل بمعنى المفعول، من صمد إليه: إذا قصده، وهو السيّد المقصود إليه في الحوائج.

وَرَوَتِ الْعَامَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالُوا: مَا الصَّمَدُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ (١).

وقيل: إنّ الصمد هو الذي لا جوف له.

وقال ابن قتيبة: الدال فيه مبدلة من التاء وهو الصمت (٢).

وقال بعض اللغويّين: الصَّمَدُ هو الأملس من الحجر، لا يقبل الغبار، ولا يدخله ولا يخرج منه شيء.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي: ٣٣٠ * تفسير الرازي: ٢٢/١٨١.

(٢) قال الشيخ قدّس سرّه في كتابه التبيان: ومن قال: الصمد بمعنى المصمت فقد جهل الله، لأنّ المصمت هو المتضاغط الأجزاء، وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى.

فعلى الأوّل عبارة عن وجوب الوجود، والاستغناء المطلق، واحتياج كلّ شيء في جميع أُموره إليه، أي الذي يكون عنده ما يحتاج إليه كلّ شيء، ويكون رفع حاجة الكلّ إليه، ولم يفقد في ذاته شيئاً ممّا يحتاج إليه الكلّ، وإليه يتوجّه كلّ شيء بالعبادة والخضوع، وهو المستحقّ لذلك، وإليه يومئ خبر الجعفريّ.

وأمّا على الثاني فهو مجاز عن أنّه تعالى أحديّ الذات، أحديّ المعنى، ليست له أجزاء ليكون بين الأجزاء جوف، ولا صفات زائدة فيكون بينها وبين الذات جوف، أو عن أنّه الكامل بالذات ليس فيه جهة استعداد وإمكان، ولا خلوّ له عمّا يليق به، فلا يكون له جوف يصلح أن يدخله ما ليس له في ذاته فيستكمل به، فالجوف كناية عن الخلوّ عمّا لا يصحّ اتّصافه به.

وأمّا على الثالث، فيكون كناية عن عدم الانفعال والتأثّر عن الغير، وكونه محلّاً للحوادث كما سيأتي في جواب من سَأَلَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ رِضَا اللّهِ وَسَخَطِهِ، فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ عَلىٰ مَا يُوجَدُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ الرِّضَا دِخَالٌ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فَيَنْقُلُهُ مِنْ حَالٍ إِلىٰ حَالٍ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ أَجْوَفُ مُعْتَمِلٌ مُرَكَّبٌ، لِلْأَشْيَاءِ فِيهِ مَدْخَلٌ، وَخَالِقُنَا لَا مَدْخَلَ لِلْأَشْيَاءِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ وَأَحَدِيُّ الذَّاتِ، وَأَحَدِيُّ الْمَعْنىٰ.

وهذا الخبر يؤيّد بعض المعاني السابقة أيضاً.

وقد نقل بعض المفسّرين عن الصحابة والتابعين والأئمّة واللغويّين

قريباً من عشرين معنىً (١) ، ويمكن إدخال جميعها فيما ذكرنا من المعنى الأوّل؛ لأنّه لاشتماله على الوجوب الذاتيّ يدلّ على جميع السلوب ، ولدلالته على كونه مبدأ للكلّ يدلّ على اتّصافه بجميع الصفات الكماليّة ، وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا المعنى.

وقوله عليه السلام: «لَا يُوصَفُ بِالتَّغَايُرِ» أي بالصفات الموجودة المغايرة للذات، ويحتمل على بُعد أن يكون مأخوذاً من الغيرة ، كناية عن أنّه ليس له ضدّ ولا ندّ ، وفيما رواه الطبرسيّ رحمه اللّه لا يوصف بالنظائر ، والبدوات بالفتحات ما يبدو ويسنح ويظهر من الحوادث والحالات المتغيّرة والآراء المتبدّلة، يقال بدا أي ظهر ، وبدا له في الأمر

---

(١) تقدّمت جملة من المعاني المرويّة عن الأئمّة عليهم السلام في الخبر ١٣ و١٤، وأمّا ما نقل من المعنى عن غيرهم فقد نقل عن سعيد بن جبير أنّ المعنى هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وعن قتادة: هو الباقي بعد فناء خلقه. وعن ربيع: هو الذي لا يعتريه الآفات. وعن مقاتل بن حيان: هو الذي لا عيب فيه. وعن الأصمّ: هو الخالق للأشياء. وعن السدّيّ: هو المقصود في الرغائب ، المستغاث به عند المصائب. وعن الحسين بن الفضل البجليّ: هو الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا معقّب لحكمه ، ولا رادّ لقضائه. وعن أُبي بن كعب: هو الذي لا يموت ، ولا يورث ، وله ميراث السماوات والأرض. وعن يمان وأبي مالك: هو الذي لا ينام ولا يسهو.

وعن ابن كيسان: هو الذي لا يوصف بصفة أحد، وعن أبي بكر الورّاق: أنّه الذي آيس الخلائق من الاطّلاع على كيفيّته، وعن غيرهم: أنّه السيّد المعظّم ، وأنّه العالم بجميع المعلومات ، وأنّه الحليم ، وأنّه الفرد الماجد لا يقضى في أمر دونه ، وأنّه الذي لا تدركه الأبصار ، وأنّه المنزّه عن قبول النقصانات والزيادات ، وعن أن يكون مورداً للتغيّرات والتبدّلات ، وعن إحاطة الأزمنة والأمكنة والآنات والجهات، وسيأتي في الحديث ٢٠ و٢١ معنى آخر.

نشأ له فيه رأي ، وهو ذو بدوات ، والإنّيّة التحقّق والوجود ، والصعداء -بضمّ الصاد وفتح العين- : تنفّس طويل ، والجوانح : الضلوع تحت الترائب ممّا يلي الصدر ، والواصب : الدائم والثابت ، والمعازة : المغالبة .

(١٥٥٨) ١٦ -**التوحيد** : ابْنُ إِدْرِيسَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ ، عَنِ ابْنِ بَزِيعٍ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ السَّرِيِّ ، عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ - تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ وَتَعَالَىٰ فِي عُلُوِّ كُنْهِهِ - أَحَدٌ ، تَوَحَّدَ بِالتَّوْحِيدِ فِي تَوَحُّدِهِ ، ثُمَّ أَجْرَاهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ ، فَهُوَ أَحَدٌ صَمَدٌ مَلِكٌ قُدُّوسٌ ، يَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَيَصْمِدُ إِلَيْهِ ، وَفَوْقَ الَّذِي عَسَيْنَا أَنْ نَبْلُغَ ، رَبُّنَا وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً (١) .

المحاسن : اليقطينيّ ، عن يونس ، عن الحسن بن السريّ ... مثله (٢) .

(١٥٥٩) ١٧ -**التوحيد** : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنِ ابْنِ عِيسَىٰ ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ (٣) ، عَنِ الْحَلَبِيِّ وَزُرَارَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَحَدٌ صَمَدٌ ، لَيْسَ لَهُ جَوْفٌ ، وَإِنَّمَا الرُّوحُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ نَصْرٌ وَتَأْيِيدٌ وَقُوَّةٌ يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ (٤) .

---

(١) التوحيد : ١٣٦ ، وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، والحسن بن أبي السري ذكره الشيخ والنجاشي في أصحابنا المصنفين ، ووثقه النجاشي في بعض النسخ ، واعتمد عليه الصدوق في الفقيه ، وروى عنه الأجلاء والأعاظم كابن بشير وابن محبوب وابن مسكان وأبان وعلي بن الحكم ويونس وغيرهم ، ومنه تعرف فضله .

(٢) المحاسن : ١/ ٢٤١ .

(٣) وفي بصائر الدرجات : عن ابن فضال عن أبي جميلة .

(٤) التوحيد : * بصائر الدرجات : ٤٨٢ .

(١٥٦٠) ١٨ ـ **التوحيد**: ابْنُ عُبْدُوسٍ ، عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ مِنَ الثَّنَوِيَّةِ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَأَنَا حَاضِرٌ ـ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَقُولُ إِنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ اثْنَانِ ، فَمَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدٌ ؟ فَقَالَ: قَوْلُكَ: إِنَّهُ اثْنَانِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدٌ ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تَدَّعِ الثَّانِيَ إِلَّا بَعْدَ إِثْبَاتِكَ الْوَاحِدَ ، فَالْوَاحِدُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ ، وَأَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ مُخْتَلَفٌ فِيهِ (١) .

قال الصدوق رحمه اللّه: الدليل على أنّ الصانع واحد لا أكثر من ذلك أنّهما لو كانا اثنين لم يخل الأمر فيهما من أن يكون كلّ واحد منهما قادراً على منع صاحبه ممّا يريد ، أو غير قادر ، فإن كانا كذلك فقد جاز عليهما المنع ، ومن جاز عليه ذلك فمحدث ، كما أنّ المصنوع محدث ، وإن لم يكونا قادرين لزمهما العجز والنقص ، وهما من دلالات الحدث ، فصحّ أنّ القديم واحد.

ودليل آخر ، وهو: أنّ كلّ واحد منهما لا يخلو من أن يكون قادراً على أن يكتم الآخر شيئاً ، فإن كان كذلك فالذي جاز الكتمان عليه حادث ، وإن لم يكن قادراً فهو عاجز ، والعاجز حادث بما بيّنّاه (٢) ، وهذا الكلام

وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وأبو جميلة هو المفضل بن صالح من الكبار ، راجع ملحق : ١٢.

(١) التوحيد : ٢٦٩ ، وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وابن قتيبة من فضلاء الأصحاب وهو التلميذ الأرشد للفضل بن شاذان.

(٢) الحجّتان مدخولتان؛ لأنّ عموم القدرة في الواجب لا يستلزم تعلّقها بكلّ أمر ، فمن الجائز أن يكون المنع المفروض والكتمان المفروض محالين لا تتعلّق بهما القدرة ، فلا يلزمه نقص الواجب وحدوثه (الطباطبائي).

يحتجّ به في إبطال قديمين ، صفة كلّ واحد منهما صفة القديم الذي أثبتناه ، فأمّا ما ذهب إليه ماني وابن ديصان من خرافاتهما في الامتزاج ، ودانت به المجوس من حماقاتها في أهرمن ، ففاسد بما به يفسد قِدم الأجسام ، ولدخولهما في تلك الجملة اقتصرت على الكلام فيهما ، ولم أفرد كلّاً منهما بما يسأل عنه منه (١) .

(١٥٦١) ١٩ ـ **التوحيد** : ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنِ الصَّفَّارِ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : مَا الدَّلِيلُ عَلىٰ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ ؟ قَالَ : اتِّصَالُ التَّدْبِيرِ ، وَتَمَامُ الصُّنْعِ ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلّا اللَّهُ لَفَسَدَتا ﴾ (٢) .

بيان : إمّا إشارة إلى برهان التمانع ، أو إلى التلازم ، وسيأتي بعض تقريراتهما .

(١٥٦٢) ٢٠ ـ **تحف العقول** : عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ الصَّمَدِ ، فَقَالَ : الَّذِي لَا سُرَّةَ لَهُ ، قُلْتُ : فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّهُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ ؟ فَقَالَ : كُلُّ ذِي جَوْفٍ لَهُ سُرَّةٌ (٣) .

بيان : الغرض أنّه ليس فيه تعالى صفات البشر وسائر الحيوانات ، وهو

قلت : والأمر كما قال قدس سره من أن القدرة لا تتعلق بما هو محال ، وما فرضه الصدوق رضوان الله عليه رداً على أهل الشرك ليس بمحال تصوراً ، فلا دخالة في الحجتين ، والله العالم .

(١) التوحيد : ٢٦٩ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٢ * التوحيد : ٢٥٠ ، وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات عظام .

(٣) تحف العقول : ٤٥٦ .

أحد أجزاء معنى الصمد كما عرفت ، وهو لا يستلزم كونه تعالى جسماً مصمتاً .

(١٥٦٣) ٢١ ـ **جامع الأخبار** : سُئِلَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ عَنِ الصَّمَدِ فَقَالَ : قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ : تَأْوِيلُ الصَّمَدِ لَا اسْمٌ وَلَا جِسْمٌ ، وَلَا مِثْلٌ وَلَا شِبْهٌ ، وَلَا صُورَةٌ وَلَا تِمْثَالٌ ، وَلَا حَدٌّ وَلَا حُدُودٌ ، وَلَا مَوْضِعٌ وَلَا مَكَانٌ ، وَلَا كَيْفٌ وَلَا أَيْنٌ ، وَلَا هُنَا وَلَا ثَمَّةَ ، وَلَا مَلَأٌ وَلَا خَلَأٌ ، وَلَا قِيَامٌ وَلَا قُعُودٌ ، وَلَا سُكُونٌ وَلَا حَرَكَةٌ ، وَلَا ظُلْمَانِيٌّ وَلَا نُورَانِيٌّ ، وَلَا رُوحَانِيٌّ وَلَا نَفْسَانِيٌّ ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَوْضِعٌ وَلَا يَسَعُهُ مَوْضِعٌ ، وَلَا عَلَىٰ لَوْنٍ وَلَا عَلَىٰ خَطَرِ قَلْبٍ ، وَلَا عَلَىٰ شَمٍّ رَائِحَةٍ ، مَنْفِيٌّ عَنْهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ (١) .

(١٥٦٤) ٢٢ ـ **الاحتجاج** : عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ سُؤَالِ الزِّنْدِيقِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ قَالَ : لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَانِعُ الْعَالَمِ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : لَا يَخْلُو قَوْلُكَ إِنَّهُمَا اثْنَانِ مِنْ أَنْ يَكُونَا قَدِيمَيْنِ قَوِيَّيْنِ ، أَوْ يَكُونَا ضَعِيفَيْنِ ، أَوْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا قَوِيّاً وَالْآخَرُ ضَعِيفاً .

فَإِنْ كَانَا قَوِيَّيْنِ فَلِمَ لَا يَدْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَيَتَفَرَّدُ بِالرُّبُوبِيَّةِ (٢) ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ أَحَدَهُمَا قَوِيٌّ وَالْآخَرَ ضَعِيفٌ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ كَمَا نَقُولُ لِلْعَجْزِ الظَّاهِرِ فِي الثَّانِي ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُمَا اثْنَانِ لَمْ يَخْلُ مِنْ

---

(١) معارج اليقين في أصول الدين ـ جامع الأخبار ـ : ٣٨ .

(٢) وفي نسخة : ويتفرّد بالتدبير .

أَنْ يَكُونَا مُتَّفِقَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، أَوْ مُفْتَرِقَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَلَمَّا رَأَيْنَا الْخَلْقَ مُنْتَظِماً ، وَالْفَلَكَ جَارِياً (١) ، وَاخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، دَلَّ صِحَّةُ الْأَمْرِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَائْتِلَافُ الْأَمْرِ ، عَلَىٰ أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ (٢) .

التوحيد : الدَّقَّاقُ ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْعَلَوِيِّ ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ الْقُمِّيِّ ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو الْفُقَيْمِيِّ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ ... مِثْلَهُ ، وَزَادَ فِيهِ : ثُمَّ يَلْزَمُكَ إِنِ ادَّعَيْتَ اثْنَيْنِ فَلَا بُدَّ مِنْ فُرْجَةٍ بَيْنَهُمَا حَتَّىٰ يَكُونَا اثْنَيْنِ ، فَصَارَتِ الْفُرْجَةُ ثَالِثاً بَيْنَهُمَا قَدِيماً مَعَهُمَا ، فَيَلْزَمُكَ ثَلَاثَةٌ ، وَإِنِ ادَّعَيْتَ ثَلَاثَةً لَزِمَكَ مَا قُلْنَا فِي الاثْنَيْنِ حَتَّىٰ يَكُونَ بَيْنَهُمْ فُرْجَتَانِ ، فَيَكُونُوا خَمْسَةً ثُمَّ يَتَنَاهىٰ فِي الْعَدَدِ إِلىٰ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي الْكَثْرَةِ (٣) .

الكافي : عليّ ، عن أبيه ... مثله (٤) .

بيان : ولنشر هاهنا إلى بعض براهين التوحيد على وجه الاختصار ، ثمّ لنذكر ما يمكن أن يقال في حلّ هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار .

فأمّا البراهين :

فالأوّل : أنّه لمّا ثبت كون الوجود عين حقيقة الواجب ، فلو تعدّد لكان

---

(١) وفي نسخة بعد قوله « والفلك جارياً » : والتدبير واحداً.

(٢) الاحتجاج : ٧١/٢.

(٣) التوحيد : ٢٤٣ ، ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى الفقيمي لم أجد من ذكره ، وإبراهيم بن هاشم لا يروي عن الصغار.

(٤) الكافي الشريف : ٨١/١.

امتياز كلّ منهما عن الآخر بأمر خارج عن الذات فيكونان محتاجين في تشخّصهما إلى أمر خارج ، وكلّ محتاج ممكن.

والثاني : أنّه لو تعدّد الواجب لذاته فإمّا أن يكون امتياز كلّ منهما عن الآخر بذاته ، فيكون مفهوم واجب الوجود محمولاً عليهما بالحمل العرضيّ ، والعارض معلول للمعروض ، فيرجع إلى كون كلّ منهما علّة لوجوب وجوده ، وقد ثبت بطلانه.

وإمّا أن يكون ذلك الامتياز بالأمر الزائد على ذاتهما ، وهو أفحش ، فإنّه إمّا أن يكون معلولاً لماهيّتهما أو لغيرهما.

وعلى الأوّل إن اتّحد ماهيّتهما كان التعيّن مشتركاً ، وهذا خلف ، وإن تعدّدت الماهيّة كان كلّ منهما شيئاً عرض له وجوب الوجود ، أعني الوجود المتأكّد للواجب ، وقد تبيّن بدلائل عينيّة الوجود بطلانه.

وعلى الثاني يلزم الاحتياج إلى الغير والإمكان ، وبالجملة : لو كان الواجب متعدّداً لكان نسبة الوجوب إليهما نسبة العوارض ، فكان ممكناً لا واجباً.

الثالث : أنّه لو كان للّه سبحانه شريك لكان لمجموع الواجبين وجود غير وجود الآحاد ، سواء كان ذلك الوجود عين مجموع الوجودين ، أو أمراً زائدا عليه ، ولكان هذا الوجود محتاجاً إلى وجود الأجزاء ، والمحتاج إلى الغير ممكن محتاج إلى مؤثّر ، والمؤثّر في الشيء يجب أن يكون مؤثّراً في واحد من أجزائه ، وإلّا لم يكن مؤثّراً في ذلك الشيء ، وقد ادّعوا الضرورة فيه ، ولا يمكن التأثير فيما نحن فيه في شيء من الأجزاء لكون كلّ من الجزءين واجباً ، فالشريك يستلزم التأثير فيما لا

يمكن التأثير فيه ، أو إمكان ما فرض وجوبه ، إلى غير ذلك من المفاسد.

الرابع : برهان التمانع.

وأظهر تقريراته أنّ وجوب الوجود يستلزم القدرة والقوّة على جميع الممكنات ، قوّة كاملة بحيث يقدر على إيجاده ، ودفع ما يضادّه مطلقاً ، وعدم القدرة على هذا الوجه نقص ، والنقص عليه تعالى محال ضرورة بدليل إجماع العقلاء عليه ، ومن المحال عادة إجماعهم على نظري ، ولئن لم يكن ضرورياً فنظري ظاهر متّسق الطريق ، واضح الدليل ، واستحالة إجماعهم على نظري لا يكون كذلك أظهر ، فنقول حينئذٍ: لو كان في الوجود واجبان لكانا قويّين ، وقوّتهما يستلزم عدم قوّتهما؛ لأنّ قوة كلّ منهما على هذا الوجه يستلزم قوّته على دفع الآخر عن إرادة ضدّ ما يريده نفسه من الممكنات ، والمدفوع غير قويّ بهذا المعنى الذي زعمنا أنّه لازم لسلب النقص.

فإن قلت: هذا إنّما يتمّ لو كان إرادة كلّ منهما للممكن بشرط إرادة الآخر لضدّه ممكناً وبالعكس ، وليس كذلك ، بل إرادة كلّ منهما له بشرط إرادة الآخر لضدّه ممتنع ، ونظير ذلك أنّ إرادة الواجب للممكن بشرط وجود ضدّه محال ، ولا يلزم منه نقص.

قلت: امتناع الإرادة بشرط إرادة الآخر هو الامتناع بالغير ، وامتناعه بالغير تحقّق النقص والعجز ، تعالى عن ذلك ، وأمّا امتناع إرادة الشيء بشرط وجود ضدّه ، فمن باب امتناع إرادة المحال الذاتيّ ، وإن كان امتناع الإرادة امتناعاً بالغير ، ومثله غير ملزوم للنقص بخلاف ما نحن فيه ، فإنّ المراد ممتنع بالغير.

فإن قلت: وجود الشيء كما يمتنع بشرط ضدّه ونقيضه كذلك يمتنع بشرط ملزوم ضدّه ونقيضه، والأوّل امتناع بالذات، والثاني امتناع بالغير، وكما أنّ إرادة الأوّل منه تعالى محال ولا نقص فيه، كذلك إرادة الثاني، وظاهر أنّ إرادة إيجاد الممكن بشرط إرادة الآخر له من قِبل الثاني، فينبغي أن لا يكون فيه نقص.

قلت: فرق بين الأمرين، فإنّ وجود الممكن إذا قيّد واشترط بملزوم نقيضه كان ممتنعاً ولو بالغير، ولم يتعلّق به إرادة ضرورة، وأمّا إذا لم يقيّد الوجود به بل أُطلق، فغير ممتنع، فيمكن تعلّق الإرادة به ولو في زمان وجود ملزوم النقيض، بأن يدفع الملزوم، وإن لم يندفع هو من قِبل نفسه، أو من دافع آخر بخلاف إرادة الآخر له، فإنّه لو لم يندفع من قِبل نفسه، ولم يدفعه دافع آخر، لم يتعلّق به الإرادة ضرورة، فهو مدفوع وإلّا فالآخر مدفوع، فصار حاصل الفرق حينئذٍ أنّ الصانع تعالى قادر على إيجاد أحد الضدّين في زمان الضدّ الآخر بدون حاجة إلى واسطة غير مستندة إليه تعالى، وهو ـ أي الحاجة إلى الواسطة المستندة إلى الفاعل ـ لا ينافي الاستقلال والقدرة كما لا ينافي الاحتياج إلى الواسطة المستندة إلى الذات الوجوب الذاتيّ، بخلاف ما نحن فيه، فإنّه احتياج إلى واسطة غير مستندة إلى الذات.

لا يقال: لعلّ انتفاء إرادة الآخر واجب بنفسه، ولا نسلّم منافاة توسّط الواجب بالذات بين الفاعل وفعله لاستقلاله واستلزامه النقص؛ لأنّا نقول الأوّل بيّن البطلان، فإنّ تحقّق إرادة الآخر وانتفاعها ممكن في نفسه، لكنّه ينتفي فيما نحن فيه من قِبل ذي الإرادة لو انتفى، فيكون واسطة

ممكنة غير صادرة عن الفاعل ، ولا مستندة إليه ، وأمّا الثاني فربّما تدّعى البداهة في استلزامه النقص ، وهو غير بعيد ، وبهذا التقرير يندفع كثير من الشكوك والشبه.

الخامس : تقرير آخر لبرهان التمانع ذكره المحقّق الدوانيّ ، وهو أنّه لا يخلو أن يكون قدرة كلّ واحد منهما وإرادته كافية في وجود العالم أو لا شيء منهما كافٍ ، أو أحدهما كافٍ فقط. وعلى الأوّل يلزم اجتماع المؤثّرين التامّين على معلول واحد ، وعلى الثاني يلزم عجزهما لأنّهما لا يمكن لهما التأثير إلّا باشتراك الآخر ، وعلى الثالث لا يكون الآخر خالقاً فلا يكون إلهاً ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ (١) ؟

لا يقال : إنّما يلزم العجز إذا انتفت القدرة على الإيجاد بالاستقلال ، أمّا إذا كان كلّ منهما قادراً على الإيجاد بالاستقلال ولكن اتّفقا على الإيجاد باشتراك فلا يلزم العجز ، كما أنّ القادرين على حمل خشبة بالانفراد قد يشتركان في حملها ، وذلك لا يستلزم عجزهما ؛ لأنّ إرادتهما تعلّقت بالاشتراك ، وإنّما يلزم العجز لو أرادا الاستقلال ولم يحصل.

لأنّا نقول : تعلّق إرادة كلّ منهما إن كان كافياً لزم المحذور الأوّل ، وإن لم يكن كافياً لزم المحذور الثاني ، والملازمتان بيّنتان لا تقبلان المنع ، وما أوردتم من المثال في سند المنع لا يصلح للسنديّة ؛ إذ في هذه الصورة ينقص ميل كلّ واحد منهما من الميل الذي يستقلّ في الحمل قدر ما يتمّ الميل الصادر من الآخر حتّى تنقل الخشبة بمجموع الميلين ، وليس كلّ واحد منهما بهذا القدر من الميل فاعلاً مستقلّاً ، وفي مبحثنا

(١) سورة النحل : ١٧.

هذا ليس المؤثّر إلّا تعلق القدرة والإرادة ، ولا يتصوّر الزيادة والنقصان في شيء منهما .

السادس : أنّ كلّ مَن جاء من الأنبياء وأصحاب الكتب المنزلة إنّما ادّعى الاستناد إلى واحد أسند إليه الآخر ، ولو كان في الوجود واجبان لكان يخبر مخبر من قِبله بوجوده وحكمه ، واحتمال أن يكون في الوجود واجب لا يرسل إلى هذا العالم أو لا يؤثّر ولا يدبّر أيضاً فيه مع تدبيره ووجود خبره في عالم آخر ، أو عدمه ممّا لا يذهب إليه وهم واهم ، فإنّ الوجوب يقتضي العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ، ومع هذه الصفات الكماليّة يمتنع عدم الإعلام ونشر الآثار بحيث يبلغ إلينا وجوده .

وأمّا ما زعمت الثنويّة من الإله الثاني فليس بهذه المثابة ، وممّا يرسل ويحكم فيهم وإن قالوا بوجود الواجب الآخر فقد نفوا لازمه ، فهو باطل بحكم العقل .

وقد أثبتنا في كتاب الروضة فيما أوصى به أمير المؤمنين ابنه الحسن صلوات الله عليهما ما يومئ إلى هذا الدليل حيث قال عليه السلام : وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَلَعَرَفْتَ صِفَتَهُ وَفِعَالَهُ ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ، لَا يُضَادُّهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ وَلَا يُحَاجُّهُ ، وَأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ[1] .

السابع : الأدلّة السمعيّة من الكتاب والسنّة ، وهي أكثر من أن تحصى ، وقد مرّ بعضها ، ولا محذور في التمسّك بالأدلّة السمعيّة في باب

---

(١) نهج البلاغة : ٢/٤٤ * تحف العقول : ٧٢.

التوحيد ، وهذه هي المعتمد عليها عندي ، وبسط الكلام في تلك الأدلّة وما سواها ممّا لم نشر إليها موكول إلى مظانّها.

ولنرجع إلى حلّ الخبر وشرحه ، وقد قيل فيه وجوه:

الأوّل : أنّ المراد بالقويّ القويّ على فعل الكلّ بالإرادة مع إرادة استبداده به ، والمراد بالضعيف الذي لا يقوى على فعل الكلّ ، ولا يستبدّ به ، ولا يقاوم القويّ ، فإن كانا قويّين فلِم لا يدفع كلّ منهما صاحبه ويتفرّد به ، أي يلزم من قوّتهما انفراد كلّ بالتدبير ، ويلزم منه عدم وقوع الفعل ، «وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ أَحَدَهُمَا قَوِيٌّ وَالْآخَرَ ضَعِيفٌ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ» أي المبدأ للعالم واحد لعجز الضعيف عن المقاومة والتأثير ، وثبت احتياج الضعيف إلى العلّة الموجدة؛ لأنّ القويّ أقوى وجوداً من الضعيف ، وضعف الوجود لا يتصوّر إلّا بجواز خلوّ الماهيّة عن الوجود ، ويلزم منه الاحتياج إلى المبدأ المباين الموجد له.

«وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُمَا اثْنَانِ» أي المبدأ اثنان ، وهذا هو الشقّ الثاني ، أي كونهما ضعيفين بأن يقدر ويقوى كلّ منهما على بعض ، أو يفعل بعضاً دون بعض بالإرادة ، وإن كان يقدر على الكلّ ، وفي هذا الشقّ لا يخلو من أن يكونا متّفقين ، أي في الحقيقة من كلّ جهة ، ويلزم من هذا عدم الامتياز بالتعيّن للزوم المغايرة بين الحقيقة والتعيّنين المختلفين ، واستحالة استنادهما إلى الحقيقة ، واستحالة استنادهما إلى الغير ، فيكون لهما مبدأ ، أو مختلفين مفترقين من كلّ جهة ، وذلك معلوم الانتفاء ، فإنّا لمّا رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، والتدبير واحداً ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، «دَلَّ صِحَّةُ الْأَمْرِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَائْتِلَافُ الْأَمْرِ ، عَلىٰ أَنَّ

الْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ » لا اثنان مختلفان من كلّ جهة ، ثمّ ذلك المدبّر الواحد لا يجوز أن يكون واحداً بجهة من حيث الحقيقة مختلفاً بجهة أُخرى ، فيكون المدبّر اثنين ، ويلزمك إن ادّعيت اثنين فرجة ما بينهما؛ لأنّ لهما وحدة فلا يتمايزان إلّا بمميّز فاصل بينهما حتّى يكونا اثنين لامتناع الاثنينيّة بلا مميّز بينهما ، وعبّر عن الفاصل المميّز بالفرجة حيث إنّ الفاصل بين الأجسام يعبّر عنه بالفرجة ، وأولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات تنبيهاً على أنّكم لا تستحقّون أن تخاطبوا إلّا بما يليق استعماله في المحسوسات ، وذلك المميز لا بدّ أن يكون وجوديّاً داخلاً في حقيقة أحدهما؛ إذ لا يجوز التعدّد مع الاتّفاق في تمام الحقيقة كما ذكرنا ، ولا يجوز أن يكون ذلك المميّز ذا حقيقة يصحّ انفكاكها عن الوجود وخلوّها عنه ولو عقلاً ، وإلّا لكان معلولاً محتاجاً إلى المبدأ ، فلا يكون مبدأ ولا داخلاً فيه ، فيكون المميّز الفاصل بينهما قديماً موجوداً بذاته كالمتّفق فيه ، فيكون الواحد المشتمل على المميّز الوجوديّ اثنين لا واحداً ، ويكون الاثنان اللذان ادّعيتهما ثلاثة . فإن قلت به وادّعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين من تحقّق المميّز بين الثلاثة ، ولا بدّ من مميّزين وجوديّين حتّى تكون بين الثلاثة فرجتان ، ولا بدّ من كونهما قديمين ـ كما مرّ ـ فيكونوا خمسة ، وهكذا ثمّ يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة ، أي يتناهى الكلام في التعدّد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة ، أو يبلغ عدده إلى كثرة غير متناهية ، أو المراد أنّه يلزمك أن يتناهى المعدود المنتهي ضرورة بمعروض ما ينتهي إليه العدد ، أي الواحد إلى كثير لا نهاية له في الكثرة ، فيكون عددا بلا واحد ، وكثرة بلا وحدة .

وعلى هذا يكون الكلام برهانيّاً لا يحتاج إلى ضميمة ، وعلى الأوّلين يصير بضمّ ما ذكرناه من ثالث الاحتمالات برهانيّاً .

الثاني : أن يكون إشارة إلى ثلاثة براهين ، وتقرير الأوّل ـ بعد ما تقرّر أنّ ما لا يكون قويّاً على إيجاد أي ممكن كان لا يكون واجباً بالذات ـ أن يقال : لا يصحّ أن يكون الواجب بالذات اثنين ، وإلّا كان كلّ منهما قويّاً على إيجاد أي ممكن كان ، وكلّ ممكن بحيث يكون استناده إلى أيّ منهما كافياً في تصحّح خروجه من القوّة إلى الفعل ، وحينئذٍ لم يكن محيص إمّا من لزوم استناد كلّ معلول شخصيّ إلى علّتين مستبدّتين بالإفاضة ، وذلك محال ، أو من لزوم الترجّح بلا مرجّح ، وهو فطريّ الاستحالة ، أو من كون أحدهما غير واجب بالذات ، وهو خلاف المفروض ، وهذا البرهان يتمّ عند قوله عليه السلام : « لِلْعَجْزِ الظَّاهِرِ فِي الثَّانِي » .

وقوله عليه السلام : « وَإِنْ قُلْتَ » إلى قوله : « عَلىٰ أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ » إشارة إلى برهان ثانٍ ، وهو أحد الوجوه البرهانيّة في قوله تعالى : ﴿ لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلّا اللّٰهُ لَفَسَدَتا ﴾ .

وتلخيص تقريره : أنّ التلازم بين أجزاء النظام الجمليّ المنتظم المتّسق كما بين السماء والأرض مثلاً على ما قد أحقّته القوانين الحكميّة لا يستتبّ إلّا بالاستناد إلى فاعل واحد يصنع الجميع بحكمته وقدرته ؛ إذ التلازم بين شيئين لا يتصحّح إلّا بعلّيّة أحدهما للآخر ، أو بمعلوليّتهما لعلّة واحدة موجبة ، فلو تعدّد اختلّ الأمر وفسد النظام .

وتقرير الثالث هو أنّك لو ادّعيت اثنين كان لا محالة بينهما انفصال في

الوجود ، وافتراق في الهويّة ، ويكون هناك موجود ثالث ، هو المركّب من مجموع الاثنين ، وهو المراد بالفرجة؛ لأنّه منفصل الذات والهويّة ، وهذا المركّب لتركّبه عن الواجبات بالذات المستغنيات عن الجاعل موجود لا من تلقاء الصانع ، إذ افتقار المركّب إلى الجاعل بحسب افتقار أجزائه ، فإذا لم تفتقر أجزاؤه لم يفتقر هو بالضرورة .

فإذن قد لزمك أن يكون هذا الموجود الثالث أيضاً قديماً ، فيلزمك ثلاثة وقد ادّعيت اثنين ، وهكذا ، ويرد عليه ـ مع بعد إطلاق الفرجة بهذا المعنى ـ أنّه يلزم في الفرض الثاني سبعة لا خمسة .

الثالث: أن يكون إشارة إلى حجّتين: إحداهما عاميّة مشهوريّة ، والأُخرى خاصيّة برهانيّة ، أمّا الأُولى فقوله: «لَا يَخْلُو قَوْلُكَ» إلى قوله: «فِي الثَّانِي» ، ومعناه أنّه لو فرض قديمان فلا يخلو أن يكون كلاهما قويّين ، أو كلاهما ضعيفين ، أو أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً ، والثلاثة بأسرها باطلة:

أمّا الأوّل ، فلأنّه إذا كانا قويّين وكلّ منهما في غاية القوّة من غير ضعف وعجز ، كما هو المفروض ، والقوّة يقتضي الغلبة والقهر على كلّ شيء سواه ، فما السبب المانع لأن يدفع كلّ واحد منهما صاحبه حتّى يتفرّد بالتدبير والقهر على غيره؟ إذ اقتضاء الغلبة والاستعلاء مركوزة في كلّ ذي قوّة على قدر قوّته ، والمفروض أنّ كلّاً منهما في غاية القوّة .

وأمّا فساد الشقّ الثاني ، فهو ظاهر عند جمهور الناس لما حكموا بالفطرة من أنّ الضعف ينافي الإلهيّة ، ولظهوره لم يذكره عليه السلام .

وأيضاً يعلم فساده بفساد الشقّ الثالث ، وهو قوله: «وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ

أَحَدَهُمَا قَوِيٌّ وَالْآخَرَ ضَعِيفٌ ثَبَتَ أَنَّهُ ـ أي الإله ـ وَاحِدٌ » كما نحن نقول للعجز الظاهر في المفروض ثانياً لأنّ الضعف منشأ العجز ، والعاجز لا يكون إلهاً بل مخلوقا محتاجاً ؛ لأنّه محتاج إلى من يعطيه القوّة والكمال والخيريّة .

وأمّا الحجّة البرهانيّة ، فأشار إليها بقوله : « وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُمَا اثْنَانِ » ، وبيانه : أنّه لو فرض موجودان قديمان فإمّا أن يتّفقا من كلّ جهة ، أو يختلفا من كلّ جهة ، أو يتّفقا بجهة ويختلفا بأُخرى ، والكلّ محال : أمّا بطلان الأوّل ، فلأنّ الاثنينيّة لا تتحقّق إلّا بامتياز أحد الاثنين عن صاحبه ، ولو بوجه من الوجوه ، وأمّا بطلان الثاني ، فلما نبّه عليه بقوله : « فَلَمَّا رَأَيْنَا الْخَلْقَ مُنْتَظِماً » ، وتقريره : أنّ العالم كلّه كشخص واحد كثير الأجزاء والأعضاء مثل الإنسان ، فإنّا نجد أجزاء العالم مع اختلاف طبائعها الخاصّة ، وتباين صفاتها وأفعالها المخصوصة يرتبط بعضها ببعض ، ويفتقر بعضها إلى بعض ، وكلّ منها يعين بطبعه صاحبه ، وهكذا نشاهد الأجرام العالية وما ارتكز فيها من الكواكب النيّرة في حركاتها الدوريّة ، وأضوائها الواقعة منها نافعة للسفليّات محصّلة لأمزجة المركّبات التي يتوقّف عليها صور الأنواع ونفوسها وحياة الكائنات ونشوء الحيوان والنبات ، فإذا تحقّق ما ذكرنا من وحدة العالم لوحدة النظام واتّصال التدبير دلّ على أنّ إلهه واحد ، وإليه أشار بقوله : « دَلَّ صِحَّةُ الْأَمْرِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَائْتِلَافُ الْأَمْرِ ، عَلىٰ أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ . »

وأمّا بطلان الشقّ الثالث ، وهو أنّهما متّفقان من وجه ، ومختلفان من وجه آخر ، فبأن يقال كما أشار إليه عليه السلام بقوله : « ثُمَّ يَلْزَمُكَ » أنّه

لا بدّ فيهما من شيء يمتاز به أحدهما عن صاحبه ، وصاحبه عنه ، وذلك الشيء يجب أن يكون أمراً وجوديّاً يوجد في أحدهما ولم يوجد في الآخر ، أو أمران وجوديّان يختصّ كلّ منهما بواحد فقط ، وأمّا كون الفارق المميّز لكلّ منهما عن صاحبه أمراً عدميّاً فهو ممتنع بالضرورة ؛ إذ الأعدام بما هي أعدام لا تمايز بينها ، ولا تمييز بها ، فإذا فرض قديمان فلا أقلّ من وجود أمر ثالث يوجد لأحدهما ويسلب عن الآخر ، وهو المراد بالفرجة ؛ إذ به يحصل الانفراج أي الافتراق بينهما لوجوده في أحدهما وعدمه في الآخر ، وهو أيضاً لا محالة قديم موجود معهما ، وإلّا لم يكونا اثنين قديمين ، فيلزم أن يكون القدماء ثلاثة وقد فرض اثنان ، وهذا خلف ، ثمّ يلزم من فرض كونهم ثلاثة أن يكونوا خمسة ، وهكذا إلى أن يبلغ عددهم إلى ما لا نهاية له ، وهو محال .

أقول : الأظهر على هذا التقرير أن تحمل الوحدة في قوله عليه السلام : « عَلىٰ أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ » على الأعمّ من الوحدة النوعيّة والشخصيّة ، ولو حملت على الشخصيّة يمكن أن يستخرج منه ثلاث حجج بهذا التقرير ، ولا يخفى توجيهها .

الرابع : أن يكون إشارة إلى ثلاث حجج لكن على وجه آخر .

وتقرير الأوّل : أنّه لو كان اثنين فإمّا أن يكونا قويّين ، أي مستقلّين بالقدرة على كلّ ممكن في نفسه ، سواء كان موافقاً للمصلحة أو مخالفاً ، وهو إنّما يتصوّر بكونهما قديمين ، وإمّا أن يكونا ضعيفين ، أي غير مستقلّين بالقدرة على ممكن ما في نفسه ، وإمّا أن يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً ، والأوّل محال لاشتماله على التناقض ؛ لأنّ كون كلّ منهما قويّاً

بهذا المعنى يستلزم أن يكون قويّاً على دفع الآخر عن أن يصدر عنه مراد الأوّل بعينه أو مثله أو ضدّه في محلّه؛ لأنّ عدم المنافي شرط في صدور كلّ ممكن، وعدم القوّة على الشرط ينافي القوّة على المشروط، ولا شكّ أنّ المدفوع كذلك ضعيف مسخّر، فقوّة كلّ منهما في فعل صدر عنه يستلزم دفعه الآخر فيه وضعف ذلك الآخر، وفي فعل تركه حتّى فعل الآخر ضدّه يستلزم تمكينه الآخر في فعله، وهذا تفرّد بالتدبير، فالاستفهام في «فَلِمَ لَا يَدْفَعُ» إنكاريّ، أي معلوم؛ ضرورة أنّه يدفع كلّ منهما الآخر ويتفرّد بالتدبير.

وبطلان الشقّ الثالث لكونه مستلزماً لعجز أحدهما، أي ضعفه وعدم كونه ممّن ينتهي إليه شيء من تدبير العالم، يستلزم بطلان الشقّ الثاني بطريق أوْلى.

وتقرير الثاني هو: أنّه لو كان المدبّر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما، إمّا متساوية من جميع الوجوه بأن لا يكون في واحد منهما، ولا في كلّ منهما ما يختصّ به ويرجّح صدوره عنه على صدوره عن الآخر من الداعي والمصلحة ونحوهما، وإمّا غير متساوية من جميع الوجوه، وكلاهما باطل.

أمّا الأوّل، فلأنّه إمّا أن يكون ترك كلّ منهما لذلك المعلول مستلزماً لفعل الآخر إيّاه لحكمة كلّ منهما أم لا، فعلى الأوّل إحداث أحدهما ذلك المعلول يستلزم الترجيح بلا مرجّح؛ لأن إحداث كلّ منهما ذلك المعلول ليس أوْلى بوجه من تركه إيّاه، وإحداث الآخر إيّاه، وعلى الثاني إمّا أن يكون ترك التارك له مع تجويزه الترك على الآخر قبيحاً، وخلاف

الحكمة أم لا ، والأوّل يستلزم النقص ، والثاني يستلزم عدم إمكان رعاية المصالح التي لا تحصى في خلق العالم؛ لأنّه اتّفاقيّ حينئذٍ ، ومعلوم بديهة أنّ الاتّفاقيّ لا يكون منتظماً في أمر سهل ، كصدور مثل قصيدة من قصائد البلغاء المشهورين عمّن لم يمارس البلاغة ، وإن كان يمكن أن يصدر عنه اتّفاقاً مصراع بليغ أو مصراعان ، فضلاً عمّا نحن فيه .

وأمّا بطلان الثاني ، فلأنّه يستلزم أن يكون مختلفة من جميع الوجوه بأن لا يكون أحدهما قادراً عليه أصلاً؛ لأنّ اختلاف نسبة قادرين إلى معلول واحد شخصيّ إنّما يتصوّر فيما يمكن أن يكون صدوره عن أحدهما أصلح وأنفع من صدوره عن الآخر ، وهذا إنّما يتصوّر فيما كان نفع فعله راجعاً إليه كالعباد ، وأمّا إذا كان القادران بريئين من الانتفاع كما فيما نحن فيه فلا يتصوّر ذلك فيه بديهة ، وينبّه عليه أنّ الغنيّ المطلق إنّما يفعل ما هو الخير في نفسه ، من غير أن يكون له فيه نفع ، سواء كان لغيره فيه نفع كما في ثواب المطيع ، أو لم يكن ، ومثاله عقاب الكافر إن لم يكن للمطيعين فيه نفع .

وتقرير الثالث : أنّه إن كان المدبّر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما ، إمّا متساوية من جميع الوجوه أو لا ، وكلاهما باطل أمّا الأوّل فلأنّ صدور بعض المعلولات عن أحدهما وبعض آخر منها عن الآخر منهما ، حينئذٍ يحتاج إلى ثالث هو الفرجة بينهما ، أي ما يميّز ويعيّن كلّ معلول معلول لواحد معيّن منهما حتّى يكون المدبّران اثنين لامتناع الترجيح من جهة الفاعلين بلا مرجّح ، أي بلا داعٍ أصلاً كما هو المفروض ، فيلزم خلاف الفرض ، وهو أن يكون المدبّر ثلاثة ثمّ ننقل الكلام إلى الثلاثة ، وهكذا

إلى ما لا نهاية له في الكثرة، ويلزم التسلسل، وإنّما لم يكتف عليه السلام بعد نقل الكلام إلى الثلاثة بالاحتياج إلى فرجة واحدة للتميزين حتّى يكون المجموع أربعة لا خمسة، وإن كان المطلوب وهو لزوم التسلسل حاصلاً به أيضاً؛ لأنّ هناك ثلاثة تمييزات وتخصيص واحد منهما بمميز، كما هو المفروض، واشتراك اثنين منهما بواحد مع اتّحاد النسبة تحكم، وأمّا بطلان الثاني فلما مرّ في بيان بطلان الشقّ الثاني من الدليل الثاني.

أقول: لا يخفى بعد هذا التقرير عن الأفهام واحتياجه إلى تقدير كثير من المقدّمات في الكلام.

الخامس: أن يكون الأوّل إشارة إلى برهان التمانع بأحد تقريراته المشهورة، والثاني إلى التلازم كما مرّ، والثالث يكون إلزاماً على المجسّمة المشركة القائلين بإلهين مجسّمين متباعدين في المكان، كما هو الظاهر من كلام المجوس لعنهم اللّه، ويكون الفرجة محمولة على معناها المتبادر من جسم يملأ البعد بينهما لبطلان الخلأ، أو سطح فاصل بينهما لتحقّق الاثنينيّة. هذا ما قيل، أو يمكن أن يقال في حلّ هذا الخبر الذي تحيّرت فيه الأفهام والفكر، ولم نتعرّض لبسط الكلام في كلّ وجه ولا لإيراد ما يرد على كلّ منها من الإشكالات والاعتراضات احترازاً عن الإسهاب والإطناب، واللّه الموفّق للصواب.

(١٥٦٥) ٢٣ـ التوحيد: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ

التَّوْحِيدِ فَقَالَ: هُوَ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ[(١)] .

(١٥٦٦) **٢٤ ـ التوحيد**: أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ وَيَعْقُوبَ ابْنِ يَزِيدَ ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ زُرَارَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾[(٢)] ، قَالَ: هُوَ تَوْحِيدُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[(٣)] .

(١٥٦٧) **٢٥ ـ التوحيد**: الْأُشْنَانِيُّ ، عَنِ ابْنِ مَهْرَوَيْهِ ، عَنِ الْفَرَّاءِ ، عَنِ الرِّضَا ، عَنْ آبَائِهِ ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: التَّوْحِيدُ نِصْفُ الدِّينِ ، وَاسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ[(٤)] .

قال الصدوق في كتاب التوحيد ـ بعد نقل خبر أعرابيّ ـ: سمعت مَن

---

(١) التوحيد : ٤٦ ، وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وعباد بن سليمان ذكره النجاشي في أصحابنا المصنفين ، وروى عنه سعد القمي والصفار وابن أبي الخطاب والأشعري ولم يستثنَ من نوادر الحكمة ، وهو من رواة كامل الزيارات ، ويروي الأصحاب عنه كتاب سعد بن سعد المبوب .
(٢) سورة آل عمران: ٨٣.
(٣) التوحيد : ٤٦ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .
(٤) التوحيد : ٦٨ * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٣٨/٢ ، بعدة أسانيد فيها الصحيح .
وسنده صحيح ، الأشناني من المشايخ الذين أكثر الصدوق الرواية عنهم وهو قدس سره لا يعدد الرواية عمّن لا يرتضيه ، وعلي بن مهرويه ذكره الخطيب البغدادي فقال : « قال صالح الحافظ : علي بن محمد بن مهرويه أبو الحسن القزويني روى عن الهزاري وداود بن سليمان الغازي نسخة علي بن موسى الرضا عليه السلام ... سمعت منه مع أبي وكان يأخذ عليه نسخة الرضا عليه السلام ، وكان شيخاً مسناً محله الصدق » ، وداود بن سليمان ذكره الشيخ المفيد في ثقات الكاظم عليه السلام ، وذكره الشيخ في رجال الرضا عليه السلام وقال : « أسند عنه » .

أثق بدينه، ومعرفته باللغة والكلام، يقول: إنّ قول القائل: واحد واثنان وثلاثة إلى آخره إنّما وضع في أصل اللغة للإبانة عن كمّيّة ما يقال عليه لا لأنّ له مسمّى يتسمّى به بعينه، أو لأنّ له معنى سوى ما يتعلّمه الإنسان لمعرفة الحساب، ويدور عليه عقد الأصابع عند ضبط الآحاد والعشرات والمئات والألوف، ولذلك متى أراد مريد أن يخبر غيره عن كمّيّة شيء بعينه سمّاه باسمه الأخصّ، ثمّ قرن لفظة الواحد به وعلّقه عليه، يدلّ به على كمّيّة لا على ما عدا ذلك من أوصافه، ومن أجله يقول القائل: درهم واحد، وإنّما يعني به أنّه درهم فقط، وقد يكون الدرهم درهماً بالوزن ودرهماً بالضرب، فإذا أراد المخبر أن يخبر عن وزنه قال: درهم واحد بالوزن، وإذا أراد أن يخبر عن عدده أو ضربه قال: درهم واحد بالعدد، ودرهم واحد بالضرب، وعلى هذا الأصل يقول القائل: هو رجل واحد، وقد يكون الرجل واحداً بمعنى أنّه إنسان وليس بإنسانين، ورجل ليس برجلين، وشخص ليس بشخصين، ويكون واحداً في الفضل، وواحداً في العلم، وواحداً في السخاء، وواحداً في الشجاعة، فإذا أراد القائل أن يخبر عن كمّيّته قال: هو رجل واحد، فدلّ ذلك من قوله على أنّه رجل وليس هو برجلين، وإذا أراد أن يخبر عن فضله قال: هذا واحد عصره، فدلّ ذلك على أنّه لا ثاني له في الفضل، وإذا أراد أن يدلّ على علمه قال: إنّه واحد في علمه، فلو دلّ قوله: واحد بمجرّده على الفضل والعلم كما دلّ بمجرّده على الكمّيّة لكان كلّ من أطلق عليه لفظة واحد أراد فاضلاً لا ثاني له في فضله، وعالماً لا ثاني له في علمه، وجواداً لا ثاني له في جوده، فلمّا لم يكن كذلك صحّ (١) أنّه بمجرّده لا يدلّ إلّا على كمّيّة

(١) في نسخة: فلمّا لم يكن كذلك وضح.

الشيء دون غيره ، وإلّا لم يكن لما أُضيف إليه من قول القائل : واحد عصره ودهره فائدة ، ولا كان لتقييده بالعلم والشجاعة معنى ؛ لأنّه كان يدلّ بغير تلك الزيادة ، وبغير ذلك التقييد ، على غاية الفضل ، وغاية العلم والشجاعة .

فلمّا احتيج معه إلى زيادة لفظ ، واحتيج إلى التقييد بشيء ، صحّ ما قلناه ، فقد تقرّر أنّ لفظة القائل : واحد إذا قيل على الشيء دلّ بمجرّده على كمّيّة في اسمه الأخصّ ، ويدلّ بما يقترن به على فضل المقول عليه ، وعلى كماله ، وعلى توحّده بفضله وعلمه وجوده ، وتبيّن أنّ الدرهم الواحد قد يكون درهماً واحداً بالوزن ودرهماً واحداً بالعدد ، ودرهماً واحداً بالضرب ، وقد يكون بالوزن درهمين ، وبالضرب درهماً واحداً ، ويكون بالدوانيق ستّة دوانيق ، وبالفلوس ستّين فلساً ، ويكون بالأجزاء كثيراً ، وكذلك يكون العبد عبداً واحداً ، ولا يكون عبدين بوجه ، ويكون شخصاً واحداً ولا يكون شخصين بوجه ، ويكون أجزاء كثيرة وأبعاضاً كثيرة ، وكلّ بعض من أبعاضه يكون جواهر كثيرة متّحدة اتّحد بعضها ببعض ، وتركّب بعضها مع بعض ، ولا يكون العبد واحداً وإن كان كلّ واحد منه في نفسه إنّما هو عبد واحد ، وإنّما لم يكن العبد واحداً لأنّه ما من عبد إلّا وله مثل في الوجود ، أو في المقدور ، وإنّما صحّ أن يكون للعبد مثل لأنّه لم يتوحّد بأوصافه التي من أجلها صار عبداً مملوكاً ، ووجب لذلك أن يكون اللّه عزّ وجلّ متوحّداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ليكون إلهاً واحداً ، فلا يكون له مثل ، ويكون واحداً لا شريك له ، ولا إله غيره ، فاللّه تبارك وتعالى إله واحد لا إله إلّا هو ، وقديم واحد لا قديم إلّا هو ، وموجود واحد ليس بحال ولا محلّ ولا موجود

كذلك إلّا هو ، وشيء واحد لا يجانسه ولا يشاكله شيء ، ولا يشبهه شيء ، ولا شيء كذلك إلّا هو ، فهو كذلك موجود غير منقسم في الوجود ، ولا في الوهم ، وشيء لا يشبهه شيء بوجه ، وإله لا إله غيره بوجه ، وصار قولنا : يا واحد يا أحد في الشريعة اسماً خاصّاً له دون غيره لا يسمّى به إلّا هو عزّ وجلّ ، كما أنّ قولنا اللّه اسم لا يسمّى به غيره.

وفصل آخر في ذلك ، وهو أنّ الشيء قد يعدّ مع ما جانسه وشاكله وماثله يقال : هذا رجل ، وهذان رجلان ، وثلاثة رجال ، وهذا عبد ، وهذا سواد ، وهذان عبدان ، وهذان سوادان ، ولا يجوز على هذا الأصل أن يقال : هذان إلهان ؛ إذ لا إله إلّا إله واحد ، فاللّه لا يعدّ على هذا الوجه ، ولا يدخل في العدد من هذا الوجه بوجه ، وقد يعدّ الشيء مع ما لا يجانسه ولا يشاكله ، يقال : هذا بياض وهذان بياض وسواد ، وهذا محدث وهذان محدثان ، وهذان ليسا بمحدثين ولا بمخلوقين ، بل أحدهما قديم والآخر محدث ، وأحدهما ربّ والآخر مربوب ، فعلى هذا الوجه يصحّ دخوله في العدد ، وعلى هذا النحو قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ﴾ الآية (١) ، وكما أنّ قولنا فلان إنّما هو رجل واحد لا يدلّ على فضله بمجرّده ، كذلك قولنا فلان ثاني فلان لا يدلّ بمجرّده إلّا على كونه ، وإنّما يدلّ على فضله متى قيل إنّه ثانية في الفضل ، أو في الكمال ، أو العلم.

فأمّا توحيد اللّه تعالى ذكره فهو توحيده بصفاته العلى (٢) وأسمائه

---

(١) سورة المجادلة : ٧.

(٢) في نسخة : فهو توحّده بصفاته العلى.

الحسنى ، ولذلك كان إلهاً واحداً لا شريك له ولا شبيه ، والموحّد هو من أقرّ به على ما هو عليه عزّ وجلّ من أوصافه العلى وأسمائه الحسنى على بصيرة منه ومعرفة وإيقان وإخلاص ، وإذا كان ذلك كذلك فمن لم يعرف اللّه عزّ وجلّ متوحّداً بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ، ولم يقرّ بتوحيده بأوصافه العلى ، فهو غير موحّد.

وربّما قال جاهل من الناس : إنّ من وحّد اللّه وأقرّ أنّه واحد فهو موحّد وإن لم يصفه بصفاته التي توحّد بها ؛ لأنّ من وحّد الشيء فهو موحّد في أصل اللغة.

فيقال له : أنكرنا ذلك ؛ لأنّ من زعم أنّ ربّه إله واحد ، وشيء واحد ، ثمّ أثبت معه موصوفاً آخر بصفاته التي توحّد بها فهو عند جميع الأُمّة وسائر أهل الملل ثنويّ غير موحّد ، ومشرك مشبه غير مسلم ، وإن زعم أنّ ربّه إله واحد ، وشيء واحد ، وموجود واحد ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون اللّه تبارك وتعالى متوحّداً بصفاته التي تفرّد بالإلهيّة من أجلها ، وتوحّد بالوحدانيّة لتوحّده بها ليستحيل أن يكون إله آخر ، ويكون اللّه واحداً والإله واحداً لا شريك له ولا شبيه ؛ لأنّه إن لم يتوحّد بها كان له شريك وشبيه ، كما أنّ العبد لمّا لم يتوحّد بأوصافه التي من أجلها كان عبداً كان له شبيه ، ولم يكن العبد واحداً ، وإن كان كلّ واحد منّا عبداً واحداً ، وإذا كان كذلك فمن عرفه متوحّداً بصفاته ، وأقرّ بما عرفه ، واعتقد ذلك كان موحّداً ، وبتوحيد ربه عارفاً ، والأوصاف التي توحّد اللّه تعالى بها ، وتوحّد بربوبيّته لتفرّده بها في الأوصاف التي يقتضي كلّ واحد منها أن لا يكون الموصوف بها إلّا واحداً لا يشاركه فيه غيره ، ولا

يوصف به إلّا هو ، وتلك الأوصاف هي كوصفنا له بأنّه موجود واحد ، لا يصحّ أن يكون حالاً في شيء ، ولا يجوز أن يحلّه شيء ، ولا يجوز عليه العدم والفناء والزوال ، مستحّق للوصف بذلك بأنّه أوّل الأوّلين ، وآخر الآخرين ، قادر ، يفعل ما يشاء ، لا يجوز عليه ضعف ولا عجز ، مستحقّ للوصف بذلك لأنّه أقدر القادرين ، وأقهر القاهرين ، عالم ، لا يخفى عليه شيء ، ولا يعزب عنه شيء ، لا يجوز عليه جهل ولا سهو ولا شكّ ولا نسيان ، مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أعلم العالمين ، حيّ لا يجوز عليه موت ولا نوم ، ولا ترجع إليه منفعة ولا تناله مضرّة ، مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أبقى الباقين ، وأكمل الكاملين ، فاعل ، لا يشغله شيء عن شيء ، ولا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء ، مستحقّ للوصف بذلك بأنّه إله الأوّلين والآخرين ، وأحسن الخالقين ، وأسرع الحاسبين ، غنيّ لا يكون له قلّة ، مستغن لا يكون له حاجة ، عدل لا تلحقه مذمّة ، ولا ترجع إليه منقصة ، حكيم لا يقع منه سفاهة ، رحيم لا يكون له رقّة ، ويكون في رحمته سعة ، حليم لا يلحقه موجدة (١) ، ولا يقع منه عجلة ، مستحقّ للوصف بذلك بأنّه أعدل العادلين ، وأحكم الحاكمين ، وأسرع الحاسبين ، وذلك لأنّ أوّل الأوّلين لا يكون إلّا واحدا ، وكذلك أقدر القادرين ، وأعلم العالمين ، وأحكم الحاكمين ، وأحسن الخالقين ، وكلّ ما جاء على هذا الوزن فصحّ بذلك ما قلناه.

وبالله التوفيق ، ومنه العصمة والتسديد (٢) .

---

(١) الموجدة ـ بفتح الميم وسكون الواو ـ : الغضب.

(٢) التوحيد : ٨٤.

باب ٧: عبادة الأصنام والكواكب والأشجار والنيرين وعلة حدوثها، وعقاب مَن عبدها، أو قرّب إليها قرباناً(١)

الآيات:

الأنعام:

﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا ﴾ (٢) .

الأعراف:

﴿ أَيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَسْمَعُوا وَتَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾ (٣) .

يونس:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلاءِ

---

(١) وفي الباب ١٢ حديثاً.

(٢) سورة الأنعام: ٧١.

(٣) سورة الأعراف: ١٩١ - ١٩٨.

شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١).

هود:

﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ ما يَعْبُدُونَ إِلَّا كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ (٢).

النحل:

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ

---

(١) سورة يونس: ١٨، ٣٤ ـ ٣٥.
(٢) سورة هود: ١٠٩.
(٣) سورة النحل: ١٧.
(٤) سورة النحل: ٢٠ ـ ٢٢.

فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّـهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ ما لا يَـمْلِكُ لَـهُمْ رِزْقاً مِـنَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ * فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَـهْراً هَـلْ يَسْتَوُونَ * الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِـخَيْرٍ هَـلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

مريم:

﴿ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴾ (٣) .

الحجّ:

﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُ وَما لا يَنْفَعُهُ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (٤) .

وقال: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ

---

(١) سورة النحل: ٧١.
(٢) سورة النحل: ٧٣ ـ ٧٦.
(٣) سورة مريم: ٤٢.
(٤) سورة الحجّ: ١٢ و١٣.

دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) .

الفرقان:

﴿ وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلّا هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً * إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً * أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ .

وقال اللّه تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾ (٢) .

الشعراء:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ * قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ * قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ * قالَ أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلّا رَبَّ الْعالَمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ

---

(١) سورة الحجّ: ٧٣ و٧٤.
(٢) سورة الفرقان: ٤١ ـ ٤٣، ٥٥.

* مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالْغاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قالُوا وَهُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ * وَما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

النمل:

﴿ وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢) .

العنكبوت:

﴿ إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَقالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْواكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الشعراء: ٦٩ ـ ١٠٢.
(٢) سورة النمل: ٢٤ ـ ٢٦ؤ
(٣) سورة العنكبوت: ١٧ ـ ٢٥.

الروم:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ شُفَعاءُ وَكانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

يس:

﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢).

الصافّات:

﴿ إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ ﴾. إلى قوله: ﴿ أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الروم: ١٢ ـ ٢٨.
(٢) سورة يس: ٢٣ ـ ٢٥.
(٣) سورة الصافّات: ٣٥ و٣٦.
(٤) سورة الصافّات: ٨٦ ـ ٩٦.

وقال تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١).

ص:

﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ * ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ ﴾ (٢).

الزمر:

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ قُلْ أَوَلَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ

(١) سورة الصافّات: ١٢٥ و١٢٦.

(٢) سورة ص: ٥ ـ ٧.

(٣) سورة الزمر: ٢ ـ ٣، ٣٨.

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١) .

المؤمن:

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جاءَنِي الْبَيِّناتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكافِرِينَ ﴾ (٢) .

السجدة:

﴿ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٣) .

حمعسق:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ (٤) .

الزخرف:

﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

---

(١) سورة الزمر: ٤٣ ـ ٤٥.
(٢) سورة غافر: ٦٦ ـ ٧٤.
(٣) سورة فصّلت: ٣٧.
(٤) سورة الشورى: ٦.

يَعْلَمُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (١) .

الجاثية :

﴿ أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ ﴾ (٢) .

الأحقاف :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ ائْتُونِي بِكِتابٍ مِنْ قَبْلِ هذا أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ * وَإِذا حُشِرَ النَّاسُ كانُوا لَهُمْ أَعْداءً وَكانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قالُوا أَ جِئْتَنا لِتَأْفِكَنا عَنْ آلِهَتِنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ لا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْباناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذلِكَ إِفْكُهُمْ وَما كانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٤) .

النجم :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى * أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ

---

(١) سورة الزخرف : ٨٦ و٨٧.
(٢) سورة الجاثية : ٢٣.
(٣) سورة الأحقاف : ٤ ـ ٦.
(٤) سورة الأحقاف : ٢١ ـ ٢٨.

الْأُنْثى * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى * إِنْ هِيَ إِلّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ ﴾ (١) .

الجحد:

﴿ قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ * لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ ﴾ (٢) إلى آخر السورة.

أقول: سيأتي الآيات الكثيرة في ذلك في كتاب النبوّة ، وكتاب الاحتجاج ، وكتاب المعاد.

****

(١٥٦٨) ١ ـ **تفسير القمّيّ**: قَوْلُهُ: ﴿ وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ (٣) ، قَالَ: كَانَ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَمَاتُوا ، فَحَزِنَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ ، فَجَاءَ إِبْلِيسُ فَاتَّخَذَ لَهُمْ صُوَرَهُمْ لِيَأْنَسُوا بِهَا فَأَنِسُوا بِهَا ، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الشِّتَاءُ أَدْخَلُوهُمُ الْبُيُوتَ ، فَمَضَىٰ ذَلِكَ الْقَرْنُ وَجَاءَ الْقَرْنُ الْآخَرُ ، فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَؤُلَاءِ آلِهَةٌ كَانُوا آبَاؤُكُمْ يَعْبُدُونَهَا فَعَبَدُوهُمْ ، وَضَلَّ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ نُوحٌ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ (٤) .

(١٥٦٩) ٢ ـ **تفسير القمّيّ**: ﴿ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ

---

(١) سورة النجم: ١٩ ـ ٢٣.
(٢) سورة الجحد: ١ و٢.
(٣) سورة نوح: ٢٣.
(٤) تفسير القمي: ٢/٢٨٧.

وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ ، قَالَ : كَانَتْ وَدٌّ صَنَماً لِكَلْبٍ (١) ، وَكَانَتْ سُوَاعٌ لِهُذَيْلٍ (٢) ، وَيَغُوثُ لِمُرَادٍ (٣) ، وَكَانَتْ يَعُوقُ لِهَمْدَانَ ، وَكَانَتْ نَسْرٌ لِحُصَيْنٍ (٤) .

(١٥٧٠) ٣ ـ **قرب الإسناد** : هَارُونُ ، عَنِ ابْنِ صَدَقَةَ ، عَنْ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ عَلِيّاً صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ سُئِلَ عَنْ أَسَافٍ وَنَائِلَةَ ، وَعِبَادَةِ قُرَيْشٍ لَهُمَا ، فَقَالَ : نَعَمْ ، كَانَا شَابَّيْنِ صَبِيحَيْنِ ، وَكَانَ بِأَحَدِهِمَا تَأْنِيثٌ ، وَكَانَا يَطُوفَانِ بِالْبَيْتِ ، فَصَادَفَا مِنَ الْبَيْتِ خَلْوَةً فَأَرَادَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَفَعَلَ ، فَمَسَخَهُمَا اللَّهُ حَجَرَيْنِ ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَضِيَ أَنْ يُعْبَدَا مَعَهُ مَا حَوَّلَهُمَا عَنْ حَالِهِمَا (٥) .

(١٥٧١) ٤ ـ **علل الشرائع** : فِي أَسْئِلَةِ الشَّامِيِّ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَوَّلِ مَنْ كَفَرَ وَأَنْشَأَ الْكُفْرَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ (٦) .

---

(١) بدومة الجندل.
(٢) كانت لهم برهاط من أرض ينبع ـ وينبع من أعراض المدينة ـ وكان سدنتها بنو لحيان.
(٣) ثمّ لبني غطيف بالجرف عند سبأ.
(٤) تفسير القمي : ٢/٣٨٨ ، والصحيح : « لحِمير » بدل « لحصين » ، راجع تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني رحمه الله : ٣/٢٢٠ .
(٥) قرب الاسناد : ٥٠ * الكافي الشريف : ٤/٥٤٦ ، وسنده حسن كالصحيح ـ بل صحيح ـ ، راجع حديث : ٤٢٥ .
قال العلامة الطباطبائي قدس سره : « الحديث موضوع ، وهو قصة تاريخيّة خرافيّة » ، قلت : الجزم بالوضع غريب جداً ، والرواية رواها العامة أيضاً .
(٦) علل الشرائع : ٢/٥٩٥ * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/٢٢١ .

(١٥٧٢) ٥ ـ **علل الشرائع**: أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنِ ابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ وَابْنِ عِيسىٰ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ وَكَرَّامِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الدَّيْلَمِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: إِنَّ قَابِيلَ لَمَّا رَأَى النَّارَ قَدْ قَبِلَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ قَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: إِنَّ هَابِيلَ كَانَ يَعْبُدُ تِلْكَ النَّارَ ، فَقَالَ قَابِيلُ: لَا أَعْبُدُ النَّارَ الَّتِي عَبَدَهَا هَابِيلُ ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ نَاراً أُخْرىٰ ، وَأُقَرِّبُ قُرْبَاناً لَهَا ، فَتَقَبَّلُ قُرْبَانِي ، فَبَنىٰ بُيُوتَ النَّارِ فَقَرَّبَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَمْ يَرِثْ مِنْهُ وُلْدُهُ إِلَّا عِبَادَةَ النِّيرَانِ (١) .

قصص الأنبياء عليهم السلام: بالإسناد إلى الصدوق ، عن ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن ابن سنان ... مثله (٢) .

(١٥٧٣) ٦ ـ **علل الشرائع**: أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنِ ابْنِ النُّعْمَانِ ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْعُودُ خِلَافاً لِأَنَّ إِبْلِيسَ عَمِلَ صُورَةَ سُوَاعٍ عَلىٰ خِلَافِ صُورَةِ وَدٍّ ، فَسُمِّيَ الْعُودُ خِلَافاً (٣) .

ورجال السند ممن أكثر الصدوق قدس سره الرواية عنهم ، وهو لا يعدد الرواية عمّن لا يرتضيه ، والظاهر أن الرواية مأخوذة من صحيفة الرضا عليه السلام ، وهي صحيفة مشهورة معروفة معتمدة .

(١) علل الشرائع : ١/٣ ، وسنده حسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، محمد بن سنان من الكبار ، راجع ملحق : ٨ ، وابن أبي الديلم روى عنه إسماعيل بن جابر وكرام وإسحاق بن عمار وإسحاق بن جرير ، ويظهر من بعض الروايات قربه منهم عليهم السلام وأنه موضع أسرارهم .

(٢) قصص الأنبياء : ٦٩ ، وسنده حسن .

(٣) علل الشرائع : ١/٤ ، وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام ، وابن

وهذا في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

بيان: إنّما سمّي العود - أي الشجرة المعهودة - خلافاً لأنّ إبليس عمل سواعاً منها على خلاف ودّ، فلذلك سمّيت بها.

(١٥٧٤) ٧- **علل الشرائع**: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسىٰ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾، قَالَ: كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَمَاتُوا، فَضَجَّ قَوْمُهُمْ وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُمْ: أَتَّخِذُ لَكُمْ أَصْنَاماً عَلىٰ صُوَرِهِمْ فَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ، وَتَأْنِسُونَ بِهِمْ، وَتَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَأَعَدَّ لَهُمْ أَصْنَاماً عَلىٰ مِثَالِهِمْ، فَكَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَنْظُرُونَ إِلىٰ تِلْكَ الْأَصْنَامِ.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الشِّتَاءُ وَالْأَمْطَارُ أَدْخَلُوا الْأَصْنَامَ الْبُيُوتَ، فَلَمْ يَزَالُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتّىٰ هَلَكَ ذَلِكَ الْقَرْنُ وَنَشَأَ أَوْلَادُهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّ آبَاءَنَا كَانُوا يَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ فَعَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُواعاً ﴾ الْآيَةَ (١).

(١٥٧٥) ٨- **قصص الأنبياء عليهم السلام**: بِالْإِسْنَادِ، عَنِ الصَّدُوقِ

النعمان هو مؤمن الطاق.

(١) علل الشرائع: ٤/١، وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، ودعوى الارسال لا يلتفت إليها.

رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَنِ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنِ الْأَحْوَلِ ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ صَوَّرَ صُورَةً عَلىٰ مِثَالِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَفْتِنَ بِهِ النَّاسَ وَيُضِلَّهُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالىٰ ، وَكَانَ وَدٌّ فِي وُلْدِ قَابِيلَ ، وَكَانَ خَلِيفَةَ قَابِيلَ عَلىٰ وُلْدِهِ ، وَعَلىٰ مَنْ بِحَضْرَتِهِمْ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ يُعَظِّمُونَهُ وَيُسَوِّدُونَهُ .

فَلَمَّا أَنْ مَاتَ وَدٌّ جَزِعَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ ، وَخَلَّفَ عَلَيْهِمُ ابْناً يُقَالُ لَهُ : سُوَاعٌ ، فَلَمْ يُغْنِ غَنَاءَ أَبِيهِ مِنْهُمْ ، فَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ فَقَالَ : قَدْ بَلَغَنِي مَا أُصِبْتُمْ بِهِ مِنْ مَوْتِ وَدٍّ عَظِيمِكُمْ ، فَهَلْ لَكُمْ فِي أَنْ أُصَوِّرَ لَكُمْ عَلىٰ مِثَالِ وَدٍّ صُورَةً تَسْتَرِيحُونَ إِلَيْهَا ، وَتَأْنِسُونَ بِهَا ؟ قَالُوا : افْعَلْ ، فَعَمَدَ الْخَبِيثُ إِلَى الْآنُكِ (١) فَأَذَابَهُ حَتّىٰ صَارَ مِثْلَ الْمَاءِ ، ثُمَّ صَوَّرَ لَهُمْ صُورَةً مِثَالَ وَدٍّ فِي بَيْتِهِ ، فَتَدَافَعُوا عَلَى الصُّورَةِ يَلْثِمُونَهَا ، وَيَضَعُونَ خُدُودَهُمْ عَلَيْهَا ، وَيَسْجُدُونَ لَهَا ، وَأَحَبَّ سُوَاعٌ أَنْ يَكُونَ التَّعْظِيمُ وَالسُّجُودُ لَهُ ، فَوَثَبَ عَلىٰ صُورَةِ وَدٍّ فَحَكَّهَا حَتّىٰ لَمْ يَدَعْ مِنْهَا شَيْئاً ، وَهَمُّوا بِقَتْلِ سُوَاعٍ ، فَوَعَظَهُمْ وَقَالَ : أَنَا أَقُومُ لَكُمْ بِمَا كَانَ يَقُومُ بِهِ وَدٌّ ، وَأَنَا ابْنُهُ ، فَإِنْ قَتَلْتُمُونِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَئِيسٌ ، فَمَالُوا إِلَى السُّوَاعِ بِالطَّاعَةِ وَالتَّعْظِيمِ .

فَلَمْ يَلْبَثْ سُوَاعٌ أَنْ مَاتَ وَخَلَّفَ ابْناً يُقَالُ لَهُ : يَغُوثُ ، فَجَزِعُوا عَلىٰ

---

(١) الآنك ـ بالمدّ وضمّ النون ـ : الأسرب ، أو أبيضه ، أو أسوده ، أو خالصه .

سُوَاعٍ ، فَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ وَقَالَ: أَنَا الَّذِي صَوَّرْتُ لَكُمْ صُورَةَ وَدٍّ ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ أَجْعَلَ لَكُمْ مِثَالَ سُوَاعٍ عَلىٰ وَجْهٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَهُ؟ قَالُوا: فَافْعَلْ ، فَعَمَدَ إِلىٰ عُودٍ فَنَجَرَهُ ، وَنَصَبَهُ لَهُمْ فِي مَنْزِلِ سُوَاعٍ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَلِكَ الْعُوْدُ خِلَافاً لِأَنَّ إِبْلِيسَ عَمِلَ صُورَةَ سُوَاعٍ عَلىٰ خِلَافِ صُورَةِ وَدٍّ.

قَالَ: فَسَجَدُوا لَهُ ، وَعَظَّمُوهُ ، وَقَالُوا لِيَغُوثَ: مَا نَأْمَنُكَ عَلىٰ هٰذَا الصَّنَمِ أَنْ تَكِيدَهُ كَمَا كَادَ أَبُوكَ مِثَالَ وَدٍّ ، فَوَضَعُوا عَلَى الْبَيْتِ حُرَّاساً وَحُجَّاباً ، ثُمَّ كَانُوا يَأْتُونَ الصَّنَمَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَيُعَظِّمُونَهُ أَشَدَّ مَا كَانُوا يُعَظِّمُونَ سُوَاعاً ، فَلَمَّا رَأىٰ ذَلِكَ يَغُوثُ قَتَلَ الْحَرَسَةَ وَالْحُجَّابَ لَيْلاً ، وَجَعَلَ الصَّنَمَ رَمِيماً ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ أَقْبَلُوا لِيَقْتُلُوهُ ، فَتَوَارىٰ مِنْهُمْ إِلىٰ أَنْ طَلَبُوهُ وَرَأَّسُوهُ وَعَظَّمُوهُ.

ثُمَّ مَاتَ وَخَلَّفَ ابْناً يُقَالُ لَهُ يَعُوقُ ، فَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ فَقَالَ: قَدْ بَلَغَنِي مَوْتُ يَغُوثُ ، وَأَنَا جَاعِلٌ لَكُمْ مِثَالَهُ فِي شَيْءٍ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَهُ، قَالُوا: فَافْعَلْ ، فَعَمَدَ الْخَبِيثُ إِلىٰ حَجَرٍ أَبْيَضَ فَنَقَرَهُ بِالْحَدِيدِ ، حَتّىٰ صَوَّرَ لَهُمْ مِثَالَ يَغُوثَ ، فَعَظَّمُوهُ أَشَدَّ مِمَّا مَضىٰ ، وَبَنَوْا عَلَيْهِ بَيْتاً مِنْ حَجَرٍ ، وَتَبَايَعُوا أَنْ لَا يَفْتَحُوا بَابَ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلّا فِي رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ ، وَسُمِّيَتِ الْبَيْعَةَ يَوْمَئِذٍ؛ لِأَنَّهُمْ تَبَايَعُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَيْهِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلىٰ يَعُوقَ ، فَعَمَدَ إِلىٰ رَيْطَةٍ وَخَلَقٍ فَأَلْقَاهَا فِي الْحَائِرِ ، ثُمَّ رَمَاهَا بِالنَّارِ لَيْلاً ، فَأَصْبَحَ الْقَوْمُ وَقَدِ احْتَرَقَ الْبَيْتُ وَالصَّنَمُ وَالْحَرَسُ ، وَارْفَضَّ الصَّنَمُ مُلْقىً ، فَجَزِعُوا وَهَمُّوا بِقَتْلِ يَعُوقَ ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ قَتَلْتُمْ رَئِيسَكُمْ فَسَدَتْ

أُمُورُكُمْ ، فَكَفُّوا.

فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ يَعُوقُ ، وَخَلَّفَ ابْناً يُقَالُ لَهُ: نَسْرٌ ، فَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ فَقَالَ: بَلَغَنِي مَوْتُ عَظِيمِكُمْ ، فَأَنَا جَاعِلٌ لَكُمْ مِثَالَ يَعُوقَ فِي شَيْءٍ لَا يَبْلىٰ ، فَقَالُوا: افْعَلْ ، فَعَمَدَ إِلَى الذَّهَبِ وَأَوْقَدَ عَلَيْهِ النَّارَ حَتّىٰ صَارَ كَالْمَاءِ ، وَعَمِلَ مِثَالاً مِنَ الطِّينِ عَلىٰ صُورَةِ يَعُوقَ ، ثُمَّ أَفْرَغَ الذَّهَبَ فِيهِ ، ثُمَّ نَصَبَهُ لَهُمْ فِي دَيْرِهِمْ ، وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلىٰ نَسْرٍ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلىٰ دُخُولِ تِلْكَ الدَّيْرِ ، فَانْحَازَ عَنْهُمْ فِي فِرْقَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ إِخْوَتِهِ يَعْبُدُونَ نَسْراً ، وَالْآخَرُونَ يَعْبُدُونَ الصَّنَمَ ، حَتّىٰ مَاتَ نَسْرٌ ، وَظَهَرَتْ نُبُوَّةُ إِدْرِيسَ ، فَبَلَغَهُ حَالُ الْقَوْمِ ، وَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ جِسْماً عَلىٰ مِثَالِ يَعُوقَ ، وَأَنَّ نَسْراً كَانَ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ مَدِينَةَ نَسْرٍ وَهُمْ فِيهَا ، فَهَزَمَهُمْ(١) وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ ، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، وَأَمَرَ بِالصَّنَمِ فَحُمِلَ وَأُلْقِيَ فِي الْبَحْرِ ، فَاتَّخَذَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ صَنَماً ، وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهَا ، فَلَمْ يَزَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ لَا يَعْرِفُونَ إِلّا تِلْكَ الْأَسْمَاءَ ، ثُمَّ ظَهَرَتْ نُبُوَّةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ(٢) ، فَدَعَاهُمْ إِلىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَتَرْكِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿ لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ (٣) .

---

(١) وفي نسخة: فهزموهم.
(٢) وفي نسخة: فظهرت نبوّة نوح عليه السلام.
(٣) قصص الأنبياء: ٧٠، وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.

بيان: ارفضاض الشيء تفرّقه، وترفّض: تكسّر وانحاز عنه عدل.

(١٥٧٦) ٩ ـ **ثواب الأعمال**: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُلْوَانَ، عَنْ مُنْذِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قال: ذَكَرَ أَنَّ سَلْمَانَ قَالَ: إِنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَآخَرَ دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ، فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَرَّا عَلَىٰ قَوْمٍ فِي عِيدٍ لَهُمْ وَقَدْ وَضَعُوا أَصْنَاماً لَهُمْ، لَا يَجُوزُ بِهِمْ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ إِلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قُرْبَاناً قَلَّ أَمْ كَثُرَ، فَقَالُوا لَهُمَا: لَا تَجُوزَا حَتَّىٰ تُقَرِّبَا كَمَا يُقَرِّبُ كُلُّ مَنْ مَرَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَا مَعِي شَيْءٌ أُقَرِّبُهُ، وَأَخَذَ أَحَدُهُمَا ذُبَاباً فَقَرَّبَهُ وَلَمْ يُقَرِّبِ الْآخَرُ، فَقَالَ: لَا أُقَرِّبُ إِلَىٰ غَيْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ شَيْئاً، فَقَتَلُوهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَدَخَلَ الْآخَرُ النَّارَ(١).

(١٥٧٧) ١٠ ـ **تفسير العيّاشيّ**: عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: فَإِنْ كُنْتَ ابْنَ أَبِيكَ فَإِنَّكَ مِنْ أَبْنَاءِ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، فَقَالَ لَهُ: كَذَبْتَ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُنْزِلَ إِسْمَاعِيلَ بِمَكَّةَ فَفَعَلَ، فَـ ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾(٢)، فَلَمْ يَعْبُدْ أَحَدٌ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٢٤، وسنده إلى منذر صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وأبو الجوازء هو المنبه بن عبد الله ذكره النجاشي وقال: «صحيح الحديث»، ومنذر يحتمل أنه ابن جفير العبدي، ذكره النجاشي والشيخ في أصحابنا المصنفين، وروى كتابه صفوان بن يحيى وعبد الله ابن المغيرة، ومنه تعرف جلالة الرجل، واعتمد عليه الصدوق في الفقيه.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٥.

صَنَماً قَطُّ ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ عَبَدَةُ الْأَصْنَامِ ، وَقَالَتْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ: هـؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ ، فَكَفَرَتْ وَلَمْ تَعْبُدِ الْأَصْنَامَ (١) .

بيان: لعلّ المراد أنّهم أقرّوا بوحدانيّة الصانع وإن أشركوا من جهة العبادة والسجود لها ، فنفى عليه السلام عنهم أعظم أنواع الشرك ، وهو الشرك في الربوبيّة ، وقد مرّت الإشارة إلى الفرق بينهما في الباب السابق (٢) .

(١٥٧٨) ١١ ـ **الكافي الشريف:** مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيىٰ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَامِرٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ الْغُمْشَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الْأَشَلِّ بَيَّاعِ الْأَنْمَاطِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تُلَطِّخُ الْأَصْنَامَ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ ، وَكَانَ يَغُوثُ قُبَالَةَ الْبَابِ ، وَكَانَ يَعُوقُ عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ نَسْرٌ عَنْ يَسَارِهَا ، وَكَانُوا إِذَا دَخَلُوا خَرُّوا سُجَّداً لِيَغُوثَ ، وَلَا يَنْحَنُونَ (٣) ، ثُمَّ يَسْتَدِيرُونَ بِحِيَالِهِمْ إِلىٰ يَعُوقَ ، ثُمَّ يَسْتَدِيرُونَ بِحِيَالِهِمْ إِلىٰ نَسْرٍ ، ثُمَّ يُلَبُّونَ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ.

قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ ذُبَاباً أَخْضَرَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ شَيْئاً إِلَّا أَكَلَهُ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ

---

(١) تفسير العياشي: ٢/٢٣٠.

(٢) والرواية مع ذلك لا تخلو عن شيء ، فإنّ توحيد الصانع بهذا المعنى أساس الثنويّة ، واتّخاذ الأصنام آلهة وعبادتها ليس إلّا القول بكونهم شفعاء (الطباطبائي) .

(٣) وفي نسخة: ولا يحبّون.

فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (١).

(١٥٧٩) ١٢ ـ **تفسير القمّيّ**: قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ ﴾ (٢)، قَالَ: نَزَلَتْ فِي قُرَيْشٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ضَاقَ عَلَيْهِمُ الْمَعَاشُ فَخَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ وَتَفَرَّقُوا، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا رَأىٰ شَجَرَةً حَسَنَةً، أَوْ حَجَراً حَسَناً، هَوَاهُ فَعَبَدَهُ، وَكَانُوا يَنْحَرُونَ لَهَا النَّعَمَ، وَيُلَطِّخُونَهَا بِالدَّمِ، وَيُسَمُّونَهَا سَعْدَ صَخْرَةٍ، وَكَانَ إِذَا أَصَابَهُمْ دَاءٌ فِي إِبِلِهِمْ وَأَغْنَامِهِمْ جَاءُوا إِلَى الصَّخْرَةِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهَا الْغَنَمَ وَالْإِبِلَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِإِبِلٍ لَهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَمَسَّحَ بِالصَّخْرَةِ إِبِلَهُ، وَيُبَارِكَ عَلَيْهَا، فَنَفَرَتْ إِبِلُهُ وَتَفَرَّقَتْ، فَقَالَ الرَّجُلُ شِعْراً:

أَتَيْتُ إِلىٰ سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا ... فَشَتَّتَنَا سَعْدٌ فَمَا نَحْنُ مِنْ سَعْدِ
وَمَا سَعْدٌ إِلّا صَخْرَةٌ مُسَوَدَّةٌ ... مِنَ الْأَرْضِ لَا تَهْدِي لِغَيٍّ وَلَا رُشْدِ

---

(١) سورة الحجّ: ٧٣ * الكافي الشريف: ٥٤٢/٤.
وسنده مرسل حسن كالصحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وعبد الرحمٰن الأشل روى عنهما عليهما السلام، وضعفه ابن الغضائري، وذكره النجاشي في أصحابنا المصنفين ولم يقدح فيه، وقد روى عنه أعاظم الأصحاب كابن أبي عمير والبزنطي والحسن بن ظريف وغيرهم، وهو من رواة نوادر الحكمة بالواسطة ولم تستثن روايته، ومشايخ محمد بن يحيى العطار أعاظم الطائفة.
(٢) سورة الجاثية: ٢٣.

وَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَالثَّعْلَبُ يَبُولُ عَلَيْهِ فَقَالَ شِعْراً :

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ   لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ [1]

(١) تفسير القمي : ٢/١١٤ .

باب ٨: نفي الولد والصاحبة [١]

الآيات:

النساء:

﴿ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٢].

المائدة:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [٣].

---

(١) وفي الباب ٣ أحاديث.

(٢) سورة النساء: ١٧١ و١٧٢.

(٣) سورة المائدة: ١٧ و١٨.

أقول: سيأتي كثير من الآيات المتعلّقة بعيسى عليه السلام في كتاب النبوّة، وكثير منها في أبواب الاحتجاجات.

التوبة:

﴿ وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١).

يونس:

﴿ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

الإسراء:

﴿ أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴾ (٣).

الكهف:

﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً * ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبائِهِمْ

---

(١) سورة التوبة: ٣٠ و٣١.

(٢) سورة يونس: ٦٨.

(٣) سورة الإسراء ٤٠.

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلّا كَذِباً ﴾ (١) .

مريم:

﴿ ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً * وَما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً ﴾ (٢) .

الأنبياء:

﴿ وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ ﴾ (٣) .

الصافّات:

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَناتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِناثاً وَهُمْ

---

(١) سورة الكهف: ٤ و٥.
(٢) سورة مريم: ٣٥، ٨٨ ـ ٩٤.
(٣) سورة الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩.

شاهِدُونَ * أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ * ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَ فَلا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَإِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ * ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ * وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ (١).

الزمر:

﴿ لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٢).

الزخرف:

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ * أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ وَأَصْفاكُمْ بِالْبَنِينَ * وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ * وَقالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ

---

(١) سورة الصافّات: ١٤٩ ـ ١٦٦.

(٢) سورة الزمر: ٤.

بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ * سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٢) .

الطور:

﴿ أَمْ لَهُ الْبَناتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ (٣) .

النجم:

﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثى * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثى * وَما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ (٥) .

الجنّ:

﴿ وَأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الزخرف: ١٥ ـ ٢٢.
(٢) سورة الصافّات: ٨١ و٨٢.
(٣) سورة الطور: ٣٩.
(٤) سورة النجم: ٢١ و٢٢.
(٥) سورة النجم: ٢٧ و٢٨.
(٦) سورة الجنّ: ٣.

(١٥٨٠) ١ ـ **تفسير القمّيّ**: جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسىٰ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالىٰ: ﴿ وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلداً ﴾، قَالَ: هَذَا حَيْثُ قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ لِلَّهِ وَلداً، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ إِنَاثٌ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ رَدّاً عَلَيْهِمْ: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ﴾ أَيْ عَظِيماً ﴿ تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ مِمَّا قَالُوا ﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً ﴾، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿ وَما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً ﴾ وَاحِداً وَاحِداً [(١)].

(١٥٨١) ٢ ـ **التوحيد**: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَمِّهِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ رُشَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ فَيُورَثَ، وَلَمْ يُولَدْ فَيُشَارَكَ [(٢)].

(١٥٨٢) ٣ ـ **تفسير القمّيّ**: قَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

---

(١) تفسير القمي: ٢/٥٦.
جعفر بن أحمد هو السمرقندي صحيح الحديث والمذهب، والحسن بن علي وأبوه منحرفان من حيث الاعتقاد وروايتهما في الجملة معتبرة وتامة، وعبيد الله بن موسى هو ـ ظاهراً ـ الروياني الذي يروي كل كتب الشريف عبد العظيم الحسني رضي الله عنه، واطمئنان عبد العظيم له مع تستره وخفائه عن الأنظار فيه اقتضاء المدح.
(٢) التوحيد: ٤٨.

الْعابِدِينَ ﴾ يَعْنِي أَوَّلَ الْآنِفِينَ لَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ (١) .

بيان: هذا أحد الوجوه في تأويل هذه الآية، قال الجوهريّ: قال أبو زيد: العبد ـ بالتحريك ـ: الغضب والأنف، والاسم العبدة، مثل الأنفة، وقد عبد أي أنف، وقال أبو عمرو: قوله تعالى: ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ ﴾ من الأنف والغضب، انتهى.

وثانيها: أن يكون من قبيل تعليق المحال بالمحال، أي ليس له ولد؛ إذ لو كان له ولد لكنت أوّل العابدين له، فإنّ النبيّ يكون أعلم باللّه وبما يصحّ له وما لا يصحّ، وأوْلى بتعظيم ما يجب تعظيمه، ومن حقّ تعظيم الوالد تعظيم ولده.

وثالثها: أنّ المعنى إن كان له ولد في زعمكم فأنا أوّل العابدين للّه، الموحّدين له، المنكرين لقولكم.

ورابعها: أنّ (إِنْ) بمعنى (ما) للنفي، والمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين للّه المقرّين بذلك.

أقول: سيأتي ما يتضمّن نفي الصاحبة والولد في باب جوامع التوحيد، وسنذكر احتجاج النبيّ صلّى اللّه عليه وآله على القائلين بالولد في المجلّد الرابع.

---

(١) تفسير القمي: ٢/٢٨٩، وفيه: يعني أول القائلين * تفسير السمرقندي: ٣/٢٥٢، نقله عن الكلبي، وأنف من العار: ترفّع وتنزّه عنه، كرهه، وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أوّل العابدين أي الجاحدين.

باب ٩: النهي عن التفكّر في ذات اللّه تعالى والخوض في مسائل التوحيد، وإطلاق القول بأنّه شيء (١)

الآيات:

الزمر:

﴿ وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٢).

****

(١٥٨٣) ١ ـ **تفسير العيّاشيّ**: عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ: هَلْ تَصِفُ رَبَّنَا نَزْدَادُ لَهُ حُبّاً، وَبِهِ مَعْرِفَةً؟ فَغَضِبَ، وَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ فِيمَا قَالَ: عَلَيْكَ ـ يَا عَبْدَ اللَّهِ ـ بِمَا دَلَّكَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ صِفَتِهِ، وَتَقَدَّمَكَ فِيهِ الرَّسُولُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، فَائْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، فَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ وَحِكْمَةٌ أُوتِيتَهَا، فَخُذْ مَا أُوتِيتَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٣)، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ الرَّسُولِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَاةِ أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ، وَلَا تُقَدِّرْ عَلَيْهِ عَظَمَةَ اللَّهِ (٤).

وَاعْلَمْ ـ يَا عَبْدَ اللَّهِ ـ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ عَنِ الاقْتِحَامِ عَلَى السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، إِقْرَاراً بِجَهْلِ مَا جَهِلُوا

---

(١) وفي الباب ٢٢ حديثاً.
(٢) سورة الأنعام: ٩١ * سورة الزمر: ٦٧.
(٣) إشارة لقوله تعالى: ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ سورة الأعراف: ١٤٤.
(٤) وفي نسخة: ولا تقدر عظمة اللّه على قدر عقلك فتكون من الهالكين.

تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ ، فَقَالُوا: ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ (١) ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً ، وَسَمّىٰ تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً (٢) .

بيان: «الاقْتِحَامِ» الهجوم ، والدخول مغالبة ، و«السُّدَد» جمع السدّة ، وهي الباب المغلق ، وفيه إشكال لدلالته على أنّ الراسخين في العلم في الآية غير معطوف على المستثنى ، كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة ، وسيأتي القول فيه في كتاب الإمامة (٣) ، إلّا أن يقال: إنّ هذا إلزام على من يفسّر الآية كذلك ، أو يقال بالجمع بين التفسيرين على وجهين مختلفين ، وسيأتي تمام القول في ذلك في محلّه إن شاء اللّه تعالى.

(١٥٨٤) ٢ ـ **الاحتجاج**: رُوِيَ عَنْ هِشَامٍ أَنَّهُ سَأَلَ الزِّنْدِيقُ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالىٰ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ (٤) ، أَرْجِعُ بِقَوْلِي شَيْءٌ إِلىٰ شَيْءٍ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) تفسير العياشي: ١/١٦٣.

وكتاب مسعدة بن صدقة مشهور معروف ، وهو متحد مع الثقة ابن زياد ، راجع حديث: ٤٢٥.

(٣) قد بيّنّا في تفسير الميزان أنّه هو المتيقّن في الآية ، وتكلّمنا في الأخبار الكثيرة التي يشير إليها (الطباطبائي).

(٤) أي هو موجود يخالف سائر الموجودات ، فإنّ سائر الموجودات لها وجود وماهيّة زائدة على وجودها ، ولكنّ اللّه تعالى حقيقته صرف الوجود ، وعين الوجود ، وله حقيقة الشيئيّة وهي الوجود ، ثمّ بيّن عليه السلام وجه اختلافه تعالى مع سائر الأشياء بقوله: «غَيْرَ أَنَّهُ لَا جِسْمٌ ... إلخ ، ولعلّه عليه السلام أشار بقوله: «هُوَ شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ» إلى أنّه لا يعرف أحد حقيقة ذاته وصفاته ، وإنّما يعرف بمفهوم سلبيّ ، وهو أنّه موجود مغاير لخلقه في الذات والصفات ، مثل الإمكان والحدوث والجسميّة ، وغيرها.

جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ ، وَلَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ (١) ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ ، وَلَا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الْأَزْمَانُ ، الْخَبَرَ (٢) .

بيان: اعلم أنّ الشيء مساوٍ للموجود إذا أُخذ الوجود أعمّ من الذهنيّ والخارجيّ ، والمخلوط بالوجود من حيث الخلط شيء ، وشيئيّته كونه ماهيّة قابلة له .

وقيل: إنّ الوجود عين الشيئيّة ، فإذا عرفت هذا فالمراد بقوله: «بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ» أي بالشيئيّة الحقّة الثابتة له في حدّ ذاته؛ لأنّه تعالى هو الذي يحقّ أن يقال له شيء أو موجود لكون وجوده بذاته ممتنع الانفكاك عنه ، وغيره تعالى في معرض العدم والفناء ، وليس وجودهم إلّا من غيرهم ، أو المراد أنّه يجب معرفته بمحض أنّه شيء لا أن يثبت له حقيقة معلومة مفهومة يتصدّى لمعرفتها ، فإنّه يمتنع معرفة كنه ذاته وصفاته.

وقيل: إنّه إشارة إلى أنّ الوجود عين ذاته تعالى.

(١٥٨٥) **٣ـ الأمالي للصدوق**: أَبِي ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا زِيَادُ ! إِيَّاكَ وَالْخُصُومَاتِ ، فَإِنَّهَا تُورِثُ الشَّكَّ ، وَتُحْبِطُ الْعَمَلَ ، وَتُرْدِي صَاحِبَهَا ، وَعَسىٰ أَنْ يَتَكَلَّمَ

---

(١) بالجيم ، إمّا من جسّه بيده أي مسه بيده ليتعرّفه ، أو بعينه أي أحدّ النظر إليه ليتبيّنه ، وإمّا من جسّ الأخبار والأمور أي بحث وتفحّص عنها.
(٢) الاحتجاج: ٢/٧٠ * الكافي الشريف: ١/٨٠ * التوحيد: ١٠٤.

الرَّجُلَ بِالشَّيْءِ لَا يُغْفَرُ لَهُ.

يَا زِيَادُ! إِنَّهُ كَانَ فِيمَا مَضَىٰ قَوْمٌ تَرَكُوا عِلْمَ مَا وُكِّلُوا بِهِ (١)، وَطَلَبُوا عِلْمَ مَا كُفُوهُ (٢)، حَتَّى انْتَهىٰ بِهِمُ الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَحَيَّرُوا، فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُدْعىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيُجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ، أَوْ يُدْعىٰ مِنْ خَلْفِهِ فَيُجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ (٣).

المحاسن: أبي، عن ابن أبي عمير ... مثله (٤).

(١٥٨٦) ٤ ـ **الأمالي للصدوق**: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيىٰ، عَنْ أَبِي الْيَسَعِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ لَا يَزِيدُ إِلَّا تَيْهاً (٥)، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ، وَلَا يُوصَفُ بِمِقْدَارٍ (٦).

---

(١) أي علم ما كلّفوا به، وهو العلم بما أمر اللّه به ونهاه عنه، والعلم بمحبوباته ومبغوضاته.
(٢) أي علم ما كفاهم اللّه مئونته ـ إن كان من الكفاية ـ أو علم ما صرفه اللّه عنهم ـ إن كان من الكفّ، والمراد التفحّص عمّا كانت أفهام البشر عن دركه قاصرة، كالكلام في العرش وما فوقه، والكلام في كنه الذات والصفات.
(٣) أمالي الصدوق: ٥٠٣، حديث: ٦٨٩ * التوحيد: ٤٥٦ * الكافي الشريف: ١/٩٢.
وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.
(٤) المحاسن: ١/٢٣٨.
(٥) أي تحيّراً وضلالاً.
(٦) أمالي الصدوق: ٥٠٣، حديث: ٦٩٠ * التوحيد: ٤٥٧، بسند صحيح عن أبي اليسع عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام.
وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وأبو اليسع هو عيسى بن السري من ثقات أصحابنا له كتاب.

(١٥٨٧) ٥ ـ **عيون أخبار الرضا عليه السلام**: ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ بُنْدَارَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ خَادِمِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: قَالَ بَعْضُ الزَّنَادِقَةِ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: هَلْ يُقَالُ لِلَّهِ: إِنَّهُ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَقَدْ سَمَّىٰ نَفْسَهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ (١)، فَهُوَ شَيْءٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (٢).

(١٥٨٨) ٦ ـ **تفسير القمّي**: قَوْلُهُ: ﴿ وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ ﴾ (٣)، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: إِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسِكُوا، وَتَكَلَّمُوا فِيمَا دُونَ الْعَرْشِ، وَلَا تَكَلَّمُوا فِيمَا فَوْقَ الْعَرْشِ، فَإِنَّ قَوْماً تَكَلَّمُوا فِيمَا فَوْقَ الْعَرْشِ فَتَاهَتْ عُقُولُهُمْ حَتَّىٰ كَانَ الرَّجُلُ يُنَادىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيُجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ، وَيُنَادىٰ مِنْ خَلْفِهِ فَيُجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ (٤).

---

(١) سورة الأنعام: ١٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٢٢.
وسنده قوي، رجاله ثقات أجلاء عيون، ومحمد بن علي هو أبو سمينة من الأجلاء، راجع ملحق: ١١، وخادم الرضا لم أجد من قدح فيه، وتوصيفه بذلك مشعر بالمدح في الجملة، ومحمد بن بندار من أعاظم أصحابنا ثقة عين له كتب.

(٣) سورة النجم: ٤٢.

(٤) تفسير القمي: ١/٢٥ * التوحيد: ٤٥٥، بسند حسن كالصحيح عن محمد بن مسلم قريب منه.
وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.

بيان: التكلّم فيما فوق العرش كناية عن التفكّر في كنه ذاته وصفاته تعالى، فالمراد إمّا الفوقيّة المعنويّة، أو بناء على زعمهم حيث قالوا بالجسم والصورة، ويحتمل ـ على بُعد ـ أن يكون المراد التفكّر في الخلأ البحت بعد انتهاء الأبعاد.

(١٥٨٩) ٧ـ **تفسير العيّاشيّ:** عَنْ رِبْعِيٍّ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: فِي قَوْلِ اللّهِ: ﴿ وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا ﴾، قَالَ: الْكَلَامُ فِي اللّهِ، وَالْجِدَالُ فِي الْقُرْآنِ ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (١)، قَالَ: مِنْهُمُ الْقُصَّاصُ (٢).

بيان: « الْقُصَّاصُ » علماء المخالفين، فإنّهم كرواة القصص والأكاذيب فيما يبنون عليه علومهم، وهم يخوضون في تفاسير الآيات، وتحقيق صفات الذات بالظنون والأوهام لانحرافهم عن أهل البيت عليهم السلام.

(١٥٩٠) ٨ـ **التوحيد ومعاني الأخبار:** أَبِي، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو الْفُقَيْمِيِّ (٣)، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ قَالَ لِلزِّنْدِيقِ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ اللّهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: هُوَ شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ، أَرْجِعُ بِقَوْلِي: شَيْءٌ إِلىٰ إِثْبَاتِ مَعْنىً، وَأَنَّهُ شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ (٤).

---

(١) سورة الأنعام: ٦٨.

(٢) تفسير العياشي: ١/٣٦٢.

(٣) نسبة إلى فقيم ـ وزان هذيل ـ: بطن من دارم وهم بنو فقيم بن جرير بن دارم، وأمّا النسبة إلى فقيم كنانة « فقميّ » كعربيّ، نصّ على ذلك في القاموس وغيره.

(٤) التوحيد: ١٠٤ * معاني الأخبار: ٨ * الكافي الشريف: ١/٨١.

(١٥٩١) ٩ـ **التوحيد ومعاني الأخبار**: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسىٰ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، رَفَعَهُ إِلىٰ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَنَّهُ سُئِلَ: أَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، تُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ التَّعْطِيلِ، وَحَدِّ التَّشْبِيهِ(١).

الاحتجاج: مرسلاً ... مثله(٢).

بيان: «حَدِّ التَّعْطِيلِ» هو عدم إثبات الوجود والصفات الكماليّة والفعليّة والإضافيّة له تعالى، «وَحَدِّ التَّشْبِيهِ» الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات، وعوارض الممكنات.

(١٥٩٢) ١٠ـ **التوحيد**: الْعَطَّارُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلىٰ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ: قَدِ اخْتَلَفَ ـ يَا سَيِّدِي ـ أَصْحَابُنَا فِي التَّوْحِيدِ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ جِسْمٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ صُورَةٌ، فَإِنْ رَأَيْتَ ـ يَا سَيِّدِي ـ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَقِفُ عَلَيْهِ وَلَا أَجُوزُهُ فَعَلْتَ مُتَطَوِّلاً عَلىٰ عَبْدِكَ؟ فَوَقَّعَ بِخَطِّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: سَأَلْتَ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَهٰذَا عَنْكُمْ مَعْزُولٌ، اللَّهُ تَعَالىٰ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، خَالِقٌ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، يَخْلُقُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَجْسَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيُصَوِّرُ مَا يَشَاءُ وَلَيْسَ

---

(١) التوحيد: ١٠٧ بسنده عن الحسين بن سعيد عن الجواد عليه السلام * معاني الأخبار: ٨ * المحاسن: ١/٢٤٠ * الكافي الشريف: ١/٨٥، و١/٨٢ بسند عن ابن سعيد.

(٢) الاحتجاج: ٢/٢٣٨.

بِمُصَوَّرٍ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَتَعَالىٰ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شِبْهٌ، هُوَ لَا غَيْرُهُ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

بيان: «وَهَذَا عَنْكُمْ مَعْزُولٌ» أي لا يجب عليكم التفكّر في الذات والصفات، بل عليكم التصديق بما وصف تعالى به نفسه.

(١٥٩٣) ١١ ـ السرائر: السَّيَّارِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، إِنَّمَا الْعِبَادَةُ فِي التَّفَكُّرِ فِي اللَّهِ (٢).

بيان: أي التفكّر في قدرته وعظمته بالتفكّر في عظمة خلقه كما فسّر به في الأخبار الأُخر، أو بالتفكّر فيما جاء عن اللّه وحججه عليهم السلام في ذلك.

(١٥٩٤) ١٢ ـ التوحيد: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ مَعْرُوفٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ، قَالَ: كَتَبْتُ عَلىٰ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ إِلىٰ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَسَائِلَ، فِيهَا أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَلْ يُوصَفُ بِالصُّورَةِ وَبِالتَّخْطِيطِ، فَإِنْ رَأَيْتَ ـ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ ـ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بِالْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ مِنَ التَّوْحِيدِ؟ فَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلىٰ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ: سَأَلْتَ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَمَا ذَهَبَ فِيهِ مَنْ قِبَلَكَ،

---

(١) سورة الشورى: ١١ * التوحيد: ١٠١ * الكافي الشريف: ١/١٠٣.
وسنده حسن كالصحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وسهل من الكبار، راجع ملحق: ٨.
(٢) مستطرفاة السرائر: ٥٦٨.

فَتَعَالَى اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ الْمُشَبِّهُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِخَلْقِهِ ، الْمُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ.

وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَانْفِ عَنِ اللَّهِ الْبُطْلَانَ وَالتَّشْبِيهَ ، فَلَا نَفْيَ وَلَا تَشْبِيهَ ، هُوَ اللَّهُ الثَّابِتُ الْمَوْجُودُ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ ، وَلَا تَعْدُ الْقُرْآنَ فَتَضِلَّ بَعْدَ الْبَيَانِ (١) .

بيان : «عَلَىٰ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ» أي كان هو الرسول والحامل للكتاب والجواب.

(١٥٩٥) ١٣ - صحيفة الرضا عليه السلام : إِيَّاكَ وَالْخُصُومَةَ ، فَإِنَّهَا تُورِثُ الشَّكَّ ، وَتُحْبِطُ الْعَمَلَ ، وَتُرْدِي صَاحِبَهَا ، وَعَسَىٰ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا يُغْفَرُ لَهُ (٢) .

(١٥٩٦) ١٤ - وَنَرْوِي : أَنَّهُ كَانَ فِيمَا مَضَىٰ قَوْمٌ انْتَهَىٰ بِهِمُ الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فَتَحَيَّرُوا ، فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُدْعَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيُجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ (٣) .

---

(١) التوحيد : ١٠٢ * الكافي الشريف : ١/١٠٠ .
وسنده حسن كالصحيح - بل صحيح - رجاله ثقات أجلاء عيون ، عبد الرحيم القصير قد اعتمد عليه الصدوق في الفقيه ورواياته كثيرة ، وروى عنه الكبار كابن مسكان وابن حازم وداود بن النعمان وحماد بن عثمان ومحمد بن يحيى الخثعمي وعمر بن أبان واسحاق بن عمار وغيرهم ، وهو متحد مع عبد الرحمن بن عتيك ، وقد ترحم عليه الإمام عليه السلام .
(٢) فقه الرضا عليه السلام : ٣٨٤ ، وقد تقدّم الحديث مسنداً تحت رقم ٣.
(٣) فقه الرضا عليه السلام : ٣٨٤.

(١٥٩٧) ١٥ ـ وَأَرْوِي: تَكَلَّمُوا فِيمَا دُونَ الْعَرْشِ، فَإِنَّ قَوْماً تَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فَتَاهُوا (١).

(١٥٩٨) ١٦ ـ وَأَرْوِي عَنِ الْعَالِمِ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ، فَقَالَ: لَا تَتَجَاوَزْ مِمَّا فِي الْقُرْآنِ (٢).

(١٥٩٩) ١٧ ـ وَأَرْوِي: أَنَّهُ قُرِئَ بَيْنَ يَدَيِ الْعَالِمِ عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْلُهُ: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ ﴾، فَقَالَ: إِنَّمَا عَنىٰ أَبْصَارَ الْقُلُوبِ، وَهِيَ الْأَوْهَامُ، فَقَالَ: لَا تُدْرِكُ الْأَوْهَامُ كَيْفِيَّتَهُ، وَهُوَ يُدْرِكُ كُلَّ وَهْمٍ، وَأَمَّا عُيُونُ الْبَشَرِ فَلَا تَلْحَقُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحَدُّ فَلَا يُوصَفُ، هَذَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ كُلُّنَا (٣).

(١٦٠٠) ١٨ ـ **التوحيد**: الدَّقَّاقُ، عَنِ الْأَسَدِيِّ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلامُ: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ: إِنَّهُ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، تُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ التَّعْطِيلِ، وَحَدِّ التَّشْبِيهِ (٤).

(١٦٠١) ١٩ ـ **التوحيد**: ابْنُ مَسْرُورٍ، عَنِ ابْنِ بُطَّةَ، عَنْ عِدَّةٍ مِنْ

---

(١) فقه الرضا عليه السلام: ٣٨٤.
(٢) فقه الرضا عليه السلام: ٣٨٤.
(٣) فقه الرضا عليه السلام: ٣٨٤.
(٤) التوحيد: ١٠٧ * الكافي الشريف: ١/٨٢، ولاحظ الحاديث التاسع هٰهنا.
ورجال السند ثقات وأجلاء وعيون، سوى الحسين بن الحسن وهو ابن برد لم أجد من ذكره، وبكر بن صالح مر ذكره الحسن في الحديث: ١٠٣.

أَصْحَابِهِ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَا تَقُولُ إِذَا قِيلَ لَكَ: أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَشَيْءٌ هُوَ أَمْ لَا شَيْءٌ هُوَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ أَثْبَتَ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسَهُ شَيْئاً حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾، فَأَقُولُ: إِنَّهُ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ؛ إِذْ فِي نَفْيِ الشَّيْئِيَّةِ عَنْهُ إِبْطَالُهُ وَنَفْيُهُ، قَالَ لِي: صَدَقْتَ وَأَصَبْتَ، ثُمَّ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ: لِلنَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ: نَفْيٌ، وَتَشْبِيهٌ، وَإِثْبَاتٌ بِغَيْرِ تَشْبِيهٍ، فَمَذْهَبُ النَّفْيِ لَا يَجُوزُ، وَمَذْهَبُ التَّشْبِيهِ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَالسَّبِيلُ فِي الطَّرِيقَةِ الثَّالِثَةِ إِثْبَاتٌ بِلَا تَشْبِيهٍ (١).

تفسير العيّاشيّ: عَنْ هِشَامٍ الْمَشْرِقِيِّ، عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلامُ ... مِثْلَهُ، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: وَهُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ أَحَدٌ صَمَدٌ نُورٌ (٢).

(١٦٠٢) ٢٠ـالتوحيد: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّضْرِ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ زُرَارَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلْقَهُ خِلْوٌ مِنْهُ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَاللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، تَبَارَكَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (٣).

---

(١) التوحيد: ١٠٧، وسنده حسن كالصحيح، رجاله ثقات عيون، وابن بطة من الكبار.
(٢) تفسير العياشي: ١/٣٥٦.
(٣) التوحيد: ١٠٥ * الكافي الشريف: ١/٨٢.

التوحيد: حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ... مِثْلَهُ إِلىٰ قَوْلِهِ: خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (١).

التوحيد: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسىٰ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبِي الْمِعْزىٰ رَفَعَهُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ... مِثْلَهُ إِلىٰ قَوْلِهِ: فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (٢).

إيضاح: الخلو ـ بكسر الخاء وسكون اللام ـ: الخالي.

وقوله عليه السلام: «خِلْوٌ مِنْ خَلْقِهِ» أي من صفات خلقه، أو من مخلوقاته، فيدلّ على نفي الصفات الموجودة الزائدة لأنّها لا بدّ أن تكون مخلوقة للّه تعالى بانضمام المقدّمتين الأخيرتين المبنيّتين على التوحيد، واتّصافه بمخلوقه مستحيل لما تقرّر من أنّ الشيء لا يكون فاعلاً وقابلاً لشيء واحد، ويدلّ أيضاً على بطلان ما ذهب إليه جماعة من كونه تعالى معروضاً لماهيّات الممكنات.

وقوله عليه السلام: «وَخَلْقَهُ خِلْوٌ مِنْهُ» أي من صفاته، أو المراد أنّه لا يحلّ في شيء بوجه من الوجوه فينفي كونه عارضاً لشيء أو حالاً فيه، أو متمكّناً فيه؛ إذ ما من شيء إلّا وهو مخلوق له بحكم المقدّمتين الأخيرتين.

وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.

(١) التوحيد: ١٠٥ * الكافي الشريف: ١/٨٣.

وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وخيثمة هو ابن عبد الرحمن وجه من أصحابنا.

(٢) التوحيد: ١٠٥.

(١٦٠٣) ٢١ ـ **التوحيد**: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ عِيسَىٰ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ، عَنِ ابْنِ حُمَيْدٍ رَفَعَهُ، قَالَ: سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ وَالْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١)، فَمَنْ رَامَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ (٢).

بيان: ظاهره المنع عن التفكّر والخوض في مسائل التوحيد، والوقوف مع النصوص، وقيل: المراد أنّه تعالى بيّن لهم صفاته ليتفكّروا فيها، ولا يخفى بُعده.

(١٦٠٤) ٢٢ ـ **المحاسن**: أَبِي، عَنْ صَفْوَانَ وَابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، مَعاً عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا سُلَيْمَانُ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهى ﴾، فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسِكُوا (٣).

(١٦٠٥) ٢٣ ـ **المحاسن**: أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ

---

(١) سورة الحديد: ١ ـ ٦.

(٢) التوحيد: ٢٨٣ * الكافي الشريف: ٩١/١، وسنده مرفوع صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام.

(٣) المحاسن: ٢٣٧/١ * الكافي الشريف: ٩٢/١ * التوحيد: ٤٥٦، عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير.
وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.

شَيْءٍ مِنَ الصِّفَةِ ، فَقَالَ : فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ : تَعَالَى اللَّهُ الْجَبَّارُ ، إِنَّهُ مَنْ تَعَاطَىٰ مَا ثَمَّ هَلَكَ . يَقُولُهَا مَرَّتَيْنِ (١) .

بيان : « تَعَالَى اللَّهُ الْجَبَّارُ » أي عن أن يكون له جسم ، أو صورة ، أو يوصف بصفة زائدة على ذاته ، وأن يكون لصفاته الحقيقيّة بيان حقيقيّ من تعاطي ، أي تناول بيان ما ثمّ من صفاته الحقيقيّة هلك ، وضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً .

(١٦٠٦) ٢٤ ـ **المحاسن :** بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ مَيَّاحٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ : مَنْ نَظَرَ فِي اللَّهِ كَيْفَ هُوَ هَلَكَ (٢) .

(١٦٠٧) ٢٥ ـ **المحاسن :** أَبِي ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّ النَّاسَ لَا يَزَالُ لَهُمُ الْمَنْطِقُ حَتَّىٰ يَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ ذَلِكَ فَقُولُوا : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (٣) .

بيان : أي إذا سمعتم الكلام في اللّه فاقتصروا على التوحيد ، ونفي

---

(١) المحاسن : ١/٢٣٧ * التوحيد : ٤٥٦ ، عن أبيه عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير * الكافي الشريف : ١/٩٤ .
وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وقد مر حال القصير في حديث : ١٥٩٤ .
(٢) المحاسن : ١/٢٣٧ * الكافي الشريف : ١/٩٣ ، الحسين بن مياح وأبوه ذكرهما بعض الرجاليين واتهمهما بالغلو .
(٣) المحاسن : ١/٢٣٨ * الكافي الشريف : ١/٩٢ ، عن علي عن أبيه .
وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

الشريك ، منبّهاً على أنّه لا يجوز الكلام فيه ، وتبيين معرفته إلّا بسلب التشابه والتشارك بينه وبين غيره ، أو إذا أجروا الكلام في الجسم والصورة فقولوا ذلك تنزيهاً له عمّا يقولون.

(١٦٠٨) ٢٦ ـ **المحاسن** : ابْنُ فَضَّالٍ ، عَنْ ثَعْلَبَةَ ، عَنِ الْحَسَنِ الصَّيْقَلِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: تَكَلَّمُوا فِيمَا دُونَ الْعَرْشِ ، وَلَا تَكَلَّمُوا فِيمَا فَوْقَ الْعَرْشِ ، فَإِنَّ قَوْماً تَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ فَتَاهُوا ، حَتّىٰ كَانَ الرَّجُلُ يُنَادىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيُجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ (١) .

(١٦٠٩) ٢٧ ـ **المحاسن** : أَبِي ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ حَفْصٍ أَخِي مُرَازِمٍ (٢) ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيىٰ ، قَالَ: سَأَلَ أَبِي أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَةِ ، فَقَالَ: لَا تَجَاوَزْ عَمَّا فِي الْقُرْآنِ (٣) .

(١٦١٠) ٢٨ ـ **المحاسن** : أَبُو أَيُّوبَ الْمَدَنِيُّ (٤) ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: إِنَّ مَلِكاً كَانَ فِي مَجْلِسِهِ فَتَنَاوَلَ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ فَفُقِدَ فَمَا يُدْرىٰ أَيْنَ هُوَ (٥) .

---

(١) المحاسن : ١/٢٣٨ ، وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، الحسن بن زياد روى عنه الأعاظم ، كيونس وأبان بن عثمان وابن بشير وحماد بن عثمان وابن مسكان وغيرهم ، وهذا كافٍ في الحكم بجلالته ، راجع ملحق : ٣ ، ولعله متحد مع الثقة العطار .

(٢) في المحاسن المطبوع : عن حفص عن أخي مرازم .

(٣) المحاسن : ١/٢٣٩ * الكافي الشريف : ١/١٠٢ .

(٤) في المصدر : المدايني .

(٥) المحاسن : ١/٢٤٠ * الكافي الشريف : ١/٩٣ ، بسند صحيح عن العطار عن الأشعري

بيان: أي فُقِدَ من مكانه سخطاً من اللّه عليه، أو تحيّر وسار في الأرض فلم يعرف له خبر، وقيل: هو على المعلوم، أي ففقد ما كان يعرف وكان لا يدري في أي مكان هو من الحيرة، ولا يخفى ما فيه.

(١٦١١) ٢٩ ـ **المحاسن:** مُحَمَّدُ بْنُ عِيسىٰ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ رَفَعَهُ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، تُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ الْإِبْطَالِ، وَحَدِّ التَّشْبِيهِ (١).

(١٦١٢) ٣٠ ـ **تفسير الإمام عليه السلام:** لَقَدْ مَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلىٰ قَوْمٍ مِنْ أَخْلاطِ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ فِيهِمْ مُهَاجِرِيٌّ وَلَا أَنْصَارِيٌّ وَهُمْ قُعُودٌ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ، وَإِذَا هُمْ يَخُوضُونَ فِي أَمْرِ الْقَدَرِ وَغَيْرِهِ مِمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ، قَدِ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ، وَاشْتَدَّ فِيهِ جِدَالُهُمْ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ وَوَسَّعُوا لَهُ، وَقَامُوا إِلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ الْقُعُودَ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَحْفِلْ بِهِمْ (٢)، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ وَنَادَاهُمْ: يَا مَعَاشِرَ الْمُتَكَلِّمِينَ! أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِبَاداً قَدْ أَسْكَتَتْهُمْ خَشْيَتُهُ مِنْ غَيْرِ عِيٍّ وَلَا بَكَمٍ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الْفُصَحَاءُ الْبُلَغَاءُ، الْأَلِبَّاءُ (٣) الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ وَأَيَّامِهِ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا عَظَمَةَ اللَّهِ انْكَسَرَتْ أَلْسِنَتُهُمْ،

عن ابن فضال عن ابن بكير عن زرارة.

(١) المحاسن: ١/٢٤٠ * أمالي الصدوق: ٤١٩، حديث: ٤١٩، بسند متصل كالحسن عن عبد العظيم.

(٢) أي فلم يبال بهم، ولم يهتمّ لهم.

(٣) الألبّاء جمع اللبيب: العاقل.

وَانْقَطَعَتْ أَفْئِدَتُهُمْ ، وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ ، وَتَاهَتْ حُلُومُهُمْ ، إِعْزَازاً لِلَّهِ ، وَإِعْظَاماً وَإِجْلَالاً ، فَإِذَا أَفَاقُوا مِنْ ذَلِكَ اسْتَبَقُوا إِلَى اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ ، يَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ الظَّالِمِينَ وَالْخَاطِئِينَ ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنَ الْمُقَصِّرِينَ وَالْمُفَرِّطِينَ ، أَلَا إِنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ اللَّهَ بِالْقَلِيلِ ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ لِلَّهِ الْكَثِيرَ ، وَلَا يُدِلُّونَ عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ ، فَهُمْ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مُهَيَّمُونَ مُرَوَّعُونَ خَائِفُونَ مُشْفِقُونَ وَجِلُونَ ، فَأَيْنَ أَنْتُمْ مِنْهُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُبْتَدِعِينَ ؟ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالضَّرَرِ أَسْكَتُهُمْ عَنْهُ ؟ وَأَنَّ أَجْهَلَ النَّاسِ بِالضَّرَرِ أَنْطَقُهُمْ فِيهِ(١) ؟

بيان: «لَا يُدِلُّونَ» من قولهم أدلّ عليه أي أوثق بمحبّته فأفرط عليه. والهيام: الجنون من العشق.

(١٦١٣) ٣١ ـ رجال الكشّي: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى الْهَمْدَانِيِّ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَّابِ ، عَنْ غَيْرِهِ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ الْخَثْعَمِيِّ ، قَالَ: اجْتَمَعَ ابْنُ سَالِمٍ وَهِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَجَمِيلُ بْنُ دَرَّاجٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَجَّاجِ وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمْرَانَ وَسَعِيدُ ابْنُ غَزْوَانَ ، وَنَحْوٌ مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِنَا فَسَأَلُوا هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ أَنْ يُنَاظِرَ هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ ، وَصِفَةِ اللَّهِ عَزَّ

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٦٣٧.
وتفسير الإمام العسكري عليه السلام من الكتب المعتبرة التي اعتمد عليها صدوق الأمة قدس سره وغيره ، راجع ملحق : ١٦.

وَجَلَّ ، وَعَنْ غَيْرِ ذَلِكَ ، لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ أَقْوىٰ حُجَّةً ، فَرَضِيَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْهُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، وَرَضِيَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْهُ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ ، فَتَكَالَمَا وَسَاقَا مَا جَرىٰ بَيْنَهُمَا ، وَقَالَ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَجَّاجٍ لِهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ: كَفَرْتَ ـ وَاللَّهِ ـ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَأَلْحَدْتَ فِيهِ ، وَيْحَكَ! مَا قَدَرْتَ أَنْ تُشَبِّهَ بِكَلَامِ رَبِّكَ إِلَّا الْعُودَ يُضْرَبُ بِهِ ؟

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ: فَكَتَبَ إِلىٰ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يَحْكِي لَهُ مُخَاطَبَتَهُمْ وَكَلَامَهُمْ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ مَا الْقَوْلُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَدِينَ اللَّهَ بِهِ مِنْ صِفَةِ الْجَبَّارِ ، فَأَجَابَهُ فِي عَرْضِ كِتَابِهِ: فَهِمْتُ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ وَاعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ أَنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَأَعْلىٰ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُبْلَغَ كُنْهُ صِفَتِهِ ، فَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَكُفُّوا عَمَّا سِوىٰ ذَلِكَ (١) .

(١٦١٤) **٣٢ـالتوحيد**: ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنِ الصَّفَّارِ ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِيَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقُلْتُ: أَتَوَهَّمُ شَيْئاً ، فَقَالَ: نَعَمْ ، غَيْرَ مَعْقُولٍ ، وَلَا مَحْدُودٍ ، فَمَا وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْهِ

---

(١) رجال الكشي : ٥٦٤/٢ ، وسنده مرسل كالحسن ـ بل حسن ـ ، محمد بن موسى ضعفه ابن الوليد واتهمه بوضع أصل النرسي والزراد ، قال السيد الخوئي قدس سره : « الذي يظهر من مجموع الكلمات أن الأساس في تضعيف الرجل هو ابن الوليد ، وقد تبعه على ذلك الصدوق وابن نوح وغيرهما وهذا يكفي بالحكم بضعفه » ، قلت : قد توقف النجاشي في ضعفه ، واتهامه بالكتابين غير صحيح ، لرواية الأصحاب لهما من طريق ابن أبي عمير وغيره ، فمنشأ التضعيف واهٍ ، فكيف يبنى عليه بعد بيانه ! وعلي بن محمد هو ابن قتيبة النيشابوري .

مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خِلَافُهُ، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ، كَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَهُوَ خِلَافُ مَا يُعْقَلُ؟ وَخِلَافُ مَا يُتَصَوَّرُ فِي الْأَوْهَامِ؟ إِنَّمَا يُتَوَهَّمُ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلَا مَحْدُودٍ(١).

بيان: اعلم أنّ من المفهومات مفهومات عامّة شاملة لا يخرج منها شيء من الأشياء لا ذهناً ولا عيناً، كمفهوم الشيء والموجود والمخبر عنه، وهذه معانٍ اعتباريّة يعتبرها العقل لكلّ شيء.

إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ جماعة من المتكلّمين ذهبوا إلى مجرّد التعطيل ومنعوا من إطلاق الشيء والموجود وأشباههما عليه، محتجّين بأنّه لو كان شيئاً شارك الأشياء في مفهوم الشيئيّة، وكذا الموجود وغيره، وذهب إلى مثل هذا بعض معاصرينا فحكم بعدم اشتراك مفهوم من المفهومات بين الواجب والممكن، وبأنّه لا يمكن تعقّل ذاته وصفاته تعالى بوجه من الوجوه، وبكذب جميع الأحكام الإيجابيّة عليه تعالى، ويرد قولهم الأخبار السالفة، وبناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الأمر وما صدق عليه وبين الحمل الذاتيّ والحمل العرضيّ وبين المفهومات الاعتباريّة والحقائق الموجودة.

فأجاب عليه السلام بأنّ ذاته تعالى وإن لم يكن معقولاً لغيره ولا محدوداً بحدّ إلّا أنّه ممّا يصدق عليه مفهوم شيء، لكن كلّ ما يتصوّر من الأشياء فهو بخلافه؛ لأنّ كلّ ما يقع في الأوهام والعقول فصورها الإدراكيّة كيفيّات نفسانيّة، وأعراض قائمة بالذهن، ومعانيها مهيّات كلّيّة

(١) التوحيد: ١٠٦ * الكافي الشريف: ١/٨٢.
وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.

قابلة للاشتراك والانقسام فهو بخلاف الأشياء[1] .

(١) اعلم أنّ هذا الخبر وما يساوقه في البيان من أخبار التوحيد من غرر الأخبار الواردة عن معادن العلم والحكمة عليهم السلام ، وما ذكره المصنّف في هذا البيان وما يشابهه من البيانات متألّفة من مقدّمات كلاميّة أو فلسفيّة عاميّة غير وافية لإيضاح تمام المراد منها وإن لم تكن أجنبيّة عنها بالكلّيّة ، ولبيان لبّ المراد منها مقام آخر (الطباطبائي).

باب ١٠: أدنى ما يجزي من المعرفة في التوحيد وأنّه لا يعرف اللّه إلّا به (١)

(١٦١٥) ١ ـ التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُخْتَارٍ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ أَدْنَى الْمَعْرِفَةِ فَقَالَ: الْإِقْرَارُ بِأَنَّهُ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ، وَلَا شِبْهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ مُثْبَتٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ فَقِيدٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (٢).

بيان: قوله عليه السلام: «مَوْجُود» إمّا من الوجود، أو من الوجدان، أي معلوم، وكذا قوله: «غَيْرُ فَقِيد» أي غير مفقود زائل الوجود، أو لا يفقده الطالب، وقيل: أي غير مطلوب عند الغيبة حيث لا غيبة له.

(١٦١٦) ٢ ـ التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام: الدَّقَّاقُ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيِّ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُهْتَدِي، قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: كُلُّ مَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، وَآمَنَ بِهَا، فَقَدْ عَرَفَ

---

(١) وفي الباب ٩ أحاديث.

(٢) التوحيد: ٢٨٣ * عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٢٢/١ * الكافي الشريف: ٨٦/١، بسندين عن الفتح بن يزيد.

وسند الأصحاب إلى كتاب التوحيد للفتح حسن، رجاله ثقات أجلاء عيون، وقد ذكره الشيخ والنجاشي في أصحابنا المصنفين، وهو من كبار المتكلمين وأمره حسن، قال جعفر بن محمد الأشعري: عن فتح قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد، فكتب إلي بخطه، قال جعفر: وإن فتحاً أخرج إليّ الكتاب فقرأته بخط أبي الحسن عليه السلام.

التَّوْحِيدَ.

قُلْتُ: كَيْفَ يَقْرَؤُهَا؟ قَالَ: كَمَا يَقْرَؤُهَا النَّاسُ، وَزَادَ فِيهِ: كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي، كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي، كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي (١).

(١٦١٧) ٣ ـ **التوحيد**: الدَّقَّاقُ وَالْوَرَّاقُ، مَعاً عَنِ الصُّوفِيِّ، عَنِ الرُّويَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ سَيِّدِي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، فَلَمَّا بَصُرَ بِي قَالَ لِي: مَرْحَباً بِكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَنْتَ وَلِيُّنَا حَقّاً.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ دِينِي، فَإِنْ كَانَ مَرْضِيّاً ثَبَتُّ عَلَيْهِ حَتَّىٰ أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: هَاتِهَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَقُلْتُ: إِنِّي أَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، خَارِجٌ مِنَ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ الْإِبْطَالِ وَحَدِّ التَّشْبِيهِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا صُورَةٍ، وَلَا عَرَضٍ وَلَا جَوْهَرٍ، بَلْ هُوَ مُجَسِّمُ الْأَجْسَامِ، وَمُصَوِّرُ الصُّوَرِ، وَخَالِقُ الْأَعْرَاضِ وَالْجَوَاهِرِ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُهُ، وَجَاعِلُهُ وَمُحْدِثُهُ، وَإِنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَ وَالْخَلِيفَةَ وَوَلِيَّ الْأَمْرِ بَعْدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي

---

(١) التوحيد: ٢٨٤ * عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٢٢/٢ * الكافي الشريف: ٩١/١.
وسنده ثقات أجلاء عيون، سوى بكر بن زياد لم أجد من عنونه، ولعله تصحيف بكر بن صالح لرواية الحسين بن الحسن عنه، وعليه يكون الحديث حسناً.

طَالِبٍ ، ثُمَّ الْحَسَنُ ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، ثُمَّ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُوسَىٰ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، ثُمَّ أَنْتَ يَا مَوْلَايَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَمِنْ بَعْدِي الْحَسَنُ ابْنِي ، فَكَيْفَ لِلنَّاسِ بِالْخَلَفِ مِنْ بَعْدِهِ ؟

قَالَ فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا مَوْلَايَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ لَا يُرىٰ شَخْصُهُ ، وَلَا يَحِلُّ ذِكْرُهُ بِاسْمِهِ حَتّىٰ يَخْرُجَ فَيَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً .

قَالَ : فَقُلْتُ : أَقْرَرْتُ ، وَأَقُولُ : إِنَّ وَلِيَّهُمْ وَلِيُّ اللَّهِ ، وَعَدُوَّهُمْ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَطَاعَتَهُمْ طَاعَةُ اللَّهِ ، وَمَعْصِيَتَهُمْ مَعْصِيَةُ اللَّهِ ، وَأَقُولُ : إِنَّ الْمِعْرَاجَ حَقٌّ ، وَالْمُسَاءَلَةَ فِي الْقَبْرِ حَقٌّ ، وَإِنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالنَّارَ حَقٌّ ، وَالصِّرَاطَ حَقٌّ ، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ، وَأَقُولُ : إِنَّ الْفَرَائِضَ الْوَاجِبَةَ بَعْدَ الْوَلَايَةِ : الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصَّوْمُ وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ .

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! هَذَا وَاللَّهِ دِينُ اللَّهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ ، فَاثْبُتْ عَلَيْهِ ثَبَّتَكَ اللَّهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ (١) .

---

(١) التوحيد : ٨١ * أمالي الصدوق : ٤١٩ ، حديث : ٥٥٧ ، وسنده قوي كالحسن ، الدقاق من مشايخ الصدوق الذين أكثر الرواية والترضي والترحم عليهم ، ومحمد بن هارون هو محمد بن سليمان بن هارون أبو بكر الصوفي نزيل مصر ، ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ

(١٦١٨) ٤ ـ **التوحيد**: مَاجِيلَوَيْهِ ، عَنْ عَمِّهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْقُرَشِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْلَى الْكُوفِيِّ ، عَنْ جُوَيْبِرٍ ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! عَلِّمْنِي مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ ، قَالَ : مَا صَنَعْتَ فِي رَأْسِ الْعِلْمِ حَتَّىٰ تَسْأَلَ عَنْ غَرَائِبِهِ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : مَا رَأْسُ الْعِلْمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : وَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ؟ قَالَ : تَعْرِفُهُ بِلَا مِثْلٍ ، وَلَا شِبْهٍ ، وَلَا نِدٍّ ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، ظَاهِرٌ بَاطِنٌ ، أَوَّلٌ آخِرٌ ، لَا كُفْوَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ، فَذَلِكَ حَقُّ مَعْرِفَتِهِ (١) .

بيان: النِّدّ ـ بالكسر ـ : المثل .

(١٦١٩) ٥ ـ **التوحيد**: أَبِي وَابْنُ الْوَلِيدِ ، مَعاً عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ وَأَحْمَدَ ابْنِ إِدْرِيسَ ، مَعاً عَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ

بغداد : رقم ٩٠٨ ، وذكر رواية الفارسي والطبراني وغيرهما عنه ، روى عنه الصدوق بواسطة الوراق والدقاق والمكتب كثيراً في عدة من كتبه ، عبيد الله بن موسى الروياني هو أبو تراب يروي جميع روايات الشاه عبد العظيم رضي الله عنه ، رواها عنه جماعة ، ولم أجد من تعرض له ، لكن روايته عن عبد العظيم رضي الله عنه المتخفي عن الأنظار إلى حين وفاته شاهد على اطمئنان عبد العظيم به وبديانته ، وقد ذكره ابن حجر في تهذيب تهذيب الأحكام ونقل رواية علي بن أحمد بن نصر البندنيجي عنه ، عبد العظيم الحسني من الأولياء رضي الله عنه ورزقنا زيارته في الدنيا وشفاعته في الآخرة .

هذا ! وللشيخ الصدوق قدس سره سند آخر ـ حسن كالصحيح ـ لروايات عبد العظيم رضي الله عنه ذكره في كتابه الشريف « من لا يحضره الفقيه » ، عن طريق الثقة البرقي ، كما يروي كل رواياته أيضاً عبيد الله بن موسى الروياني على ما صرّح به الشيخ النجاشي في رجاله .

(١) التوحيد : ٢٨٥ .

الطَّاحِيِّ (١) ، عَنْ طَاهِرِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ مَاهَوَيْهِ ، قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى الطَّيِّبِ -يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ- عَلَيْهِ السَّلامُ : مَا الَّذِي لَا يُجْتَزَأُ فِي مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ جَلَّ جَلَالُهُ بِدُونِهِ ؟ فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلامُ : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، لَمْ يَزَلْ سَمِيعاً وَعَلِيماً وَبَصِيراً ، وَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ (٢) .

بيان : المشهور أنّ الكاف زائدة ، وقيل : أي ليس مثل مثله شيء ، فيدلّ على نفي مثله بالكناية التي هي أبلغ لأنّه مع وجود المثل يكون هو مثل مثله ، أو المعنى أنّه ليس ما يشبه أن يكون مثلاً له فكيف مثله حقيقة .

(١٦٢٠) ٦-**التوحيد** : الدَّقَّاقُ ، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيىٰ ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنِّي نَاظَرْتُ قَوْماً فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ ، بَلِ الْعِبَادُ يُعْرَفُونَ بِاللَّهِ (٣) ، فَقَالَ :

---

(١) وهو أبو سمينة الكوفي الصيرفي .

(٢) التوحيد : ٢٨٤ * الكافي الشريف : ٨٦/١ عن علي بن محمد عن سهل عن طاهر في حال استقامته أنه كتب إلى الرجل .

وسند الكافي الشريف حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وسهل من الكبار ، راجع ملحق : ٩ ، وطاهر بن حاتم قال عنه النجاشي قدس سره : « كان صحيحاً ثم خلط ، له كتاب ذكره الحسن بن الحسين ... ، وقال الشيخ قدس سره : « كان مستقيماً ثم تغير وأظهر القول بالغلو له روايات أخبرنا برواياته في حال الاستقامة جماعة » .

(٣) على صيغة المعلوم أي العباد يعرفون اللّه باللّه ، أي يعرفون اللّه بتوفيقه وهدايته ، أو بما وصف نفسه وعرّفهم من الصفات اللّائقة بجماله وجلاله ، أو يكون الإشارة إلى البرهان المسمّى ببرهان الصدّيقين الذي هو أشرف البراهين وأسدّها ، وهو الاستدلال به تعالى عليه ، والاستشهاد بذاته تعالى على صفاته ، وبصفاته على أفعاله ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ سورة فصّلت : ٥٣ .

رَحِمَكَ اللَّهُ (١) .

(١٦٢١) ٧ـالتوحيد : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ السَّكَنِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ : اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ ، وَالرَّسُولَ بِالرِّسَالَةِ ، وَأُولِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ (٢) .

(١٦٢٢) ٨ـالتوحيد : ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنِ الصَّفَّارِ ، عَنِ الْبَرْقِيِّ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ رَفَعَهُ ، قَالَ : سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ، فَقَالَ : بِمَا عَرَّفَنِي نَفْسَهُ ، قِيلَ : وَكَيْفَ عَرَّفَكَ نَفْسَهُ ؟ فَقَالَ : لَا تُشْبِهُهُ صُورَةٌ (٣) ، وَلَا يُحَسُّ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ ، قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ ، بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ شَيْءٌ فَوْقَهُ ، أَمَامَ

ولعلّه إليه أشار الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله : « بِكَ عَرَفْتُكَ وَ أَنْتَ دَلَلْتَني عَلَيْكَ ، وَدَعَوْتَني إِلَيْكَ ، وَلَوْلا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ ما أَنْتَ » ، وبقوله : « يا غَفّارُ ، بِنُورِكَ اهْتَدَيْنا » ، وتأتي هذه الاحتمالات في قوله : اعرفوا اللّه باللّه ، أو على صيغة المجهول ويكون المراد ـ على ما قيل ـ أنّه تعالى لا يعرف حقّ المعرفة إلى خلقه ، والاستدلال بهم عليه ، بل الخلق يعرفون بنور ربّهم ، كما تعرف الذرّات بنور الشمس دون العكس ، وليس نور اللّه في آفاق النفوس بأقلّ من نور الشمس في آفاق السماء ، قال عزّ من قائل : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها ﴾ سورة الزمر : ٦٩ ، فضوؤه قاطع لرين أرباب الضمائر ، ونوره ساطع في أبصار أصحاب البصائر .

(١) التوحيد : ٢٨٥ * الكافي الشريف : ١/٨٦ ، وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، ومحمد بن إسماعيل ممن أعتمد عليه الكليني قدس سره في كتابه الشريف .

(٢) التوحيد : ٢٨٥ * الكافي الشريف : ١/٨٥ .

ورجال السند ثقات أجلاء عيون عظام ، سوى الفضل بن السكن ، ذكره العامة فقال عنه العقيلي : لا يضبط الحديث وهو مع ذلك مجهول .

(٣) وفي نسخة : لا يشبه صورة .

كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ لَهُ أَمَامٌ ، دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ فِي شَيْءٍ دَاخِلٍ ، وَخَارِجٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ خَارِجٍ ، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ هَكَذَا وَلَا هَكَذَا غَيْرُهُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَبْدَأٌ (١) .

المحاسن: بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ سِمْعَانَ ، عَنْ أَبِي رُبَيْحَةَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (٢) رَفَعَهُ ، قَالَ: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ... وَذَكَرَ مِثْلَهُ (٣) .

بيان: «قَرِيب» من حيث إحاطة علمه وقدرته بالكلّ ، «فِي بُعْدِهِ» أي مع بعده عن الكلّ من حيث المباينة في الذات والصفات ، فظهر أنّ قربه ليس بالمكان بعيد عن إحاطة العقول والأوهام والأفهام به مع قربه حفظاً وتربية ، ولطفاً ورحمة ، وقد مرّ أنّه يحتمل أن يكون إشارة إلى أنّ جهة قربه أي بالعلّيّة ، واحتياج الكلّ إليه هي جهة بعده عن مشابهة مخلوقاته؛ إذ الخالق لا يشابه المخلوق ، وكذا العكس.

«فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ» أي بالقدرة والقهر والغلبة وبالكمال والاتّصاف بالصفات الحسنة.

«وَلَا يُقَالُ شَيْءٌ فَوْقَهُ» في الأمرين ، وفيه إشعار بأنّه ليس المراد به الفوقيّة بحسب المكان ، وإلّا لأمكن أن يكون شيء فوقه.

---

(١) التوحيد : ٢٨٥ ، وفي نسخة: ولكلّ شيء مبتدأ.

(٢) هكذا في البحار والمحاسن المطبوعين ، والصحيح ـ كما في الكافي ـ: عليّ بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة ، مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فالسند مصحّف بتبديل (ابن) بـ(عن) في موضعين ، وتبديل (علي) بـ(صالح).

(٣) المحاسن : ١/٢٣٩ * الكافي الشريف : ١/٨٥.

« أَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ » أي علّة كلّ شيء ومقدّم عليها ، ويحتاج إليه كلّ موجود ، ويتضرّع إليه ويعبده كلّ مكلّف ، أو كلّ شيء متوجّه نحوه في الاستكمال ، والتشبه به في صفاته الكماليّة ، والكلام في قوله : « وَلَا يُقَالُ لَهُ أَمَامٌ » كما مرّ.

« دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ » أي لا يخلو شيء من الأشياء ، ولا جزء من الأجزاء ، عن تصرّفه ، وحضوره العلميّ ، وإفاضة فيضه ، وجوده عليه ، لا كدخول الجزء في الكلّ ، ولا كدخول العارض في المعروض ، ولا كدخول المتمكّن في المكان.

« خَارِجٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ » بتعالي ذاته عن ملابستها ومقارنتها والاتّصاف بصفتها ، والائتلاف منها ، لا كخروج شيء من شيء بالبعد المكانيّ ، أو المحلّيّ.

وقوله : « وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَبْدَأٌ » أي علّة في ذواتها وصفاتها كالتعليل لما سبق.

(١٦٢٣) ٩ ـ التوحيد : مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَارِسِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ النَّسَوِيِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصُّغْدِيِّ بِمَرْوَ [١] ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْحَكَمِ الْعَسْكَرِيِّ وَأَخِيهِ مُعَاذِ ابْنِ يَعْقُوبَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ الْحَنْظَلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ الرُّمَّانِيِّ ، عَنْ زَاذَانَ [٢] ، عَنْ

---

(١) قال الفيروزآباديّ : صغد ـ بالضمّ ـ : موضع بسمرقند ، وموضع ببخارى.

(٢) بالزاي المعجمة والألف والذال المعجمة والألف والنون ، عدّه الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال : يكنّى أبا عمرة الفارسيّ ، وعدّه العلّامة في خاتمة القسم الأوّل

سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَذْكُرُ فِيهِ قُدُومَ الْجَاثَلِيقِ الْمَدِينَةَ مَعَ مِائَةٍ مِنَ النَّصَارىٰ ، وَمَا سَأَلَ عَنْهُ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ ، ثُمَّ أُرْشِدَ إِلىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ ، فَأَجَابَهُ عَنْهَا ، وَكَانَ فِيمَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَرَفْتَ اللَّهَ بِمُحَمَّدٍ أَمْ عَرَفْتَ مُحَمَّداً بِاللَّهِ ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ : مَا عَرَفْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَكِنْ عَرَفْتُ مُحَمَّداً بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ خَلَقَهُ ، وَأَحْدَثَ فِيهِ الْحُدُودَ مِنْ طُولٍ وَعَرْضٍ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مُدَبَّرٌ مَصْنُوعٌ بِاسْتِدْلَالٍ وَإِلْهَامٍ مِنْهُ وَإِرَادَةٍ ، كَمَا أَلْهَمَ الْمَلَائِكَةَ طَاعَتَهُ ، وَعَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ بِلَا شِبْهٍ وَلَا كَيْفٍ (١) .

والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

وحدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رحمه الله ، قال : سمعت محمّد بن يعقوب يقول : معنى قوله : اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ يعني أنّ اللّه عزّ وجلّ خلق الأشخاص والألوان والجواهر والأعيان ، فالأعيان الأبدان ، والجواهر الأرواح ، وهو جلّ وعزّ لا يشبه جسماً ولا روحاً ، وليس لأحد في خلق الروح الحسّاس الدرّاك أثر ولا سبب ، هو المتفرّد بخلق الأرواح والأجسام ، فمن نفى عنه الشبهين : شبه الأبدان وشبه الأرواح ، فقد عرف اللّه باللّه ، ومن شبّهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف اللّه باللّه (٢) .

من الخلاصة من خواص أمير المؤمنين عليه السلام من مضرّ ، ولكن كنّاه بأبي عمرو الفارسيّ .

(١) التوحيد : ٢٨٦ .

(٢) التوحيد : ٢٨٦ .

أقول: قال الصدوق رحمه اللّه في كتاب التوحيد: القول الصواب في هذا الباب هو أن يقال: عرفنا اللّه باللّه [١] لأنّا إن عرفناه بعقولنا فهو عزّ وجلّ واهبها، وإن عرفناه عزّ وجلّ بأنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام فهو عزّ وجلّ باعثهم ومرسلهم ومتّخذهم حججاً، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عزّ وجلّ محدثنا فبه عرفناه، وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلامُ: «لَوْلَا اللَّهُ مَا عَرَفْنَاهُ، وَلَوْلَا نَحْنُ مَا عُرِفَ اللَّهُ»، ومعناه: لولا الحجج ما عرف اللّه حقّ معرفته، ولولا اللّه ما عرف الحجج، وقد سمعت بعض أهل الكلام يقول: لو أنّ رجلاً ولد في فلاة من الأرض، ولم ير أحداً يهديه ويرشده حتّى كبر وعقل، ونظر إلى السماء والأرض لدلّه ذلك على أنّ لهما صانعاً ومحدثاً، فقلت: إنّ هذا شيء لم يكن، وهو إخبار بما لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون، ولو كان ذلك لكان لا يكون ذلك الرجل إلّا حجّة اللّه تعالى ذكره على نفسه، كما في الأنبياء عليه السلام، منهم من بعث إلى نفسه، ومنهم من بعث إلى أهله وولده، ومنهم من بعث إلى أهل محلّته، ومنهم من بعث إلى أهل بلده، ومنهم من بعث إلى الناس كافّة.

وأمّا استدلال إبراهيم الخليل عليه السلام بنظره إلى الزهرة، ثمّ إلى القمر، ثمّ إلى الشمس، وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [٢]، فإنّه عليه السلام كان نبيّاً ملهماً، مبعوثاً مرسلاً، وكان جميع قوله إلى آخره بإلهام اللّه عزّ وجلّ إيّاه، وذلك قوله عزّ وجلّ:

(١) سيجيء حقّ معنى معرفة اللّه باللّه في رواية عبد الأعلى على نحو الإشارة، وأمّا ما ذكره رحمه اللّه زعماً منه أنّ المعرفة مستندة إلى اللّه وليست بمكتسبة فبمعزل عن مراد الرواية (الطباطبائي)، قلت: ﴿ قل كل من عند الله ﴾ وهذا ما يروم إليه الصدوق قدس سره.

(٢) سورة الأنعام: ٧٨.

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ ﴾ (١) ، وليس كلّ أحد كإبراهيم عليه السلام ، ولو استغنى في معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم اللّه عزّ وجلّ وتعريفه لما أنزل اللّه عزّ وجلّ ما أنزل من قوله : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا اللَّهُ ﴾ (٢) ، ومن قوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إلى آخره ، ومن قوله ﴿ بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَنّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٣) ، وآخر الحشر ، وغيرها من آيات التوحيد.

تبيين وتحقيق : اعلم أنّ هذه الأخبار ـ لا سيّما خبر ابن السكن ـ تحتمل وجوهاً :

(الوجه) الأوّل : أن يكون المراد بالمعرّف به ما يعرف الشيء به بأنّه هو هو ، فمعنى « اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ » اعرفوه بأنّه هو اللّه مسلوباً عنه جميع ما يعرف به الخلق من الجواهر والأعراض ، ومشابهته شيء منها ، وهذا هو الذي ذكره الكلينيّ رحمه اللّه ، وعلى هذا فمعنى قوله : « وَالرَّسُولَ بِالرِّسَالَةِ » معرفة الرسول بأنّه أرسل بهذه الشريعة وهذه الأحكام ، وهذا الدين ، وهذا الكتاب ، ومعرفة كلّ من « أُولِي الْأَمْرِ » بأنّه الآمر « بِالْمَعْرُوفِ » ، والعالم العامل به ، وبـ « الْعَدْلِ » أي لزوم الطريقة الوسطى في كلّ شيء.

« وَالْإِحْسَانِ » أي الشفقة على خلق اللّه ، والتفضّل عليهم ، ودفع الظلم

(١) سورة الأنعام : ٨٣.
(٢) سورة محمّد صلّى اللّه عليه وآله : ١٩.
(٣) سورة الأنعام : ١٠١ ـ ١٠٣.

عنهم ، أو المعنى «اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ» أي بما يناسب أُلوهيته من التنزيه والتقديس ، والرسول بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال ، وأولي الأمر بما يناسب درجتهم العالية التي هي الرئاسة العامّة للدنيا والدين ، وبما يحكم العقل به من اتّصاف صاحب تلك الدرجة القصوى به من العلم والعصمة والفضل والمزية على من سواه .

ويحتمل أن يكون الغرض عدم الخوض في معرفته تعالى ورسوله وحججه بالعقول الناقصة ، فينتهي إلى نسبة ما لا يليق به تعالى إليه ، وإلى الغلوّ في أمر الرسول والأئمّة صلوات اللّه عليهم .

وعلى هذا يحتمل وجهين : الأوّل : أن يكون المراد اعرفوا اللّه بعقولكم بمحض أنّه خالق إله ، والرسول بأنّه رسول أرسله اللّه إلى الخلق ، وأولي الأمر بأنّه المحتاج إليه لإقامة المعروف والعدل والإحسان ، ثمّ عوّلوا في صفاته تعالى وصفات حججه عليهم السلام على ما بيّنوا ووصفوا لكم من ذلك ، ولا تخوضوا فيها بعقولكم ، والثاني : أن يكون المعنى اعرفوا اللّه بما وصف لكم في كتابه ، وعلى لسان نبيّه والرسول بما أوضح لكم من وصفه في رسالته إليكم ، والإمام بما بيّن لكم من المعروف والعدل والإحسان كيف اتّصف بتلك الأوصاف والأخلاق الحسنة .

ويحتمل الأخيران وجهاً ثالثاً وهو : أن يكون المراد لا تعرفوا الرسول بما يخرج به عن الرسالة إلى درجة الأُلوهيّة ، وكذا الإمام .

(الوجه) الثاني : أن يكون المراد بما يعرف به ما يعرف باستعانته من قوى النفس العاقلة والمدركة ، وما يكون بمنزلتها ، ويقوم مقامها ،

فمعنى اعرفوا اللّه باللّه اعرفوه بنور اللّه المشرق على القلوب بالتوسّل إليه ، والتقرّب به ، فإنّ العقول لا تهتدي إليه إلّا بأنوار فيضه تعالى ، واعرفوا الرسول بتكميله إيّاكم برسالته ، وبمتابعته فيما يؤدّي إليكم من طاعة ربّكم ، فإنّها توجب الروابط المعنويّة بينكم وبينه ، وعلى قدر ذلك يتيسّر لكم من معرفته ، وكذا معرفة أُولي الأمر إنّما تحصل بمتابعتهم في المعروف والعدل والإحسان ، وباستكمال العقل بها .

(**الوجه**) **الثالث** : أن يكون المراد ما يعرف بها من الأدلّة والحجج ، فمعنى اعرفوا اللّه باللّه أنّه إنّما تتأتّى معرفته لكم بالتفكّر فيما أظهر لكم من آثار صنعه وقدرته وحكمته بتوفيقه وهدايته ، لا بما أُرسل به الرسول من الآيات والمعجزات ، فإنّ معرفتها إنّما تحصل بعد معرفته تعالى ، واعرفوا الرسول بالرسالة أي بما أرسل به من المعجزات والدلائل ، أو بالشريعة المستقيمة التي بعث بها ، فإنّها لانطباقها على قانون العدل والحكمة يحكم العقل بحقّيّة من أرسل بها ، واعرفوا أولي الأمر بعلمهم بالمعروف ، وإقامة العدل والإحسان ، وإتيانهم بها على وجهها ، وهذا أقرب الوجوه .

ويؤيّده خبر سلمان ، وكذا خبر ابن حازم ؛ إذ الظاهر أنّ المراد به أنّ وجوده تعالى أظهر الأشياء ، وبه ظهر كلّ شيء ، وقد أظهر الآيات للخلق على وجوده وعلمه وقدرته ، وأظهر المعجزات حتّى علم بذلك حقّيّة حججه عليهم السلام ، فالعباد معروفون به ، ولا يحتاج في معرفة وجوده إلى بيان أحد من خلقه ، ويمكن أن يقرأ يعرفون على بناء المعلوم أيضاً .

وأمّا ما ذكره الصدوق رحمه اللّه فيرجع إلى أنّ المعنى أنّ جميع ما يعرف اللّه به ينتهي إليه سبحانه، ويرد عليه أنّه على هذا تكون معرفة الرسول وأولي الأمر أيضاً باللّه، فما الفرق بينهما وبين معرفة اللّه في ذلك، وأيضاً لا يلائمه قوله: «اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ» إلّا أن يقال: الفرق باعتبار أصناف المعرفة، فالمعرفة بالرسالة صنف من المعرفة باللّه، والمعرفة بالمعروف صنف آخر منها، ومعرفة اللّه فيها أصناف لا اختصاص لها بصنف، والمراد بـ«اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ» حصّلوا معرفة اللّه التي تحصل باللّه. هكذا حقّقه بعض الأفاضل، ثمّ إنّ في كلامه تشويشاً وتناقضاً، ولعلّ مراده أخيراً نفي معرفة صفاته الكماليّة حقّ معرفتها بدون إرسال الرسل ونصب الحجج إلّا أنّ التصديق بوجوده تعالى يتوقّف على ذلك، وإن كان بعض كلماته يدلّ عليه.

باب ١١: الدين الحنيف، والفطرة، وصبغة اللّه، والتعريف في الميثاق [١]

الآيات:

البقرة:

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عابِدُونَ ﴾ [٢].

الروم:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣].

****

(١٦٢٤) ١ ـ **معاني الأخبار:** أَبِي، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ [٤] فَقُلْتُ: مَا الْحَنِيفِيَّةُ؟ قَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ [٥].

بيان: أي الملّة الحنيفيّة هي التوحيد الذي فطر اللّه الخلق عليه، ويومئ إليه قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

---

(١) وفي الباب ٢٢ حديثاً.

(٢) سورة البقرة: ١٣٨.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) سورة الحجّ: ٣١.

(٥) معاني الأخبار: ٣٤٩ * التوحيد: ٣٣٠ وسنده من أصح الأسانيد * المحاسن: ٢٤١/١. وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وسيأتي أيضاً في الحديث: ١١، ١٢ هٰهنا.

النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ ، واختلف في معنى ذلك الفطرة:

فقيل: المعنى أنّه خلقهم على نوع من الجبلة والطبع المتهيّأ لقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمرّ على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها ، وإنّما يعدل عنه من يعدل لآفة من الآفات ، وتقليد الآباء والأُمّهات.

وقيل: كلّهم مفطورون على معرفة اللّه والإقرار به ، فلا تجد أحداً إلّا وهو يقرّ بأنّ اللّه تعالى صانع له ، وإن سمّاه بغير اسمه ، أو عبد معه غيره.

وقيل: المعنى أنّه خلقهم لها لأنّه خلق كلّ الخلق؛ لأن يوحّدوه ويعبدوه.

قال الجزريّ فيه: «خلقت عبادي حنفاء» أي طاهري الأعضاء من المعاصي ، لا أنّه خلقهم كلّهم مسلمين لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ (١) ، وقيل: أراد خلقهم حنفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى ﴾ (٢) ، فلا يوجد أحد إلّا وهو مقرّ بأنّ له ربّاً وإن أشرك به، والحنفاء: جمع حنيف ، وهو المائل إلى الإسلام ، الثابت عليه، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم ، وأصل الحنف: الميل ، انتهى.

أقول: الذي يظهر من الأخبار هو أنّ اللّه تعالى قرّر عقول الخلق على التوحيد ، والإقرار بالصانع في بدء الخلق عند الميثاق ، فقلوب جميع الخلق مذعنة بذلك وإن جحدوه معاندة ، وسيأتي تمام الكلام في ذلك

---

(١) سورة التغابن: ٢.
(٢) سورة الأعراف: ١٧٢.

في كتاب العدل إن شاء اللّه تعالى.

(١٦٢٥) ٢ـ **تفسير القمّيّ**: الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ﴾، قَالَ: الْوَلَايَةُ (١).

(١٦٢٦) ٣ـ **تفسير القمّيّ**: الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَكَرِيَّا، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرُّمَّانِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾. قَالَ: هُوَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ، إِلىٰ هَاهُنَا التَّوْحِيدُ (٢).

(١٦٢٧) ٤ـ **التوحيد**: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَلَاءِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾. قَالَ: التَّوْحِيدُ (٣).

---

(١) تفسير القمي: ٢/١٥٤ * الكافي الشريف: ١/٤١٨، عن علي عن صالح عن ابن بشير * الأصول الستة عشر أصل الحضرمي: ٧٠.
وسنده معتبر حسن، ابن أبي حمزة منحرف الاعتقاد معتمد الرواية، سيما ما كان عن أبي بصير، وقد قاطعه الأصحاب بعد وقفه، وكتب أبي بصير مشهورة معتمدة.

(٢) تفسير القمي: ٢/١٥٤، وسنده قوي كالحسن، أبو سعيد العدوي وثقه الحافظ أبو المفضل الشيباني، وهيثم بن عبد الله ذكره النجاشي في أصحابنا المصنفين.

(٣) التوحيد: ٣٢٨ * المحاسن: ١/٢٤١، بسند صحيح عن زرارة.

(١٦٢٨) ٥ـ**التوحيد**: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: قُلْتُ: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾. قَالَ: التَّوْحِيدُ (١).

(١٦٢٩) ٦ـ**التوحيد**: بِالْإِسْنَادِ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ وَابْنِ يَزِيدَ، مَعاً عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ (٢)، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾، قَالَ: فَطَرَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ (٣).

التوحيد: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ... مثله (٤).

المحاسن: ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة ... مثله (٥).

(١٦٣٠) ٧ـ**التوحيد**: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْيَقْطِينِيِّ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قال: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾، مَا تِلْكَ الْفِطْرَةُ؟ قَالَ: هِيَ الْإِسْلَامُ، فَطَرَهُمُ اللَّهُ حِينَ أَخَذَ

وسنده حسن كالصحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وابن سنان من الكبار، راجع ملحق: ٨.
(١) التوحيد: ٣٢٨ * الكافي الشريف: ١٢/٢، وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.
(٢) في التوحيد المطبوع: بكير، عن زرارة.
(٣) التوحيد: ٣٢٩ * الكافي الشريف: ١٢/٢، وسنده من أصح الأسانيد.
وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون كبار.
(٤) التوحيد: ٣٢٩، وسنده حسن كالصحيح * الكافي الشريف: ١٣/٢.
(٥) المحاسن: ٢٤١/١، وسنده صحيح.

مِيثَاقَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ ، فَقَالَ : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وَفِيهِمُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ (١) .

(١٦٣١) ٨ ـ **التوحيد** : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنَيْ مُحَمَّدِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ ، عَنْ زُرَارَةَ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . قَالَ : فَطَرَهُمْ جَمِيعاً عَلَى التَّوْحِيدِ (٢) .

(١٦٣٢) ٩ ـ **التوحيد** : ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنِ الصَّفَّارِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يُونُسَ (٣) ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ ، قَالَ : التَّوْحِيدُ ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَعَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤) .

بصائر الدرجات : أحمد بن موسى ، عن الخشّاب ، عن عليّ بن حسّان ، عن عبد الرحمن بن كثير ... مثله (٥) .

(١٦٣٣) ١٠ ـ **التوحيد** : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ ، عَنْ زُرَارَةَ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي

(١) التوحيد : ٣٢٩ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .
(٢) التوحيد : ٣٢٩ ، وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .
(٣) عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام ، وتوسطه بين ابن حسان وابن كثير غريب .
(٤) التوحيد : ٣٢٩ .
(٥) بصائر الدرجات : ٩٨ .

جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾. قَالَ: فَطَرَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْمِيثَاقِ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ. قُلْتُ: وَخَاطَبُوهُ؟ قَالَ: فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَعْلَمُوا مَنْ رَبُّهُمْ، وَلَا مَنْ رَازِقُهُمْ(١).

(١٦٣٤) ١١ ـ **التوحيد**: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ هَاشِمٍ وَابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ وَابْنِ يَزِيدَ، جَمِيعاً عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾، وَعَنِ الْحَنِيفِيَّةِ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، قَالَ: فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ.

قَالَ زُرَارَةُ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ الْآيَةَ(٢)، قَالَ: أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ، فَعَرَّفَهُمْ وَأَرَاهُمْ صُنْعَهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ.

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ـ يَعْنِي عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُ ـ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(٣).

---

(١) التوحيد: ٣٣٠، وسنده من أصح الأسانيد، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام.
(٢) سورة الأعراف: ١٧٢.
(٣) التوحيد: ٣٣٠، وسنده من أصح الأسانيد، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام.
وسنده من أصح الأسانيد، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام.

(١٦٣٥) ١٢ ـ **المحاسن** : أَبِي ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ ، عَنْ زُرَارَةَ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ ﴾ ، مَا الْحَنِيفِيَّةُ ؟ قَالَ : هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ، فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلىٰ مَعْرِفَتِهِ (١) .

(١٦٣٦) ١٣ ـ **المحاسن** : أَبِي ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ نُعْمَانَ ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ ، عَنْ زُرَارَةَ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾ ، قَالَ : فَطَرَهُمْ عَلىٰ مَعْرِفَتِهِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَمْ يَعْلَمُوا إِذَا سُئِلُوا مَنْ رَبُّهُمْ ، وَلَا مَنْ رَازِقُهُمْ (٢) .

(١٦٣٧) ١٤ ـ **المحاسن** : الْمُحَسِّنُ بْنُ أَحْمَدَ ، عَنْ أَبَانٍ الْأَحْمَرِ (٣) ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْأَحْوَلِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : عُرْوَةُ اللَّهِ الْوُثْقَى : التَّوْحِيدُ ، وَالصِّبْغَةُ : الْإِسْلَامُ (٤) .

بيان : قال البيضاويّ في قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ أي صبغنا اللّه صبغته ، وهي فطرة اللّه التي فطر الناس عليها ، فإنّها حلية الإنسان ، كما

---

(١) المحاسن : ١/٢٤١ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) المحاسن : ١/٢٤١ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٣) هو أبان بن عثمان الأحمر البجليّ ، أبو عبد اللّه ، عدّه الكشّيّ من الذين اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم .

(٤) المحاسن : ١/٢٤٠ ، وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى محسن ابن أحمد وهو القيسي البجلي ، ذكره النجاشي والشيخ في أصحابنا المصنفين ، ولم يقدحا فيه ، وقد روى عنه الأعلام كابراهيم بن هاشم والبرقي وأحمد بن محمد الأشعري وأخيه بنان والحسن بن محمد بن سماعة وعلي بن الحسن بن فضال وموسى بن القاسم وغيرهم .

أنّ الصبغة حلية المصبوغ ، أو هدانا هدايته ، وأرشدنا حجّته ، أو طهّر قلوبنا بالإيمان تطهيره ، وسمّاه صبغة لأنّه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ ، وتداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب ، أو للمشاكلة ، فإنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه العموديّة ويقولون : هو تطهير لهم ، وبه تحقّق نصرانيّتهم (١) .

(١٦٣٨) ١٥ ـ **معاني الأخبار** : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ فَضَالَةَ ، عَنْ أَبَانٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ . قَالَ : هِيَ الْإِسْلَامِ (٢) .

(١٦٣٩) ١٦ ـ **المحاسن** : ابْنُ فَضَّالٍ ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ زُرَارَةَ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى ﴾ ، قَالَ : ثَبَتَتِ الْمَعْرِفَةُ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَنَسُوا الْمَوْقِفَ ، وَسَيَذْكُرُونَهُ يَوْماً ، وَلَوْلَا

---

(١) قال الشيخ الطوسيّ في كتابه التبيان ـ بعد ذكر ذلك المعنى من الفرّاء ـ : وقال قتادة : اليهود تصبغ أبناءها يهوداً ، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى ، فهذا غير المعنى الأوّل ، وإنّما معناه أنّهم يلقّنون أولادهم اليهوديّة والنصرانيّة فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه ، فقيل : صبغة اللّه التي أمر بها ورضيها يعنى الشريعة لا صبغتكم ، وقال الجبّائيّ : سمّي الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة ، وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة .

(٢) معاني الأخبار : ١٨٨ * الكافي الشريف : ١٤/٢ ، بثلاثة أسانيد أحدهما حسن كالصحيح والآخران صحيحان .
وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَنْ خَالِقُهُ ، وَلَا مَنْ رَازِقُهُ(١) .

(١٦٤٠) ١٧ ـ **المحاسن** : الْبَزَنْطِيُّ ، عَنْ رِفَاعَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ . قَالَ : نَعَمْ ، لِلَّهِ الْحُجَّةُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ ، أَخَذَهُمْ يَوْمَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ هَكَذَا ، وَقَبَضَ يَدَهُ(٢) .

(١٦٤١) ١٨ ـ **كشف اليقين** : مِنْ كِتَابِ الْقَاضِي الْقَزْوِينِيِّ ، عَنْ هَارُونَ بْنِ مُوسَى التَّلَّعُكْبَرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . قَالَ : هِيَ التَّوْحِيدُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَنَّ عَلِيّاً أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ(٣) .

(١٦٤٢) ١٩ ـ **تفسير العيّاشيّ** : عَنْ زُرَارَةَ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَحُمْرَانَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : الصِّبْغَةُ : الْإِسْلَامُ(٤) .

---

(١) المحاسن : ١/٢٤١ * علل الشرائع : ١/١١٧ .
وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .
(٢) المحاسن : ١/٢٤٢ .
وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .
(٣) اليقين : ١٨٨ .
وسنده حسن ، محمد بن سهل هو تصحيف محمد بن همام بن سهيل ، يروي عن الحميري ويروي عنه التلعكبري .
(٤) تفسير العياشي : ١/٦٢ * الكافي الشريف : ٢/١٤ ، بسند حسن كالصحيح عن حمران .

(١٦٤٣) ٢٠ ـ **تفسير العيّاشيّ**: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾. قَالَ: الصِّبْغَةُ مَعْرِفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالْوَلَايَةِ فِي الْمِيثَاقِ (١).

(١٦٤٤) ٢١ ـ **تفسير العيّاشيّ**: عَنِ الْوَلِيدِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: إِنَّ الْحَنِيفِيَّةَ هِيَ الْإِسْلَامُ (٢).

(١٦٤٥) ٢٢ ـ **غوالي اللآلي**: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، حَتَّىٰ يَكُونَ أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ (٣).

بيان: قال السيّد المرتضى رحمه اللّه في كتاب الغرر والدرر ـ بعد نقل بعض التأويلات عن المخالفين في هذا الخبر ـ: والصحيح في تأويله أنّ قوله: «يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» يحتمل أمرين:

أحدهما: أن تكون الفطرة هاهنا الدين، ويكون (على) بمعنى (اللام)، فكأنّه قال: كلّ مولود يولد للدين، ومن أجل الدين؛ لأنّ اللّه تعالى لم يخلق من يبلّغه مبلغ المكلّفين إلّا ليعبده فينتفع بعبادته، يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿ وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٤)،

---

(١) تفسير العياشي: ٦٢/١.
(٢) تفسير العياشي: ٦١/١.
(٣) غوالي اللآلي: ٣٥/١، باضافة في آخره: ويمجسانه * من لا يحضره الفقيه: ٤٩/٢، بسند صحيح عن فضيل بن عثمان * مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٣/٢ * صحيح البخاري: ٢١١/٧، ومصادر عدة.
(٤) سورة الذاريات: ٥٦.

والدليل على أنّ (على) يقوم مقام (اللام) ما حكاه يعقوب بن السكّيت ، عن أبي يزيد عن العرب أنّهم يقولون : صف عليَّ كذا وكذا حتّى أعرفه بمعنى صف لي ، ويقولون : ما أغبطك عليَّ يريدون ما أغبطك لي ، والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض ، وإنّما ساغ أن يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها ، وقد يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلّق والاختصاص ، وعلى هذا يتأوّل قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾ أراد دين اللّه الذي خلق الخلق له ، وقوله تعالى : ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ أراد به أنّ ما خلق اللّه العباد له من العبادة والطاعة ليس ممّا يتغيّر ويختلف حتّى يخلق قوماً للطاعة ، وآخرين للمعصية ، ويجوز أن يريد بذلك الأمر وإن كان ظاهره ظاهر الخبر ، فكأنّه قال : لا تبدّلوا ما خلقكم اللّه له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا .

والوجه الآخر في تأويل قوله عليه السلام : الفطرة أن يكون المراد به الخلقة ، وتكون لفظة (على) على ظاهرها لم يرد بها غيره ، ويكون المعنى كلّ مولود يولد على الخلقة الدالّة على وحدانيّة اللّه تعالى وعبادته والإيمان به لأنّه جلّ وعزّ قد صوّر الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان به ، وإن لم ينظروا ويعرفوا فكأنّه عليه السلام قال : كلّ مخلوق ومولود فهو يدلّ بخلقته وصورته على عبادة اللّه تعالى ، وإن عدل بعضهم فصار يهوديّاً أو نصرانيّاً .

وهذا الوجه أيضاً يحتمله قوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ﴾ ، وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة والسلام :

«حَتَّىٰ يَكُونَ أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ» يحتمل وجهين:

أحدهما: أنّ من كان يهوديّاً أو نصرانيّاً ممّن خلقته لعبادتي وديني، فإنّما جعله أبواه كذلك، أو من جرى مجراهما ممّن أوقع له الشبهة وقلّده الضلال عن الدين، وإنّما خصّ الأبوين لأنّ الأولاد في الأكثر ينشؤون على مذاهب آبائهم، ويألفون أديانهم ونِحلهم، ويكون الغرض بالكلام تنزيه اللّه تعالى عن ضلال العباد وكفرهم، وأنّه إنّما خلقهم للإيمان فصدّهم عنه آباؤهم، أو من جرى مجراهم.

والوجه الآخر: أن يكون معنى يهوّدانه وينصّرانه أي يلحقانه بأحكامهما؛ لأنّ أطفال أهل الذمّة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم، فكأنه عليه السلام قال: لا تتوهّموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنّهم خلقوا لدينهم، بل لم يخلقوا إلّا للإيمان والدين الصحيح لكن آباؤهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم، وعبّر عن إدخالهم في أحكامهم بقوله: يهوّدانه وينصّرانه.

باب ١٢: إثبات قِدمه تعالى، وامتناع الزوال عليه (١)

(١٦٤٦) ١ ـ **الأمالي للصدوق**: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنِ السَّعْدَآبَادِيِّ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَوْصِلِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: جَاءَ حِبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَتىٰ كَانَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ لَهُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَمَتىٰ لَمْ يَكُنْ حَتّىٰ يُقَالَ: مَتىٰ كَانَ؟ كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ، وَيَكُونُ بَعْدَ الْبَعْدِ بِلَا بَعْدٍ، وَلَا غَايَةَ وَلَا مُنْتَهىٰ لِغَايَتِهِ، انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عَنْهُ، فَهُوَ مُنْتَهىٰ كُلِّ غَايَةٍ (٢).

الاحتجاج: مُرْسَلاً، بِزِيَادَةِ قَوْلِهِ: فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَفَنَبِيٌّ أَنْتَ؟ فَقَالَ: وَيْلَكَ! إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (٣).

التوحيد: بالإسناد المتقدّم مع تلك الزيادة، وقال الصدوق بعده: يعني بذلك عبد طاعة، لا غير ذلك (٤).

بيان: لمّا كان متى كان سؤالاً عن الزمان المخصوص من بين الأزمنة لوجوده، ولا يصحّ فيما لا اختصاص لزمان به أجابه عليه السلام بقوله:

---

(١) وفي الباب ٧ أحاديث.

(٢) أمالي الصدوق: ٧٦٩، حديث: ١٠٤١ * الكافي الشريف: ١/٨٩ بثلاثة أسانيد وفيها الحسن.

وسنده قوي، رجاله ثقات أجلاء عيون، سوى أبي الحسن الموصلي لم أجد من ذكره، ورواية البزنطي عنه تقتضي المدح في الجملة.

(٣) الاحتجاج: ١/٣١٣.

(٤) التوحيد: ١٧٤.

«وَمَتَىٰ لَمْ يَكُنْ حَتَّىٰ يُقَالَ: مَتَىٰ كَانَ؟» ونبّه على بطلان الاختصاص الذي أخذ في السؤال، ثمّ بيّن عليه السلام سرمديّته فقال: «كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ» أي هو قبل كلّ ما هو قبل شيء.

«بِلَا قَبْلٍ» بالنسبة إليه، وبعد كلّ ما هو بعد شيء، ولا شيء بعده، أو هو قبل الموصوف بالقبليّة والبعديّة لذاته، أي الزمان وبعده بلا زمان؛ إذ هو مبدأ كلّ شيء وغاية له، والغاية نهاية الامتداد، وقد يطلق على نفس الامتداد، والمعنى أنّه لا غاية لوجوده وسائر كمالاته أزلاً وأبداً، ولعلّ المراد بها ثانياً نفس الامتداد أي ليس لما يتوهّم له من الامتداد نهاية.

ويحتمل أن يكون المراد بها أوّلاً أيضاً الامتداد فيكون مجروراً، أي بلا امتداد زمانيّ، ويحتمل أن يكون المراد بها ثانياً أيضاً النهاية أي كلّ ما توهّمت أنّه غاية له، فهو موجود بعده، ولا ينتهي إليه وجوده، فكلّ غاية أي امتداد أو نهاية ينقطع عنه لوجوده تعالى قبله وبعده، فهو منتهى كلّ غاية، أي بعدها، أو هو علّة لها، وإليه ينتهي وجودها، فكيف تكون غاية له.

ويحتمل أن يكون المراد بالغايات نهايات أفكار العارفين، فإنّها منقطعة عنه لا تصل إليه، وبكونه منتهى كلّ غاية أنّه منتهى رغبات الخلائق وحاجاتهم، ويمكن أن يحمل الغاية في الأخيرتين على العلّة الغائيّة أيضاً، والله يعلم.

(١٦٤٧) ٢ـ **معاني الأخبار**: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ مَيْمُونٍ الْبَانِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿هُوَ الأَوَّل

وَالْآخِرُ ﴾ (١) فَقَالَ: الأَوَّلُ لَا عَنْ أَوَّلٍ قَبْلَهُ ، وَلَا عَنْ بَدْءٍ سَبَقَهُ ، وَآخِرٌ لَا عَنْ نِهَايَةٍ كَمَا يُعْقَلُ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَلَكِنْ قَدِيمٌ أَوَّلٌ آخِرٌ ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ بِلَا بَدْءٍ وَلَا نِهَايَةٍ ، لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ ، وَلَا يُحَوَّلُ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (٢) .

بيان: «لَا عَنْ أَوَّلٍ قَبْلَهُ» أي لا مبتدأ عن أوّل يكون قبله زماناً.

«وَلَا عَنْ بَدْءٍ» على وزن فعل ، أو بديء على وزن فعيل ، أي مبتدأ «سَبَقَهُ» رتبة بالعلّيّة.

وقوله: «لَا عَنْ نِهَايَةٍ» أي لا معها مجازاً. ويحتمل أن تكون (عن) تعليليّة ، أي ليست آخريّته بسبب أنّ له نهاية بعد نهاية غيره.

وقوله: «لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ» ناظر إلى الأوّل ، وقوله عليه السلام: «وَلَا يُحَوَّلُ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ» ناظر إلى الآخر ، أي آخريّته بأنّه أبديّ بجميع صفاته لا يعتريه تغيّر في شيء من ذلك ، وسيأتي تحقيقه في باب الأسماء.

(١٦٤٨) ٣ـ**الاحتجاج**: سَأَلَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَتَىٰ كَانَ ؟ فَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ ! أَخْبِرْنِي أَنْتَ مَتَىٰ لَمْ يَكُنْ حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ مَتَىٰ كَانَ (٣) ؟ سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ فَرْداً

---

(١) سورة الحديد: ٣.

(٢) معاني الأخبار: ١٢.

وسنده كالحسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى ميمون البان روى عنه عمرو بن أبي المقدام ومحمد بن حكيم والحارث بن المغيرة ، ويظهر من بعض الروايات قربه منهم عليهم السلام.

(٣) لأنّ ما يصحّ أن يسأل عن وجوده بـ(متى) يصحّ أن يسأل عن عدمه أيضاً بذلك ، فما

صَمَداً ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً (١) .

التوحيد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن الثماليّ ... مثله (٢) .

تفسير القمّيّ : أبي ، عن ابن محبوب ، عن الثماليّ ، عن أبي الربيع ... مثله (٣) .

(١٦٤٩) ٤ ـ **التوحيد** : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ حَارِثٍ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، قَالَ : أَخْرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُقّاً (٤) ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ وَرَقَةً ، فَإِذَا فِيهَا : سُبْحَانَ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ (٥) ، الْقَدِيمُ الْمُبْدِئُ ، الَّذِي لَا بَدْءَ لَهُ ، الدَّائِمُ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ ، الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، الْخَالِقُ مَا يُرىٰ وَمَا لَا يُرَى ، الْعَالِمُ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ ، ذَلِكَ اللَّهُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ (٦) .

لا يصحّ أن يسأل عن عدمه بـ(متى) ، لا يصحّ أن يسأل عن وجوده أيضاً بذلك ، واللّه تبارك وتعالى حيث لم يكن زمانيّاً ، بل يكون وجوده أزليّاً غير مسبوق بالعدم ، وأبديّاً غير ملحوق به ، فلا يصحّ أن يسأل عن وجوده أو عدمه بـ(متى) .

(١) الاحتجاج : ٢/٥٤ .

(٢) التوحيد ١٧٣ * الكافي الشريف : ١/٨٨ ، وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله عظام .

(٣) تفسير القمي : ١/٢٣٥ .

(٤) في القاموس : الحُقّة ـ بالضمّ ـ : وعاء من خشب .

(٥) وفي نسخة : فإذا فيها : سبحان اللّه الواحد الذي لا إله غيره .

(٦) التوحيد : ٤٦ .

ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى إسحاق بن حارث لم أجد من ذكره ، ولعله تصحيف إسحاق بن عمار لكثرة رواية ابن سنان عنه وروايته عن أبي بصير ، فيكون السند بذلك حسن

(١٦٥٠) ٥ ـ **التوحيد** : ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ ، قَالَ : كَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلىٰ رَجُلٍ بِخَطِّهِ ـ وَقَرَأْتُهُ ـ فِي دُعَاءٍ كَتَبَ بِهِ : أَنْ يَقُولَ : يَا ذَا الَّذِي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، ثُمَّ يَبْقىٰ وَيَفْنىٰ كُلُّ شَيْءٍ ، وَيَا ذَا الَّذِي لَيْسَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلىٰ ، وَلَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلىٰ ، وَلَا فَوْقَهُنَّ وَلَا بَيْنَهُنَّ وَلَا تَحْتَهُنَّ إِلَهٌ يُعْبَدُ غَيْرُهُ (١) .

(١٦٥١) ٦ ـ **التوحيد** : مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُذَكِّرُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَلَمَةَ اللِّبْقِيِّ (٢) ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَحْيىٰ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ سِنَانٍ (٣) ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ ، قَالَ : جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلىٰ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مَتىٰ كَانَ رَبُّنَا ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّمَا يُقَالُ : مَتىٰ كَانَ لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ ، وَرَبُّنَا هُوَ كَائِنٌ بِلَا كَيْنُونَةِ كَائِنٍ ، كَانَ بِلَا كَيْفٍ يَكُونُ ، كَانَ لَمْ يَزَلْ بِلَا لَمْ يَزَلْ ، وَبِلَا كَيْفٍ يَكُونُ ، تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لَيْسَ لَهُ قَبْلٌ ، هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ ، وَبِلَا

كالصحيح ، ومحمد بن سنان من الكبار ، راجع ملحق : ٨ .

(١) التوحيد : ٤٧ .

وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وعبدالله بن محمد هو بنان من الكبار وروى عنه الكبار ، ولم يستثنَ من نوادر الحكمة .

(٢) وفي المصدر : الليفي .

(٣) الإسناد في التوحيد المطبوع هكذا : إسماعيل بن يحيى بن عبد اللّه ، عن عبد اللّه بن طلحة بن هجيم ، قال : حدّثنا ابن (أبو) سنان (أبو سفيان) الشيبانيّ سعيد بن سنان ... إلخ .

غَايَةٍ وَلَا مُنْتَهىٰ غَايَةٍ ، وَلَا غَايَةٍ إِلَيْهَا غَايَةٌ ، انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عَنْهُ فَهُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ [1] .

بيان : « بِلَا كَيْنُونَةٍ كَائِنٍ » أي كان ولم يحدث حادث بعد أوّلاً على نحو حدوث الحوادث ، قال الفيروزآباديّ : الكون : الحدث كالكينونة .

قوله : « بِلَا كَيْفٍ يَكُونُ » أي صفة موجودة زائدة ، ولعلّ الوصف بقوله : « يَكُون » للإشعار بأنّه إذا كان له كيف يكون حادثاً لا محالة .

قوله عليه السلام : « بِلَا لَمْ يَزَلْ » أي بلا زمان قديم موجود يسمّى بـ « لَمْ يَزَلْ » ليكون معه قديماً ثانياً .

وقوله عليه السلام ثانياً : « بِلَا كَيْفٍ يَكُونُ » تأكيد لما سبق ، ويحتمل أن يكون الأوّل لنفي الكيفيّات الجسمانيّة أو الحادثة ، والثاني لنفي الصفات الحقيقيّة الزائدة أو القديمة ، ويحتمل أن يكون المراد بالأخير أنّه ليس لوجوده في الأزل واتّصافه بها كيف فيكون إشارة إلى نفي معلوليّة الوجود أو زيادته .

وفي الكافي بسند آخر : « كَيْفَ يَكُونُ لَهُ قَبْلٌ » ، وهو أظهر ، كما سيأتي أيضاً .

قوله عليه السلام : « وَبِلَا غَايَةٍ » أي امتداد وزمان موجود .

« وَلَا مُنْتَهىٰ غَايَةٍ » أي في الأزل ، « وَلَا غَايَةٍ » أي منتهى ينتهي « إِلَيْهَا غَايَةٌ » أي امتداد في لا يزال .

(١٦٥٢) ٧ـ التوحيد : ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ ، عَنْ سَهْلٍ ، عَنْ

---

(١) التوحيد : ٧٧ * الكافي الشريف : ١/ ٩٠ ، بسند حسن عن محمد بن سماعة قريب منه .

عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخَزَّازِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: قَالَ رَأْسُ الْجَالُوتِ لِلْيَهُودِ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيّاً مِنْ أَجْدَلِ النَّاسِ وَأَعْلَمِهِمْ، اذْهَبُوا بِنَا إِلَيْهِ لَعَلِّي أَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ أُخَطِّئُهُ فِيهَا، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، قَالَ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَتَىٰ كَانَ رَبُّنَا؟ قَالَ: يَا يَهُودِيُّ! إِنَّمَا يُقَالُ: مَتَىٰ كَانَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ، هُوَ كَائِنٌ بِلَا كَيْنُونَةِ كَائِنٍ كَانَ، بِلَا كَيْفٍ(١).

يَا يَهُودِيُّ! كَيْفَ يَكُونُ لَهُ قَبْلٌ وَهُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ؟ بِلَا غَايَةٍ وَلَا مُنْتَهىٰ غَايَةٍ وَلَا غَايَةٍ إِلَيْهَا غَايَةٌ، انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عَنْهُ فَهُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ دِينَكَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا خَالَفَهُ بَاطِلٌ(٢).

أقول: قد أثبتنا خبر محمّد بن عبد اللّه الخراسانيّ في باب إثبات الصانع، وسيأتي كثير من الأخبار في باب نفي الزمان والمكان، وسائر الأبواب مشحونة بما يناسب الباب من الأخبار.

---

(١) في الكافي: بلى يا يهوديّ، ثمّ بلى يا يهوديّ كيف يكون ... إلخ.

(٢) التوحيد: ١٧٥ * الكافي الشريف: ١/٩٠.

وسنده حسن كالصحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون، وسهل بن زياد من الكبار، راجع ملحق: ٩.

باب ١٣: نفي الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد، وأنّه لا يدرك بالحواسّ والأوهام، والعقول والأفهام [١]

الآيات

الأنعام:

﴿ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [٢].

حمعسق:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٣].

****

(١٦٥٣) ١ ـ **الأمالي للشيخ الطوسيّ:** مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَاذَانَ الْقُمِّيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسىٰ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ الدَّهَّانِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ، قَالَ: سَأَلَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: تَوْحِيدُكَ لِرَبِّكَ، قَالَ: فَمَا أَعْظَمُ الذُّنُوبِ؟ قَالَ: تَشْبِيهُكَ لِخَالِقِكَ [٤].

(١٦٥٤) ٢ ـ **كفاية الأثر:** عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ مُوسىٰ، عَنْ

---

(١) وفي الباب ٤٧ حديثاً.
(٢) سورة الأنعام: ٩١. سورة الزمر: ٦٧.
(٣) سورة الشورى: ١١.
(٤) أمالي الطوسي: ٦٨٧، حديث: ١٤٥٨.
محمد بن بشير الدهان لم أجد من ذكره، وأبوه بشير من المشاهير والكبار.

مُحَمَّدِ بْنِ هَمَّامٍ ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبْدِيِّ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ كَثِيرٍ الرَّقِّيِّ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ! إِنِّي دَخَلْتُ عَلىٰ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ فَسَمِعْتُ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ وَجْهاً كَالْوُجُوهِ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: لَهُ يَدَانِ ، وَاحْتَجُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ (١) ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ كَالشَّابِّ مِنْ أَبْنَاءِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَمَا عِنْدَكَ فِي هَذَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَكَانَ مُتَّكِئاً فَاسْتَوىٰ جَالِساً وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَفْوَكَ عَفْوَكَ ، ثُمَّ قَالَ: يَا يُونُسُ ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَجْهاً كَالْوُجُوهِ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ جَوَارِحَ كَجَوَارِحِ الْمَخْلُوقِينَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ ، فَلَا تَقْبَلُوا شَهَادَتَهُ ، وَلَا تَأْكُلُوا ذَبِيحَتَهُ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَوَجْهُ اللَّهِ أَنْبِيَاؤُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ (٢) ، وَقَوْلُهُ: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ الْيَدُ: الْقُدْرَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ﴾ (٣) ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ ، أَوْ عَلىٰ شَيْءٍ ، أَوْ يَحُولُ مِنْ شَيْءٍ إِلىٰ شَيْءٍ ، أَوْ يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ ، أَوْ يَشْتَغِلُ بِهِ شَيْءٌ ، فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، لَا يُقَاسُ بِالْقِيَاسِ ، وَلَا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ ، لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِهِ مَكَانٌ ، قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ ، بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ ، ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّنَا ، لَا

---

(١) سورة ص: ٧٥.

(٢) لأنّ العباد يتوجّهون بهم إلى الله تعالى ، والله تعالى يخاطب العباد ويواجههم بهم عليهم السلام.

(٣) سورة الأنفال: ٢٦.

إِلـٰهَ غَيْرُهُ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهَ وَأَحَبَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ ، وَمَنْ أَحَبَّهُ بِغَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ فَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بُرَءَاءُ (١) .

(١٦٥٥) ٣ ـ **الأمالي للصدوق**: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ ، عَنْ عَلَّانٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ الرُّخَّجِيِّ ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَىٰ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ أَسْأَلُهُ عَمَّا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ فِي الْجِسْمِ ، وَهِشَامُ بْنُ سَالِمٍ فِي الصُّورَةِ ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلامُ: دَعْ عَنْكَ حَيْرَةَ الْحَيْرَانِ ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لَيْسَ الْقَوْلُ مَا قَالَ الْهِشَامَانِ (٢) .

التوحيد: الدقّاق ، عن الكلينيّ ، عن عليّ بن محمّد رفعه ، عن الرخجيّ ... مثله (٣) .

بيان: لا ريب في جلالة قدر الهشامين ، وبراءتهما عن هذين القولين ، وقد بالغ السيّد المرتضى قدّس اللّه روحه في براءة ساحتهما عمّا نسب إليهما في كتاب الشافي مستدلاً عليها بدلائل شافية ، ولعلّ المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندة كما نسبوا المذاهب الشنيعة إلى زرارة وغيره من أكابر المحدّثين ، أو لعدم فهم كلامهما ، فقد قيل إنّهما قالا بجسم لا كالأجسام ، وبصورة لا كالصور ، فلعلّ مرادهما بالجسم

---

(١) كفاية الأثر : ٢٥٥ ، رواه بسندين عن ابن ظبيان وشعيب العقرقوفي ، وفي حديث الأخير : كنت عند الصادق عليه السلام إذ دخل عليه يونس فسأله ... .

(٢) أمالي الصدوق : ٣٥١ ، حديث : ٤٢٤ * الكافي الشريف : ١/١٠٥ .

وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، ومحمد بن فرج الرخجي ، ذكره النجاشي في أصحابنا المصنفين ، وقد وثقه الشيخ في الرجال .

(٣) التوحيد : ٩٧.

الحقيقة القائمة بالذات ، وبالصورة الماهيّة ، وإن أخطئنا في إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى .

قال المحقّق الدوانيّ : المشبّهة منهم مَن قال إنّه جسم حقيقة ، ثمّ افترقوا ، فقال بعضهم : إنّه مركّب من لحم ودم ، وقال بعضهم : هو نور متلألئ كالسبيكة البيضاء ، طوله سبعة أشبار بشبر نفسه ، ومنهم مَن قال : إنّه على صورة إنسان ، فمنهم من يقول : إنّه شابّ أمرد ، جعد قطط (١) ، ومنهم مَن قال : إنّه شيخ أشمط الرأس واللحية (٢) ، ومنهم مَن قال : هو في جهة الفوق ، مماسّ للصفحة العليا من العرش ، ويجوز عليه الحركة والانتقال ، وتبدّل الجهات ، وتئط العرش تحته أطيط الرحل الجديد تحت الراكب الثقيل ، وهو يفضل عن العرش بقدر أربع أصابع ، ومنهم مَن قال : هو محاذ للعرش ، غير مماسّ له ، وبعده عنه بمسافة متناهية ، وقيل : بمسافة غير متناهية ، ولم يستنكف هذا القائل عن جعل غير المتناهي محصوراً بين حاصرين ، ومنهم من تستّر بالكفّة (٣) فقال : هو جسم لا كالأجسام ، وله حيّز لا كالأحياز ، ونسبته إلى حيّزه ليس كنسبة الأجسام إلى أحيازها ، وهكذا ينفي جميع خواصّ الجسم عنه حتّى لا يبقى إلّا اسم الجسم ، وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرّحين بالجسميّة ، انتهى .

وقال الشهرستانيّ : حكى الكعبيّ عن هشام بن الحكم أنّه قال : هو

---

(١) الجعد من الشعر : خلاف الاسترسال ، وقطّ الشعر : كان قصيراً جعداً فهو قطط .

(٢) شمط شمطاً : خالط بياض رأسه سواد فهو أشمط .

(٣) الكفّة ـ بضمّ الكاف ـ حاشية الشيء ، وكفّة القميص ما استدار حول الذيل . وفي نسخة : « البلفكة » ، ولم نجد له معنى .

جسم ذو أبعاض، له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا تشبهه، ونقل عنه أنّه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنّه في مكان مخصوص، وجهة مخصوصة، وأنّه يتحرّك، وحركته فعله، وليست من مكان إلى مكان، وقال: هو متناه بالذات غير متناه بالقدر.

وحكى عنه أبو عيسى الورّاق أنّه قال: إنّ اللّه تعالى مماسّ لعرشه لا يفضل منه شيء من العرش، ولا يفضل عنه شيء.

وقال هشام بن سالم: إنّه تعالى على صورة إنسان، أعلاه مجوّف، وأسفله مصمّت، وهو نور ساطع يتلألأ، وله حواسّ خمس، ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم، وله وفرة سوداء (١)، وهو نور أسود لكنّه ليس بلحم ولا دم.

ثمّ قال: وغلا هشام بن الحكم في حقّ عليّ عليه السلام حتّى قال: إنّه إله واجب الطاعة، وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأُصول لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنّه ألزم العلاف فقال: إنّك تقول إنّ الباريء تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته، فيشارك المحدثات في أنّه عالم بعلم، ويباينها في أنّ علمه ذاته، فيكون عالماً لا كالعالمين، فلِم لا تقول هو جسم لا كالأجسام، وصورة لا كالصور، وله قدر لا كالأقدار، إلى غير ذلك، انتهى.

أقول: فظهر أنّ نسبة هذين القولين إليهما إمّا لتخطئة رواة الشيعة

(١) الوفرة: ما سال من الشعر على الأُذنين.

وعلمائهم لبيان سفاهة آرائهم ، أو أنّهم لما ألزموهم في الاحتجاج أشياء إسكاتاً لهم نسبوها إليهم والأئمّة عليهم السلام لم ينفوها عنهم ، إمّا للتبرّي عنهم إبقاء عليهم ، أو لمصالح أُخر ، ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أنّ المراد ليس هذا القول الذي تقول ما قال الهشامان ، بل قولهما مباين لذلك .

ويحتمل أن يكون هذان مذهبهما قبل الرجوع إلى الأئمّة عليهم السلام ، والأخذ بقولهم ، فقد قيل : إنّ هشام بن الحكم كان قبل أن يلقى الصادق عليه السلام على رأي جهم بن صفوان ، فلمّا تبعه عليه السلام تاب ورجع إلى الحقّ .

ويؤيّده ما ذكره الكراجكيّ في كنز الفوائد في الردّ على القائلين بالجسم بمعنييه ، حيث قال : وأمّا موالاتنا هشاماً رحمه اللّه فهي لما شاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم الذي كان ينصره ، ورجوعه عنه ، وإقراره بخطئه فيه ، وتوبته منه ، وذلك حين قصد الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام إلى المدينة فحجبه ، وقيل له : إنّه أمرنا أن لا نوصلك إليه ما دمت قائلاً بالجسم ، فقال : واللّه ما قلت به إلّا لأنّي ظننت أنّه وفاق لقول إماميّ ، فأما إذا أنكره عليَّ فإنّني تائب إلى اللّه منه ، فأوصله الإمام عليه السلام إليه ، ودعا له بخير وحفظ .

(١٦٥٦) ٤ ـ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَنَّهُ قَالَ لِهِشَامٍ : إِنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ لَا يُشْبِهُ شَيْئاً ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْوَهْمِ فَهُوَ بِخِلَافِهِ (١) .

---

(١) الإرشاد : ٢/٢٠٤ * كنز الفوائد : ١٩٩ * التوحيد : ٨٠ ، بسند صحيح عن المفضل بن عمر .

(١٦٥٧) ٥ـ وَرُوِيَ عَنْهُ أَيضاً أَنَّهُ قَالَ: سُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلّا هُوَ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا يُحَدُّ وَلَا يُحَسُّ، وَلَا يُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ، وَلَا هُوَ جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ، وَلَا بِذِي تَخْطِيطٍ وَلَا تَحْدِيدٍ (١).

(١٦٥٨) ٦ـ **تفسير العيّاشيّ**: عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا جَابِرُ! مَا أَعْظَمَ فِرْيَةَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى اللَّهِ، يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ حَيْثُ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلىٰ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلَقَدْ وَضَعَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَدَمَهُ عَلىٰ حَجَرٍ فَأَمَرَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أَنْ نَتَّخِذَهَا مُصَلّىً.

يَا جَابِرُ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ، تَعَالىٰ عَنْ صِفَةِ الْوَاصِفِينَ، وَجَلَّ عَنْ أَوْهَامِ الْمُتَوَهِّمِينَ، وَاحْتَجَبَ عَنْ عَيْنِ النَّاظِرِينَ، وَلَا يَزُولُ مَعَ الزَّائِلِينَ، وَلَا يَأْفِلُ مَعَ الْآفِلِينَ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢).

(١٦٥٩) ٧ـ **تفسير العيّاشيّ**: عَنْ هِشَامٍ الْمَشْرِقِيِّ (٣)، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْخُرَاسَانِيِّ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ أَحَدٌ صَمَدٌ نُورٌ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (٤)، فَقُلْتُ لَهُ: أَفَلَهُ يَدَانِ هٰكَذَا ـ وَأَشَرْتُ بِيَدِي إِلىٰ

---

(١) الكافي الشريف: ١/١٠٤، بسند معتبر عن صفوان عن علي بن أبي حمزة.
(٢) تفسير العياشي: ١/٥٩ * التوحيد: ١٧٩.
(٣) ضبطه الأكثر بالقاف، وجزم المحقّق الداماد أنّه بالفاء.
(٤) سورة المائدة: ٦٤.

يَدِهِ ـ فَقَالَ : لَوْ كَانَ هَكَذَا كَانَ مَخْلُوقاً (١) .

(١٦٦٠) ٨ـ **الاحتجاج** : فِي سُؤَالِ الزِّنْدِيقِ بِرِوَايَةِ هِشَامٍ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ : لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ ، وَلَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ ، وَلَا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الْأَزْمَانُ ... الْخَبَرَ (٢) .

(١٦٦١) ٩ـ **الاحتجاج** : قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَ : قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ : مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ بِرَأْيِهِ كَلَامِي ، وَمَا عَرَفَنِي مَنْ شَبَّهَنِي بِخَلْقِي ، وَلَا عَلَىٰ دِينِي مَنِ اسْتَعْمَلَ الْقِيَاسَ فِي دِينِي (٣) .

التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام والأمالي للصدوق : ابن المتوكّل ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن الريّان بن الصلت ، عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام ، قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله : قال اللّه جلّ جلاله ... مثله (٤) .

(١٦٦٢) ١٠ـ **التوحيد والأمالي للصدوق** : ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ

---

(١) تفسير العياشي : ١/٣٣٠ .
(٢) الاحتجاج : ٢/٧٠ * الكافي الشريف : ١/٨١ ، بسنده عن هشام * التوحيد : ٢٤٥ .
(٣) الاحتجاج : ٢/١٩١ .
(٤) التوحيد : ٦٨ ، وسنده صحيح * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/١٠٧ * أمالي الصدوق : ٥٥ ، حديث : ١٠

أَبِيهِ ، عَنِ الصَّقْرِ بْنِ دُلَفَ [(١)] ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْـنَ مُـحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أَقُولُ بِقَوْلِ هِشَامِ بْـنِ الْـحَكَمِ ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ثُمَّ قَالَ : مَا لَكُمْ وَلِقَوْلِ هِشَامٍ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بُرَءَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

يَا ابْنَ دُلَفَ ! إِنَّ الْجِسْمَ مُحْدَثٌ ، وَاللَّهُ مُحْدِثُهُ وَمُجَسِّمُهُ [(٢)] .

(١٦٦٣) ١١ ـ **رجال الكشّيّ** : عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَشَّارٍ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بَهْمَنَ ، قَالَ : قَالَ لِي يُونُسُ : اكْتُبْ إِلَىٰ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَاسْأَلْهُ عَنْ آدَمَ ، هَلْ فِيهِ مِنْ جَوْهَرِيَّةِ اللَّهِ شَيْءٌ ؟ قَالَ : فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ، فَأَجَابَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَسْأَلَةُ رَجُلٍ عَلَىٰ غَيْرِ السُّنَّةِ ، فَقُلْتُ لِيُونُسَ فَقَالَ : لَا يَسْمَعُ ذَا أَصْحَابُنَا فَيَبْرَءُونَ مِنْكَ ، قَالَ : قُلْتُ لِيُونُسَ : يَتَبَرَّءُونَ مِنِّي أَوْ مِنْكَ [(٣)] ؟

(١٦٦٤) ١٢ ـ **رجال الكشّيّ** : طَاهِرُ بْنُ عِيسَىٰ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ ، عَنِ الشُّجَاعِيِّ ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَشَّارٍ ، عَنِ الْوَشَّاءِ ، عَنْ

---

(١) الموجود في التوحيد المطبوع والبحار : الصقر بن دلف ، والموجود في التراجم : الصقر ابن أبي دلف .

(٢) التوحيد : ١٠٤ * أمالي الصدوق : ٣٥١ ، حديث : ٤٢٥ .
ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى ابن أبي دلف وقد روى النص على العسكري والقائم عليهما السلام .

(٣) رجال الكشي : ٧٨٥/٢ ، وسنده قوي كالحسن ، الحسين بن بشار قال عنه الشيخ : « ثقة صحيح » ، ويونس بن بهمن روى عنه البزنطي ، ذكره ابن الغضائري فقال : « غال خطابي كوفي يضع الحديث » ، وروايته هذه تدل على كونه وجيهاً لدى الرضا عليه السلام .

يُونُسَ بْنِ بَهْمَنَ ، قَالَ : قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : كَتَبْتُ إِلىٰ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ سَأَلْتُهُ عَنْ آدَمَ ، هَلْ كَانَ فِيهِ مِنْ جَوْهَرِيَّةِ الرَّبِّ شَيْءٌ ؟ فَكَتَبَ إِلَيَّ جَوَابَ كِتَابِي : لَيْسَ صَاحِبُ هَـذِهِ الْـمَسْأَلَةِ عَـلىٰ شَـيْءٍ مِـنَ السُّنَّةِ ، زِنْدِيقٌ (١) .

بيان : الكلام في يونس وما نسب إليه أيضاً كما مرّ في الهشامين ، وقال الشهرستانيّ : إنّه زعم أنّ المـلائكة تـحمل العـرش ، والعـرش يـحمل الربّ ، وهو من مشبّهة الشيعة ، انتهى .

(١٦٦٥) ١٣ ـ الأمالي للصدوق : ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنِ الصَّفَّارِ ، عَنِ ابْنِ مَعْرُوفٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ ، قَالَ : كَتَبْتُ إِلىٰ أَبِي جَـعْفَرٍ الثَّـانِي عَـلَيْهِ السَّلامُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أُصَلِّي خَلْفَ مَنْ يَقُولُ بِالْجِسْمِ ؟ وَمَنْ يَقُولُ بِقَوْلِ يُونُسَ ؟ ـ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ـ فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلامُ : لَا تُصَلُّوا خَلْفَهُمْ ، وَلَا تُعْطُوهُمْ مِنَ الزَّكَاةِ ، وَابْرَءُوا مِنْهُمْ بَرِئَ اللَّهُ مِنْهُمْ (٢) .

(١٦٦٦) ١٤ ـ الأمالي للصدوق : ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنِ الصَّفَّارِ ، عَنِ الْبَرْقِيِّ ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَـلِيَّ بْـنَ مُـوسَى الرِّضَـا عَـلَيْهِ

---

(١) رجال الكشي : ٢/٧٨٧ ، وسنده قوي كالحسن ، طاهر الوراق الكشي روى عنه الكشي كثيراً ، قال الشيخ : « من أهل كش صاحب كتب ، روى عنه الكشي ، وروى هو عن جعفر بن أحمد الخزاعي » ، وجعفر بن أحمد هو السمرقندي قال عنه النجاشي : « صحيح الحديث والمذهب ، روى عنه العياشي » ، والشجاعي هو الحسن بن طيب وقد روى عنه أصحابنا على ما قاله النجاشي وله كتاب ذوات الأجنحة .

(٢) أمالي الصدوق : ٣٥٢ ، حديث : ٤٢٦ .
وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

السَّلامُ يَقُولُ: إِلَهِي بَدَتْ قُدْرَتُكَ وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَتُهُ[(١)] فَجَهِلُوكَ، وَبِهِ قَدَّرُوكَ، وَالتَّقْدِيرُ عَلَىٰ غَيْرِ مَا بِهِ وَصَفُوكَ، وَإِنِّي بَرِيءٌ - يَا إِلَهِي - مِنَ الَّذِينَ بِالتَّشْبِيهِ طَلَبُوكَ، لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ.

إِلَهِي، وَلَنْ يُدْرِكُوكَ، وَظَاهِرُ مَا بِهِمْ مِنْ نِعَمِكَ دَلِيلُهُمْ عَلَيْكَ لَوْ عَرَفُوكَ، وَفِي خَلْقِكَ - يَا إِلَهِي - مَنْدُوحَةٌ أَنْ يَتَنَاوَلُوكَ، بَلْ سَوَّوْكَ بِخَلْقِكَ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ، وَاتَّخَذُوا بَعْضَ آيَاتِكَ رَبّاً فَبِذَلِكَ وَصَفُوكَ، تَعَالَيْتَ رَبِّي عَمَّا بِهِ الْمُشَبِّهُونَ نَعَتُوكَ[(٢)].

بيان: «وَبِهِ» أي وبالجهل، قوله: «وَالتَّقْدِيرُ عَلَىٰ غَيْرِ مَا بِهِ وَصَفُوكَ» أي التقدير بما قدّروا به من المقادير الجسمانيّة ينافي ما وصفوك به من الربوبيّة، ويحتمل أن يكون المراد بالتقدير مطلق التوصيف، أي ينبغي ويجب توصيفك على غير ما وصفوك به من الجسم والصورة، والمندوحة: السعة، أي في التفكّر في خلقك، والاستدلال به على عظمتك وتقدّسك عن صفات المخلوقين مندوحة عن أن يتفكّروا في ذاتك فينسبوا إليك ما لا يليق بجنابك، أو المعنى أنّ التفكّر في الخلق يكفي في أن لا ينسبوا إليك هذه الأشياء.

التوحيد: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، قَالَ: مَرَّ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ بِقَبْرٍ مِنْ قُبُورِ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ

---

(١) وفي المصدر: هيبتك.

(٢) أمالي الصدوق: ٧٠٦، حديث: ٩٧٠.

وسنده من أصح الأسانيد، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام.

عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِلَهِي بَدَتْ قُدْرَتُكَ ... وذكر نحوه (١) .

(١٦٦٧) ١٥ ـ **الإرشاد** : جَاءَتِ الرِّوَايَةُ : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَمِعَ قَوْماً يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ وَارْتَاعَ لَهُ ، وَنَهَضَ حَتَّىٰ أَتىٰ قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَوَقَفَ عِنْدَهُ ، رَفَعَ صَوْتَهُ يُنَاجِي رَبَّهُ ، فَقَالَ فِي مُنَاجَاتِهِ لَهُ : إِلَهِي بَدَتْ قُدْرَتُكَ ، وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةٌ فَجَهِلُوكَ ، وَقَدَّرُوكَ بِالتَّقْدِيرِ عَلىٰ غَيْرِ مَا بِهِ أَنْتَ شَبَّهُوكَ ... إِلىٰ آخِرِ مَا مَرَّ (٢) .

(١٦٦٨) ١٦ ـ **عيون أخبار الرضا عليه السلام** : ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنْ عَلِيِّ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنِ الصَّقْرِ بْنِ دُلَفَ ، عَنْ يَاسِرٍ الْخَادِمِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ : مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ ، وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهىٰ عَنْهُ فَهُوَ كَافِرٌ (٣) .

(١٦٦٩) ١٧ ـ **التوحيد** : الدَّقَّاقُ ، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ ، عَنْ عَلَّانٍ ، عَنْ سَهْلٍ ،

---

(١) التوحيد : ١٢٤ .
وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام ، وبعض أصحابنا المقصود منه الجعفري كما تقدم في الحديث السابق .
(٢) الإرشاد : ٢/١٥٣ .
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/١٠٥ * التوحيد : ٦٨ ، بسند آخر صحيح قريب منه ، ٧٦ ، بسند ثالث صحيح قريب منه .
ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى ابن أبي دلف وقد روى النص على العسكري والقائم عليهما السلام ، وياسر الخادم مشهور معروف روى عنه الكبار ، وهو متحد مع البائس مولى حمزة بن اليسع الثقة الذي ذكره الشيخ مصحفاً .

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمَدَانِيِّ ، قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى الرَّجُلِ -يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ -: أَنَّ مَنْ قِبَلَنَا مِنْ مَوَالِيكَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي التَّوْحِيدِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: جِسْمٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: صُورَةٌ ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِخَطِّهِ: سُبْحَانَ مَنْ لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ -أَوْ قَالَ: الْبَصِيرُ-[(١)] .

(١٦٧٠) ١٨ ـ **التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام :** الْفَامِيُّ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ! إِنَّ النَّاسَ يَنْسُبُونَّا إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ لِمَا رُوِيَ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ عَنْ آبَائِكَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، فَقَالَ: يَا ابْنَ خَالِدٍ ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ آبَائِيَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ فِي التَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ أَكْثَرُ ، أَمِ الْأَخْبَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: بَلْ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ذَلِكَ أَكْثَرُ، قَالَ: فَلْيَقُولُوا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ فِي التَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ إِذاً ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَقُلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً وَإِنَّمَا رُوِيَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَلْيَقُولُوا فِي آبَائِيَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ إِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا

(١) التوحيد : ١٠٠ * الكافي الشريف : ١٠٢/١ .
وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وسهل من الكبار ، راجع ملحق : ٩ .

مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً وَإِنَّمَا رُوِيَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : مَنْ قَالَ بِالتَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بُرَءَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

يَا ابْنَ خَالِدٍ ! إِنَّمَا وَضَعَ الْأَخْبَارَ عَنَّا فِي التَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ الْغُلَاةُ الَّذِينَ صَغَّرُوا عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالىٰ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنَا وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنَا ، وَمَنْ وَالاهُمْ فَقَدْ عَادَانَا وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ وَالانَا ، وَمَنْ وَصَلَهُمْ فَقَدْ قَطَعَنَا وَمَنْ قَطَعَهُمْ فَقَدْ وَصَلَنَا ، وَمَنْ جَفَاهُمْ فَقَدْ بَرَّنَا وَمَنْ بَرَّهُمْ فَقَدْ جَفَانَا ، وَمَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَهَانَنَا وَمَنْ أَهَانَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَنَا ، وَمَنْ قَبِلَهُمْ فَقَدْ رَدَّنَا وَمَنْ رَدَّهُمْ فَقَدْ قَبِلَنَا ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْنَا وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ فَقَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا ، وَمَنْ صَدَّقَهُمْ فَقَدْ كَذَّبَنَا وَمَنْ كَذَّبَهُمْ فَقَدْ صَدَّقَنَا ، وَمَنْ أَعْطَاهُمْ فَقَدْ حَرَمَنَا وَمَنْ حَرَمَهُمْ فَقَدْ أَعْطَانَا .

يَا ابْنَ خَالِدٍ ! مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا فَلَا يَتَّخِذَنَّ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (١) .

الاحتجاج : عن الحسين بن خالد ، عنه عليه السلام ... مثله (٢) .

---

(١) التوحيد : ٣٦٣ * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/١٣٠ .
وسنده حسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى علي بن معبد له روايات كثيرة في الكافي الشريف ، ذكره النجاشي والشيخ في أصحابنا المصنفين ولم يقدحا فيه ، ويروي كتابه إبراهيم ابن هاشم وموسى بن جعفر البغدادي ، وهو من رواة نوادر الحكمة ولم يستثنه القميون ، وروى عنه الخزاز القمي وصحح روايته ، والحسين بن خالد وهو الصيرفي ، يروي عنه البزنطي وابن أبي عمير وعمرو بن عثمان والهيثم بن أبي مسروق وسيف بن عميرة وعلي بن يقطين ومحمد بن عيسى الأشعري ويونس بن عبد الرحمٰن ، ويظهر من رواياته أنه من المقربين من الرضا عليه السلام ، وقد اعتمد عليه الصدوق .
(٢) الاحتجاج : ٢/١٩٨ .

(١٦٧١) ١٩ـ **الاحتجاج**: الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَّانِيُّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ جِسْمٌ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، عَالِمٌ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، قَادِرٌ، مُتَكَلِّمٌ، نَاطِقٌ، وَالْكَلامُ وَالْقُدْرَةُ وَالْعِلْمُ يَجْرِي مَجْرىً وَاحِدٍ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا مَخْلُوقاً؟ فَقَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ، وَالْكَلَامَ غَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ، مَعَاذَ اللَّهِ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، لَا جِسْمٌ، وَلَا صُورَةٌ، وَلَا تَحْدِيدٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْأَشْيَاءُ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ، وَلَا تَرَدُّدٍ فِي نَفَسٍ، وَلَا نُطْقٍ بِلِسَانٍ (١).

التوحيد: الدقّاق، عن محمّد الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن الحسين بن عبد الرحمن الحمانيّ ... مثله (٢).

بيان: قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» يومئ إلى أنّه لم يقل بالجسميّة الحقيقيّة، بل أطلق عليه لفظ الجسم، ونفى عنه صفات الأجسام، ويحتمل أن يكون مراده أنّه لا يشبهه شيء من الأجسام، بل هو نوع مباين لسائر أنواع الأجسام، فعلى الأوّل نفى عليه السلام إطلاق هذا اللفظ عليه تعالى، بأنّ الجسم إنّما يطلق على الحقيقة التي يلزمها التقدير والتحديد، فكيف يطلق عليه تعالى؟

وقوله: «يَجْرِي مَجْرىً وَاحِدٍ» إشارة إلى عينيّة الصفات، وكون الذات

---

(١) الاحتجاج: ٢/١٥٥ * الكافي الشريف: ١/١٠٦، عن علي بن العباس عن الحسن بن عبد الرحمٰن.

(٢) * التوحيد: ١٠٠، وفيه الحسن بن عبد الرحمٰن الحماني.

قائمة مقامها ، فنفى عليه السلام كون الكلام كذلك ، ثمّ نبّه على بطلان ما يوهم كلامه من كون الكلام من أسباب وجود الأشياء ، فلفظة (كُنْ) في الآية الكريمة كناية عن تسخيره للأشياء وانقيادها له من غير توقّف على التكلّم بها ، ثمّ نفى عليه السلام كون الإرادة على نحو إرادة المخلوقين من خطور بال ، أو تردّد في نفس .

ويحتمل أن يكون المقصود بما نسب إلى هشام كون الصفات كلّها مع زيادتها مشتركة في عدم الحدوث والمخلوقيّة ، فنفاه عليه السلام بإثبات المغايرة أوّلاً ، ثمّ بيان أنّ كلّ شيء سواه مخلوق ، والأوّل أظهر ، ولفظة « تَكُون » يمكن أن تقرأ على المعلوم ، وعلى المجهول من باب التفعيل .

(١٦٧٢) **٢٠ ـ الاحتجاج** : عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : لَا أَقُولُ : إِنَّهُ قَائِمٌ فَأُزِيلَهُ عَنْ مَكَانٍ ، وَلَا أَحُدُّهُ بِمَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ ، وَلَا أَحُدُّهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَرْكَانِ وَالْجَوَارِحِ ، وَلَا أَحُدُّهُ بِلَفْظِ شَقِّ فَمٍ ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ فِي نَفْسٍ ، صَمَداً فَرْداً ، لَمْ يَحْتَجْ إِلىٰ شَرِيكٍ يُدَبِّرُ لَهُ مُلْكَهُ ، وَلَا يَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ عِلْمِهِ (٢) .

بيان : « فَأُزِيلَهُ عَنْ مَكَانٍ » أي فأقول : إنّه يجوز أن يزول ويتحرّك من مكان إلى آخر ، فيلزم مع كونه تعالى جسماً محتاجاً تبدّل الأحوال عليه ، أو المعنى أنّ القيام نسبة إلى المكان يخلو بعض المكان عن بعض القائم

---

(١) سورة يس : ٨٢.

(٢) الاحتجاج : ١٥٤/٢ * الكافي الشريف : ١٢٥/١ * التوحيد : ١٨٣ .

عنه، وشغل بعضه ببعضه، مع أنّ نسبته تعالى إلى جميع الأمكنة على السواء، ولا يشتغل به مكان.

وقوله: «فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَرْكَانِ» أي بشيء من الأعضاء «وَالْجَوَارِح»، ويحتمل أن يكون (في) بمعناه ويكون المراد بها الحركة الكمّيّة.

وقوله عليه السلام: «بِلَفْظِ شَقِّ فَمٍ» أي بكلمة تخرج من فلقة الفم عند تكلّمه بها.

(١٦٧٣) ٢١ ـ **تفسير القمّيّ**: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أُسَيْدٍ [١]، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَيُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَتَاهَتْ هُنَالِكَ عُقُولُهُمْ، وَاسْتَخَفَّتْ حُلُومُهُمْ، فَضَرَبُوا لَهُ الْأَمْثَالَ، وَجَعَلُوا لَهُ أَنْدَاداً، وَشَبَّهُوهُ بِالْأَمْثَالِ، وَمَثَّلُوهُ أَشْبَاهاً، وَجَعَلُوهُ يَزُولُ وَيَحُولُ، فَتَاهُوا فِي بَحْرٍ عَمِيقٍ لَا يَدْرُونَ مَا غَوْرُهُ، وَلَا يُدْرِكُونَ كَمِّيَّةَ بُعْدِهِ [٣].

---

(١) أقول: الصحيح كما في نسخة من تفسير عليّ بن إبراهيم: الحسن بن أسد، وفي نسخة أُخرى منه الحسين بن أسيد، ولعلّ كلمة (أسيد) تصحيف لأسد، أورد الشيخ في رجاله الحسن بن أسد البصريّ في أصحاب الرضا عليه السلام، والحسين بن أسد في أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام، واحتمل الميرزا وغيره اتّحادهما.

(٢) وفي نسخة: وسمّي بهذه الأسماء.

(٣) تفسير القمي: ٢/٣٦١، وفيه في آخره: ولا يدركون كنه بعده.

(١٦٧٤) ٢٢ ـ **قرب الإسناد** : ابْنُ عِيسىٰ ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، هُمْ يَقُولُونَ فِي الصِّفَةِ ؟ فَقَالَ لِي هُوَ ابْتِدَاءً : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ أَوْقَفَهُ جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَوْقِفاً لَمْ يَطَأْهُ أَحَدٌ قَطُّ ، فَمَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبَّ ، فَوَقَّفْتُهُ عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! دَعْ ذَا لَا يَنْفَتِحُ عَلَيْكَ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ (١) .

بيان : « فَقَالَ لِي هُوَ ابْتِدَاءً » أي من غير أن أذكر ما وصفوه من التشبيه « فَوَقَّفْتُهُ عَلَى التَّشْبِيهِ » أي فذكرت له ما يقولون في التشبيه ، فأجابه عليه السلام بتنزيهه تعالى عن ذلك ، ونهاه عن القول بذلك ، والتفكّر فيه ، لئلّا ينفتح عليه من ذلك أمر عظيم ، هو الكفر والخروج عن الدين .

(١٦٧٥) ٢٣ ـ **التوحيد** : الْمُفَسِّرُ بِإِسْنَادِهِ إِلىٰ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : قَامَ رَجُلٌ إِلَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ لَهُ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ! صِفْ لَنَا رَبَّكَ ؟ فَإِنَّ مَنْ قِبَلَنَا قَدِ اخْتَلَفُوا عَلَيْنَا ، فَقَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّهُ مَنْ يَصِفُ رَبَّهُ بِالْقِيَاسِ لَا يَزَالُ الدَّهْرَ فِي الالْتِبَاسِ ، مَائِلاً عَنِ الْمِنْهَاجِ ، ظَاعِناً فِي الاعْوِجَاجِ ، ضَالّاً عَنِ السَّبِيلِ ، قَائِلاً غَيْرَ الْجَمِيلِ ، أُعَرِّفُهُ بِمَا عَرَّفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ، وَأَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ صُورَةٍ : لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ ، مَعْرُوفٌ بِغَيْرِ تَشْبِيهٍ (٢) ، وَمُتَدَانٍ فِي بُعْدِهِ لَا بِنَظِيرٍ ، لَا يُمَثَّلُ بِخَلِيقَتِهِ ، وَلَا

---

(١) قرب الإسناد : ٣٥٧ ، وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

(٢) في نسخة : معروف بغير شبيه ، وفي أخرى : معروف بغير تنبيه .

يَجُوزُ فِي قَضِيَّتِهِ ، الْخَلْقُ إِلىٰ مَا عَلِمَ مُنْقَادُونَ ، وَعَلىٰ مَا سَطَرَ فِي الْمَكْنُونِ مِنْ كِتَابِهِ مَاضُونَ ، لَا يَعْمَلُونَ خِلَافَ مَا عَلِمَ مِنْهُمْ وَلَا غَيْرَهُ يُرِيدُونَ ، فَهُوَ قَرِيبٌ غَيْرُ مُلْتَزِقٍ ، وَبَعِيدٌ غَيْرُ مُتَقَصٍّ ، يُحَقَّقُ وَلَا يُمَثَّلُ ، وَيُوَحَّدُ وَلَا يُبَعَّضُ ، يُعْرَفُ بِالْآيَاتِ ، وَيُثْبَتُ بِالْعَلَامَاتِ ، فَلَا إِلٰهَ غَيْرُهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ.

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ كَلَامٍ آخَرَ تَكَلَّمَ بِهِ: حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَ: مَا عَرَفَ اللَّهَ مَنْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ ، وَلَا وَصَفَهُ بِالْعَدْلِ مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ (١) .

بيان: الظعن: السير والتقصّي: البعد وبلوغ الغاية. «يُحَقَّق» على المجهول أي يثبت وجوده ولا يمثّل أي لا يوجد كنهه في الذهن.

(١٦٧٦) ٢٤ ـ روضة الواعظين: رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَيْنَ الْمَعْبُودُ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يُقَالُ لَهُ: أَيْنَ ؛ لِأَنَّهُ أَيَّنَ الْأَيْنِيَّةَ ، وَلَا يُقَالُ لَهُ: كَيْفَ ؛ لِأَنَّهُ كَيَّفَ الْكَيْفِيَّةَ ، وَلَا يُقَالُ لَهُ: مَا هُوَ ؟ لِأَنَّهُ خَلَقَ الْمَاهِيَّةَ ، سُبْحَانَهُ مِنْ عَظِيمٍ تَاهَتِ الْفِطَنُ فِي تَيَّارِ أَمْوَاجِ عَظَمَتِهِ (٢) ، وَحَصِرَتِ الْأَلْبَابُ عِنْدَ ذِكْرِ أَزَلِيَّتِهِ ، وَتَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ فِي أَفْلَاكِ

---

(١) التوحيد: ٤٧.
وسنده كالحسن ـ بل حسن ـ المفسر الاسترابادي وابن زياد وابن سيار مر ذكرهم في الحديث: ١٥٢٥.
(٢) التيّار: موج البحر الهائج.

مَلَكُوتِهِ (١) .

(١٦٧٧) ٢٥ ـ وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضاً عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ قَالَ : اتَّقُوا أَنْ تُمَثِّلُوا بِالرَّبِّ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ ، أَوْ تُشَبِّهُوهُ مِنْ خَلْقِهِ ، أَوْ تُلْقُوا عَلَيْهِ الْأَوْهَامَ ، أَوْ تُعْمِلُوا فِيهِ الْفِكَرَ ، وَتَضْرِبُوا لَهُ الْأَمْثَالَ ، أَوْ تَنْعَتُوهُ بِنُعُوتِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَإِنَّ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَاراً (٢) .

(١٦٧٨) ٢٦ ـ **التوحيد** : الدَّقَّاقُ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ ظُهَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَرِيرٍ الْعَبْدِيِّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحَسُّ ، وَلَا يُجَسُّ ، وَلَا يُمَسُّ ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْوَهْمُ ، وَلَا تَصِفُهُ الْأَلْسُنُ ، فَكُلُّ شَيْءٍ حَسَّتْهُ الْحَوَاسُّ ، أَوْ جَسَّتْهُ الْجَوَاسُّ (٣) ، أَوْ لَمَسَتْهُ الْأَيْدِي ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ حَيْثُ مَا يُبْتَغىٰ يُوجَدُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، كَانَ لَمْ يُوجَدْ لِوَصْفِهِ كَانَ (٤) ، بَلْ كَانَ أَزَلاً كَانَ كَائِناً (٥) ، لَمْ يُكَوِّنْهُ مُكَوِّنٌ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، بَلْ كَوَّنَ الْأَشْيَاءَ

---

(١) روضة الواعظين : ٣٧ .

(٢) روضة الواعظين : ٣٧ .

(٣) جسّ الأخبار والأمور : بحث عنها ، الجواسّ : هي الحواسّ الخمس .

(٤) وفي نسخة : كان لا يوجد لوصفه كان .

(٥) وفي نسخة : بل كان أوّلاً كان كائناً .

قَبْلَ كَوْنِهَا فَكَانَتْ كَمَا كَوَّنَهَا ، عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ كَانَ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ ، وَلَمْ يَنْطِقْ فِيهِ نَاطِقٌ ، فَكَانَ إِذْ لَا كَانَ (١) .

بيان : نفي كان إمّا لإشعاره بالحدوث كما مرّ ، أو لعدم كونه زمانيّاً بناء على أنّ الزمان يخصّ المتغيّرات ، ويدلّ الخبر على حدوث العالم.

(١٦٧٩) ٢٧ ـ **التوحيد** : الدَّقَّاقُ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْبَغْدَادِيِّ ، عَنْ سَهْلٍ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : إِلٰهِي تَاهَتْ أَوْهَامُ الْمُتَوَهِّمِينَ ، وَقَصُرَ طَرْفُ الطَّارِفِينَ ، وَتَلَاشَتْ أَوْصَافُ الْوَاصِفِينَ ، وَاضْمَحَلَّتْ أَقَاوِيلُ الْمُبْطِلِينَ عَنِ الدَّرْكِ لِعَجِيبِ شَأْنِكَ ، أَوِ الْوُقُوعِ بِالْبُلُوغِ إِلىٰ عُلُوِّكَ ، فَأَنْتَ الَّذِي لَا تَتَنَاهىٰ ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَيْكَ عُيُونٌ بِإِشَارَةٍ وَلَا عِبَارَةٍ ، هَيْهَاتَ ثُمَّ هَيْهَاتَ ، يَا أَوَّلِيُّ ، يَا وَحْدَانِيُّ ، يَا فَرْدَانِيُّ ، شَمَخْتَ فِي الْعُلُوِّ بِعِزِّ الْكِبْرِ ، وَارْتَفَعْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَوْرَةٍ وَنِهَايَةٍ بِجَبَرُوتِ الْفَخْرِ (٢) .

بيان : «أَوِ الْوُقُوعِ» أي عليك ، ويحتمل تعلّق قوله : «بِالْبُلُوغِ» بـ«الْوُقُوعِ» بأن تكون الباء ظرفيّة ، ويحتمل أيضاً تنازع الوقوع والبلوغ في قوله : «إِلىٰ عُلُوِّكَ ، فَأَنْتَ الَّذِي لَا تَتَنَاهىٰ» أي ليس لمعرفتك ومعرفة صفاتك حدود تنتهي إليها ، أو لعلمك وقدرتك ورحمتك وغيرها نهاية

---

(١) التوحيد : ٥٩.

(٢) التوحيد : ٦٦ ، ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى البغدادي لم أتبينه ، ولعله تصحيف موسى بن جعفر بن وهب البغدادي مشهور لم يستثنَ من نوادر الحكمة ، وسهل بن زياد من الكبار ، راجع ملحق : ٩

تقف عندها ، والمراد بالعيون الجواسيس ، أو بالفتح بمعنى حديد البصر إن ساعده الاستعمال ، وإذا حمل على العيون جمع العين بمعنى الباصرة ، فإسناد العبارة إليها مجازيّ، ويحتمل أن تكون العبارة متعلّقة بقوله: «لَا تَتَنَاهىٰ» على اللفّ والنشر غير المرتّب، وشمخ: علا وطال، والغورك القعر من كلّ شيء ، أي ارتفعت عن أن يدرك كنه ذاتك وصفاتك بالوصول إلى غور الأفكار ونهايتها بسبب جبروت وعظمة ذاتيّة توجب الفخر.

(١٦٨٠) **٢٨ ـ التوحيد** : ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنِ السَّعْدَآبَادِيِّ ، عَنِ الْبَرْقِيِّ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ : مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِالْمَكَانِ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهىٰ عَنْهُ فَهُوَ كَاذِبٌ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ ﴾ (١) .

(١٦٨١) **٢٩ ـ التوحيد** : الْفَامِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ ، وَمَنْ أَنْكَرَ قُدْرَتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ (٢) .

(١٦٨٢) **٣٠ ـ التوحيد** : الْفَامِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ

---

(١) سورة النحل : ١٠٥ * التوحيد : ٦٨ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، والسعدآبادي من كبار مشايخ الإجازة ، ومن أساتذة ابن قولويه ، ومربي الزراري .
(٢) التوحيد : ٧٦ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

ابْنِ عِيسىٰ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لَا يُشْبِهُ شَيْئاً ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْوَهْمِ فَهُوَ بِخِلَافِهِ (١) .

قال الصدوق رحمه اللّه : الدليل على أنّ اللّه سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه من جهة من الجهات أنّه لا جهة لشيء من أفعاله إلّا محدثة ، ولا جهة محدثة إلّا وهي تدلّ على حدوث من هي له ، فلو كان اللّه جلّ ثناؤه يشبه شيئاً منها لدلّت على حدوثه من حيث دلّت على حدوث من هي له ؛ إذ المتماثلان في العقول يقتضيان حكماً واحداً من حيث تماثلا منها ، وقد قام الدليل على أنّ اللّه عزّ وجلّ قديم ، ومحال أن يكون قديماً من جهة حادثاً من أُخرى ، ومن الدليل على أنّ اللّه تبارك وتعالى قديم أنّه لو كان حادثاً لوجب أن يكون له محدث ؛ لأنّ الفعل لا يكون إلّا بفاعل ، ولكان القول في محدثه كالقول فيه ، وفي هذا وجود حادث قبل حادث لا إلى أوّل ، وهو محال ، فيصحّ أنّه لا بدّ من صانع قديم ، وإذا كان ذلك كذلك ، فالذي يوجب قِدم ذلك الصانع ويدلّ عليه يوجب قِدم صانعنا ويدلّ عليه (٢) .

(١٦٨٣) ٣١ ـ **التوحيد** : ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ ، عَنِ ابْنِ أَبَانٍ ، عَنِ ابْنِ أُورَمَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ ظُهَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُوَيْنٍ

---

(١) التوحيد : ٨٠ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) رحمة الله وبركاته على الشيخ الصدوق قدس سره ، من خلال ما قاله هٰهنا ـ وغيره ـ يعلم مدى العمق الكلامي الذي كان يمتاز به ، وأنه من الملهمين والمبدعين .

الْعَبْدِيِّ (١) ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحَسُّ ، وَلَا يُجَسُّ ، وَلَا يُمَسُّ ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْوَهْمُ ، وَلَا تَصِفُهُ الْأَلْسُنُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ حَسَّتْهُ الْحَوَاسُّ ، أَوْ لَمَسَتْهُ الْأَيْدِي ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَوَّنَ الْأَشْيَاءَ فَكَانَتْ كَمَا كَوَّنَهَا ، وَعَلِمَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ (٢) .

(١٦٨٤) **٣٢ ـ التوحيد**: الْهَمَذَانِيُّ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الْقَاسِمِ (٣) ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِبْرَاهِيمَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ يُكَلِّمُ رَاهِباً مِنَ النَّصَارىٰ فَقَالَ لَهُ فِي بَعْضِ مَا نَاظَرَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحَدَّ بِيَدٍ أَوْ رِجْلٍ ، أَوْ حَرَكَةٍ أَوْ سُكُونٍ ، أَوْ يُوصَفَ بِطُولٍ أَوْ قِصَرٍ ، أَوْ تَبْلُغَهُ الْأَوْهَامُ ، أَوْ تُحِيطَ بِصِفَتِهِ الْعُقُولُ ، أَنْزَلَ مَوَاعِظَهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ ، أَمَرَ بِلَا شَفَةٍ وَلَا لِسَانٍ ، وَلَكِنْ كَمَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ: كُنْ فَكَانَ خَيْراً كَمَا أَرَادَ فِي اللَّوْحِ (٤) .

(١٦٨٥) **٣٣ـالتوحيد**: حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ،

---

(١) في نسخة من التوحيد: «جون» بدلاً عن «جوين» ، وتقدّم الحديث بإسناد آخر تحت رقم ٢٦ هٰهنا ، وفيه: عبد اللّٰه بن جرير العبديّ.

(٢) التوحيد : ٥٩ ، وسنده إلى العبدي حسن ، ابن الحكم بن ظهير ذكره النجاشي في أصحابنا المصنفين ، قال عنه الذهبي : شيعي جلد ، وقال أبو حاتم : كذاب ، روى في مثالب معاوية فمزقنا ما كتبناه عنه .

(٣) هو قاسم بن يحيى وجده الحسن بن راشد.

(٤) التوحيد : ٧٥ ، ورجال السند إلى يعقوب بن جعفر بين ثقة وممدوح ، ويعقوب هو ابن جعفر بن إبراهيم الجعفري .

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسىٰ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيم ، قَالَ : وَصَفْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْلَ هِشَامِ الْجَوَالِيقِيِّ ، وَمَا يَقُولُ فِي الشَّابِّ الْمُوفِقِ ، وَوَصَفْتُ لَهُ قَوْلَ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ (١) .

بيان: « الْـمُوفِق » هو الذي أعضاؤه موافقة لحسن الخلقة ، أو المستوي ، من قولهم : أوفقت الإبل : إذا اصطفّت واستوت ، وقيل : إنّه تصحيف الريق أي ذا البهجة والبهاء ، وقيل : هو تصحيف الموقّف بتقديم القاف بمعنى المزيّن ، فإنّ الوقف سوار من عاج ، ووقّفت يديها بالحناء : نقّطتها ، ويحتمل أن يكون تصحيف المُونِق (٢) .

(١٦٨٦) ٣٤ـ**التوحيد** : ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنِ الصَّفَّارِ ، عَنْ سَهْلٍ ، عَنْ حَمْزَةَ ابْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : كَتَبْتُ إِلىٰ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلامُ : سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ (٣) .

التوحيد : العطّار ، عن أبيه ، عن سهل ، عن بعض أصحابه ... مثله (٤) .

---

(١) التوحيد : ٩٧ ، وسيأتي بإسناد آخر مفصّلاً حديث : ٣٧ هٰهنا . وسنده صحيح ،رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) الموتق : الحسن المعجب .

(٣) التوحيد : ٩٧ ، وسنده إلى حمزة بن محمد حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وسهل بن زياد من الكبار والأجلاء ، راجع ملحق : ٩ .

(٤) التوحيد : ١٠٢ ، وعبارة « بعض أصحابنا » تقتضي المدح والثناء .

التوحيد : العطّار ، عن أبيه ، عن سهل ، عن حمزة بن محمّد إلى قوله : شيء [١] .

أقول : رواه الكراجكيّ ، عن الحسين بن عبيد اللّه الواسطيّ ، عن التلعكبريّ ، عن الكلينيّ ، عن محمّد بن الحسن ، عن سهل [٢] .

(١٦٨٧) ٣٥ـ التوحيد : أَبِي ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيىٰ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ يَرْوِي عَنْكُمْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ جِسْمٌ صَمَدِيٌّ نُورِيٌّ ، مَعْرِفَتُهُ ضَرُورَةٌ ، يَمُنُّ بِهَا عَلىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : سُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ ! ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٣] ، لَا يُحَدُّ ، وَلَا يُحَسُّ ، وَلَا يُجَسُّ ، وَلَا يُمَسُّ ، وَلَا يُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ ، لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ ، وَلَا تَخْطِيطٌ وَلَا تَحْدِيدٌ [٤] .

بيان : « مَعْرِفَتُهُ ضَرُورَةٌ » أي تقذف في القلب من غير اكتساب ، أو تحصل بالرويّة ، تعالى اللّه عن ذلك ، وقد يؤوّل كلامه بأنّ مراده بالجسم الحقيقة العينيّة القائمة بذاتها لا بغيرها ، وبالصمديّ : ما لا يكون خالياً في

---

(١) التوحيد : ١٠٢ .
(٢) كنز الفوائد : ١٩٩ .
(٣) وفي نسخة : وهو السميع العليم .
(٤) التوحيد : ٩٨ * الكافي الشريف : ١/١٠٤ .
وسنده معتبر حسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام ، سوى بن أبي حمزة البطائني منحرف الاعتقاد معتمد الرواية ، وقد قاطعه الأصحاب بعد وقفه .

ذاته عن شيء، فيستعدّ أن يدخل هو فيه، أو مشتملاً على شيء يصحّ عليه خروجه عنه، وبالنوريّ: ما يكون صافياً عن ظلم المواد وقابليّاتها، بل عن الماهيّة المغايرة للوجود وقابليّاتها له.

(١٦٨٨) **٣٦ ـ التوحيد**: الدَّقَّاقُ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيِّ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَّادٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ ظَبْيَانَ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ يَقُولُ قَوْلاً عَظِيماً، إِلَّا أَنِّي أَخْتَصِرُ لَكَ مِنْهُ أَحْرُفاً، يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ؛ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ شَيْئَانِ: جِسْمٌ وَفِعْلُ الْجِسْمِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الصَّانِعُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: وَيْلَهُ! أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ مُتَنَاهٍ، وَالصُّورَةَ مَحْدُودَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ، فَإِذَا احْتَمَلَ الْحَدَّ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ، وَإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ كَانَ مَخْلُوقاً.

قَالَ: قُلْتُ: فَمَا أَقُولُ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ، وَهُوَ مُجَسِّمُ الْأَجْسَامِ، وَمُصَوِّرُ الصُّوَرِ، لَمْ يَتَجَزَّأْ وَلَمْ يَتَنَاهَ، وَلَمْ يَتَزَايَدْ وَلَمْ يَتَنَاقَصْ، لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فَرْقٌ، وَلَا بَيْنَ الْمُنْشِئِ وَالْمُنْشَإِ، لَكِنْ هُوَ الْمُنْشِئُ، فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ جَسَّمَهُ وَصَوَّرَهُ وَأَنْشَأَهُ؛ إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُشْبِهُ هُوَ شَيْئاً (١).

---

(١) التوحيد: ٩٩ * الكافي الشريف: ١/١٠٦، وسنده حسن، رجاله ثقات أجلاء عيون،

إيضاح : استدلّ عليه السلام على نفي جسميّته تعالى بأنّه لو كان جسماً لكان محدوداً بحدود متناهياً إليها لاستحالة لا تناهي الأبعاد ، وكلّ محتمل للحدّ قابل للانقسام بأجزاء متشاركة في الاسم والحدّ ، فله حقيقة كلّيّة غير متشخّصة بذاتها ، ولا موجودة بذاتها ، أو هو مركّب من أجزاء ، حال كلّ واحد منها ما ذكر ، فيكون مخلوقاً ، أو بأنّ كلّ قابل للحدّ والنهاية قابل للزيادة والنقصان ، لا يتأبّى عنهما في حدّ ذاته ، وإن استقرّ على حدّ معيّن ، فإنّما استقرّ عليه من جهة جاعل.

ثمّ استدلّ عليه السلام بوجه آخر ، وهو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى شأناً ، وأرفع قدراً من الموجد ، وعدم المشابهة والمشاركة بينهما ، وإلّا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلّة دون الآخر ؟ وكيف صار هذا موجداً لهذا بدون العكس ؟ ويحتمل أن يكون المراد عدم المشاركة والمشابهة فيما يوجب الاحتياج إلى العلّة فيحتاج إلى علّة أُخرى.

قوله : « فَرْقٌ » بصيغة المصدر ، أي الفرق حاصل بينه وبين من صوّره ، ويمكن أن يقرأ على الماضي المعلوم.

(١٦٨٩) ٣٧ـالتوحيد : عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ

سوى بكر بن صالح الرازي ، ذكره النجاشي فقال : « ضعيف له كتاب نوادر يرويه عدة من أصحابنا » ، وذكره الشيخ فلم يقدح فيه ، وهو من رواة نوادر الحكمة ولم تستثن روايته ، واعتمد عليه الصدوق في الفقيه ، وله روايات كثيرة في الكتب الأربعة معمول بها ، كما روى عنه عدة من الثقات والأعلام الكبار كالحسين بن سعيد الاهوازي وعلي بن مهزيار وأحمد بن محمد بن عيسى والحسن بن ظريف ، وقول النجاشي « له كتاب يرويه عدة من أصحابنا » من أمارة المدح كما لا يخفى ، وتضعيفه له إنما بسبب الغلو المتوهم ، ولما قاله الغضائري من كونه كثير التفرد بالغرائب ، ومنه تعرف أن التضعيف غير منصب على ذاته ، وصالح بن أبي حماد كان الفضل بن شاذان يرتضيه ويمدحه ، ويونس بن ظبيان من الكبار ، راجع ملحق : ١٠ .

اللَّهِ الْبَرْقِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ أَحْمَدَ ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ ، قَالَ : وَصَفْتُ لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْلَ هِشَامٍ الْجَوَالِيقِيِّ ، وَحَكَيْتُ لَهُ قَوْلَ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ إِنَّهُ جِسْمٌ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ ، أَيُّ فُحْشٍ ـ أَوْ خَناً ـ أَعْظَمُ مِنْ قَوْلِ مَنْ يَصِفُ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ بِجِسْمٍ أَوْ صُورَةٍ ، أَوْ بِخِلْقَةٍ ، أَوْ بِتَحْدِيدٍ وَأَعْضَاءٍ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً (١) .

بيان : الخنا : الفحش في القول ، ويحتمل أن يكون الترديد من الراوي .

(١٦٩٠) **٣٨ـ التوحيد** : ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ ، عَنْ سَهْلٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْقَاسَانِيِّ ، قَالَ : كَتَبْتُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَنَّ مَنْ قِبَلَنَا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي التَّوْحِيدِ ، قَالَ : فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلامُ : سُبْحَانَ مَنْ لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢) .

(١٦٩١) **٣٩ـ التوحيد** : مَاجِيلَوَيْهِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ ، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ ،

---

(١) التوحيد : ٩٩ * الكافي الشريف : ١/١٠٥ .
وسنده كالحسن بل حسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، علي بن أحمد من مشايخ الصدوق وقد ترضى وترحم عليه كثيراً ، أبوه لم أجد من عقد له ترجمة ، واعتماد الصدوق عليه فيه اقتضاء المدح ، كما قد أكثر الكليني في الرواية عنه في كتابه الشريف الكافي ، وهو قابل للتعويض بأسانيد صحيحة ، فإن كل كتب وروايات أحمد بن محمد البرقي يرويها ابن الوليد والصدوق قدس سره يروي كل كتب وروايات ابن الوليد ، وكذا الأمر في كل كتب وروايات ابن أبي نصر البزنطي ، وقد رواه الكليني قدس سره بسند آخر عن البزنطي .
(٢) التوحيد : ١٠٠ * الكافي الشريف : ١/١٠٢ .
وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وسهل من الكبار ، راجع ملحق : ٩ .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُوسىٰ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ جَرِيشٍ الرَّازِيِّ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا ، عَنِ الطَّيِّبِ ـ يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ ـ وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُمَا قَالا : مَنْ قَالَ بِالْجِسْمِ فَلَا تُعْطُوهُ مِنَ الزَّكَاةِ ، وَلَا تُصَلُّوا وَرَاءَهُ[1] .

(١٦٩٢) ٤٠ ـ كفاية الأثر : أَبُو الْمُفَضَّلِ الشَّيْبَانِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُطَوَّقِ ابْنِ سَوَّارٍ ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، عَنْ عَبْدِ الْغَفَّارِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَدِمَ يَهُودِيٌّ عَلىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُقَالُ لَهُ : نَعْثَلٌ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ تَلَجْلَجُ فِي صَدْرِي مُنْذُ حِينٍ ، فَإِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنِي عَنْهَا أَسْلَمْتُ عَلىٰ يَدِكَ ، قَالَ : سَلْ يَا أَبَا عُمَارَةَ ! فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! صِفْ لِي رَبَّكَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ الْخَالِقَ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَكَيْفَ يُوصَفُ الْخَالِقُ الَّذِي يَعْجِزُ الْحَوَاسُّ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ ، وَالْخَطَرَاتُ أَنْ تَحُدَّهُ ، وَالْأَبْصَارُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ ؟ جَلَّ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ ، نَأىٰ فِي قُرْبِهِ ، وَقَرُبَ فِي نَأْيِهِ ، كَيَّفَ الْكَيْفِيَّةَ فَلَا يُقَالُ لَهُ : كَيْفَ ، وَأَيَّنَ الْأَيْنَ فَلَا يُقَالُ لَهُ : أَيْنَ ، هُوَ مُنْقَطِعُ الْكَيْفُوفِيَّةِ وَالْأَيْنُونِيَّةِ ، فَهُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ، وَالْوَاصِفُونَ لَا يَبْلُغُونَ نَعْتَهُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ .

قَالَ : صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ : إِنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَبِيهَ لَهُ ،

(١) التوحيد : ١٠١ * من لا يحضره الفقيه : ١/ ٣٧٩ .

أَلَيْسَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ ، فَوَحْدَانِيَّتُهُ أَشْبَهَتْ وَحْدَانِيَّةَ الْإِنْسَانِ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: اللَّهُ وَاحِدٌ وَأَحَدِيُّ الْمَعْنىٰ ، وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ ثَنَوِيُّ الْمَعْنىٰ ، جِسْمٌ وَعَرَضٌ وَبَدَنٌ وَرُوحٌ ، فَإِنَّمَا التَّشْبِيهُ فِي الْمَعَانِي لَا غَيْرُ.

قَالَ: صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ (١) .

(١٦٩٣) ٤١ـ**التوحيد**: ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ ، عَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسىٰ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَبَّاسِيِّ ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ ـيَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَمَرَنِي بَعْضُ مَوَالِيكَ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، قَالَ: وَمَنْ هُوَ ؟ قُلْتُ: الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: وَفِي أَيِّ شَيْءٍ الْمَسْأَلَةُ ؟ قُلْتُ: فِي التَّوْحِيدِ، قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ؟ قَالَ: يَسْأَلُكَ عَنِ اللَّهِ جِسْمٌ أَوْ لَا جِسْمٌ؟ فَقَالَ لِي: إِنَّ لِلنَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةَ مَذَاهِبَ: إِثْبَاتٌ بِتَشْبِيهٍ ، وَمَذْهَبُ النَّفْيِ ، وَمَذْهَبُ إِثْبَاتٍ بِلَا تَشْبِيهٍ ، فَمَذْهَبُ الْإِثْبَاتِ بِتَشْبِيهٍ لَا يَجُوزُ ، وَمَذْهَبُ النَّفْيِ لَا يَجُوزُ ، وَالطَّرِيقُ فِي الْمَذْهَبِ الثَّالِثِ إِثْبَاتٌ بِلَا تَشْبِيهٍ (٢) .

(١٦٩٤) ٤٢ـ**التوحيد**: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ يَعْقُوبَ السَّرَّاجِ ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَزْعُمُ أَنَّ لِلَّهِ صُورَةً مِثْلَ الْإِنْسَانِ ، وَقَالَ آخَرُ:

---

(١) كفاية الأثر: ١٣ ، ثم بعد ذلك ذكر له صلى الله عليه وآله وصيه وأسماء الأئمة من بعده.
(٢) التوحيد: ١٠٠ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون.

إِنَّهُ فِي صُورَةِ أَمْرَدَ ، جَعْدٍ ، قَطَطٍ ، فَخَرَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ سَاجِداً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ! وَلا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمٌ ، لَمْ يَلِدْ لِأَنَّ الْوَلَدَ يُشْبِهُ أَبَاهُ ، وَلَمْ يُولَدْ فَيُشْبِهَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ كُفُواً أَحَدٌ ، تَعَالىٰ عَنْ صِفَةِ مَنْ سِوَاهُ عُلُوّاً كَبِيراً (١) .

بيان: الجعد ضدّ السبط ، قال الجزريّ في صفة شعره عليه السلام: ليس بالسبط ولا الجعد، القطط: السبط من الشعر المنبسط المسترسل ، والقطط: الشديدة الجعودة.

(١٦٩٥) ٤٣ ـ **رجال الكشّيّ**: مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُمِّيِّ ، عَنِ الْبَرْقِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسىٰ (٢) ، عَنْ إِسْكِيبِ ابْنِ أَحْمَدَ الْكَيْسَانِيِّ (٣) ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامِ الْخَيَّاطِ ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ: أَسْأَلُكَ ـ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ ـ قَالَ: سَلْ يَا جَبَلِيُّ عَمَّا ذَا تَسْأَلُنِي ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ ، زَعَمَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صُورَةً ، وَأَنَّ آدَمَ خُلِقَ عَلىٰ مِثَالِ الرَّبِّ ، فَيَصِفُ هَذَا وَيَصِفُ

---

(١) التوحيد: ١٠٣.
وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون.
(٢) الظاهر هو أبو جعفر السمّان الهمدانيّ الذي قال النجاشيّ في حقّه: ضعّفه القمّيّون بالغلوّ ، وكان ابن الوليد يقول: إنّه كان يضع الحديث ، والله أعلم.
أقول: حكي عن ابن الغضائريّ أيضاً تضعيفه ، وأنّه يروي عن الضعفاء ، ويجوز أن يخرج شاهداً ، تكلّم القمّيّون فيه بالردّ ، واستثنوا من نوادر الحكمة ما رواه.
(٣) وهو تصحيف: اسكيب بن عبدك الكيسانيّ ، وفي أسانيد الكافي: اشكيب بن عبدة.

هَذَا ـ وَأَوْمَأْتُ إِلىٰ جَانِبِي ، وَشَعْرِ رَأْسِي ـ وَزَعَمَ يُونُسُ مَوْلىٰ آلِ يَقْطِينٍ وَهِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ أَنَّ اللَّهَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ ، وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ بَائِنَةٌ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ بَائِنٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وَزَعَمَا أَنَّ إِثْبَاتَ الشَّيْءِ أَنْ يُقَالَ جِسْمٌ ، فَهُوَ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ ، شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ ، ثَابِتٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ مَفْقُودٍ وَلَا مَعْدُومٍ ، خَارِجٌ عَنِ الْحَدَّيْنِ : حَدِّ الْإِبْطَالِ وَحَدِّ التَّشْبِيهِ ، فَبِأَيِّ الْقَوْلَيْنِ أَقُولُ ؟ قَالَ : فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَرَادَ هَذَا الْإِثْبَاتَ ، وَهَذَا شَبَّهَ رَبَّهُ تَعَالىٰ بِمَخْلُوقٍ ، تَعَالَى اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شِبْهٌ وَلَا مِثْلٌ ، وَلَا عِدْلٌ وَلَا نَظِيرٌ ، وَلَا هُوَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، لَا تَقُلْ بِمِثْلِ مَا قَالَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ ، وَقُلْ بِمَا قَالَ مَوْلىٰ آلِ يَقْطِينٍ وَصَاحِبُهُ.

قَالَ : فَقُلْتُ : يُعْطَى الزَّكَاةَ مَنْ خَالَفَ هِشَاماً فِي التَّوْحِيدِ ؟ فَقَالَ بِرَأْسِهِ : لَا(١).

بيان : «أَرَادَ هَذَا الْإِثْبَاتَ» أي يونس وهشام بن الحكم ، ولعلّه عليه السلام إنّما صوّب قولهما في المعنى لا في إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى ، ويظهر ممّا زعما من أنّ إثبات الشيء أن يقال جسم أنّ مرادهم بالجسم أعمّ من المعنى المصطلح كما مرّ.

(١٦٩٦) ٤٤ ـ التوحيد : مَاجِيلَوَيْهِ ، عَنْ عَمِّهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّيْرَفِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَمَّادٍ ، عَنِ الْمُفَضَّلِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لَا يُقْدَرُ قُدْرَتُهُ ، وَلَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ عَلىٰ

(١) رجال الكشي : ٢/٥٦٧.

صِفَتِهِ ، وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَ عِلْمِهِ ، وَلَا مَبْلَغَ عَظَمَتِهِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَهُ ، وَهُوَ نُورٌ لَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ ، وَصِدْقٌ لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ ، وَعَدْلٌ لَيْسَ فِيهِ جَوْرٌ ، وَحَقٌّ لَيْسَ فِيهِ بَاطِلٌ ، كَذٰلِكَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ أَبَدَ الْآبِدِينَ ، وَكَذٰلِكَ كَانَ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ ، وَلَا لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ ، وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ ، وَلَا نُجُومٌ وَلَا سَحَابٌ ، وَلَا مَطَرٌ وَلَا رِيَاحٌ ، ثُمَّ إِنَّ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً يُعَظِّمُونَ عَظَمَتَهُ ، وَيُكَبِّرُونَ كِبْرِيَاءَهُ ، وَيُجِلُّونَ جَلَالَهُ ، فَقَالَ : كُونَا ظِلَّيْنِ فَكَانَا كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ (١) .

قال الصدوق رحمه اللّٰه : معنى قوله : «هُوَ نُورٌ» أي هو منير وهادٍ ، ومعنى قوله : «كُونَا ظِلَّيْنِ» الروح المقدّس والملك المقرّب ، والمراد به أنّ اللّٰه كان ولا شيء معه ، فأراد أن يخلق أنبياءه وحججه وشهداءه ، فخلق قبلهم الروح المقدّس ، وهو الذي يؤيّد اللّٰه عزّ وجلّ به أنبياءه وشهداءه وحججه صلوات اللّٰه عليهم ، وهو الذي يحرسهم به من كيد الشيطان ووسواسه ، ويسدّدهم ويوفّقهم ويمدّهم بالخواطر الصادقة ، ثمّ خلق الروح الأمين الذي نزل على أنبيائه بالوحي منه عزّ وجلّ ، وقال لهما : «كُونَا ظِلَّيْنِ» ظليلين لأنبيائي ورسلي وحججي وشهدائي «فَكَانَا

---

(١) التوحيد : ١٢٨ ، وسنده حسن ، محمد بن علي هو أبو سمينة من الكبار ، راجع ملحق : ١١ ، وعلي بن حماد هو الأزدي قال العياشي : « علي بن حماد متهم ، وهو الذي يروي كتاب الأظلة » ، وقد روى عنه عثمان بن عيسى والحجال وعمرو بن سعيد ، وفي الكافي الشريف عنه عن المفضل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة ؟ فقال : يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا ، في ظلة خضراء ، نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا ، حتى بدا له في خلق الأشياء فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ، ثم أنهى علم ذلك إلينا » .

كَمَا قَالَ اللَّهُ» عزّ وجلّ ظلّين ظليلين لأنبيائه ورسله وحججه وشهدائه يعينهم بهما، وينصرهم على أيديهما، ويحرسهم بهما، وعلى هذا المعنى قيل للسلطان العادل: إنّه ظلّ اللّه في أرضه لعباده، يأوي إليه المظلوم، ويأمن به الخائف الوجل، ويأمن به السبل، وينتصر به الضعيف من القويّ (١)، وهذا هو سلطان اللّه وحجّته التي لا تخلو الأرض منه إلى أن تقوم الساعة (٢).

بيان: قوله عليه السلام: «وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَهُ» أي كذلك، أو كان كذلك حين لا شيء غيره، ويحتمل اتّصاله بما بعده، أي هو متّصف بتلك الأوصاف المذكورة بعد ذلك لا شيء غيره، وقوله عليه السلام: «كُونَا ظِلَّيْنِ» يحتمل أن يكون إشارة إلى خلق أرواح الثقلين، فإنّ الظلال تطلق على عالم الأرواح في الأخبار كما سيأتي، أو إلى الملائكة وأرواح البشر، أو إلى نور محمّد وعليّ صلوات اللّه عليهما، أو نور محمّد ونور أهل بيته عليهم السلام.

وَيُؤَيِّدُهُ مَا سَيَأْتِي فِي بَابِ بَدْءِ خَلْقِ أَرْوَاحِ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عَنْ

---

(١) وفي نسخة: وينتصف به الضعيف من القويّ.

(٢) التوحيد: ١٢٨.

ما ذكره الصدوق رحمه اللّه، وما أورده المصنّف في البيان، لا ينطبق شيء منهما على فقرات الرواية، والذي يظهر من الروايات الواردة في هذا اللسان أنّ المراد بقوله: ليس شيء غيره: أنّه الشيء بحقيقة الشيئيّة والوجود، كما يؤيّده الفقرات التاليات، والمراد بالظلّين: العالمين العلويّ والسفليّ، وهو المعنى المناسب لقوله: ليس شيء غيره (الطباطبائي).

قلت: تفسير الصدوق قدس سره لقوله «ليس شيء غيره» أي كان ولا شيء معه، هو المتبادر العرفي، لصحة اطلاق شيء على غيره تعالى، وإن كان ما قاله العلامة الطباطبائي قدس سره حق ويقين، فإن تمام الكمال بحقيقة الكمال له تعالى لا لغيره.

جَابِرٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ ، فَأَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ مِنْ خَلْقِ خَلْقَهُ أَنْ خَلَقَ مُحَمَّداً ، وَخَلَقَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَعَهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ ، فَأَوْقَفَنَا أَظِلَّةً خَضْرَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، حَيْثُ لَا سَمَاءَ وَلَا أَرْضَ ، وَلَا مَكَانَ ، وَلَا لَيْلَ وَلَا نَهَارَ ، وَلَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ ... الْخَبَرَ(١) .

وَعَنْ صَفْوَانَ ، عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ، فَأَمَرَ نُورَيْنِ مِنْ نُورِهِ فَطَافَا حَوْلَ الْعَرْشِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : هَذَانِ نُورَانِ لِي مُطِيعَانِ ، فَخَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَالْأَصْفِيَاءَ مِنْ وُلْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ(٢) .

وَعَنِ الثُّمَالِيِّ ، قَالَ : دَخَلَتْ حَبَابَةُ الْوَالِبِيَّةُ عَلَىٰ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَتْ : أَخْبِرْنِي ـ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ـ أَيَّ شَيْءٍ كُنْتُمْ فِي الْأَظِلَّةِ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : كُنَّا نُوراً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ قَبْلَ خَلْقِ خَلْقِهِ ... الْخَبَرَ(٣) .

ويحتمل أن يكون المراد بهما مادّتي السماء والأرض .

(١٦٩٧) ٤٥ ـ **تفسير القمّيّ** : أَبِي ، عَنِ الْبَزَنْطِيِّ ، عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : قَالَ لِي : يَا أَحْمَدُ ! مَا الْخِلَافُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَصْحَابِ هِشَامِ ابْنِ الْحَكَمِ فِي التَّوْحِيدِ ؟ فَقُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، قُلْنَا نَحْنُ بِالصُّورَةِ لِلْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَىٰ رَبَّهُ فِي صُورَةِ

(١) نقله المصنف كما سيأتي من كتاب رياض الجنان للفارسي .
(٢) نقله المصنف كما سيأتي من كتاب رياض الجنان للفارسي .
(٣) نقله المصنف كما سيأتي من كتاب رياض الجنان للفارسي .

شَابٌّ ، فَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ بِالنَّفْيِ بِالْجِسْمِ ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَبَلَغَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ ، خُرِقَ لَهُ فِي الْحُجُبِ مِثْلُ سَمِّ الْإِبْرَةِ ، فَرَأىٰ مِنْ نُورِ الْعَظَمَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرىٰ ، وَأَرَدْتُمْ أَنْتُمُ التَّشْبِيهَ ، دَعْ هَذَا ـ يَا أَحْمَدُ ـ لَا يَنْفَتِحُ عَلَيْكَ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ(١) .

بيان: «بِالنَّفْيِ» أي نفي الصورة مع القول بالجسم ، والمراد بالحجب إمّا الحجب المعنويّة ، وبالرؤية الرؤية القلبيّة ، أو الحجب الصوريّة ، فالمراد بنور العظمة آثار عظمته برؤية عجائب خلقه .

(١٦٩٨) ٤٦ ـ المحاسن: مُحَمَّدُ بْنُ عِيسىٰ ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْأَشْعَثُ بْنُ حَاتِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ ، فَقَالَ: أَلَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: اقْرَأْ: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ ﴾ فَقَرَأْتُ ، فَقَالَ: وَمَا الْأَبْصَارُ؟ قُلْتُ: أَبْصَارُ الْعَيْنِ ، قَالَ: لَا ، إِنَّمَا عَنَى الْأَوْهَامَ ، لَا تُدْرِكُ الْأَوْهَامُ كَيْفِيَّتَهُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ كُلَّ فَهْمٍ(٢) .

المحاسن: مُحَمَّدُ بْنُ عِيسىٰ ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ... نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: الْأَبْصَارُ هَاهُنَا أَوْهَامُ الْعِبَادِ ، وَالْأَوْهَامُ أَكْثَرُ

---

(١) تفسير القمي : ٢٠/١ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) المحاسن : ٢٣٩/١ .

ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى الأشعث لم أحد من ذكره ، والراوي عنه من كبار الأعاظم .

مِنَ الْأَبْصَارِ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَوْهَامَ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ (١) .

بيان: كون الأوهام أكثر؛ لأنّ البصر في الشخص متّحد ، وله واهمة ومتفكّرة ومتخيّلة وعاقلة ، وكثيراً ما يسلب عن الشخص البصر ، وتكون له تلك القوى ، ويحتمل أن يكون المراد بها أكثريّة مدركاتها ، فإنّها تدرك ما لا يدركه البصر أيضاً .

(١٦٩٩) ٤٧ ـ **تفسير العيّاشيّ**: عَنِ الثُّمَالِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : لَا يُوصَفُ اللَّهُ بِمُحْكَمِ وَحْيِهِ ، عَظُمَ رَبُّنَا عَنِ الصِّفَةِ ، وَكَيْفَ يُوصَفُ مَنْ لَا يُحَدُّ ؟ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَلا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (٢) .

بيان: أي دلّ محكم الآيات على أنّه لا يوصف كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ ﴾ .

أقول: قد مرّ كثير من الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع ، وباب النهي عن التفكّر ، وسيأتي بعضها في باب جوامع التوحيد ، وباب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على النصارى ، وباب الرؤية .

---

(١) المحاسن : ١/٢٣٩ ، وسنده صحيح .

(٢) تفسير العياشي : ١/٣٧٣ ، والذيل إشارة لقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ سورة الأنعام : ١٠٣ .

باب ١٤: نفي الزمان والمكان، والحركة والانتقال عنه تعالى وتأويل الآيات، والأخبار في ذلك (١)

(١٧٠٠) ١ ـ **الأمالي للصدوق**: السِّنَانِيُّ، عَنِ الْأَسَدِيِّ، عَنِ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَمِّهِ النَّوْفَلِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لَا يُوصَفُ بِزَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حَرَكَةٍ وَلَا انْتِقَالٍ وَلَا سُكُونٍ، بَلْ هُوَ خَالِقُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ وَالانْتِقَالِ، تَعَالىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً (٢).

(١٧٠١) ٢ ـ **الإرشاد والاحتجاج**: رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ جَاءَ إِلىٰ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّةِ (٣)؟ فَقَالَ: نَعَمْ،

---

(١) وفي الباب ٤٨ حديثاً.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٥٣، ح: ٤٣٠، وسنده معتبر كالحسن، موسى بن عمران النخعي هو راوي الزيارة الجامعة الكبيرة الشاملة لكمالات المعصومين عليهم السلام، ولم تتعرض له كتب الرجال، إلا أن تشريفه بهذه الزيارة من قبل الإمام عليه السلام، وتلقي الأصحاب لها ـ سيما الأعاظم من أهل قم المقدسة الذين كانت لديهم حساسية مفرطة فيمن يروي كمالات المعصومين عليهم السلام آنذاك ـ واعتماد الصدوق عليه في «الفقيه» وغيره، شاهد على علو شأنه وجلالة قدره وعلى أنه أهل للتحمل والأداء، والحسين بن يزيد النوفلي ذكره النجاشي فقال: «كان شاعراً أديباً، وقال قوم من القميين: إنه غلا في آخر عمره والله أعلم، وما رأينا له رواية تدل على هذا»، وهو راوي كتاب السكوني وقد أجمعت الطائفة على العمل به، وأكثر روايات السكوني ـ وهي كثيرة ـ في الكتب الأربعة وغيرها عن طريقه، كما قد روى عنه الصدوق في الفقيه ووقع في طريقه إلى يحيى بن عباد والسكوني، علي بن سالم هو علي بن أبي حمزة البطائني، قد أجمعت الطائفة على العمل برواياته، وقاطعه الأصحاب بعد وقفه، فهو مذموم من حيث الإعتقاد معتمد الحديث، ولم يقبل السيد الخوئي قدس سره بالإتحاد، ومهما كان الأمر فإن علي بن سالم قد روى عنه ابن أبي عمير وعثمان بن عيسى ويونس بن عبد الرحمٰن و علي بن أسباط، فحديثه على كل حال لا ينزل عن رتبة الحسن.

(٣) في نسخة: أنت خليفة رسول هذه الأمّة.

فَقَالَ: إِنَّا نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ خُلَفَاءَ الْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُ أُمَمِهِمْ، فَخَبِّرْنِي عَنِ اللَّهِ أَيْنَ هُوَ فِي السَّمَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ. قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَأَرَى الْأَرْضَ خَالِيَةً مِنْهُ، فَأَرَاهُ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: هَذَا كَلَامُ الزَّنَادِقَةِ، اعْزُبْ عَنِّي وَإِلَّا قَتَلْتُكَ، فَوَلَّى الرَّجُلُ مُتَعَجِّباً يَسْتَهْزِئُ بِالْإِسْلَامِ، فَاسْتَقْبَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: يَا يَهُودِيُّ! قَدْ عَرَفْتُ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ وَمَا أُجِبْتَ بِهِ، وَإِنَّا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيَّنَ الْأَيْنَ فَلَا أَيْنَ لَهُ، وَجَلَّ مِنْ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، بِغَيْرِ مُمَاسَّةٍ، وَلَا مُجَاوَرَةٍ، يُحِيطُ عِلْماً بِمَا فِيهَا، وَلَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْ تَدْبِيرِهِ تَعَالَىٰ، وَإِنِّي مُخْبِرُكَ بِمَا جَاءَ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِكُمْ يُصَدِّقُ بِمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ، فَإِنْ عَرَفْتَهُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟ قَالَ الْيَهُودِيُّ: نَعَمْ، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَجِدُونَ فِي بَعْضِ كُتُبِكُمْ أَنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِساً إِذْ جَاءَهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ جَاءَهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَغْرِبِ فَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ جَاءَهُ مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: قَدْ جِئْتُكَ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَاءَهُ مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَىٰ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: سُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَكُونُ إِلَىٰ مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْ مَكَانٍ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَشْهَدُ أَنَّ

هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، وَأَنَّكَ أَحَقُّ بِمَقَامِ نَبِيِّكَ مِمَّنِ اسْتَوْلىٰ عَلَيْهِ (١) .

بيان: عَزَبَ عنه يعزُبُ ويعزِبُ أي بعد وغاب ، وفسّر عليه السلام قوله: «وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ» بما ذكره بعده ليظهر أنّ المراد به الإحاطة بالعلم والتدبير.

(١٧٠٢) ٣ـ **الإرشاد والاحتجاج**: رَوَى الشَّعْبِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلاً يَقُولُ: وَالَّذِي احْتَجَبَ بِسَبْعِ طِبَاقٍ ، فَعَلَاهُ بِالدِّرَّةِ (٢) ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا وَيْلَكَ ! إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَحْتَجِبَ عَنْ شَيْءٍ ، أَوْ يَحْتَجِبَ عَنْهُ شَيْءٌ ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَخْفىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَفَأُكَفِّرُ عَنْ يَمِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ: لَا ، لَمْ تَحْلِفْ بِاللَّهِ فَيَلْزَمَكَ الْكَفَّارَةُ (٣) ، وَإِنَّمَا حَلَفْتَ بِغَيْرِهِ (٤) .

(١٧٠٣) ٤ـ **الاحتجاج**: فِي جَوَابِ أَسْئِلَةِ الزِّنْدِيقِ الْمُنْكِرِ لِلْقُرْآنِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: مَعْنىٰ قَوْلِهِ: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ (٥) فَإِنَّمَا خَاطَبَ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَلْ يَنْتَظِرُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ ﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ فَيُعَايِنُوهُمْ ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ

(١) الإرشاد: ٢٠١/١ * الاحتجاج: ٣١٢/١.
(٢) الدرّة ـ بكسر الدال وتشديد الراء ـ: السوط.
(٣) في الإرشاد: فيلزمك الكفّارة ، كفّارة الحنث.
(٤) الإرشاد: ٢٢٤/١ * الاحتجاج: ٣١٣/١ * الفصول المختارة: ٦٥ ، مرسلاً عن عاصم عن عطاء عن ميسرة.
(٥) سورة الأنعام: ١٥٨.

رَبِّكَ ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَمْرَ رَبِّكَ ، وَالْآيَةُ هِيَ الْعَذَابُ فِي دَارِ الدُّنْيَا كَمَا عَذَّبَ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ.

وَقَالَ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها ﴾ (١) يَعْنِي بِذَلِكَ مَا يَهْلِكُ مِنَ الْقُرُونِ ، فَسَمَّاهُ إِتْيَاناً.

وَقَوْلُهُ: ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتوىٰ ﴾ (٢) يَعْنِي اسْتَوَى تَدْبِيرُهُ ، وَعَلَا أَمْرُهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ ﴾ (٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ﴾ (٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ ﴾ (٥) فَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ اسْتِيلَاءَ أُمَنَائِهِ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي رَكَّبَهَا فِيهِمْ عَلىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، وَأَنَّ فِعْلَهُمْ فِعْلُهُ ، الْخَبَرَ (٦).

التوحيد : فِي هَذَا الْخَبَرِ: وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرىٰ: ﴿ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ (٧) يَعْنِي أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ عَذَاباً ، وَكَذَلِكَ إِتْيَانُهُ بُنْيَانَهُمْ.

---

(١) سورة الرعد: ٤١.
(٢) سورة طه: ٥.
(٣) سورة الزخرف: ٨٤.
(٤) سورة الحديد: ٤.
(٥) سورة المجادلة: ٧.
(٦) الاحتجاج: ١ / ٣٧٣.
(٧) سورة الحشر: ٢.

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [(١)] ، فَإِتْيَانُهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ إِرْسَالُ الْعَذَابِ [(٢)] .

تبيان: قال البيضاويّ: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي ما ينتظرون - يعني أهل مكّة - وهم ما كانوا منتظرين لذلك، ولكن لمّا كان يلحقهم لحوق المنتظر شبّهوا بالمنتظرين ﴿ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ ملائكة الموت، أو العذاب ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ أي أمره بالعذاب، أو كلّ آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلّيّ لقوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ يعني أشراط الساعة [(٣)] .

أقول: لعلّه عليه السلام فسّر إتيان الربّ بالقيامة، وإتيان أمره تعالى بقيامها، وإتيان بعض الآيات بنزول العذاب في الدنيا، وإتيان الملائكة بظهورهم عند الموت، أو الأعمّ منه ومن غيره.

وقال الطبرسيّ رحمه اللّه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ﴾ أي نقصِدها ﴿ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها ﴾ اختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أوَلم يرَ هؤلاء الكفّار أنا ننقص أطراف الأرض بإماتة أهلها.

وثانيها: ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها، وخيار أهلها.

وثالثها: أنّ المراد نقصِد الأرض ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها، فننقص من أهل الكفر، ونزيد في المسلمين، يعني ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك.

---

(١) سورة النحل: ٢٦.

(٢) التوحيد: ٢٦٦.

(٣) أشراط الساعة: علائمها.

ورابعها : أنّ معناه أوَلم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة ، والموت بعد الحياة ، والنقصان بعد الزيادة ، انتهى .

وأمّا ما ذكره عليه السلام أخيراً في الخبر الأوّل ، فالظاهر تعلّقه بالثلاثة الأخيرة ، فالمراد بالأُولى نفوذ أمره تعالى في السماء والأرض ، وخلقه الملائكة والحجج فيهما ، وإنفاذهم أمره تعالى فيهما ، وبالثانية كون الملائكة والحجج معهم شاهدين عليهم ، وكذا الثالثة .

(١٧٠٤) ٥ ـ **الاحتجاج** : عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : ذُكِرَ عِنْدَهُ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلىٰ أَنْ يَنْزِلَ ، إِنَّمَا مَنْظَرُهُ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ سَوَاءٌ ، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَرِيبٌ ، وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ بَعِيدٌ ، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلىٰ شَيْءٍ بَلْ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ ذُو الطَّوْلِ ﴿ لَا إِلٰـهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

أَمَّا قَوْلُ الْوَاصِفِينَ إِنَّهُ يَنْزِلُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَنْسُبُهُ إِلىٰ نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ ، وَكُلُّ مُتَحَرِّكٍ مُحْتَاجٌ إِلىٰ مَنْ يُحَرِّكُهُ أَوْ يَتَحَرَّكُ بِهِ ، فَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ الظُّنُونَ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ ، فَاحْذَرُوا فِي صِفَاتِهِ مِنْ أَنْ تَقِفُوا لَهُ عَلىٰ حَدٍّ مِنْ نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ ، أَوْ تَحْرِيكٍ أَوْ تَحَرُّكٍ ، أَوْ زَوَالٍ أَوِ اسْتِنْزَالٍ ، أَوْ نُهُوضٍ أَوْ قُعُودٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (٢) عَنْ صِفَةِ

---

(١) سورة آل عمران : ٦ ، ١٨ .

(٢) في المصدر : جل وعز .

الْوَاصِفِينَ ، وَنَعْتِ النَّاعِتِينَ ، وَتَوَهُّمِ الْمُتَوَهِّمِينَ (١) .

التوحيد: الدَّقَّاقُ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَيَّاشٍ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ ... مِثْلَهُ ، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ (٢) .

بيان: «إِنَّمَا مَنْظَرُهُ» أي نظره وعلمه وإحاطته بأن يكون مصدراً ميميّاً ، أو ما ينظر إليه في القرب والبعد منه سواء ، أي لا يختلف اطّلاعه على الأشياء بالقرب والبعد؛ لأنّ القرب والبعد إنّما يجريان في المكانيّ بالنسبة إلى المكان ، وهو سبحانه متعال عن المكان .

و«الطَّوْلِ» الفضل والإنعام.

قوله: «فَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَنْسُبُهُ إِلىٰ نَقْصٍ» أي النزول المكانيّ إنّما يتصوّر في المتحيّز ، وكلّ متحيّز موصوف بالتقدّر ، وكلّ متقدّر متّصف بالنقص عمّا هو أزيد منه ، وبالزيادة على ما هو أنقص منه ، أو يكون في نفسه قابلاً للزيادة والنقصان ، والوجوب الذاتيّ ينافي ذلك لاستلزامه

(١) الاحتجاج : ٢/١٥٦ * الكافي الشريف : ١/١٢٥ ، بسند متصل إلى الجعفري .
(٢) سورة الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٩ * التوحيد : ١٨٣ .
وسنده إلى يعقوب الجعفري حسن ، علي بن العباس هو الجراذيني قد أكثر الرواية عنه الثقة الجليل البرمكي ، ذكره النجاشي وقال : «رمي بالغلو وغُمز عليه ، ضعيف جداً» ، وقال ابن الغضائري : «له تصنيف في الممدوحين والمذمومين يدل على خبثه وتهالك في مذهبه ، لا يُلتفت إليه ولا يُعبأ بما رواه» ، قلت : روى عنه الصدوق في التوحيد والعلل روايات كثيرة بواسطة الثقة الجليل البرمكي ، عالية المضامين عزيزة المعاني ، فكيف لا يُعبأ برواياته !!! كما قد اعتمد عليه في من لا يحضره الفقيه ووقع في طريقه إلى كتاب العلل التي سألها ابن سنان الإمام الرضا عليه السلام ، ومنه يعرف أن تضعيف النجاسي منشؤه الاتهام بالغلو .

التجزّؤ والانقسام المستلزمين للإمكان، وأيضاً كلّ متحرّك محتاج إلى من يحرّكه أو يتحرك به؛ لأنّ المتحرّك إمّا جسم أو متعلّق بالجسم، والجسم المتحرّك لا بدّ له من محرّك لأنّه ليس يتحرّك بجسميّته، والمتعلّق بالجسم لا بدّ له في تحرّكه من جسم يتحرّك به، وهو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المتحرّك، وعن التغيّر بمغيّر، وعن التعلّق بجسم يتحرّك به.

ويحتمل أن يكون المراد بالأوّل الحركة القسريّة، وبالثاني ما يشمل الإراديّة والطبيعيّة بأن يكون المراد بقوله: «يَتَحَرَّكُ بِهِ» ما يتحرّك به من طبيعة أو نفس.

وقوله: «مِنْ أَنْ تَقِفُوا» من وقف يقف أي أن تقوموا في الوصف له، وتوصيفه على حدّ فتحدّونه بنقص أو زيادة.

ويحتمل أن يكون من قفا يقفو أي أن تتّبعوا له في البحث عن صفاته تتبّعاً على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة.

وقوله: ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ أي إلى التهجّد، أو إلى الخيرات، أو إلى الأُمور كلّها ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ أي تردّدك وحركاتك فيما بين المصلّين بالقيام والقعود والركوع والسجود.

(١٧٠٥) ٦ ـ **الاحتجاج**: عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ الْغَفَّارِ السُّلَمِيُّ أَبَا إِبْرَاهِيمَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالىٰ: ﴿ ثُمَّ دَنا فَتَدَلّىٰ * فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ ﴾ (١)

(١) سورة النجم: ٨ و٩.

فَقَالَ: أَرىٰ هَاهُنَا خُرُوجاً مِنْ حُجُبٍ، وَتَدَلِّياً إِلَى الْأَرْضِ، وَأَرىٰ مُحَمَّداً صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأىٰ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ، وَنُسِبَ إِلىٰ بَصَرِهِ، وَكَيْفَ هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿ دَنا فَتَدَلّىٰ ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَدَلَ عَنْ مَوْضِعٍ، وَلَمْ يَتَدَلَّ بِبَدَنٍ، فَقَالَ عَبْدُ الْغَفَّارِ: أَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ حَيْثُ قَالَ: ﴿ دَنا فَتَدَلّىٰ ﴾ فَلَمْ يَتَدَلَّ عَنْ مَجْلِسِهِ إِلّا قَدْ زَالَ عَنْهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَصِفْ بِذَلِكَ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّ هَذِهِ لُغَةٌ فِي قُرَيْشٍ إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ: قَدْ سَمِعْتُ يَقُولُ: قَدْ تَدَلَّيْتُ، وَإِنَّمَا التَّدَلِّي الْفَهْمُ (١).

بيان: «التَّدَلِّي» القرب، والنزول من علوّ، والامتداد إلى جهة السفل، ويكون من التدلّل بمعنى الغنج، وما ذكره عليه السلام أنّ المراد به الفهم، فهو على المجاز؛ لأنّ من يريد فهم شيء يتدلّى إلى القائل ليسمعه ويفهمه.

ثمّ اعلم أنّه قد اختلف في تفسير هذه الآية على وجوه.

الأوّل: أن تكون الضمائر راجعة إلى جبرئيل عليه السلام، فالمعنى ﴿ وَهُوَ ﴾ أي جبرئيل ﴿ بِالْأُفُقِ الْأَعْلىٰ ﴾ (٢) أُفق السماء ﴿ ثُمَّ دَنا ﴾ من النبيّ صلّى اللّه عليه وآله ﴿ فَتَدَلّىٰ ﴾ أي تعلّق به، وهو تمثيل لعروجه بالرسول صلّى اللّه عليه وآله، أو تدلّى من الأفق الأعلى فدنا من الرسول، فيكون إشعاراً بأنّه عرج به غير منفصل عن محلّه، وتقريراً

---

(١) الاحتجاج: ٢/١٥٧.

(٢) سورة النجم: ٧.

لشدّة قوّته.

وقيل: المعنى قرب فاشتدّ قربه ﴿ فَكَانَ ﴾ البعد بينهما ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أي قدرهما ﴿ أَوْ أَدْنىٰ ﴾، والمقصود تمثيل ملكة الاتّصال، وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبّس.

الثاني: أن تكون الضمائر راجعة إلى محمّد صلّى اللّه عليه وآله، أي ﴿ ثُمَّ دَنا ﴾ محمّد من الخلق والأُمّة وصار كواحد منهم ﴿ فَتَدَلّىٰ ﴾ إليهم بالقول الليّن والدعاء الرفيق، فالحاصل أنّه صلّى اللّه عليه وآله استوى وكمل فدنا من الخلق بعد علوّه، وتدلّى إليهم وبلّغ الرسالة.

الثالث: أن تكون الضمائر راجعة إلى اللّه تعالى، فيكون دنوّه كناية عن رفع مكانته، وتدلّيه عن جذبه بشراشره إلى جناب القدس.

والحاصل: أنّه مؤوّل بالدنوّ المعنويّ والتقرّب والمعرفة واللطف على ما يؤوّل حديث: «من تقرّب إليَّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً».

وقيل: الدنو منه صلّى اللّه عليه وآله، وهو كناية عن عظم قدره، حيث انتهى إلى حيث لم ينته إليه أحد، والتدلّي منه تعالى كناية عن غاية لطفه ورحمته.

(١٧٠٦) ٧ ـ الأمالي للصدوق والتوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام: الدَّقَّاقُ، عَنِ الصُّوفِيِّ، عَنِ الرُّويَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مَحْمُودٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! مَا تَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَرْوِيهِ النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَرِّفِينَ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَاللَّهِ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَذٰلِكَ، إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ يُنْزِلُ مَلَكاً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ، وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، فَيَأْمُرُهُ فَيُنَادِي: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ يَا طَالِبَ الْخَيْرِ، أَقْبِلْ، يَا طَالِبَ الشَّرِّ، أَقْصِرْ، فَلَا يَزَالُ يُنَادِي بِهٰذَا إِلىٰ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ عَادَ إِلىٰ مَحَلِّهِ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ(١)، حَدَّثَنِي بِذٰلِكَ أَبِي عَنْ جَدِّي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ(٢).

الاحتجاج: مرسلاً ... مثله(٣).

بيان: الظاهر أنّ مراده عليه السلام تحريفهم لفظ الخبر، ويحتمل أن يكون المراد تحريفهم معناه بأن يكون المراد بنزوله تعالى إنزال ملائكته مجازاً.

علل الشرائع: السنانيّ والدقّاق والمكتّب والورّاق، عن الأسديّ ... مثله(٤).

(١٧٠٧) ٨ـ الأمالي للصدوق: السِّنَانِيُّ، عَنِ الْأَسَدِيِّ، عَنِ النَّخَعِيِّ،

---

(١) الملكوت: الملك العظيم، العزّ والسلطان، والملكوت السماويّ: هو محلّ القدّيسين في السماء.

(٢) التوحيد: ١٧٦ * أمالي الصدوق: ٤٩٥، حديث: ٦٧٦ * عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١١٦ * من لا يحضره الفقيه: ١/٤٢١، بسندين كلاهما حسن كالصحيح.

(٣) الاحتجاج: ٢/١٩٢.

(٤) لم أجده في العلل.

عَنِ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ: سَأَلْتُ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلامُ عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلالُهُ هَلْ يُوصَفُ بِمَكَانٍ؟ فَقَالَ: تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

قُلْتُ: فَلِمَ أُسْرِيَ نَبِيُّهُ[1] مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السَّمَاءِ؟ قَالَ: لِيُرِيَهُ مَلَكُوتَ السَّمَاءِ ، وَمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِهِ ، وَبَدَائِعِ خَلْقِهِ.

قُلْتُ: فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾؟ قَالَ: ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَنَا مِنْ حُجُبِ النُّورِ فَرَأَىٰ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ ، ثُمَّ تَدَلَّىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَظَرَ مِنْ تَحْتِهِ إِلَىٰ مَلَكُوتِ الْأَرْضِ ، حَتَّىٰ ظَنَّ أَنَّهُ فِي الْقُرْبِ مِنَ الْأَرْضِ كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ[2] .

(١٧٠٨) ٩ـ **تفسير القمّيّ**: أَبِي ، عَنْ حَمَّادٍ ، عَنْ حَرِيزٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: إِنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ ، وَأَمَامَهُ مَلَكٌ يُنَادِي: هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابُ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَىٰ سُؤْلَهُ؟ اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ مُنْفِقٍ خَلَفاً[3] ، وَكُلَّ مُمْسِكٍ تَلَفاً ،

---

(١) في المصدر: بنبيه .

(٢) أمالي الصدوق : ٢١٣ ، ح : ٢٣٨ ، وسنده معتبر حسن ، مر رجاله في الحديث : ١ هٰهنا .

(٣) الخلف: البدل والعوض.

فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ عَادَ الرَّبُّ إِلىٰ عَرْشِهِ ، فَيُقَسِّمُ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ الْعِبَادِ.

ثُمَّ قَالَ لِلْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ: يَا فُضَيْلُ ، نَصِيبَكَ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ إِلىٰ قَوْلِهِ: ﴿ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

بيان: نزوله تعالى كناية عن تنزّله عن عرش العظمة والجلال ، وأنّه مع غنائه عنهم من جميع الوجوه يخاطبهم بما يخاطب به من يحتاج إلى غيره تلطّفاً وتكرّماً ، وعوده إلى عرشه عن توجّهه تعالى إلى شئون أُخر يفعله الملوك إذا تمكّنوا على عرشهم.

قوله عليه السلام: «نَصِيبَكَ» أي خذ نصيبك من هذا الخير ولا تغفل عنه.

(١٧٠٩) ١٠ ـ **علل الشرائع**: الْمُكَتِّبُ وَالْوَرَّاقُ وَالْهَمَذَانِيُّ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عِمْرَانَ وَصَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَيِّ عِلَّةٍ عَرَجَ اللَّهُ بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَمِنْهَا إِلىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ ، وَمِنْهَا إِلىٰ حُجُبِ النُّورِ ، وَخَاطَبَهُ وَنَاجَاهُ هُنَاكَ ، وَاللَّهُ لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ ، وَسُكَّانَ سَمَاوَاتِهِ ، وَيُكْرِمَهُمْ بِمُشَاهَدَتِهِ ، وَيُرِيَهُ مِنْ عَجَائِبِ عَظَمَتِهِ مَا يُخْبِرُ بِهِ بَعْدَ هُبُوطِهِ ،

(١) سورة سبأ: ٣٩ ـ ٤١ * تفسير القمي : ٢/٢٠٤ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات عظام.

وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلىٰ مَا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالىٰ عَمَّا يَصِفُونَ [١] .

التوحيد : عليّ بن الحسين بن الصلت ، عن محمّد بن أحمد بن عليّ ابن الصلت ، عن عمّه عبد اللّه بن الصلت ، عن يونس ... مثله [٢] .

(١٧١٠) ١١ ـ **علل الشرائع :** أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ حَبِيبٍ السِّجِسْتَانِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ثُمَّ دَنا فَتَدَلّىٰ * فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ * فَأَوْحىٰ إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحىٰ ﴾ [٣] ، فَقَالَ لِي : يَا حَبِيبُ ! لَا تَقْرَأْ هَكَذَا ، اقْرَأْ : ثُمَّ دَنَا فَتَدَانىٰ ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلىٰ عَبْدِهِ ـ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ما أَوْحىٰ .

يَا حَبِيبُ ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ أَتْعَبَ نَفْسَهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالشُّكْرِ لِنِعَمِهِ فِي الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ ، وَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُ ، فَلَمَّا غَشِيَهُمُ اللَّيْلُ انْطَلَقَا إِلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ يُرِيدَانِ السَّعْيَ .

قَالَ : فَلَمَّا هَبَطَا مِنَ الصَّفَا إِلَى الْمَرْوَةِ وَصَارَا فِي الْوَادِي دُونَ الْعَلَمِ الَّذِي رَأَيْتَ غَشِيَهُمَا مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ ، فَأَضَاءَتْ لَهُمَا جِبَالُ مَكَّةَ ،

---

(١) علل الشرائع : ١٣٢/١ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .
(٢) التوحيد : ١٧٥ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .
(٣) سورة النجم : ٨ ـ ١٠ .

وَخَسَأَتْ أَبْصَارُهُمَا (١) ، قَالَ: فَفَزِعَا لِذَلِكَ فَزَعاً شَدِيداً، قَالَ: فَمَضَىٰ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى ارْتَفَعَ مِنَ الْوَادِي ، وَتَبِعَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِرُمَّانَتَيْنِ عَلَىٰ رَأْسِهِ، قَالَ: فَتَنَاوَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهَا مِنْ قِطْفِ الْجَنَّةِ ، فَلَا يَأْكُلْ مِنْهَا إِلّا أَنْتَ وَوَصِيُّكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِحْدَاهُمَا ، وَأَكَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ الْأُخْرىٰ ، ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا أَوْحىٰ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا حَبِيبُ! ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ * عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوىٰ ﴾ (٢) يَعْنِي عِنْدَهَا وَافَىٰ بِهِ جَبْرَئِيلُ حِينَ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهىٰ إِلَىٰ مَحَلِّ السِّدْرَةِ وَقَفَ جَبْرَئِيلُ دُونَهَا وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ هَذَا مَوْقِفِيَ الَّذِي وَضَعَنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ ، وَلَنْ أَقْدِرَ عَلَىٰ أَنْ أَتَقَدَّمَهُ ، وَلَكِنِ امْضِ أَنْتَ أَمَامَكَ إِلَى السِّدْرَةِ فَوَقَفَ (٣) عِنْدَهَا، قَالَ: فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السِّدْرَةِ وَتَخَلَّفَ جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهىٰ لِأَنَّ أَعْمَالَ أَهْلِ

---

(١) خسأ البصر: كَلّ وأعيا.

(٢) سورة النجم: ١٣ ـ ١٥.

(٣) في المصدر: فقف.

الْأَرْضِ تَصْعَدُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الْحَفَظَةُ إِلىٰ مَحَلِّ السِّدْرَةِ، وَالْحَفَظَةُ الْكِرَامُ الْبَرَرَةُ دُونَ السِّدْرَةِ، يَكْتُبُونَ مَا تَرْفَعُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فِي الْأَرْضِ.

قَالَ: فَيَنْتَهُونَ بِهَا إِلىٰ مَحَلِّ السِّدْرَةِ، قَالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَأىٰ أَغْصَانَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ وَحَوْلَهُ، قَالَ فَتَجَلّىٰ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نُورُ الْجَبَّارِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا غَشِيَ مُحَمَّداً صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ النُّورُ شَخَصَ بِبَصَرِهِ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ، قَالَ: فَشَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ قَلْبَهُ، وَقَوّىٰ لَهُ بَصَرَهُ حَتّىٰ رَأىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ مَا رَأىٰ وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ * عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوىٰ ﴾، قَالَ: يَعْنِي الْمُوَافَاةَ.

قَالَ: فَرَأىٰ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا رَأىٰ بِبَصَرِهِ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ، يَعْنِي أَكْبَرَ الْآيَاتِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: وَإِنَّ غِلَظَ السِّدْرَةِ بِمَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الْوَرَقَةَ مِنْهَا تُغَطِّي أَهْلَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً وَكَّلَهُمْ بِنَبَاتِ الْأَرْضِ مِنَ الشَّجَرِ وَالنَّخْلِ، فَلَيْسَ مِنْ شَجَرَةٍ وَلَا نَخْلَةٍ إِلّا وَمَعَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكٌ يَحْفَظُهَا وَمَا كَانَ فِيهَا، وَلَوْلَا أَنَّ مَعَهَا مَنْ يَمْنَعُهَا لَأَكَلَهَا السِّبَاعُ وَهَوَامُّ الْأَرْضِ إِذَا كَانَ فِيهَا ثَمَرُهَا.

قَالَ: وَإِنَّمَا نَهىٰ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدٌ مِنَ

الْمُسْلِمِينَ خَلَاهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ قَدْ أَثْمَرَتْ لِمَكَانِ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِهَا.

قَالَ: وَلِذَلِكَ يَكُونُ الشَّجَرُ وَالنَّخْلُ أُنْساً إِذَا كَانَ فِيهِ حَمْلُهُ(١)؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْضُرُهُ(٢).

إيضاح: القطف ـ بالكسر ـ: اسم للثمار المقطوعة من أُصولها، وشخوص البصر: فتحه بحيث لا يطرف، والفريصة: ودج العنق، واللحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد.

(١٧١١) ١٢ ـ **تفسير القمّي**: قَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴾ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ قَالَ: إِنَّمَا أُنْزِلَتْ: ثُمَّ دَنَا فَتَدَانَىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ، قَالَ: كَانَ مِنَ اللَّهِ كَمَا بَيْنَ مَقْبِضِ الْقَوْسِ إِلَىٰ رَأْسِ السِّيَةِ، أَوْ أَدْنَىٰ(٣)، قَالَ: بَلْ أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ، ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾(٤) قَالَ: وَحْيَ الْمُشَافَهَةِ(٥).

---

(١) وفي نسخة: ولذلك يكون للشجر والنخل أُنساً إذا كان فيه حمله.

(٢) علل الشرائع: ٢٧٦/١.
ورجال السند ثقات وممدوحون، حبيب السجستاني من المنقطعين للصادقين عليهما السلام، ومالك بن عيينة لم أجد من ذكره، وكأن ثمة تصحيف في الاسم، والرواية مضامينها عالية.

(٣) سيّة القوس ـ بكسر السين ـ: ما عطف من طرفيها.

(٤) سورة النجم: ١٠.

(٥) تفسير القمي: ٣٣٤/٢، وهو حديث مروي بسند نظيف عن ياسر الخادم عن الرضا عليه السلام.

تبيين : قال الجوهريّ : تقول بينهما قاب قوس ، وقيب قوس ، وقاد قوس ، وقيد قوس أي قدر قوس ، والقاب : ما بين المقبض والسية ، ولكلّ قوس قابان ، وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿ فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أراد قابي قوس فغلبه .

(١٧١٢) ١٣ ـ **الخصال** : فِي مَسَائِلِ الْيَهُودِيِّ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ لَهُ : فَرَبُّكَ يَحْمِلُ أَوْ يُحْمَلُ ؟ قَالَ : إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِلُ كُلَّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ ، وَلَا يَحْمِلُهُ شَيْءٌ .

قَالَ : فَكَيْفَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾ [(١)] ؟ قَالَ : يَا يَهُودِيُّ ! أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرىٰ [(٢)] ، فَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى الثَّرىٰ ، وَالثَّرىٰ عَلَى الْقُدْرَةِ ، وَالْقُدْرَةُ تَحْمِلُ كُلَّ شَيْءٍ ... الْخَبَرَ [(٣)] .

(١٧١٣) ١٤ ـ **التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام** : تَمِيمٌ الْقُرَشِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنِ الْهَرَوِيِّ ، قَالَ : سَأَلَ الْمَأْمُونُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [(٤)] ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ خَلَقَ

---

(١) سورة الحاقّة : ١٧ .

(٢) إشارة لقوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴾ سورة طه : ٦ .

(٣) الخصال : ٥٩٧ .

(٤) سورة هود : ٧ .

الْعَرْشَ وَالْمَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَدِلُّ بِأَنْفُسِهَا وَبِالْعَرْشِ وَالْمَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ جَعَلَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُظْهِرَ بِذَلِكَ قُدْرَتَهُ لِلْمَلَائِكَةِ فَتَعْلَمَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ثُمَّ رَفَعَ الْعَرْشَ بِقُدْرَتِهِ وَنَقَلَهُ وَجَعَلَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَهُوَ مُسْتَوْلٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ ، وَكَانَ قَادِراً عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ لِيُظْهِرَ لِلْمَلَائِكَةِ مَا يَخْلُقُهُ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ ، فَيُسْتَدَلَّ بِحُدُوثِ مَا يَحْدُثُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْعَرْشَ لِحَاجَةٍ بِهِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ ، عَنِ الْعَرْشِ وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ ، لَا يُوصَفُ بِالْكَوْنِ عَلَى الْعَرْشِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ ، تَعَالَىٰ عَنْ صِفَةِ خَلْقِهِ عُلُوّاً كَبِيراً(١) .

(١٧١٤) ١٥ ـ التوحيد ومعاني الأخبار وعيون أخبار الرضا عليه السلام : الْمُعَاذِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،

---

(١) التوحيد : ٣٢٠ * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/١٢٣ .

وسنده قوي كالحسن ، تميم بن عبد الله من المشايخ الذين أكثر الصدوق قدس سره الترضي والترحم عليه ، وضعفه ابن الغضائري ، وأجابه الوحيد البهبهاني : « إن منشأ تضعيفه غير ظاهر » ، أبوه عبد الله روى عنه الصدوق في عدة من كتبه ، وفي بعض أحاديثه قال : « وتصديق ما ذكرته ما حدثنا به تميم بن عبد الله عن أبيه عن حمدان ... » وهو قدس سره لا يعدد الرواية عمّن لا يرتضيه فكيف بالإكثار عنه ، وأحمد بن علي الأنصاري روى عنه الثقة الجليل أحمد بن زياد الهمداني وغيره ، ذكره الحافظ الأصبهاني فقال : « أبو علي سكن نيسابور ومولده بإصبهان ... » ثم ساق روايته عن أبي الصلت حديث السلسلة الذهبية ... قال أحمد بن حنبل : « إن قرأت هذا الإسناد على مجنون برىء من جنونه » ، ويظهر من الروايات التي يرويها تميم عن أبيه عن الأنصاري عن أبي الصلت مدحهم في الجملة .

قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ (١) ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ يَحُلُّ فِيهِ فَيُحْجَبَ عَنْهُ فِيهِ عِبَادُهُ ، وَلَكِنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُمْ عَنْ ثَوَابِ رَبِّهِمْ مَحْجُوبُونَ.

قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ (٢) ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُوصَفُ بِالْمَجِيءِ وَالذَّهَابِ ، تَعَالَى عَنِ الانْتِقَالِ ، إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً.

قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ (٣) ، قَالَ: يَقُولُ: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ، وَهَكَذَا نَزَلَتْ.

قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (٤) ، وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (٥) ، وَعَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ (٦) ، وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ ﴾ (٧) ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْخَرُ ، وَلَا يَسْتَهْزِئُ ، وَلَا

(١) سورة المطفّفين: ١٥.
(٢) سورة الفجر: ٢٢.
(٣) سورة البقرة: ٢١٠.
(٤) سورة التوبة: ٧٩.
(٥) سورة البقرة: ١٥.
(٦) سورة آل عمران: ٥٤.
(٧) سورة النساء: ١٤٢.

يَمْكُرُ ، وَلَا يُخَادِعُ ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُجَازِيهِمْ جَزاءَ السُّخْرِيَّةِ ، وَجَزَاءَ الاسْتِهْزَاءِ ، وَجَزَاءَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً (١) .

الاحتجاج : مرسلاً عنه عليه السلام (٢) .

بيان : قال الزمخشريّ في الآية الأُولى : كونهم محجوبين عنه ، تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم؛ لأنّه لا يؤذن على الملوك إلّا للمكرّمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلّا المهانون عندهم .

وقال الرازيّ في الآية الثانية : اعلم أنّه ثبت بالدليل العقليّ أنّ الحركة على اللّه محال؛ لأنّ كلّ ما كان كذلك كان جسماً ، والجسم مستحيل أن يكون أزليّاً ، فلا بدّ فيه من التأويل ، وهو أنّ هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، ثمّ ذلك المضاف ما هو فيه وجوه :

أحدها : ﴿ وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ للمحاسبة والمجازات .

وثانيها : وجاء قهر ربّك كما يقال : جاءتنا بنو أُميّة أي قهرهم .

وثالثها : وجاء جلائل آيات ربّك؛ لأنّ هذا يكون يوم القيامة ، وفي ذلك اليوم تظهر العظام ، وجلائل الآيات ، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات .

ورابعها : وجاء ظهوره ، وذلك لأنّ معرفة اللّه تصير ذلك اليوم ضروريّة ، فصار ذلك كظهوره وتجلّيه للخلق فقال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ أي

---

(١) التوحيد : ١٦٣ * معاني الأخبار : ١٣ * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/١١٥ .
وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .
(٢) الاحتجاج : ٣/١٩٣ .

زالت الشبه ، وارتفعت الشكوك .

وخامسها : أن هذا تمثيل لظهور آيات اللّه ، وتبيين آثار قهره وسلطانه ، مثّلت حاله في ذلك بحال الملك إذا ظهر بنفسه فإنّه يظهر بمجرّد حضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلّها .

وسادسها : أنّ الربّ (هو) المربّي ، فلعلّ ملكاً هو أعظم الملائكة هو مربّ للنبيّ صلّى اللّه عليه وآله جدّاً ، فكان هو المراد من قوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ .

وقال الطبرسي رحمه اللّه في الآية الثالثة : أي هل ينتظر هؤلاء المكذّبون بآيات اللّه إلّا أن يأتيهم أمر اللّه ، أي عذاب اللّه ، وما توعّدهم به على معصيته في ستر من السحاب .

وقيل : قطع من السحاب ، وهذا كما يقال : قتل الأمير فلاناً وضربه وأعطاه ، وإن لم يتولّ شيئاً من ذلك بنفسه ، بل فعل بأمره فأسند إليه لأمره به .

وقيل : معناه ما ينتظرون إلّا أن تأتيهم جلائل آيات اللّه ، غير أنّه ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال : دخل الأمير البلد ، ويراد بذلك جنده ، وإنّما ذكر الغمام ليكون أهول ، فإنّ الأهوال تشبّه بظلل الغمام كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ ﴾ (١) .

وقال الزجّاج : معناه يأتيهم اللّه بما وعدهم من العذاب والحساب كما

---

(١) سورة لقمان : ٣٢ .

قال: ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ (١) أي أتاهم بخذلانه إيّاهم.

والأقوال متقاربة، وقد يقال: أتى وجاء فيما لا يجوز عليه المجيء والذهاب، يقال: أتاني وعيد فلان، وجاءني كلام فلان، وأتاني حديثه، ولا يراد به الإتيان الحقيقيّ.

ثمّ قال: وقرأ أبو جعفر الملائكة بالجر، قال: وقيل: معنى الآية إلّا أن يأتيهم اللّه بظلل من الغمام أي بجلائل آياته وبالملائكة، انتهى.

أقول: على قراءته عليه السلام لا يحتاج إلى شيء من هذه التأويلات.

(١٧١٥) ١٦ ـ **الاحتجاج**: عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ فِي جَوَابِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي سَأَلَ عَنْ مُعْجِزَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصىٰ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَعُرِجَ بِهِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ فِي أَقَلَّ مِنْ ثُلُثِ لَيْلَةٍ، حَتَّى انْتَهىٰ إِلىٰ سَاقِ الْعَرْشِ، فَدَنَا بِالْعِلْمِ فَتَدَلّىٰ، فَدُلِّيَ لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ رَفْرَفٌ أَخْضَرُ، وَغَشِيَ النُّورُ بَصَرَهُ، فَرَأىٰ عَظَمَةَ رَبِّهِ بِفُؤَادِهِ، وَلَمْ يَرَهَا بِعَيْنِهِ، فَكَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، أَوْ أَدْنىٰ ... الْخَبَرَ (٢).

بيان: الضمير في قوله: «بَيْنَهَا» راجع إلى الجنّة، ورجوعه إلى العظمة بعيد.

---

(١) سورة الحشر: ٢.

(٢) الاحتجاج: ٣٢٧/١.

(١٧١٦) ١٧ ـ **التوحيد وعلل الشرائع** : ابْنُ عِصَامٍ ، عَنِ الْكُلَيْنِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُلْوَانَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي سَيِّدَ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ ، أَخْبِرْنِي عَنْ جَدِّنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِخَمْسِينَ صَلاَةً ، كَيْفَ لَمْ يَسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ عَنْ أُمَّتِهِ ، حَتّىٰ قَالَ لَهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ارْجِعْ إِلىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلِ التَّخْفِيفَ (١) ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ لَا يَقْتَرِحُ (٢) عَلىٰ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا يُرَاجِعُهُ فِي شَيْءٍ يَأْمُرُهُ بِهِ ، فَلَمَّا سَأَلَهُ مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ ذَلِكَ فَكَانَ شَفِيعاً لِأُمَّتِهِ إِلَيْهِ ، لَمْ يَجُزْ لَهُ رَدُّ شَفَاعَةِ أَخِيهِ مُوسىٰ ، فَرَجَعَ إِلىٰ رَبِّهِ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ إِلىٰ أَنْ رَدَّهَا إِلىٰ خَمْسِ صَلَوَاتٍ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ ، فَلِمَ لَا يَرْجِعُ إِلىٰ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٣) وَيَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ عَنْ خَمْسِ صَلَوَاتٍ ، وَقَدْ سَأَلَهُ مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَرْجِعَ إِلىٰ رَبِّهِ وَيَسْأَلَهُ التَّخْفِيفَ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يُحَصِّلَ لِأُمَّتِهِ التَّخْفِيفَ مَعَ أَجْرِ خَمْسِينَ صَلاَةً ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

---

(١) وفي نسخة: فاسأله التخفيف.

(٢) اقترح عليه كذا أو بكذا: تحكم وسأله إيّاه بالعنف ، ومن غير روية.

(٣) وفي نسخة: فلم لم يرجع إلى ربّه عزّ وجلّ.

﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها ﴾ [١] ، أَلَا تَرىٰ أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّهَا خَمْسٌ بِخَمْسِينَ ﴿ ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [٢] .

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ! أَلَيْسَ اللّٰهُ تَعَالىٰ ذِكْرُهُ لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ؟ قَالَ: تَعَالَى اللّٰهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

قُلْتُ: فَمَا مَعْنىٰ قَوْلِ مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ لِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ارْجِعْ إِلىٰ رَبِّكَ؟ فَقَالَ: مَعْنَاهُ مَعْنىٰ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [٣] ، وَمَعْنىٰ قَوْلِ مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضىٰ ﴾ [٤] ، وَمَعْنىٰ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللّٰهِ ﴾ يَعْنِي حُجُّوا إِلىٰ بَيْتِ اللّٰهِ.

يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللّٰهِ تَعَالىٰ، فَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللّٰهِ فَقَدْ قَصَدَ إِلَى اللّٰهِ، وَالْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللّٰهِ فَمَنْ سَعىٰ إِلَيْهَا فَقَدْ سَعىٰ إِلَى اللّٰهِ وَقَصَدَ إِلَيْهِ، وَالْمُصَلِّي مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ فَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَأَهْلُ مَوْقِفِ عَرَفَاتٍ هُمْ وُقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ لِلّٰهِ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٠.
(٢) سورة ق: ٢٩.
(٣) سورة الصافّات: ٩٩.
(٤) سورة طه: ٨٤.

بِقَاعاً فِي سَمَاوَاتِهِ ، فَمَنْ عُرِجَ بِهِ إِلىٰ بُقْعَةٍ مِنْهَا فَقَدْ عُرِجَ بِهِ إِلَيْهِ ، أَلَا تَسْمَعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ (١) ، وَيَقُولُ فِي قِصَّةِ عِيسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ ، وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (٢) ؟

بيان: الغرض من ذكر هذه الاستشهادات بيان شيوع تلك الاستعمالات والتجوّزات في لسان أهل الشرع والعرف.

(١٧١٧) ١٨ ـ **التوحيد**: مَاجِيلَوَيْهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسىٰ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ أَبِي الْمَغْرَاءِ رَفَعَهُ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالىٰ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وَخَلْقَهُ خِلْوٌ مِنْهُ ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ ، مَا خَلَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (٣) .

التوحيد: حمزة العلويّ ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن عليّ بن عطيّة ، عن خثيمة ، عن أبي جعفر عليه السلام (٤) .

وابن الوليد ، عن الصفّار ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن النضر ، عن يحيى الحلبيّ ، عن ابن مسكان ، عن زرارة ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ... مثله بزيادة (٥) .

---

(١) سورة المعارج: ٤.

(٢) سورة فاطر: ١٠ * التوحيد ١٧٦ : * علل الشرائع : ١٣٢/١ * أمالي الصدوق : ٥٤٤ ، حديث : ٧٢٧ ، ولم أجد هذا الحديث في الكافي الشريف.

(٣) التوحيد : ١٠٥ * الكافي الشريف : ٨٢/١ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون.

(٤) التوحيد : ١٠٥ ، وسنده صحيح * الكافي الشريف : ٨٢/١.

(٥) التوحيد : ١٠٥ ، وسنده صحيح * الكافي الشريف : ٨٢/١.

(١٧١٨) ١٩ ـ **التوحيد**: حَمْزَةُ الْعَلَوِيُّ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ﴾ [1] ، فَقَالَ : هُوَ وَاحِدٌ ، أَحَدِيُّ الذَّاتِ ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وَبِذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ بِالْإِشْرَافِ وَالْإِحَاطَةِ وَالْقُدْرَةِ ، ﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرُ ﴾ [2] بِالْإِحَاطَةِ وَالْعِلْمِ لَا بِالذَّاتِ ؛ لِأَنَّ الْأَمَاكِنَ مَحْدُودَةٌ تَحْوِيهَا حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ ، فَإِذَا كَانَ بِالذَّاتِ لَزِمَهُ الْحَوَايَةُ [3] .

بيان: ﴿ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ ﴾ أي ما يقع من تناجي ثلاثة ، ويجوز أن يقدّر مضاف ، أو يؤوّل نجوى بمتناجين ، ويجعل ثلاثة صفة لها ﴿ إِلّا وهُوَ رابِعُهُمْ ﴾ أي إلّا اللّه يجعلهم أربعة من حيث إنّه يشاركهم في الاطّلاع عليها ﴿ وَلا خَمْسَةٍ ﴾ أي ولا نجوى خمسة ، وتخصيص العددين إمّا لخصوص الواقعة ، أو لأنّ اللّه وتر يحب الوتر ، والثلاثة أوّل الأوتار ، أو لأنّ التشاور لا بدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين ، وثالث يتوسّط بينهم .

ثمّ اعلم أنّه لمّا كان القدام والخلف واليمين والشمال غير متميّزة إلّا

---

(١) سورة المجادلة : ٧.

(٢) سورة سبأ : ٣.

(٣) التوحيد : ١٣١ * الكافي الشريف : ١/١٢٦ ، وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

بالاعتبار عدّ الجميع حدّين والفوق والتحت حدّين فصارت أربعة ، والمعنى أنّه ليست إحاطته سبحانه بالذات لأنّ الأماكن محدودة ، فإذا كانت إحاطته بالذات بأن كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكّن وإن كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطاً بالمتمكّن كالمكان.

(١٧١٩) ٢٠ ـ **التوحيد**: الْعَطَّارُ ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنِ ابْنِ يَزِيدَ ، عَنِ الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ الْخَزَّازِ ، عَنْ مُثَنَّى الْحَنَّاطِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ـ أَظُنُّهُ مُحَمَّدَ بْنَ النُّعْمَانِ ـ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ (١) قَالَ : كَذَلِكَ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، قُلْتُ : بِذَاتِهِ ؟ قَالَ : وَيْحَكَ ! إِنَّ الْأَمَاكِنَ أَقْدَارٌ ، فَإِذَا قُلْتَ فِي مَكَانٍ بِذَاتِهِ لَزِمَكَ أَنْ تَقُولَ : فِي أَقْدَارٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ هُوَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ ، مُحِيطٌ بِمَا خَلَقَ عِلْماً وَقُدْرَةً وَإِحَاطَةً وَسُلْطَاناً ، وَلَيْسَ عِلْمُهُ بِمَا فِي الْأَرْضِ بِأَقَلَّ مِمَّا فِي السَّمَاءِ ، لَا يَبْعُدُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَالْأَشْيَاءُ لَهُ سَوَاءٌ عِلْماً وَقُدْرَةً وَسُلْطَاناً وَمُلْكاً وَإِحَاطَةً (٢) .

تفسير قال البيضاويّ : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ الضمير لله ، والله خبره ﴿ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ متعلّق باسم الله ، والمعنى هو المستحقّ للعبادة فيهما لا غير ، كقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ

(١) سورة الأنعام : ٣.
(٢) التوحيد : ١٣٢ .
وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

إلهٌ ﴾ ، أو بقوله: ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ (١) ، والجملة خبر ثانٍ ، أو هي الخبر واللّه بدل ، ويكفي لصحّة الظرفيّة كون المعلوم فيهما كقولك: رميت الصيد في الحرم: إذا كنت خارجه والصيد فيه ، أو ظرف مستقرّ وقع خبراً بمعنى أنّه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنّه فيهما ﴿ ويَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ بيان وتقرير له.

(١٧٢٠) ٢١ـ**التوحيد**: أَبِي ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ ، قَالَ: قَالَ أَبُو شَاكِرٍ الدَّيَصَانِيُّ: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ آيَةً هِيَ قُوَّةٌ لَنَا ، قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ ﴾ ، فَلَمْ أَدْرِ بِمَا أُجِيبُهُ ، فَحَجَجْتُ فَخَبَّرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: هَذَا كَلَامُ زِنْدِيقٍ خَبِيثٍ ، إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: مَا اسْمُكَ بِالْكُوفَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ فُلَانٌ ، فَقُلْ: مَا اسْمُكَ بِالْبَصْرَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ فُلَانٌ ، فَقُلْ كَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّنَا فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ ، وَفِي الْبِحَارِ إِلَهٌ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَهٌ ، قَالَ: فَقَدِمْتُ فَأَتَيْتُ أَبَا شَاكِرٍ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ هَذِهِ نُقِلَتْ مِنَ الْحِجَازِ (٢) .

بيان: لعلّ هذا الديصانيّ لمّا كان قائلاً بإلهين: نور ملكه السماء وظلمة ملكها الأرض أوّل الآية بما يوافق مذهبه بأن جعل قوله: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ ﴾ جملة تامّة معطوفة على مجموع الجملة السابقة ، أي وفي الأرض

---

(١) سورة الأنعام: ٣.

(٢) التوحيد: ١٣٣ * الكافي الشريف: ١٢٨/١.

وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون.

إله آخر ، ويظهر من بعض الأخبار أنّه كان من الدهريّين ، فيمكن أن يكون استدلاله بما يوهم ظاهر الآية (١) من كونه بنفسه حاصلاً في السماء والأرض ، فيوافق ما ذهبوا إليه من كون المبدأ الطبيعة ، فإنّها حاصلة في الأجرام السماويّة والأجسام الأرضيّة معاً ، فأجاب عليه السلام بأنّ المراد أنّه تعالى مسمّى بهذا الاسم في السماء وفي الأرض ، والأكثرون على أنّ الظرف متعلّق بالإله لأنّه بمعنى المعبود ، أو مضمّن معناه كقولك : هو حاتم في البلد .

(١٧٢١) ٢٢ـ **التوحيد** : الْقَطَّانُ وَالدَّقَّاقُ مَعاً ، عَنِ ابْنِ زَكَرِيَّا الْقَطَّانِ ، عَنِ ابْنِ حَبِيبٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْوَدَ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَدِيقَانِ يَهُودِيَّانِ قَدْ آمَنَا بِمُوسَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَتَيَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَمِعَا مِنْهُ ، وَقَدْ كَانَا قَرَءَا التَّوْرَاةَ وَصُحُفَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَعَلِمَا عِلْمَ الْكُتُبِ الْأُولَىٰ ، فَلَمَّا قَبَضَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَقْبَلَا يَسْأَلَانِ عَنْ صَاحِبِ الْأَمْرِ بَعْدَهُ ، وَقَالَا : إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا وَلَهُ خَلِيفَةٌ يَقُومُ بِالْأَمْرِ فِي أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، قَرِيبُ الْقَرَابَةِ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، عَظِيمُ الْقَدْرِ (٢) ، جَلِيلُ الشَّأْنِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : هَلْ تَعْرِفُ صَاحِبَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِ هَذَا النَّبِيِّ ؟ قَالَ

---

(١) أو يكون استدلاله بظاهرها على وقوع التناقض في القرآن فيكون صادراً من غير حكيم فيكون فيها قوّة له من إنكاره الصانع وبطلان الشرائع .

(٢) وفي نسخة : عظيم الخطر .

الْآخَرُ: لَا أَعْلَمُهُ إِلّا بِالصِّفَةِ الَّتِي أَجِدُهَا فِي التَّوْرَاةِ، هُوَ الْأَصْلَعُ (١)، الْمُصَفَّرُ، فَإِنَّهُ كَانَ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَلَمَّا دَخَلَا الْمَدِينَةَ وَسَأَلَا عَنِ الْخَلِيفَةِ أُرْشِدَا إِلىٰ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا نَظَرَا إِلَيْهِ قَالَا: لَيْسَ هَذَا صَاحِبَنَا، ثُمَّ قَالَا لَهُ: مَا قَرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قَالَ: إِنِّي رَجُلٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَهُوَ زَوْجُ ابْنَتِي عَائِشَةَ، قَالَا: هَلْ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَا: لَيْسَتْ هَذِهِ بِقَرَابَةٍ، فَأَخْبِرْنَا أَيْنَ رَبُّكَ؟ قَالَ: فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، قَالَا: هَلْ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَا: دُلَّنَا عَلىٰ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ فَإِنَّكَ أَنْتَ لَسْتَ بِالرَّجُلِ الَّذِي نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّهُ وَصِيُّ هَذَا النَّبِيِّ وَخَلِيفَتُهُ؟ قَالَ: فَتَغَيَّظَ مِنْ قَوْلِهِمَا، وَهَمَّ بِهِمَا (٢)، ثُمَّ أَرْشَدَهُمَا إِلىٰ عُمَرَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَرَفَ مِنْ عُمَرَ أَنَّهُمَا إِنِ اسْتَقْبَلَاهُ بِشَيْءٍ بَطَشَ بِهِمَا (٣)، فَلَمَّا أَتَيَاهُ قَالَا: مَا قَرَابَتُكَ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ؟ قَالَ: أَنَا مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَهُوَ زَوْجُ ابْنَتِي حَفْصَةَ، قَالَا: هَلْ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَا: لَيْسَتْ هَذِهِ بِقَرَابَةٍ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةَ الَّتِي نَجِدُهَا فِي التَّوْرَاةِ، ثُمَّ قَالَا لَهُ: فَأَيْنَ رَبُّكَ؟ قَالَ: فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، قَالَا: هَلْ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: لَا. قَالَا: دُلَّنَا عَلىٰ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، فَأَرْشَدَهُمَا إِلىٰ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَلَمَّا جَاءَاهُ فَنَظَرَا إِلَيْهِ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي صِفَتُهُ فِي

(١) الأصلع: من سقط شعر مقدّم رأسه.
(٢) أي عزم على قتلهما.
(٣) أي فتك بهما وأخذهما بصولة وشدّة.

التَّوْرَاةِ ، إِنَّهُ وَصِيُّ هَذَا النَّبِيِّ ، وَخَلِيفَتُهُ ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ ، وَأَبُو السِّبْطَيْنِ ، وَالْقَائِمُ بِالْحَقِّ مِنْ بَعْدِهِ ، ثُمَّ قَالا لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، مَا قَرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ قَالَ : هُوَ أَخِي ، وَأَنَا وَارِثُهُ ، وَوَصِيُّهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَأَنَا زَوْجُ ابْنَتِهِ ، قَالا : هَذِهِ الْقَرَابَةُ الْفَاخِرَةُ ، وَالْمَنْزِلَةُ الْقَرِيبَةُ ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي نَجِدُهَا فِي التَّوْرَاةِ ، فَأَيْنَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ لَهُمَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنْ شِئْتُمَا أَنْبَأْتُكُمَا بِالَّذِي كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّكُمَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَإِنْ شِئْتُمَا أَنْبَأْتُكُمَا بِالَّذِي كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ قَالا : أَنْبِئْنَا بِالَّذِي كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَقْبَلَ أَرْبَعَةُ أَمْلاكٍ : مَلَكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ ، وَمَلَكٌ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَمَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمَلَكٌ مِنَ الْأَرْضِ ، فَقَالَ صَاحِبُ الْمَشْرِقِ لِصَاحِبِ الْمَغْرِبِ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي ، وَقَالَ صَاحِبُ الْمَغْرِبِ لِصَاحِبِ الْمَشْرِقِ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي ، وَقَالَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ لِلْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي ، وَقَالَ الْخَارِجُ مِنَ الْأَرْضِ لِلنَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي ، فَهَذَا مَا كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّكُمَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ .

وَأَمَّا مَا كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ

وَلا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ﴾ الْآيَةَ .

قَالَ الْيَهُودِيَّانِ : فَمَا مَنَعَ صَاحِبَيْكَ أَنْ يَكُونَا جَعَلَاكَ فِي مَوْضِعِكَ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ؟ فَوَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ حَقّاً نَجِدُ صِفَتَكَ فِي كُتُبِنَا ، وَنَقْرَؤُهُ فِي كَنَائِسِنَا ، وَإِنَّكَ لَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ ، وَأَوْلَىٰ بِهِ مِمَّنْ قَدْ غَلَبَكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ : قَدَّمَا وَأَخَّرَا ، وَحِسَابُهُمَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُوقَفَانِ وَيُسْأَلَانِ (١) .

(١٧٢٢) ٢٣ ـ **التوحيد** : الْعَطَّارُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عِيسَىٰ ، عَنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ سَعِيدٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ ! أَخْبِرْنِي عَنْ رَبِّكَ مَتَىٰ كَانَ ؟ فَقَالَ : وَيْلَكَ ، إِنَّمَا يُقَالُ لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ مَتَىٰ كَانَ ، إِنَّ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَانَ لَمْ يَزَلْ حَيّاً بِلَا كَيْفٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَانَ وَلَا كَانَ لِكَوْنِهِ كَيْفٌ ، وَلَا كَانَ لَهُ أَيْنٌ ، وَلَا كَانَ فِي شَيْءٍ ، وَلَا كَانَ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَلَا ابْتَدَعَ لِكَانَهُ مَكَاناً (٢) ... الْخَبَرَ (٣) .

(١٧٢٣) ٢٤ ـ **التوحيد** : وَرُوِيَ أَنَّهُ سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَيْنَ

---

(١) التوحيد : ١٨٠ .

(٢) كذا فيما عندنا من النسخ ، وفي التوحيد المطبوع : ولا ابتدع لكونه مكاناً ، وفي نسخة أخرى منه : ولا ابتدع لمكانه مكاناً .

(٣) التوحيد : ١٧٣ * الكافي الشريف : ١/٨٨ ، وسنده معتبر حسن ، محمد بن القاسم هو كاسولا تقدم في الحديث : ١٤٥ ، وعلي بن أبي حمزة هو البطائني منحرف الاعتقاد معتمد الرواية سيما ما رواه عن أبي بصير ، وقد قاطعه الأصحاب بعد انحرافه .

كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ سَمَاءً وَأَرْضاً ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَيْنَ سُؤَالٌ عَنْ مَكَانٍ ، وَكَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ (١) .

(١٧٢٤) ٢٥ ـ **التوحيد** : ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ ، عَنِ ابْنِ أَبَانٍ ، عَنِ ابْنِ أُورَمَةَ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ حَمْزَةَ ، عَنْ أَبَانٍ ، عَنْ أَسَدٍ ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ ، أَوْ عَلَىٰ شَيْءٍ فَقَدْ أَشْرَكَ ، لَوْ كَانَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ شَيْءٍ لَكَانَ مَحْمُولاً (٢) ، وَلَوْ كَانَ فِي شَيْءٍ لَكَانَ مَحْصُوراً ، وَلَوْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ لَكَانَ مُحْدَثاً (٣) .

بيان : « لَكَانَ مَحْمُولاً » أي محتاجاً إلى ما يحمله . قوله عليه السلام : « مَحْصُوراً » أي عاجزاً ممنوعاً عن الخروج عن المكان ، أو محصوراً بذلك الشيء ومحويّاً به ، فيكون له انقطاع وانتهاء ، فيكون ذا حدود وأجزاء .

(١٧٢٥) ٢٦ ـ **التوحيد** : أَبِي ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَيْءٍ ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ ، أَوْ عَلَىٰ شَيْءٍ (٤) .

---

(١) التوحيد : ١٧٥ * الكافي الشريف : ١/٨٩ ، بسند صحيح إلى البزنطي عن الموصلي .
(٢) ولازمه جسميّته ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .
(٣) التوحيد : ١٧٨ ، وسيأتي الحديث : ٣٩ هٰهنا بطريق آخر حسن كالصحيح عن المفضّل .
(٤) التوحيد : ١٧٨ ، وسنده إلى حماد بن عمرو صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام ، وحماد بن عمرو هو النصيبي اعتمد عليه الصدوق كثيراً في كل كتبه ، وهو قدس سره لا يعدد الرواية عمّن لا يرتضيه ، فكيف بالإكثار عنه ، ذكره العامة فكذبوه .

قال الصدوق رحمه اللّه: الدليل على أنّ اللّه عزّ وجلّ لا في مكان أنّ الأماكن كلّها حادثة، وقد قام الدليل على أنّ اللّه عزّ وجلّ قديم سابق للأماكن، وليس يجوز أن يحتاج الغنيّ القديم إلى ما كان غنيّاً عنه، ولا أن يتغيّر عمّا لم يزل موجوداً عليه، فصحّ اليوم أنّه لا في مكان كما أنّه لم يزل كذلك، وتصديق ذلك:

مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْقَطَّانُ، عَنِ ابْنِ زَكَرِيَّا الْقَطَّانِ، عَنِ ابْنِ حَبِيبٍ، عَنِ ابْنِ بُهْلُولٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْمَرْوَزِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: قُلْتُ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَكَانٍ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالىٰ عَنْ ذَلِكَ! إِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي مَكَانٍ لَكَانَ مُحْدَثاً؛ لِأَنَّ الْكَائِنَ فِي مَكَانٍ مُحْتَاجٌ إِلَى الْمَكَانِ، وَالاحْتِيَاجُ مِنْ صِفَاتِ الْحَدَثِ لَا مِنْ صِفَاتِ الْقَدِيمِ (١).

(١٧٢٦) **٢٧ ـ التوحيد**: الدَّقَّاقُ، عَنِ الْأَسَدِيِّ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ، عَنْ عَلِيِّ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ كَانَ لَمْ يَزَلْ بِلَا زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ، وَهُوَ الْآنَ كَمَا كَانَ، لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَحِلُّ فِي مَكَانٍ ﴿ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ

(١) التوحيد: ١٧٨، وسنده كالحسن، وقد احتج الصدوق برجال هذا السند في موارد كثيرة جداً، وهو قدس سره لا يعدد الرواية عمّن لا يرتضيه.

مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ﴾ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ حِجَابٌ غَيْرُ خَلْقِهِ ، احْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ ، وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ ، لَا إِلٰـهَ إِلّا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعالِ (١) .

بيان : قوله : « غَيْرُ خَلْقِهِ » أي ليس الحجاب بينه وبين خلقه إلّا عجز المخلوق عن الإحاطة به .

وقوله : « مَحْجُوب » إمّا نعت لحجاب ، أو خبر مبتدأ محذوف ، فعلى الأوّل فهو إمّا بمعنى حاجب ؛ إذ كثيراً ما يجيء صيغة المفعول بمعنى الفاعل ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ حِجاباً مَسْتُوراً ﴾ (٢) ، أو بمعناه ، ويكون المراد أنّه ليس له تعالى حجاب مستور ، بل حجابه ظاهر ، وهو تجرّده وتقدّسه وعلوّه عن أن يصل إليه عقل أو وهم .

ويحتمل على هذا أن يكون المراد بالحجاب الحجّة الذي أقامه بينه وبين خلقه ، فهو ظاهر غير مخفي .

---

(١) التوحيد : ١٧٨ ، وسنده إلى يعقوب بن جعفر الجعفري حسن ، علي بن العباس مر ذكره في الحديث : ١٧٠٤ .
من غرر الأحاديث ، وكون الخلق حجاباً بأنفسهم نظير قول الرضا عليه السلام في خطبته الآتية تحت رقم ٣ من باب جوامع التوحيد : « حَجَبَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُهَا » الخطبة ، معناه استحالة المعاينة بالإحاطة ؛ اذ لا يمكن ذلك إلّا بارتفاع الحجاب ، ومع ارتفاع الحجاب الذي هو نفس الخلق لا يبقى موضوع الخلق هذا ، وهذا الكلام إذا انضمّ إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الآتية تحت رقم ٣٤ من باب جوامع التوحيد : « حَجَبَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ غَيْرُ خَلْقِهِ » الخطبة أفاد أنّ العباد لو انصرفوا عن الاشتغال بأنفسهم ، واتّباع هواهم ، وتوجّهوا إلى ربّهم لأشرقت عليهم أنوار العظمة الإلهيّة ، وهذا هو الذي يعبّر عنه برؤية القلب كما مرّ في عدّة من الأخبار في باب نفي الرؤية (الطباطبائي) .
(٢) سورة الإسراء : ٤٥ .

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد به أنّه لم يحتجب بـحجاب مـخفيّ، فكيف الظاهر؟

وأمّا على الثاني، فالظرف متعلّق بقوله «مَحْجُوب» أي هو محجوب بغير حجاب، وهاهنا احتمال ثالث، وهو أن يكون محجوب مضاف إليه بتقدير اللام، وإجراء الاحتمالات في الفقرة الثانية ظاهر، وهي إمّا تأكيد للأُولى، أو الأُولى إشـارة إلى الاحـتجاب عـن الحـواسّ، والثـانية إلى الاستتار عن العقول والأفهام.

(١٧٢٧) ٢٨ ـ **التوحيد**: مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَارِسِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّشَوِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّفَدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْعَسْكَرِيِّ وَأَخِيهِ مُعَاذٍ، مَعاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ الْحَنْظَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الرُّمَّانِيِّ، عَنْ زَاذَانَ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَـذْكُـرُ فِـيهِ قُـدُومَ الْجَاثَلِيقِ الْمَدِينَةَ مَعَ مِائَةٍ مِنَ النَّصَارىٰ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَسُؤَالَهُ أَبَا بَكْرٍ عَنْ مَسَائِلَ لَمْ يُجِبْهُ عَنْهَا، ثُمَّ أُرْشِدَ إِلىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَأَجَابَهُ، فَكَانَ فِيمَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ وَجْهِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ؟ فَـدَعَا عَـلِيٌّ عَـلَيْهِ السَّـلامُ بِـنَارٍ وَحَطَبٍ فَأَضْرَمَهُ، فَلَمَّا اشْتَعَلَتْ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَيْنَ وَجْـهُ هَـذِهِ النَّارِ؟ قَالَ النَّصْرَانِيُّ: هِيَ وَجْهٌ مِـنْ جَـمِيعِ حُـدُودِهَا، قَـالَ عَـلِيٌّ عَـلَيْهِ السَّلامُ: هَذِهِ النَّارُ مُدَبَّرَةٌ مَصْنُوعَةٌ لَا تَعْرِفُ وَجْهَهَا، وَخَالِقُهَا لَا يُشْبِهُهَا،

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّـهِ ﴾ (١) ، لَا يَـخْفىٰ عَلىٰ رَبِّنَا خَافِيَةٌ ... وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ (٢) .

(١٧٢٨) **٢٩ ـ التوحيد** : الْأُشْنَانِيُّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْرَوَيْهِ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنِ الرِّضَا ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ آبَائِهِ ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ لَمَّا نَاجىٰ رَبَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ ! أَبَعِيدٌ أَنْتَ مِنِّي فَأُنَادِيَكَ أَمْ قَرِيبٌ فَأُنَاجِيَكَ ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَيْهِ : أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي ، فَقَالَ مُوسىٰ : يَا رَبِّ ! إِنِّي أَكُونُ فِي حَالٍ أُجِلُّكَ أَنْ أَذْكُرَكَ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا مُوسَى ! اذْكُرْنِي عَلىٰ كُلِّ حَالٍ (٣) .

(١٧٢٩) **٣٠ ـ التوحيد** : مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَارِسِيُّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الرُّمْحِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الْوَاسِطِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الْمَكِّيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُنِيفٌ مَوْلىٰ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَيِّدِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِما السَّلامُ (٤) يُصَلِّي ، فَمَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ ، فَنَهَاهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لَهُ : لِمَ نَهَيْتَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : يَا ابْنَ

---

(١) سورة البقرة : ١١٥ .

(٢) التوحيد : ١٨٢ .

(٣) التوحيد : ١٨٢ * الكافي الشريف : ٢/٤٩٦ ، بسند آخر صحيح عن الثمالي * علل الشرائع : ١/٢٨٤ ، بسند ثالث عن أبي بصير * عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢/٥١ ، بعدة أسانيد عن صحيفة الرضا عليه السلام .

وسنده صحيح ، ابن مهرويه وابن سليمان مر ذكرهما الحسن في الحديث : ١٥٦٧ .

(٤) وفي نسخة : كان الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام .

رَسُولِ اللَّهِ ! حَظَرَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمِحْرَابِ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَحْظُرَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ (١) .

(١٧٣٠) **٣١ ـ التوحيد** : الْمُظَفَّرُ الْعَلَوِيُّ ، عَنِ ابْنِ الْعَيَّاشِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِشْكِيبَ ، عَنْ هَارُونَ بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ أَسَدِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ ، عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ : يَا جَابِرُ ! مَا أَعْظَمَ فِرْيَةَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ حَيْثُ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلىٰ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَلَقَدْ وَضَعَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَدَمَهُ عَلىٰ حَجَرٍ (٢) فَأَمَرَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أَنْ نَتَّخِذَهُ مُصَلّىً .

يَا جَابِرُ ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ ، تَعَالىٰ عَنْ صِفَةِ الْوَاصِفِينَ ، وَجَلَّ عَنْ أَوْهَامِ الْمُتَوَهِّمِينَ ، وَاحْتَجَبَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ ، لَا يَزُولُ مَعَ الزَّائِلِينَ ، وَلَا يَأْفِلُ مَعَ الْآفِلِينَ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣) .

(١٧٣١) **٣٢ ـ التوحيد** : الدَّقَّاقُ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ ابْنِ الْعَبَّاسِ (٤) ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِي

---

(١) التوحيد : ١٨٤ .
(٢) وفي نسخة : على صخرة .
(٣) التوحيد : ١٧٩ ، وذيل الحديث مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .
(٤) وفي النسخة المطبوعة : ابن عياش ، والصحيح ما أثبتناه تبعاً للمصدر .

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ قَالَ: لا أَقُولُ: إِنَّهُ قَائِمٌ فَأُزِيلَهُ عَنْ مَكَانِهِ ، وَلا أَحُدُّهُ بِمَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ ، وَلَا أَحُدُّهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَرْكَانِ وَالْجَوَارِحِ ، وَلَا أَحُدُّهُ بِلَفْظِ شَقِّ فَمٍ ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ فِي نَفَسٍ ، فَرْدٌ ، صَمَدٌ ، لَمْ يَحْتَجْ إِلىٰ شَرِيكٍ يَكُونُ لَهُ فِي مُلْكِهِ ، وَلَا يَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ عِلْمِهِ (٢) .

الاحتجاج: عن يعقوب ... مثله (٣) .

(١٧٣٢) ٣٣ ـ التوحيد: السِّنَانِيُّ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لَا يُوصَفُ بِزَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ ، وَلَا حَرَكَةٍ وَلَا انْتِقَالٍ وَلَا سُكُونٍ ، بَلْ هُوَ خَالِقُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ، تَعَالىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً (٤) .

(١٧٣٣) ٣٤ ـ التوحيد: مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْعَزَائِمِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رُمَيْحٍ (٥) ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ

---

(١) سورة بقرة : ١١٧ * سورة آل عمران : ٤٧، ٥٩ * سورة الأنعام : ٧٣ * سورة النحل : ٤٠ * سورة مريم : ٣٥ * سورة يس : ٨٢ * سورة غافر : ٦٨.

(٢) التوحيد : ١٨٣ * الكافي الشريف : ١٢٥/١ ، عن علي بن عباس الجراذيني.
وسنده إلى يعقوب الجعفري حسن ، علي بن العباس هو الجراذيني مر في الحديث : ١٧٠٤ .

(٣) الاحتجاج : ١٥٦/٢ .

(٤) التوحيد : ١٨٣ * أمالي الصدوق : ٣٥٣، حديث : ٤٣٠ .
وسنده معتبر صحيح ، النخعي وعلي بن سالم مر ذكرهما في الحديث : ١٧٠٠ .

(٥) في نسخة من التوحيد: عن أحمد بن محمّد بن وضيح.

مُحَمَّدٍ الْحَسَنِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ ، عَنْ بِشْرِ بْنِ الْحَسَنِ ، عَنْ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ ، عَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَنَّهُ دَخَلَ السُّوقَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُوَلِّيهِ ظَهْرَهُ يَقُولُ : لَا وَالَّذِي احْتَجَبَ بِالسَّبْعِ ، فَضَرَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ ظَهْرَهُ ثُمَّ قَالَ : مَنِ الَّذِي احْتَجَبَ بِالسَّبْعِ ؟ قَالَ : اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : أَخْطَأْتَ - ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ - إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ حِجَابٌ ؛ لِأَنَّهُ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ، قَالَ : مَا كَفَّارَةُ مَا قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُ كُنْتَ ، قَالَ : أُطْعِمُ الْمَسَاكِينَ ؟ قَالَ : لَا ، إِنَّمَا حَلَفْتَ بِغَيْرِ رَبِّكَ (١) .

(١٧٣٤) **٣٥ ـ التوحيد** : الدَّقَّاقُ ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْعَلَوِيِّ ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ الْقُمِّيِّ ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو الْفُقَيْمِيِّ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ - فِي حَدِيثِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي أَتَىٰ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ - قَالَ : سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : بِذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ ، وَكَذَلِكَ هُوَ مُسْتَوْلٍ عَلَى الْعَرْشِ ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ حَامِلاً لَهُ ، وَلَا أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ حَاوِياً لَهُ ، وَلَا أَنَّ الْعَرْشَ مُحْتَازٌ لَهُ ، وَلَكِنَّا نَقُولُ : هُوَ حَامِلُ

---

(١) التوحيد : ١٨٤ .

الْعَرْشِ، وَمُمْسِكُ الْعَرْشِ، وَنَقُولُ مِنْ ذَلِكَ مَا قَالَ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (١)، فَثَبَّتْنا مِنَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ ما ثَبَّتَهُ، وَنَفَيْنا أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ أَوِ الْكُرْسِيُّ حَاوِياً لَهُ، وَأَنْ يَكُونَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْتَاجاً إِلىٰ مَكَانٍ، أَوْ إِلىٰ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ، بَلْ خَلْقُهُ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.

قَالَ السَّائِلُ: فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْ تَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَبَيْنَ أَنْ تَخْفِضُوهَا نَحْوَ الْأَرْضِ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ وَقُدْرَتِهِ سَوَاءٌ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ أَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ بِرَفْعِ أَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ مَعْدِنَ الرِّزْقِ، فَثَبَّتْنَا مَا ثَبَّتَهُ الْقُرْآنُ، وَالْأَخْبَارُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ قَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهذَا يُجْمِعُ عَلَيْهِ فِرَقُ الْأُمَّةِ كُلُّهَا.

قَالَ السَّائِلُ: فَتَقُولُ إِنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: نَقُولُ ذَلِكَ لِأَنَّ الرِّوَايَاتِ قَدْ صَحَّتْ بِهِ وَالْأَخْبَارَ.

قَالَ السَّائِلُ: وَإِذَا نَزَلَ أَلَيْسَ قَدْ حَالَ عَنِ الْعَرْشِ، وَحَوْلُهُ عَنِ الْعَرْشِ انْتِقَالٌ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: لَيْسَ ذَلِكَ عَلىٰ مَا يُوجَدُ مِنَ الْمَخْلُوقِ الَّذِي يَنْتَقِلُ بِاخْتِلَافِ الْحَالِ عَلَيْهِ وَالْمَلَالَةِ وَالسَّأْمَةِ، وَنَاقِلٍ يَنْقُلُهُ وَيُحَوِّلُهُ مِنْ حَالٍ إِلىٰ حَالٍ، بَلْ هُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لَا يَحْدُثُ عَلَيْهِ الْحَالُ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ الْحُدُوثُ، فَلَا يَكُونُ نُزُولُهُ كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِ

---

(١) سورة البقرة ٢٥٥.

الَّذِي مَتىٰ تَنَحّىٰ عَنْ مَكَانٍ خَلَا مِنْهُ الْمَكَانُ الأوّل ، وَلَكِنَّهُ يَنْزِلُ إِلىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ مُعَانَاةٍ وَلَا حَرَكَةٍ ، فَيَكُونُ هُوَ كَمَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ كَذَلِكَ هُوَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا ، إِنَّمَا يَكْشِفُ عَنْ عَظَمَتِهِ ، وَيُرِي أَوْلِيَاءَهُ نَفْسَهُ حَيْثُ شَاءَ ، وَيَكْشِفُ مَا شَاءَ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَمَنْظَرُهُ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ سَوَاءٌ (١) .

ثمّ قال : قال مصنّف هذا الكتاب : قوله عليه السلام : « عَلَى الْعَرْشِ » إنّه ليس بمعنى التمكّن فيه ، ولكنّه بمعنى التعالي عليه بالقدرة ، يقال : فلان على خير ، واستعانه على عمل كذا وكذا ليس بمعنى التمكّن فيه والاستقرار عليه ، ولكن ذلك بمعنى التمكّن منه والقدرة عليه .

وقوله : في نُزُولُهُ ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافة ، ولكنّه على معنى إنزال الأمر منه إلى سماء الدنيا ؛ لأنّ العرش هو المكان الذي ينتهي إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه ، وقد يجعل اللّه عزّ وجلّ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش .

وقوله : « يُرِي أَوْلِيَاءَهُ نَفْسَهُ » فإنّه يعني بإظهار بدائع فطرته ، فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوّة وقدرة وخيلاً ورجلاً : قد أظهر نفسه ، وعلى ذلك دلّ الكلام ومجاز اللفظ .

أقول : من قوله : « قَالَ السَّائِلُ » إلى آخر كلامه لم يكن في أكثر النسخ ،

---

(١) التوحيد : ٢٤٨ .
ورجال السند ثقات أجلاء عيون ، سوى الفقيمي لم أجد من ذكره ، وإبراهيم بن هاشم لا يروي عن الصغار .

وليس في الاحتجاج أيضاً.

(١٧٣٥) ٣٦ـالتوحيد: أَبِي، عَنْ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ وَابْنِ هَاشِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ الْيَعْقُوبِيِّ (١)، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلىٰ مَوْلىٰ آلِ سَامٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: أَتىٰ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَهُودِيٌّ يُقَالُ لَهُ: «سُبَّخْتُ» (٢) فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ! جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ رَبِّكَ، فَإِنْ أَجَبْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَقَالَ لَهُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَقَالَ: أَيْنَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ (٣)، وَلَيْسَ هُوَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَكَانِ بِمَحْدُودٍ، قَالَ: فَكَيْفَ هُوَ؟ فَقَالَ: وَكَيْفَ أَصِفُ رَبِّي بِالْكَيْفِ وَالْكَيْفُ مَخْلُوقٌ، وَاللَّهُ لَا يُوصَفُ بِخَلْقِهِ، قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: فَمَا بَقِيَ حَوْلَهُ حَجَرٌ وَلَا مَدَرٌ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ إِلَّا تَكَلَّمَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ: يَا شَيْخُ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (٤)، فَقَالَ سُبَّخْتُ: بِاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَبْيَنَ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (٥).

---

(١) بالياء المثناة، كما هو المحكيّ عن الإيضاح، أو بالباء الموحدة نسبة إلى بعقوبا قرية من قرى بغداد على ما حكي عن الشهيد الثاني رحمه اللّه، وهو داود بن علّ الهاشميّ المترجم في: ١١٥ من رجال النجاشيّ بقوله: داود بن عليّ اليعقوبيّ الهاشميّ، أبو عليّ بن داود، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وقيل: روى عن الرضا عليه السلام، له كتاب يرويه جماعة، منهم عيسى بن عبد اللّه العمريّ.

(٢) اختلفت النسخ في ضبطه، ففي بعضها: «سبحت» بالباء، كما في الكافي الشريف.

(٣) في حديث آخر له: فقال: هو في كلّ مكان موجود بآياته.

(٤) وفي نسخة: يا سبحت، إنّه رسول اللّه.

(٥) التوحيد: ٣٠٩ * الكافي الشريف: ١/٩٤، وسنده مرسل صحيح، رجاله ثقات أجلاء

(١٧٣٦) ٣٧ـ**قصص الأنبياء عليهم السلام**: الصَّدُوقُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رُمَيْحٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ... مِثْلَهُ(١).

بصائر الدرجات: إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَاشِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ... مِثْلَهُ(٢).

(١٧٣٧) ٣٨ـ**التوحيد**: ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ، عَنِ ابْنِ عِيسَىٰ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ فِي شَيْءٍ، أَوْ عَلَىٰ شَيْءٍ(٣).

(١٧٣٨) ٣٩ـ**التوحيد**: مَاجِيلَوَيْهِ، عَنْ عَمِّهِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ فِي شَيْءٍ فَقَدْ أَشْرَكَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مُحْدَثاً، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ مَحْصُورٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَىٰ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْمُولاً(٤).

عيون، وعبارة «بعض أصحابنا» تقتضي المدح والثناء.

(١) قصص الأنبياء: ٢٨٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٥٢١.

(٣) التوحيد: ١٧٨، وسنده صحيح، رجاله ثقات أجلاء عيون.

(٤) التوحيد: ٣١٧ بسندين أحدهما عن المفضل والآخر عن أبي بصير * الكافي الشريف: ١٢٨/١ وسنده من أصح الأسانيد عن أبي بصير، وراجع حديث: ٢٥ ههنا.

(١٧٣٩) ٤٠ ـ **التوحيد** : ابْنُ الْوَلِيدِ ، عَنِ ابْنِ أَبَانٍ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنِ النَّضْرِ ، عَنِ ابْنِ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قَالَ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَيْءٍ ، أَوْ فِي شَيْءٍ ، أَوْ عَلىٰ شَيْءٍ فَقَدْ كَفَرَ .

قُلْتُ : فَسِّرْ لِي ؟ قَالَ : أَعْنِي بِالْحَوَايَةِ مِنَ الشَّيْءِ لَهُ ، أَوْ بِإِمْسَاكٍ لَهُ ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ سَبَقَهُ (١) .

(١٧٤٠) ٤١ ـ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرىٰ ، قَالَ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مُحْدَثاً ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْصُوراً ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلىٰ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْمُولاً (٢) .

بيان : قوله : « بِالْحَوَايَةِ مِنَ الشَّيْءِ لَهُ » تفسير لقوله : « فِي شَيْءٍ » ، وقوله : « أَوْ بِإِمْسَاكٍ لَهُ » تفسير لقوله : « عَلىٰ شَيْءٍ » ، وقوله : « أَوْ مِنْ شَيْءٍ سَبَقَهُ » تفسير لقوله : « مِنْ شَيْءٍ » .

(١٧٤١) ٤٢ ـ **التوحيد** : الطَّالَقَانِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصُّغْدِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْعَسْكَرِيِّ وَأَخِيهِ مُعَاذٍ ، مَعاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ الْحَنْظَلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ

وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وابن سنان من الكبار ، راجع ملحق : ٨ .
(١) التوحيد : ٣١٧ * الكافي الشريف : ١/ ١٢٨ ، وسنده من أصح الأسانيد .
وسنده حسن كالصحيح ـ بل صحيح ـ ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وقد اعتمد الأصحاب على ابن أبان في روايته لكتب الحسين بن سعيد .
(٢) التوحيد : ٣١٧ * الكافي الشريف : ١/ ١٢٨ .

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ أَبِي هَاشِمِ الرُّمَّانِيِّ ، عَنْ زَاذَانَ ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَذْكُرُ فِيهِ قُدُومَ الْجَاثَلِيقِ الْمَدِينَةَ مَعَ مِائَةٍ مِنَ النَّصَارىٰ بَعْدَ قَبْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَسُؤَالَهُ أَبَا بَكْرٍ عَنْ مَسَائِلَ لَمْ يُجِبْهُ عَنْهَا ، ثُمَّ أُرْشِدَ إِلىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَسَأَلَهُ فَأَجَابَهُ ، فَكَانَ فِيمَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّبِّ أَيْنَ هُوَ ؟ وَأَيْنَ كَانَ ؟ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ : لَا يُوصَفُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ بِمَكَانٍ ، هُوَ كَمَا كَانَ ، وَكَانَ كَمَا هُوَ ، لَمْ يَكُنْ فِي مَكَانٍ ، وَلَمْ يَزَلْ مِنْ مَكَانٍ إِلىٰ مَكَانٍ ، وَلَا أَحَاطَ بِهِ مَكَانٌ ، بَلْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بِلَا حَدٍّ وَلَا كَيْفٍ .

قَالَ : صَدَقْتَ ، فَأَخْبِرْنِي عَنِ الرَّبِّ أَفِي الدُّنْيَا هُوَ أَوْ فِي الْآخِرَةِ ؟ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ : لَمْ يَزَلْ رَبُّنَا قَبْلَ الدُّنْيَا هُوَ مُدَبِّرُ الدُّنْيَا ، وَعَالِمٌ بِالْآخِرَةِ ، فَأَمَّا أَنْ يُحِيطَ بِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فَلَا ، وَلَكِنْ يَعْلَمُ مَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

قَالَ : صَدَقْتَ ـ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ـ ثُمَّ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ رَبِّكَ أَيَحْمِلُ أَوْ يُحْمَلُ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ رَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ يَحْمِلُ وَلَا يُحْمَلُ .

قَالَ النَّصْرَانِيُّ : وَكَيْفَ ذَلِكَ وَنَحْنُ نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ (١) ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْمِلُ الْعَرْشَ ، وَلَيْسَ الْعَرْشُ كَمَا تَظُنُّ كَهَيْئَةِ السَّرِيرِ ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ مَحْدُودٌ مَخْلُوقٌ مُدَبَّرٌ ، وَرَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ مَالِكُهُ ، لَا أَنَّهُ عَلَيْهِ كَكَوْنِ الشَّيْءِ

---

(١) سورة الحاقّة : ١٧ .

عَلَى الشَّيْءِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِحَمْلِهِ فَهُمْ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ بِمَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ.

قَالَ النَّصْرَانِيُّ : صَدَقْتَ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ ... وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ (١) .

(١٧٤٢) **٤٣ ـ التوحيد**: الدَّقَّاقُ ، عَنِ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ الْبَرْمَكِيِّ ، عَنْ جُذْعَانَ بْنِ نَصْرٍ ، عَنْ سَهْلٍ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ ﴾ (٢) ، فَقَالَ لِي : مَا يَقُولُونَ ؟ قُلْتُ : يَقُولُونَ : إِنَّ الْعَرْشَ كَانَ عَلَى الْمَاءِ وَالرَّبُّ فَوْقَهُ ، فَقَالَ : فَقَدْ كَذَبُوا ، مَنْ زَعَمَ هَذَا فَقَدْ صَيَّرَ اللَّهَ مَحْمُولاً ، وَوَصَفَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَأَلْزَمَهُ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَحْمِلُهُ أَقْوىٰ مِنْهُ.

قُلْتُ : بَيِّنْ لِي جُعِلْتُ فِدَاكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَمَّلَ دِينَهُ وَعِلْمَهُ الْمَاءَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ أَرْضٌ أَوْ سَمَاءٌ ، أَوْ جِنٌّ أَوْ إِنْسٌ ، أَوْ شَمْسٌ أَوْ قَمَرٌ ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ نَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ : مَنْ رَبُّكُمْ ؟ فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ رَسُولَ اللَّهِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَالُوا : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَحَمَّلَهُمُ الْعِلْمَ وَالدِّينَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ هَؤُلَاءِ حَمَلَةُ عِلْمِي وَدِينِي ، وَأُمَنَائِي فِي خَلْقِي ، وَهُمُ الْمَسْئُولُونَ ، ثُمَّ قِيلَ لِبَنِي آدَمَ : أَقِرُّوا لِلَّهِ

---

(١) التوحيد : ٣١٦.

(٢) سورة هود : ٧.

بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَلِهَؤُلَاءِ النَّفَرِ بِالطَّاعَةِ ، فَقَالُوا: رَبَّنَا أَقْرَرْنَا ، فَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: اشْهَدُوا ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: شَهِدْنَا عَلىٰ أَنْ لَا يَقُولُوا: ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ ﴾ (١) أَوْ يَقُولُوا: ﴿ إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢) .

يَا دَاوُدُ ! وَلَايَتُنَا مُؤَكَّدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ (٣) .

قال الصدوق رحمه اللّه في التوحيد: إنّ المشبّهة تتعلّق بقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ ﴾ (٤) ، ولا حجّة لها في ذلك لأنّه عزّ وجلّ عنى بقوله: ﴿ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أي ثمّ نقل العرش إلى فوق السماوات ، وهو مستولّ عليه ، ومالك له ، فقوله عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ ﴾ إنّما هو لدفع العرش إلى مكانه الذي هو فيه ونقله للاستواء ، ولا يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿ اسْتَوىٰ ﴾ استولى ؛ لأنّ الاستيلاء للّه تعالى (٥)

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٣.

(٣) التوحيد: ٣١٩ * الكافي الشريف: ١٣٢/١ ، بسند حسن عن الصفار عن سهل عن ابن محبوب عن ابن كثير * علل الشرائع: ١١٨ ، عن ابن المتوكل عن الحميري عن الأشعري عن ابن محبوب عن ابن كثير.

والحديث ثابت عن ابن كثير ويظهر من الروايات كونه من أصحاب الأسرار ورواياته عالية المضامين ، قال النجاشي: «كان ضعيفاً غمز أصحابنا فيه ، وقالوا: كان يضع الحديث !!!» وذكره الشيخ الطوسي ولم يقدح فيه أصلاً ، وقد اعتمد عليه الصدوق في الفقيه ، ورواياته في الكافي الشريف والكتب المعتبرة كثيرة ، وقد روى عنه ابن محبوب وعلي بن الحكم وغيرهم ، وتضعيف النجاشي وغيره لتهمة الغلو ولبعض كتبه التي هي غُلو وليست بغلو.

(٤) سورة الأعراف: ٥٤.

(٥) في نسخة: لأنّ استيلاء اللّه تعالى.

على الملك وعلى الأشياء ليس هو بأمر حادث ، بل كان لم يزل مالكاً لكلّ شيء ، ومستولياً على كلّ شيء ، وإنّما ذكر عزّ وجلّ الاستواء بعد قوله: ﴿ ثُمَّ ﴾ وهو يعني الرفع مجازاً ، وهو كقوله ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ (١) ، فذكر نعلم مع قوله: ﴿ حَتَّىٰ ﴾ وهو عزّ وجلّ يعني حتّى يجاهد المجاهدون ، ونحن نعلم ذلك لأنّ ﴿ حَتَّىٰ ﴾ لا يقع إلاّ على فعل حادث ، وعلم اللّه عزّ وجلّ بالأشياء لا يكون حادثاً ، وكذلك ذكر قوله عزّ وجلّ: ﴿ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ بعد قوله: ﴿ ثُمَّ ﴾ وهو يعني بذلك ثمّ رفع العرش لاستيلائه عليه ، ولم يعن بذلك الجلوس واعتدال البدن؛ لأن اللّه لا يجوز أن يكون جسماً ، ولا ذا بدن ، تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً (٢) .

---

(١) سورة محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ٣١.

(٢) التوحيد: ٣١٧ ، قال السيّد الرضيّ قدّس اللّه روحه في كتابه تلخيص البيان بعد قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وهذه استعارة؛ لأنّ حقيقة الاستواء إنّما توصف بها الاجسام التي تعلو وتهبط ، وتميل وتعتدل ، والمراد بالاستواء هاهنا الاستيلاء بالقدرة والسلطان ، لا بحلول القرار والمكان ، كما يقال: استوى فلان الملك على سرير ملكه بمعنى استولى على تدبير الملك ، وملك معقد الأمر والنهي ، ويحسن صفته بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد عليه ، ولا مكان عالٍ يشار إليه ، وإنّما المراد نفاذ أمره في مملكته ، واستيلاء سلطانه على رعيّته.

فان قيل: فاللّه سبحانه مستولٍ على كلّ شيء بقهره وغلبته ، ونفاذ أمره وقدرته ، فما معنى اختصاص العرش بالذكر هاهنا؟

قيل: كما ثبت أنّه تعالى ربّ لكل شيء ، وقد قال في صفة نفسه: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ وقال: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ .

فان قيل: فما معنى قولنا: عرش اللّه إن لم يرد بذلك كونه عليه؟

قيل: كما يقال: بيت اللّه وإن لم يرد كونه فيه ، والعرش تطوف به الملائكة تعبّداً ، كما أنّ البيت في الأرض تطوف به الخلائق تعبّداً.

(١٧٤٣) ٤٤ ـ **المحاسن**: أَبِي ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، قَالَ : اجْتَمَعَتِ الْيَهُودُ إِلىٰ رَأْسِ الْجَالُوتِ فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ عَالِمٌ ـ يَعْنُونَ بِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ لِنَسْأَلَهُ ، فَأَتَوْهُ فَقِيلَ **لَهُمْ**: هُوَ فِي الْقَصْرِ ، فَانْتَظَرُوهُ حَتّىٰ خَرَجَ ، فَقَالَ لَهُ رَأْسُ الْجَالُوتِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! جِئْنَا نَسْأَلُكَ ، قَالَ : سَلْ يَا يَهُودِيُّ عَمَّا بَدَا لَكَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ عَنْ رَبِّنَا مَتىٰ كَانَ ؟ فَقَالَ : كَانَ بِلَا كَيْنُونَةٍ ، كَانَ بِلَا كَيْفٍ ، كَانَ لَمْ يَزَلْ بِلَا كَمٍّ وَبِلَا كَيْفٍ ، كَانَ لَيْسَ لَهُ قَبْلٌ هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ ، وَلَا غَايَةٍ وَلَا مُنْتَهىٰ غَايَةٍ وَلَا غَايَةَ إِلَيْهَا ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ الْغَايَاتُ فَهُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ ، قَالَ : فَقَالَ : رَأْسُ الْجَالُوتِ لِلْيَهُودِ : امْضُوا بِنَا [(١)] فَهَذَا أَعْلَمُ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ [(٢)] .

بيان: ولا غاية إليها أي ينتهي إليها .

(١٧٤٤) ٤٥ ـ **المحاسن**: الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيىٰ ، عَنْ جَدِّهِ الْحَسَنِ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَسُئِلَ عَنْ مَعْنىٰ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ ، فَقَالَ : اسْتَوْلىٰ عَلىٰ مَا دَقَّ وَجَلَّ [(٣)] .

الاحتجاج: عن الحسن ... مثله [(٤)] .

---

(١) وفي نسخة : مرّوا بنا .
(٢) المحاسن : ١/٢٤٠ ، وفي الرواية دلالة على كونه تعالى هو المطلوب المطلق لكلّ شيء .
(٣) المحاسن : ١/٢٣٨ * الكافي الشريف : ١/١١٤ * التوحيد : ٢٣٠ * معاني الأخبار : ٤ .
وسنده حسن كالصحيح ، القاسم وجده مر ذكرهما في الحديث : ٤٣٥ .
(٤) الاحتجاج : ٢/١٥٧ .

(١٧٤٥) ٤٦ ـ **التوحيد ومعاني الأخبار** : ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، عَنِ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنِ ابْنِ عِيسىٰ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ ، قَالَ : اسْتَوىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ (١) .

(١٧٤٦) ٤٧ ـ **تفسير القمّيّ** : مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ سَهْلٍ ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَارِدٍ : أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ سُئِلَ عَنْ مَعْنىٰ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ فَقَالَ : اسْتَوىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ (٢) .

التوحيد : ماجيلويه ، عن محمّد العطّار ، عن سهل ... مثله (٣) .

التوحيد : ابن الوليد ، عن محمّد العطّار ، عن سهل ، عن الخشّاب رفعه عن أبي عبد اللّه عليه السلام ... مثله (٤) .

(١٧٤٧) ٤٨ ـ **التوحيد** : أَبِي ، عَنْ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيىٰ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

---

(١) التوحيد : ٣١٧ * معاني الأخبار : ٢٩ .
وسنده إلى مقاتل صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، ومقاتل من كبار المفسرين ، ورواياته لدى الخاصة كلها سديدة .
(٢) تفسير القمي : ٥٩/٢ * الكافي الشريف : ١٢٨/١ .
وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وسهل من الكبار ، راجع ملحق : ٩ .
(٣) التوحيد : ٣١٥ .
(٤) التوحيد : ٣١٦ .

عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ فَقَالَ: اسْتَوىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ بَعِيدٌ، وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ قَرِيبٌ، اسْتَوىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ(١).

بيان: اعلم أنّ الاستواء يطلق على معان:

الأوّل: الاستقرار والتمكّن على الشيء.

الثاني: قصد الشيء، والإقبال إليه.

الثالث: الاستيلاء على الشيء. قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق　　　من غير سيف ودم مهراق

الرابع: الاعتدال، يقال: سوّيت الشيء فاستوى.

الخامس: المساواة في النسبة.

فأمّا المعنى الأوّل فيستحيل على اللّه تعالى لما ثبت بالبراهين العقليّة والنقليّة من استحالة كونه تعالى مكانياً، فمن المفسّرين من حمل الاستواء في هذه الآية على الثاني، أي أقبل على خلقه، وقصد إلى ذلك، وقد رووا أنّه سئل أبو العبّاس أحمد بن يحيى عن هذه الآية فقال: الاستواء: الإقبال على الشيء، ونحو هذا.

قال الفرّاء والزجّاج في قوله عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّماءِ ﴾(٢)، والأكثرون منهم حملوها على الثالث، أي استولى عليه وملكه ودبّره.

---

(١) التوحيد: ٣١٥، وسنده من أصح الأسانيد، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام.
(٢) سورة البقرة: ٢٩. سورة فصّلت: ١١.

قال الزمخشريّ : لمّا كان الاستواء على العرش ـ وهو سرير الملك ـ لا يحصل إلاّ مع الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا : استوى فلان على السرير ، يريدون ملكه وإن لم يقعد على السرير البتّة ، وإنّما عبّروا عن حصول الملك بذلك لأنّه أصرّح وأقوى في الدلالة من أن يقال : فلان ملك ، ونحوه قولك : يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة ، بمعنى أنّه جواد أو بخيل ، لا فرق بين العبارتين إلّا فيما قلت ، حتّى أنّ من لم يبسط يده قطّ بالنوال ، أو لم يكن له يد رأساً وهو جواد قيل فيه : يده مبسوطة لأنّه لا فرق عندهم بينه وبين قولهم جواد ، انتهى .

ويحتمل أن يكون المراد المعنى الرابع ، بأن يكون كناية عن نفي النقص عنه تعالى من جميع الوجوه ، فيكون قوله تعالى : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ حالية ، وسيأتي توجيهه ، ولكنّه بعيد .

وأمّا المعنى الخامس ، فهو الظاهر ممّا مرّ من الأخبار .

فاعلم أنّ العرش قد يطلق على الجسم العظيم الذي أحاط بسائر الجسمانيّات ، وقد يطلق على جميع المخلوقات ، وقد يطلق على العلم أيضاً ، كما وردت به الأخبار الكثيرة (١) ، وسيأتي تحقيقه في كتاب السماء والعالم .

فإذا عرفت هذا فإمّا أن يكون عليه السلام فسّر العرش بمجموع

---

(١) قال الشيخ الطوسيّ قدّس سرّه في كتابه التبيان ذيل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ في سورة يونس : قيل : إنّ العرش المذكور هاهنا هو السماوات والأرض ؛ لأنهنّ من بنائه ، والعرش : البناء ، ومنه قوله : ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ أي يبنون ، وأمّا العرش المعظّم الذي تعبّد اللّه الملائكة بالحفوف به والإعظام له وعناه بقوله : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ فهو غير هذا .

الأشياء ، وضمّن الاستواء ما يتعدّى بـ(على) كالاستيلاء والاستعلاء والإشراف ، فالمعنى استوت نسبته إلى كلّ شيء حال كونه مستولياً عليها ، أو فسّره بالعلم ، ويكون متعلّق الاستواء مقدّراً ، أي تساوت نسبته من كلّ شيء حال كونه متمكّناً على عرش العلم ، فيكون إشارة إلى بيان نسبته تعالى ، وأنّها بالعلم والإحاطة ، أو المراد بالعرش عرش العظمة والجلال والقدرة ، كما فسّر بها أيضاً في بعض الأخبار ، أي استوى من كلّ شيء مع كونه في غاية العظمة ، ومتمكّناً على عرش التقدّس والجلالة .

والحاصل : أنّ علوّ قدره ليس مانعاً من دونه بالحفظ والتربية والإحاطة ، وكذا العكس ، وعلى التقادير فقوله : ﴿ اسْتَوىٰ ﴾ خبر ، وقوله : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ حال .

ويحتمل أن يكونا خبرين على بعض التقادير ، ولا يبعد على الاحتمال الأوّل جعل قوله : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ متعلّقا بالاستواء بأن تكون كلمة ﴿ عَلَى ﴾ بمعنى (إلى) .

ويحتمل على تقدير حمل العرش على العلم أن يكون قوله : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ خبراً ، وقوله : ﴿ اسْتَوىٰ ﴾ حالاً عن العرش ، لكنّه بعيد .

وعلى التقادير يمكن أن يقال : إنّ النكتة في إيراد الرحمن بيان أنّ رحمانيّته توجب استواء نسبته إيجاداً وحفظاً ، وتربية وعلماً إلى الجميع بخلاف الرحيميّة ، فإنّها تقتضي إفاضة الهدايات الخاصّة على المؤمنين فقط ، وكذا كثير من أسمائه الحسنى تخصّ جماعة كما سيأتي تحقيقها ، ويؤيّد بعض الوجوه التي ذكرنا ما ذكره الصدوق رحمه الله في كتاب

العقائد حيث قال: اعتقادنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق، والعرش في وجه آخر هو العلم.

وَسُئِلَ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ (١) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ فَقَالَ: اسْتَوىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، انتهى.

وإنّما بسطنا الكلام في هذا المقام لصعوبة فهم تلك الأخبار على أكثر الأفهام.

أقول: قد مرّت الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع، وباب نفي الجسم والصورة، وسيأتي في باب احتجاج أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه على النصارى، وباب العرش والكرسيّ، وباب جوامع التوحيد (٢).

---

(١) في النسخة المطبوعة: وسئل عن الصادق عليه السلام عن قول ... .

(٢) إلى هنا تمّ الجزء الثالث من بحار الأنوار من هذه الطبعة المزدانة بتعاليق نفيسة قيّمة، وفوائد جمّة ثمينة، ويساوي هذا الجلد مع ١٠٤ صفحة من ثاني أجزاء الطبع الكمپانيّ.

محتوى الكتاب

محتوى الكتاب

كتاب التوحيد